



وقائع ومجوت

السِّيُوحُ الإمامة الأولى والثاني

لمنعمت تحت شعاع

النبوة والإمامة صنوا لا يفترقان

وبعنوانك

منهج الإمامة في تربية الفرد والامة

الجزء الثالث

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

الترقيم الدولي المعياري للكتاب

ISBN : 9789922263311

العتبة العباسية المقدسة. اسبوع الامامة الدولي (الثاني : 2024 : كربلاء، العراق)، مؤلف.
وقائع وبحوث اسبوع الامامة الدولي الثاني : المنعقد تحت عنوان النبوة والامامة صنوان لا يفترقان :
وبعنوان منهاج الأئمة في تربية الفرد والأمة-الطبعة الأولى-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة،
1445 هـ. = 2024.

8 مجلد : ايضاحيات : 24 سم

يتضمن ارجاعات بيبليوجرافية.

النص باللغة العربية : ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.

ISBN : 9789922263311 (v. 3)

1. اهل بيت الرسول عليهم السلام (شيعة)-مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC: BP193 .A83 2023 VOL. 03

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



٢٣٩،٠٦

و ٤٩٨ وقائع وبحوث اسبوع الامامة (٢٠٢٦:٢ : كربلاء)

وقائع وبحوث اسبوع الامامة الثاني : تحت شعار

النبوة و الامامة صنوان لا يفترقان / مجموعة مؤلفين -. ط ١ .

- كربلاء : العتبة العباسية المقدسة ، ٢٠٢٦

ج ٣ (٨٧ ص.) ؛ ٢٤٤ سم.

١. السيرة النبوية الشريفة - بحوث . ٢. الامامية (الشيعة).

٣. علي بن ابي طالب (ع)-الامام الأول -بحوث . أ. العنوان .

رقم الإيداع

٢٠٢٦ / ٣٥٠٨

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٣٥٠٨) لسنة ٢٠٢٦



اسم الكتاب

وقائع وبحوث اسبوع الامامة
الدولي الثاني

المراجعة العلمية

اللجنة العلمية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الناشر

العتبة العباسية المقدسة

الاعداد والتحرير

اللجنة التحضيرية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الاشراف العام

اللجنة العليا المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

التصميم والاخراج الطباعي

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الجزء

الثالث

الطبعة

الاولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



مؤتمر الإمام الحسن عليه السلام

الأبعاد التربوية لمنهاج الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في بناء الفرد والأمة

أ.م.د. أحمد علي عبود الخفاجي
كلية القانون / جامعة الكفيل

المستخلص

مما لا يخفى أن الإسلام هو الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات، فهو شمس الهداية للناس جميعاً حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، لذلك فالإسلام يعتمد إلى تنظيم علاقة الإنسان بربه، كما ينظم علاقته بمن حوله من الناس وما حوله من الأشياء، ويكفل تطبيقه السعادة في الدنيا والآخرة.

وإذا كان الإسلام بهذه الصفة فإنه من البديهي أن يكون متضمناً لكل ما تحتاج إليه البشرية من مقومات وأسس، ولعلّ أبرز ما تحتاج إليه البشرية من تلك المقومات هي التربية التي تعدّ من أهم مقومات الشخصية الإنسانية، وهذا ما نراه في فطرته التي تبحث عن كل ما فيه خير وصلاح، والشريعة الإسلامية المقدسة كان لها تأكيد كبير على الأخلاق والتربية من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، فضلاً عن سيرة الأنبياء وأوصيائهم (عليهم السلام) في المجتمع، وهذا ما نراه بأدنى تأمل لنصوص الشريعة الإسلامية، والقرآن كان الإمام الذي يهدي من اتبعه وتمسك بتعاليمه، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١) وغيرها من الآيات الشريفة.

وقد تضمنت السنة الشريفة موروثاً كبيراً وعظيماً من الأحاديث الشريفة في هذا الباب من أبواب المعرفة الإنسانية عن طريق النبي والأئمة صلوات الله عليهم وخصوصاً التربوية التي كانوا يحدثون بها الأمة، ويقومون بتربية أصحابهم عليها، لتكون منهاجاً علمياً وعملياً في ذلك، ومن أولئك الأئمة المهديين الذين كان لهم تراث عظيم في ذلك هو الإمام الحسن المجتبي عليه السلام الذي كانت حياته مليئة بالمعارف التربوية والأخلاقية، وهذا ما يمكن رؤيته بأدنى تأمل في تراثه العلمي الكبير والتي تؤكد جميعها على مقام الإنسان ومنزلته في المنهاج التربوي الإسلامي، وكانت سيرته عليه السلام ترجيحاً لذلك، فقد رأيناه في أعلى مكارم الأخلاق مع أصحابه وأعدائه، وهو يؤدي رسالته في المجتمع الإسلامي، فضلاً عن مقام خلافته لله تعالى في عبادته، ونحاول في هذه الورقة البحثية أن نتناول بعضاً من عبادته وتواضعه وأخلاقه ونبين تلك الأبعاد التربوية في منهاجه الإصلاحي لبناء الفرد والأمة.



Abstract

It is no secret that Islam is the final message for all messages. It is the sun of guidance for all people until God Almighty inherits the earth and those on it. Therefore, Islam seeks to regulate manss relationship with his Lord, just as it regulates his relationship with the people and things around him, and its application guarantees happiness in this world. And the afterlife.

If Islam has this characteristic, then it is self-evident that it includes all the components and foundations that humanity needs, and perhaps the most prominent thing that humanity needs of these components is education, which is considered one of the most important components of the human personality, and this is what we see in its nature, which searches for everything in it. Goodness and righteousness, and the sacred Islamic law had a great emphasis on morals and education through the blessed verses and noble hadiths, as well as the biography of the prophets and their guardians, peace be upon them, in society, and this is what we see with the slightest contemplation of the texts of Islamic law, and the Qursan was the imam who guides those who follow it and adhere to its teachings, as God Almighty said (Indeed, this Qursan guides to that which is most upright and gives good news to the believers who do righteous deeds that they will have a great reward) ^(١) and other noble verses.

The Noble Sunnah included a large and great inheritance of Noble Hadiths in this section of human knowledge through the Prophet and the Imams, may Godss prayers be upon them, especially the educational ones that they used to inform the nation with, and they educated their companions on, so that it would be a scientific and practical approach in this matter, and among those Imams are the Mahdi who were They have a great legacy in this regard, which is



Imam Hassan al-Mujtaba, peace be upon him, whose life was full of educational and moral knowledge, and this is what can be seen with the slightest contemplation of his great scientific heritage, all of which confirm the position and position of man in the Islamic educational approach, and his biography, peace be upon him, was an interpretation of that. We have seen it. He has the highest morals with his friends and enemies, and he fulfills his mission in the Islamic community, in addition to his position of succession to God Almighty in his worship. In this research paper, we try to address some of his worship, humility, and morals and show those educational dimensions in his reformist approach to building the individual and the nation.



الشيخ
الامام
الحسن
المجتبى
عليه
السلام

المقدمة

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد ﷺ وعلى آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحق ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحققاً لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل المميّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة أخرى.

قال تعالى: ﴿... قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى...﴾^(٣)، وقوله أيضاً: ﴿... وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) وغيرها من الآيات الكريمة. فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحق القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال، والجمال ثمّ منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥)، وإذ

لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قَمّة الكمال.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الإرشادات اللازمة لكل مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدى العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجة هادية وعلم مرشد ونور مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي - مؤيدةً لدلائل العقل - بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلاّ اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن - بشكل لا يقبل الريب - قائلاً: ﴿...إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٦).

وقد توجّ الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ وحمله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم ﷺ في هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، وحقّق في أقصر مدة زمنية أكبر نتاج ممكن في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء، وتكوين أمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً وبالرسول قائداً، وبالشرعية قانوناً للحياة.

ومن هنا كان التخطيط الإلهي يحتم على الرسول ﷺ إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة

العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّى هذا التخطيط الربّاني فيما نصّ عليه الرسول ﷺ بقوله: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإتّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض).

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الأكرم ﷺ بأمر من الله تعالى لقيادة الأمة من بعده.

إنّ سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ﷺ تمثل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول ﷺ، ودراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول ﷺ، فأخذ الأئمة المعصومون ﷺ يعملون على توعية الأمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرسالي للشريعة ولحركة الرسول ﷺ وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأمة جمعاء. وتبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأمة عليهم والتفاعل معهم كأعلام للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتأمين في محبّته، والدائبين في الشوق إليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنساني المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم

اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم وجهاد كبير.

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكل كامل، ومن هنا فإنّ إقامة مثل هكذا مؤتمرات ومحافل علمية إنّما هي إعطاء قبسات من حياتهم، ولقطات من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون.

ويتناول هذا المؤتمر المبارك أئمة أهل البيت (عليه السلام) في تربية الفرد والأمة، وقد اختصّ بالإمام الحسن بن علي المجتبى (عليه السلام) ثاني أئمة أهل البيت (عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو المعصوم الرابع من أعلام الهداية، والذي تمثّل في حياته كلّ جوانب الشريعة روحاً وعملاً وسلوكاً، إنه سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيد شباب أهل الجنة وأحد اثنين انحصرت بهما ذريّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فكان مثلاً أعلى، ونبراساً مضيئاً، يشعّ إيماناً وطهراً وبهاءً، وستقتصر هذه الأوراق على الأبعاد التربوية لمنهاج الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) في بناء الفرد والأمة.

فما لا يخفى على أحد أن للتربية أثراً كبيراً في بناء المجتمع بناءً تربوياً وعقائدياً، وقد اعتنى المسلمون بذلك من خلال المؤلفات الكثيرة التي حاولت بيان العلاقات بين الأفراد داخل المجتمع الواحد وأهميتها وأثرها الفردي والاجتماعي، وأن ما يتعلق بالإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وما ورد عنه من أبعاد تربوية في بناء الفرد والأمة وصلاحهما فهي كثيرة ويمكن أن يلحظ ذلك بوضوح من خلال عبادته، وحلمه وعفوه، وكرمه وجوده، وتواضعه وزهده.

المطلب الأول

دور عبادة الإمام (عليه السلام) في بناء الفرد والأمة

لقد روى المفضل عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جده: (أن الحسن بن علي بن أبي طالب كان أعبد الناس في زمانه، وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حج حجَّ ماشياً، وربما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممرَّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله - تعالى ذكره - شهق شهقةً يغشى عليه منها) (٧).

وللإمام المجتبي (عليه السلام) أدعية شتى رويت عنه، وهي تتضمن مجموعة من المعارف والآداب، كما تحمل أدب التقديس لله تعالى والخضوع له والتذلل بين يديه، وتبين منهج الإمام (عليه السلام) في تربية الفرد والأمة، ومن تلك الأدعية قال (عليه السلام): (اللهم إنك الخلف من جميع خلقك، وليس في خلقك خلف منك. إلهي من أحسن فبرحمتك، ومن أساء فبخطيئته، فلا الذي أحسن استغنى عن رفدك ومعونتك، ولا الذي أساء استبدل بك وخرج من قدرتك. إلهي بك عرفتك، وبك اهتديت إلى أمرك، ولولا أنت لم أدر ما أنت، فيا من هو هكذا ولا هكذا غيره، صل على محمد وآل محمد وارزقني الإخلاص في عملي، والسعة في رزقي، اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك. إلهي أطعتك، ولك المنة علي في أحب الأشياء إليك، الإيمان بك، والتصديق برسولك، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك، الشرك بك والتكذيب برسولك، فاغفر لي ما بينهما، يا أرحم الراحمين) (٨).

وبهذا يتضح أن الإمام الحسن (عليه السلام) قد تغذى بلباب المعرفة وبجوهر الإيمان وبواقع الدين، وانطبعت مثله في دخائل نفسه وأعماق ذاته، فكان من أشد الناس إيماناً، ومن أكثرهم إخلاصاً وطاعة لله، مما كان له الأثر الواضح والكبير في تربية الفرد والأمة.

المطلب الثاني

دور حلم الإمام عليه السلام وعفوه في بناء الفرد والأمة

لقد عُرف الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بعظيم حلمه، وأدل دليل على ذلك هو تحمله لتوابع صلحه مع معاوية الذي نازع عليه حقه وتسلق من خلال ذلك إلى منصب الحكم بالباطل، وتحمل عليه السلام بعد الصلح أشد أنواع التأنيب من خيرة أصحابه، فكان يواجههم بعفوه وأناته، ويتحمل منهم أنواع الجفاء في ذات الله صابراً محتسباً، وكان عليه السلام بحلمه وعفوه يضرب أروع الأمثلة في تربية الفرد والأمة، فقد روي أن مروان بن الحكم خطب يوماً فذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، فنال منه والحسن بن علي عليه السلام جالس، فبلغ ذلك الحسين عليه السلام فجاء إلى مروان فقال: يا ابن الزرقاء! أنت الواقع في علي؟!، ثم دخل على الحسن عليه السلام فقال: تسمع هذا يسب أباك ولا تقول له شيئاً؟!، فقال: وما عسيت أن أقول لرجل مسلط يقول ما يشاء ويفعل ما يشاء.

وذكر أن مروان بن الحكم شتم الحسن بن علي عليه السلام، فلما فرغ قال الحسن: إني والله لا أمحو عنك شيئاً، ولكن مهّدك الله، فلئن كنت صادقاً فجزاك الله بصدقك، ولئن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك، والله أشد نقمة مني. وروي أن غلاماً له عليه السلام جنى جناية توجب العقاب، فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾^(٩)، قال: عفوت عنك، قال: يا مولاي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٠)، قال أنت حرّ لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك^(١١).

وروى المبرّد وابن عائشة: أن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يردّ، فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه وضحك، فقال: (أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبّهت، فلو استعبتنا أعتبنك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك،

وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك، كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً).

فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحب خلق الله إليّ^(١٢).

المطلب الثالث

دور كرم الإمام (عليه السلام) وجوده في بناء الفرد والأمة

إنَّ السخاء الحقيقي وبذل الخير بداعي الخير، وبذل الإحسان بداعي الإحسان، وقد تجلت هذه الصفة الرفيعة بأجل مظاهرها وأسمى معانيها في الإمام أبي محمد الحسن المجتبى (عليه السلام) حتى لقب بكريم أهل البيت، وكانت لها الأثر الكبير في تربية الفرد والأمة، فقد كان (عليه السلام) لا يعرف للمال قيمة سوى ما يردّ به جوع جائع، أو يكسو به عارياً، أو يغيث به ملهوفاً، أو يقي به دين غارم، وقد كانت له جفان واسعة أعدّها للضيوف، ويقال: إنه ما قال لسائل (لا) قط.

وقيل له: لأي شيء لا نراك ترد سائلاً؟ فأجاب: (إني لله سائل، وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأردّ سائلاً، وإن الله تعالى عودني عادة أن يفيض نعمه علي، وعودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة، أن يمنعني العادة)^(١٣).

واجتاز (عليه السلام) يوماً على غلام أسود بين يديه رغيف يأكل منة لقمة ويدفع لكلب كان عنده لقمة أخرى، فقال له الإمام: ما حملك على ذلك؟ فقال الغلام: إني لأستحي أن آكل ولا أطعمه.

وهنا رأى الإمام فيه خصلة حميدة، فأحب أن يجازيه على جميل صنعه، فقال له: لا تبرح من مكانك، ثم انطلق فاشتراه من مولاه، واشترى البستان الذي هو فيه، وأعتقه وملكه إياه^(١٤).

وروي أن جارية حَبَّته بطاقة من ربحان، فقال ﷺ لها: أنتِ حرة لوجه الله، فلامه أنس على ذلك، فأجابه ﷺ (أدبنا الله فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا...﴾^(١٥) وكان أحسن منها إعتاقها)^(١٦).

ومن مكارم أخلاقه أنه ما اشترى من أحد بستاناً ثم افتقر البائع إلا رده عليه وأردفه بالثمن معه.

وجاءه فقير يشكو حاله ولم يكن عنده شيء في ذلك اليوم فعزَّ عليه الأمر واستحى من رده، فقال ﷺ له: اني أدلك على شيء يحصل لك منه الخير، فقال الفقير يا ابن رسول الله ما هو؟ قال ﷺ: اذهب إلى الخليفة، فإنَّ ابنته قد توفيت وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزية بليغة، فعزَّه بهذه الكلمات يحصل لك منه الخير، قال: يا ابن رسول الله حفظني إياها، قال ﷺ: قل له: (الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها، ولم يهتكها بجلوسها على قبرك) وحفظ الفقير هذه الكلمات وجاء إلى الخليفة فعزاه بها، فذهب عنه حزنه وأمر له بجائزة، ثم قال له: أكلامك هذا؟ فقال: لا وإنما هو كلام الإمام الحسن، قال الخليفة: صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى^(١٧).

لقد كان ﷺ يمنح الفقراء برّه قبل أن ييؤخوا بحوائجهم ويذكروا مديحهم، لئلا يظهر عليهم ذلّ السؤال^(١٨).

المطلب الرابع

دور تواضع الإمام عليه السلام وزهده في بناء الفرد والأمة

إنَّ التواضع دليل على كمال النفس وسموها وشرفها، والتواضع لا يزيد العبد إلا رفعة وعظمة، وقد حذا الإمام الحسن عليه السلام حذو جده وأبيه في أخلاقه الكريمة، وقد أثبت التاريخ بؤادر كثيرة تشير إلى سمو الإمام في هذا الخلق الرفيع، فقد كان لتواضعه عليه السلام وزهده الأثر البالغ في تربية الفرد والأمة، ويروى أنه عليه السلام اجتاز على جماعة من الفقراء وقد وضعوا على الأرض كسيرات وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلم يا ابن بنت رسول الله إلى الغداء، فنزل عليه السلام وقال: ﴿... إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْرِينَ ﴾^(١٩)، وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم^(٢٠).

وفي ذات يوم مرَّ عليه السلام على صبيان يتناولون الطعام، فدعوه لمشاركتهم فأجابهم إلى ذلك، ثم حملهم إلى منزله فمنحهم برّه ومعروفه، وقال: (اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني، ونحن نجد ما أعطيناهم)^(٢١).

ورفض الإمام عليه السلام جميع ملاذ الحياة ومباهجها متجهاً إلى الدار الآخرة التي أعدها الله للمتقين من عباده، فمن أهم مظاهر زهده، زهده في الملك طلباً لمرضاة الله، ويتجلى ذلك إذا لاحظنا مدى حرص معاوية على الملك واستعماله بكل الأساليب اللاأخلاقية للوصول إلى السلطة، بينما نجد الإمام الحسن عليه السلام يتنازل عن الملك حينما لا يراه يحقق شيئاً سوى إراقة دماء المسلمين.

ومن جملة مظاهر زهده أيضاً: ما حدث به مدرك بن زياد أنه قال: كنا في بستان ابن عباس، فجاء ابن عباس وحسن وحسين فطافوا في تلك البساتين ثم جلسوا على ضفاف بعض السواقي، فقال الحسن: يا مدرك! هل عندك



غذاء؟ فقلت له: نعم، ثم انطلقت فجئته بخبز وشيء من الملح مع طاقتين من بقل، فأكل منه، وقال: يا مدرك! ما أطيب هذا؟، وجيء بعد ذلك بالطعام وكان في منتهى الحُسن، فالتفت عليه السلام إلى مدرك وأمره بأن يجمع الغلمان ويقدم لهم الطعام، فدعاهم مدرك فأكلوا منه ولم يأكل الإمام منه شيئاً، فقال له مدرك: لماذا لا تأكل منه؟ فقال عليه السلام: (إنَّ ذاك الطعام أحب عندي) ^(٢٢).



خاتمة

وفي ختام الورقة البحثية الموسومة بـ (الأبعاد التربوية لمنهاج الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في بناء الفرد والأمة) نذكر أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها، وكالاتي:

أولاً. النتائج:

١- كان الإمام الحسن عليه السلام آية في الخلق الإنساني والرفعة وحسن الأخلاق ما رآه أحد إلا هابه ولا خالطه إنسان إلا أحبه ولا سمعه صديق أو عدو يتحدث أو يخاطب إلا أحب أن يصغي إليه حتى ينهي حديثه، فلقد جسد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام المثل والأخلاق السامية وكانت أخلاقه نموذجاً للأخلاق التي دعا إليها القرآن الكريم من فضائل وطاعات وخلق حسن ومحبة وحلم وجود وكرم، وعُرف عنه تواضعه وزهده وتقبله للآخر، وهذه كلها من سمات السلوك الإنساني الرفيع والذي له بالغ الأثر في تربية الفرد والأمة.

٢- إن الرؤيا الموجودة لدى المعصومين عليه السلام لا تحد بحدود الزمان والمكان بل تفوقهما لتستفيد من الماضي وتستشرف المستقبل، فالأولويات التي تحدد سلوك الإمام المعصوم هي حفظ الدين الإسلامي وهذا الهدف يهون من دونه كل شيء.

٣- لقد ترك الإمام الحسن المجتبي عليه السلام من الثروات الفكرية والأخلاقية والاجتماعية ما يتميز بخصائص علمية وهو خير نتاج أصيل في الفكر الإنساني لغرض إصلاح الفرد والأمة وتهذيبهم وإقامة الوعي الأخلاقي والاجتماعي بينهم.

٤- تعدد مكارم الأخلاق عند الإمام الحسن المجتبي عليه السلام فلسفة وفكراً حضارياً خاصاً منفتحاً في سلوك عملي في المجتمع وهي ارتفاع مستوى الإنسانية التي يعيش بها إلى مرتبة العبودية والطاعة، فاذا بلغ الإنسان تلك

المرتبة عادت صياغته الفكرية والذاتية صياغة ذات بعد تكويني متطور يوحى بالانصياع لأمر الله تعالى، فهو يستند إلى تعاليم الله ولخدمة عباد الله فلا يستقل بشيء إلا بإرادة الله وحوله وقوته.

٥- إنَّ السيرة المعطاءة والمواقف الوضاعة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ولا سيما الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) مجال خصب للتعريف بالإسلام الأصيل، شريطة أن تؤخذ من مصادر آمنة مُحافضة على الثوابت الإسلامية عند نقلها ويكون الباحث في جزئياتها مُحترماً لعقله.

ثانياً. التوصيات:

١- نوصي بضرورة إعداد دراسات تبحث في السيرة الوضاعة للإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) وعدم الاقتصار على جانب معين من حياته (عليه السلام) أو مواقفه.

٢- نوصي بضرورة إقامة مؤتمرات علمية عربية وإقليمية وعالمية تبحث في شخصية الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) الذي كان مثلاً أعلى، ونبراساً مضيئاً، يشعُّ إيماناً وطهراً وبهاءً.

٣- نوصي بضرورة إبراز منهاج الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) في حماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية وتعزيزها، بالإضافة إلى دوره الكبير في تبلور الإيمان والصبر والتقوى التي هي قوام الإنسان المؤمن بربه وبدينه وبنبيه.

٤- ضرورة العمل على ترسيخ قيم الاحترام والمحبة بين الناس والتحلي بالصبر والتواضع فيما بينهم وذلك تأسيّاً بالسيرة الوضاعة للإمام الحسن المجتبي (عليه السلام).

٥- ضرورة تثقيف المجتمع بأن محبة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) تتم بالعمل على نهجه في مقارعة الظلم والظالمين الذين لاقى منهم أشد العنت والتضييق، ويتم ذلك من خلال إقامة حلقات نقاشية ودورات تثقيفية بهذا الخصوص.

الهوامش

- ١- الإسراء: ٩.
- ٢- Al-Isra : ٩.
- ٣- الأنعام: ٧١.
- ٤- البقرة: ٢١٣.
- ٥- الذاريات: ٥٦.
- ٦- الرعد: ٧.
- ٧- ينظر: الأمالي للصدوق: ١٥٠، وبحار الأنوار: ٣٣١/٤٣.
- ٨- مهج الدعوات: ١٤٤.
- ٩- آل عمران: ١٣٤.
- ١٠- آل عمران: ١٣٤.
- ١١- بحار الأنوار: ٣٥٢/٤٣.
- ١٢- العوالم (الإمام الحسن): ١٢١ نقلًا عن المناقب: ٣٠/١٨٤.
- ١٣- حياة الإمام الحسن: ١/٣١٦-٣١٧ من أنساب الأشراف: ١/٣١٩، والطبقات الكبرى: ١/٢٣.
- ١٤- ينظر: البداية والنهاية: ٨/٣٨.
- ١٥- النساء: ٨٦.
- ١٦- المناقب لابن شهر آشوب: ٢/٢٣، وحياة الإمام الحسن: ١/٣٢٢.
- ١٧- نور الأبصار: ص ١٣٥-١٣٦.
- ١٨- المصدر نفسه، ص ٣٢٥، حياة الإمام الحسن: ١/٣٢٥.
- ١٩- النحل: ٢٣.
- ٢٠- عوالم العلوم (الإمام الحسن): ١٢٣.
- ٢١- حياة الإمام الحسن: ١/٣٢٥ عن الصبان على هامش نور الأبصار: ١٩٦.
- ٢٢- مختصر تاريخ دمشق: ٧/٢١، طبعة دار الفكر.

القرآن الكريم في فكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام أسباب النزول أنموذجاً

الشيخ الدكتور ليث عبد الحسين العنابي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه/ قسم العقيدة والفكر الاسلامي

ملخص:

إنه وبحسب الحديث المبارك القائل: ((إنما يعرف القرآن من خُوطب به))، فلا يمكن أن نطمئن لبيان، أو توضيح، أو تفسير النص المعصوم، إلا عن طريق المعصوم عليه السلام فقط.

إن المتصفح لتاريخ علوم القرآن سيجد إشارات كثيرة حول أول من أسهم في تأسيس وتقييد تلك العلوم، وهي بعمومها مستلة من أحاديث نبوية مباركة، أو عن الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ثم إن أحاديث أهل البيت عليهم السلام فيما يخص العلوم والمعارف وما فيه خير الناس - تنبع من معين واحد، وأصل واحد، وأساس واحد.

نعم، إن علم أسباب النزول من العلوم القرآنية المهمة، ذلك ان الأسباب قد عُرفت في الكتابات الأولى تحت مسميات، منها: أسباب التنزيل، أو سبب نزول القرآن، أو سبب نزول الآية، وما شاكل ذلك.

تؤكد الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على أهمية علوم القرآن الكريم عموماً، وعلى أهمية علم أسباب النزول خصوصاً.

كلمات مفتاحية: إمام - أسباب - نزول - أحاديث - روايات - قرآن

Abstract

It is according to the Blessed Hadith that says: ((only the Qursan knows who has engaged in it)), we cannot be assured of a statement, clarification, or interpretation of the infallible text, except by the infallible peace be upon him only.

The browser of the history of the sciences of the Qursan will find many references about the first who contributed to the establishment and retirement of those Sciences, which are generally derived from Blessed prophetic hadiths, or about infallible imams (peace be upon them).

Moreover, the conversations of the Ahl Al-Bayt (peace be upon them) regarding science and knowledge and what is good for people stem from one particular, one origin, and one basis.

Yes, the science of the reasons for the descent is one of the important Quranic sciences, because the reasons were defined in the first writings under names, including: the reasons for downloading, or the reason for the descent of the Qursan, or the reason for the descent of the verse, and the like.

The hadiths received from the Ahl al-Bayt (peace be upon them) emphasize the importance of the sciences of the Holy Qursan in general, and the importance of the science of the causes of descent in particular.

Keywords: Imam-reasons-descent-hadiths-novels-Quran

المقدمة:

إن للبحث عن القرآن الكريم ودوره وأثره في فكر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو من الأمور ذات الأهمية الكبيرة جداً، تتأكد - الأهمية - عندما يكون ذلك من باب إظهار دور أهل البيت عليه السلام في نشأة العلوم القرآنية، والتأسيس لها، والعناية بها.

لقد كان للإمام الحسن المجتبى عليه السلام الدور الكبير في بيان ما يتعلق بالقرآن الكريم من علوم ومعارف، وبالأخص بيانه عليه السلام لأسباب النزول، والتي أوردتها المصادر الإسلامية عند ذكر أحاديثه عليه السلام، وذلك فيما يخص القرآن الكريم، وما يتعلق به من معارف.

لذا، وفي هذا البحث، سنقف عند جملة من أمور مهمة، منها بيانه عليه السلام جملة من أسباب النزول.

وقفات مهمة في سيرة الإمام الحسن عليه السلام:

أولاً: مظلومية مستمرة:

١- إن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قد تولى الإمامة في سنة (٤٠هـ).

٢- عقد الهدنة مع معاوية في سنة (٤١هـ)، أي بعد سبعة أشهر من إمامته الشريفة.

٣- كانت شهادته عليه السلام في سنة (٥٠هـ).

٤- مدة إمامته الكلية كانت (١٠) سنوات.

فلماذا يتم تغييب، أو إغفال، أو نسيان، أو تناسي، أو تغافل هذه المدة غير القصيرة من عمره الشريف، وهي (١٠) سنوات؟!

ثانياً: تحرير الوعي المجتمعي للأمة:

لقد ساهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في تحرير الوعي المجتمعي للأمة الإسلامية بشكل عام، وللمجتمع الشامي بشكل خاص.



فمجتمع الشام الذي لما وصله خبر مقتل الإمام علي عليه السلام في محراب
صلاته قال: أو علي يصلي؟

تحول وبركة مشروع الإمام الحسن عليه السلام في تحرير وعي الأمة إلى غير
ذلك، والشاهد أن جيش يزيد بن معاوية لما أدخل سبايا آل البيت عليه السلام إلى
الشام أشاع بأنهم (ديلم) أو (ترك) وغير ذلك، وأخفى كونهم من آل
البيت، وأنهم من أسرة علي بن أبي طالب عليه السلام خوفاً.

ولما عرف أهل الشام بحقيقة السبايا ثارت ثائرتهم، بل حصلت الثائرة
في داخل قصر يزيد بن معاوية الأموي.

فذلك أجلى المصاديق، وما هو إلا مصداق واحد من دور الإمام الحسن عليه السلام
في تحرير الوعي المجتمعي للأمة الإسلامية.

ثالثاً: زمان ليس بالقصير بعد الهدنة وما قبل الاستشهاد:

١- الاهتمام بنشر التراث الإسلامي:

لقد اهتم الإمام الحسن عليه السلام بنشر التراث الإسلامي، ولقد استغل سني
ما بعد الهدنة، وهي (تسع) سنوات كاملة لكي ينشر التراث الإسلامي
الحقيقي، المتمثل بتراث أهل البيت عليه السلام، فنشر تراثاً ضخماً في تفسير القرآن
الكريم، وفي التراث العقائدي، والفقهي، والأخلاقي، يحتاج إلى من يجمعه
ويركز على فترة التسع سنين الزاخرة بالعلوم والمعارف الجمّة من حياة
الإمام الحسن عليه السلام.

٢- مواجهة الفتن ورد الشائعات:

كان من اللازم على الإمام الحسن عليه السلام تحرير الوعي المجتمعي للأمة،
وذلك من أجل مواجهة الفتن، ورد الشائعات، والقضاء على الشبهات، فلقد
تصدى لها عليه السلام، منها شائعات أثارها عليه الخوارج، وأخرى كانت من بني

أمية، وثالثة من بعض الجهلة ممن لا يفقه شيئاً، ولا يعرف حق الإمامة ولا حق الإمام المعصوم. (لقد اعتمد معاوية بن أبي سفيان على الإعلام السياسي المضلل، وتعامل بمكرٍ ودهاء مع الإمام الحسن وأصحابه، ومارس ضغوطاً على كل مسلم لا يؤيد خلافته لدرجة أنه اعتبر كل علاقة طيبة مع آل علي جريمة لا تغتفر)^(١). كما وينقل المؤرخون الفظائع في ذلك، قال أبو عبد الرحمن المقرئ: (كانت بنو أمية إذا سمعوا بمولودٍ اسمه علي قتلوه)^(٢).

٣- نشر العلوم ومنها علوم القرآن الكريم وما يتعلق به:

أ - نشر أحاديث في فضل وفضائل القرآن الكريم.

ب - نشر أحاديث في تفسير آيات القرآن الكريم.

ت - نشر أحاديث في علوم القرآن الكريم.

ث - نشر أحاديث في أسباب النزول.

نشأة علوم القرآن:

لقد نشأت علوم القرآن الكريم بالتدريج وفق الحاجة إلى فهم معاني القرآن الكريم، فكان المسلمون الأوائل - عموماً - يفهمون القرآن الكريم، كونه قد نزل باللغة العربية، وكانوا يرجعون فيما يستعصي عليهم إلى النبي الأكرم ﷺ، وذلك في توضيح ما يُشكل عليهم فهمه أو تعقله أو ما يحتاجونه من أمور تُسير حياتهم وفق أطر التشريع الإسلامي القرآني، فكان أن بدأت الحاجة إلى علوم القرآن الكريم وما يتعلق بها، وذلك بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ، وهذه الحاجة أحس بها وعرفها الرعيل الأول، وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان عليه السلام أول من جمع ووحد القرآن الكريم، وأول من دون العلوم المفيدة للقرآن الكريم كعلم النحو، ثم وضع الأسس والركائز المهمة لعلوم القرآن الكريم، والتي انطلقت منها تقسيمات علوم القرآن الحالية.

كل ما تقدم لا ينفي احتمال أن تكون هناك بعض المدونات، على رأسها كتاب الإمام علي عليه السلام بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد انتشر نبأ هذا الكتاب انتشاراً واسعاً، وأصبح مشهوراً بين المسلمين، وأجمع أبناء العامة _ في مصنفات متعددة لهم _ على وجوده، وتناقل خبره علماء ومؤلفو الشيعة الإمامية وغيرهم.

إن أهل البيت عليه السلام، أفصحوا عن سعة هذا الكتاب واحتوائه على العلوم الكثيرة، فقالوا: إنها صحيفة طولها سبعون ذراعاً، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أملاها على الإمام علي عليه السلام، فكتبها الإمام عليه السلام بخطه، وأنه أول كتاب جُمع فيه العلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله (٣).

لقد تزايد اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم بعد انقطاع الوحي، عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، مصداقاً لكونهم أحد الثقلين الذين خلفهما للأمة وكانت أهم الأولويات في ذلك جمع القرآن الكريم الذي توجه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى القيام به، فقد روي عن محمد بن سيرين قال: (لما توفي النبي صلى الله عليه وآله أقسم علي أن لا يرتدي الرداء حتى يجمع القرآن) (٤). ومن بعده أئمة أهل البيت عليه السلام.

أهل البيت عليه السلام والتأسيس للعلوم القرآنية:

إن أهل الرجل: آله، وهم أشياعه وأتباعه وأهل ملته، ثم كثر استعمال الأهل والآل حتى سمي بهما أهل بيت الرجل؛ لأنهم أكثر من يتبعه. وأهل البيت: سكانه، وكذا أهل الماء، وأهل الإسلام: من يدين به (٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٦).

فالله سبحانه وتعالى أراد لأهل البيت عليه السلام باعتبار أنهم أصحاب المنصب الإلهي أن يكونوا مطهَّرين من الأنجاس والأرجاس.

لذا فإن أهل البيت وآل البيت: هم أهل بيت النبوة: فاطمة والأئمة الاثنا عشر عليهم السلام لا غيرهم، و(آل) لغة هي (أهل).

إن المراد من (آل البيت) لدى المسلمين بصورة عامة هم آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وقد ثبتت لهم بعض الخصوصيات والأحكام، وليس المراد بيت السكنى، بل المراد بيت النسب، ولكن وقع الخلاف ما بين الإمامية وأبناء العامة في تحديد دائرة هذا المفهوم خارجاً وتعيين مصاديقه، إلا أن هناك قدراً مسلماً ومتفقاً عليه، وهم أصحاب الكساء الخمسة، لكن الاختلاف وقع في دخول غيرهم معهم. إن آل البيت في تعريف الشيعة هم فئة محدودة من نسل الرسول صلى الله عليه وآله خصتهم الروايات الواردة على لسانه وقصدهم النص القرآني (آية التطهير) وهم علي وفاطمة والحسن والحسين ثم تسعة آخرون من نسل الحسين عليه عليه السلام.

وهذه الفئة هي المقصودة بالعصمة، لارتباطها بدورها ورسالتها بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وليس كل من ينتسب لآل البيت يعتبر معصوماً كما قد يتصور البعض.

أما المقصود بمدرسة أهل البيت عليهم السلام هو ذلك الصرح العلمي والمنهجي الشامخ الذي أشاده أئمة أهل البيت على أساس الكتاب والسنة الشريفة، وتوارثوه أباً عن أبٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

ذلك ما يوضحه قول الإمام الصادق عليه السلام: (حديثي حديث أبي، قول أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث أبيه، وحديث أبيه حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله حديث الله عز وجل) ^(٧).

وقد كان لأئمة أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم أبلغ الاهتمام بالقرآن العظيم وعلومه بعد أن كان القرآن يمثل الهدى الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبعد أن كان القرآن بحق هو المفجر للعلوم البشرية، بل هو عماد العلوم الإسلامية وأساسها ^(٨).

وكان الناس على عهد النبي ﷺ يسمعون القرآن ويفهمونه بذوقهم العربي الخالص، ويرجعون إلى الرسول ﷺ في توضيح ما يشكل عليهم فهمه.

فقد روي عن التابعي أبي عبد الرحمن السلمي (ت ٧٣هـ) قال: (وحدثني الذين كانوا يقرئوننا، عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم عشر آيات، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً)^(٩).

ولكنهم في الحقيقة كانوا يحتاجون إلى أشياء كثيرة في علوم القرآن فيها شيء من التفصيل والتوسع.

أهمية علوم القرآن وعناية أهل البيت ﷺ بها:

إن علوم القرآن من أهم العلوم التي تضمنتها الشريعة الإسلامية ودعا إليها سيد البشرية ﷺ، كيف يمكن ذلك وهي علوم تتعلق بكتاب الله العظيم ودستوره القويم الذي ارتضاه الله للأمة جمعاء ما تتابع الليل والنهار، وشرف العلم من شرف موضوعه، لذا فإن أهمية علوم القرآن تنبثق من كونها تتخذ القرآن الكريم موضوعاً، وقد اختلفت الآراء في الفوارق التي تميز بها العلوم فيما بينها، فذهب فريق إلى القول بأن العلوم تمتاز بتمايز أغراضها. وذهب فريق آخر إلى القول بأن المعيار في تمايزها عن بعضها يكمن في التشابه بين مسائل كل علم أو عدمه، وقالوا بأن هناك تشابهاً و سنخيه بين مسائل كل علم، ويكمن هذا التشابه في جوهر هذه المسائل وفي ذاتها^(١٠).

وهذا ما تركز عليه اهتمام المسلمين الأوائل؛ فقد تعاهدوا القرآن الكريم واهتموا بعلومه منذ نزوله وحيماً على خاتم الانبياء والمرسلين محمد ﷺ تعاهدوه قراءة وحفظاً وتعليماً وتفسيراً وكتابة ونشراً وتطبيقاً.

وكان في مقدمة هؤلاء المسلمين أهل البيت ﷺ الذين جعلهم الله تعالى عدلاً للقرآن وثقلاً مساوياً له على لسان النبي الأكرم ﷺ القائل: ((إني

مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(١١).

وهذا الاهتمام يقودنا إلى أمر مهم بل هو في غاية الأهمية، وهو أن الله تعالى عندما أنزل القرآن الكريم من السماء إلى البشر، نزل معه عبداً هم أئمة أهل البيت عليهم السلام أساتذة وترجماً لهذا القرآن الكريم، رافقوا كل مراحل نشوئه ووعوه ووعته وأرواحهم، فحملوه محكماً ومفصلاً، مجملاً ومبيناً، فلا يتمكن الإنسان العادي تحيطي هؤلاء الأساتذة الكرام الذين أنزلهم الله تعالى كاختصاصيين بالقرآن الكريم.

إن الله تعالى قد جعل الهادي والمرشد والمبين له هؤلاء الثلاثة المصطفاة والمنتخبين من البشر أيضاً عرباً، إن هؤلاء الأئمة الأطهار عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وإن هؤلاء الثلاثة الطاهرة في كل زمان موجود منهم واحد، ولا يمكن أن يخلوا منهم زمان، فما دام القرآن موجوداً فهم موجودون، ولا يمكن الأخذ بالقرآن دونهم، ولا يمكن ترك القرآن والأخذ بهم، بل لا بد من الاثنين معاً، فهما لا يفترقان في كل شيء، ومن أخذ بالاثنتين معاً وعمل بما أخذ، فإنه يتمكن من السير على مدارج القرآن صعوداً.

أحاديث أهل البيت عليهم السلام حول القرآن الكريم:

لا بدّ من الوقوف مع أحاديث مباركة لأهل البيت عليهم السلام حول القرآن الكريم، ولنتعرف من خلالها على اهتمامهم بهذا الكتاب الإلهي المبارك. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (خياركم من تعلم القرآن وعلمه)^(١٢).

وقال عليه السلام: ((إذا التبست عليكم الفتنة قطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل، وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم

وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جالٍ ببصره، وليبلغ الصفة نظره، ينبج من عطب ويتخلص من نشب))^(١٣).

قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس القرآن أحدٌ إلا قام عنه زيادة أو نقصان، زيادة في هدى، أو نقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقه، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغي والظلال، فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلى الله تعالى بمثله، واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنه ينادي منادٍ يوم القيامة ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبه عمله، غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثه وأتباعه، واستدلوا على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آرائكم، واستشفوا فيه أهوائكم))^(١٤).

وجاء عن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام): ((لله فيكم عهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله بينة بصائره وآي منكشفة سرائرها، وبرهان متجليه ظواهره، مديم للبرية أسماعه، وقائداً إلى الرضوان أتباعه، ومؤدياً إلى النجاة أشياعه، فيه تبيان حجج الله المنيرة، ومحارمه المحرمة، وفضائل المدونة، وجملة الكافية، ورخصه الموهوبة، وشرائطه المكتوبة وبياناته الجليلة))^(١٥).

ومما جاء في القرآن الكريم عن الإمام الحسن السبط (عليه السلام): ((إن هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجل جال البصر وليلحم الصفة فكره، فإن التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور))^(١٦).

المراد بأسباب النزول:

إن السبب في اللغة يطلق على: كل ما يُتوصل به إلى غيره^(١٧)، ومن إطلاقات السبب (الطريق)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعْ سَبِيلًا﴾^(١٨)، أي طريقاً، وكذلك يطلق على (الباب)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾^(١٩)، أي أبوابها، وأحياناً يُذكر السبب ويراد به (الحبل) كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيُمْدِدْ سَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾^(٢٠)، أي بحبلٍ إلى السقف.

وفي الاصطلاح، فإن السبب هو الطريق إلى الشيء المراد بحثه، أو الوصول إليه، أو معرفته.

أما السبب في الشريعة، فهو: الطريق إلى الشيء، من سلكه وصل إليه فنال في طريقه ذلك، لا بالطريق الذي سلك، كمن سلك طريقاً إلى مصر بلغه من ذلك الطريق، لا به، لكن بمشيئه^(٢١).

والسبب في الأحكام هو: عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم المطلوب، من غير أن يكون الوصول به^(٢٢).

أما النزول في اللغة: فقد جاء بألفاظ، منها: (اللول)، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾^(٢٣)، أي ينزل، والنزول بمعنى (الهبوط) فنزل به جبرئيل: أي هبط به، والنزول (المجيء)، نزل أي: جاء، ومنه: (التنزل)، و(التنزيل).

أما المراد بنزول القرآن اصطلاحاً: فهو نزول إجمال معارفه، على قلب النبي محمد ﷺ، ليكون هدى ورحمة للمسلمين، ويكون فرقاناً لهم ليفرقوا به بين الحق والباطل^(٢٤).

والقرآن الكريم نزل على مرحلتين:

١- النزول الأول: من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملةً واحدة.

٢- النزول الثاني: من السماء الدنيا إلى الأرض على النبي الأكرم محمد ﷺ مفرقاً على الوقائع.

إن المراد بأسباب النزول - عموماً - هو: معرفة ما نزلت الآية أو الآيات القرآنية متحدثة عنه أو مبينة له، مع ملاحظة أن هناك أسباباً عامة وأخرى خاصة لنزول الآيات والسور القرآنية.

أو هو: ما نزلت من أجله آية أو أكثر مجيبة عنه أو حاكية له، أو مبينة حكمه (٢٥).

أو هي: أمور وقعت في عصر الوحي واقتضت نزول الوحي بشأنها (٢٦).
حالات أسباب النزول:

إن للآيات القرآنية بالنسبة إلى أسبابها ثلاث حالات، هي:

١- أن تكون الآية (عامة) والسبب (عام)؛ ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ (٢٧).

٢- أن تكون الآية (خاصة) والسبب (خاص)؛ ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (٢٨).

٣- أن تكون الآية (عامة) والسبب (خاص)؛ وذلك كآيات (اللعان)، فإن لفظها (عام)، لكن سببها (خاص) بـ(هلال بن أمية) وما جرى معه، وآية (الظهار) فإن لفظها (عام)، لكن سببها (خاص)، في القضية المعروفة ما بين (خولة بنت ثعلبة) وزوجها (أوس بن أسيد).

أهمية معرفة أسباب النزول:

تؤكد الأحاديث الواردة عن أهل البيت ﷺ على أهمية علوم القرآن الكريم عموماً، وعلى أهمية علم أسباب النزول خصوصاً.

تطبيقات أسباب النزول عند الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام):

أولاً: بيان وتوضيح سبب النزول الخاص والعام وما يتعلق بكل واحدٍ منهما:

عن الطبري الامامي، حدثنا أحمد بن أبي طيب بن شعيب، عن أبي الفضل، عن أحمد بن هاشم، أخبرنا مالك بن سليمان، عن أبيه، عن عمرو بن شمر، عن الأجلح، عن الشعبي، قال: سئل الحسن بن علي (عليه السلام) عن هذه الآية ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أخاصة هي أم عامة؟ قال: نزلت في قوم خاصة، فتعقيب عامة، ثم جاء التخفيف بعد اتقوا الله ما استطعتم، فقيل: يا ابن رسول الله فيمن نزلت هذه الآية؟ فنكت الأرض ساعة، ثم رفع بصره ثم نكس رأسه ثم رفع. فقال لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال بعض القوم ما أنزل الله هذا إنما يريد أن يرفع بضبع ابن عمه، قالوها حسداً وبغضاً لأهل بيت النبي (عليه السلام)، فأنزل الله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ ولا تعتد هذه المقال ولا يشق عليك ما قالوا من قبل، فإن الله يمح الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور. فشق ذلك على رسول الله (عليه السلام)، وحزن على ما قالوا وعلم أن القوم غير تاركين الحسد والبغضاء، فنزلت هذه الآية ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، فلما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال يوم غدیر خم: من كنت مولاه فإنّ علياً مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فوقع في قلوبهم ما وقع تكلموا فيما بينهم سرّاً حتى قال أحدهما لصاحبه من يلي بعد النبي (عليه السلام) ومن يلي بعدك هذا الأمر لا نجعلها في أهل البيت أبداً فنزل ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ثم نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا إِلَى قَوْلِهِ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٦).

ثانياً: التطبيق العملي لسبب النزول:

العياشي، عن خيثمة بن أبي خيثمة قال: كان الحسن بن عليٍّ عليه السلام إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، ف قيل له: يا ابن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إنّ الله تعالى جميل يحبّ الجمال، فأتجمل لربّي، وهو يقول: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فأحبّ أن ألبس أجود ثيابي ^(٣٧).

ثالثاً: توضيح ما ورد في القرآن الكريم من سبب النزول وبيان تاريخه ووقته:

الطبري، حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا يحيى بن واضح، قال: حدّثني يحيى بن يعقوب أبو طالب، عن أبي عون محمد بن عبيد الله الثقفي، عن أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب، قال: قال الحسن بن علي بن أبي طالب: كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان، لسبع عشرة من رمضان ^(٣٨).

رابعاً: بيان من وردت فيه آية أو آيات من القرآن الكريم:

روى المجلسي عن العمدة، بإسناده عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، من مسنده عن أبيه عن سفیان، عن أبي موسى، عن الحسن بن علي عليه السلام قال: فينا نزلت: وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ^(٣٩).

خامساً: بيان المراد بآيات قرآنية مبهمة وغير واضحة على الناس:

قال علي بن إبراهيم في قوله ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، قال للمؤمنين من الشيعة التوابين خاصّة، ولفظ الآية عامّة، ومعناه خاص وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قال: أمّ

القرى مكة سميت أم القرى لأنها أول بقعة خلقها الله من الأرض لقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾. وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ أي يتصدعن، وقوله لتندر ﴿أم القرى﴾ مكة، ﴿ومن حولها﴾ سائر الأرض (٤٠).

التائج:

- ١- إن لأهل البيت عليه السلام الدور الكبير في التأسيس لعلوم القرآن الكريم.
- ٢- كان للإمام الحسن المجتبي عليه السلام إسهام كبير وكثير في بيان فضائل القرآن الكريم، وعلوم القرآن الكريم، عن طريق نشر تلك الفضائل والعلوم، على طول سني عمره الشريف.
- ٣- أسهم الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في بيان أسباب النزول من خلال الروايات التي ذكرها عليه السلام في شأن ذلك.



الهوامش

- ١- دور الأحداث التاريخية في بيان معتقدات أهل البيت، مصطفى مطهري: ١٣٠.
- ٢- تهذيب الكمال: ٢٠: ٤٢٩، سير أعلام النبلاء: ٥: ١٠٢ و ٧: ٤١٢.
- ٣- ينظر: الذريعة، آغا بزرك الطهراني: ٢: ٣٠٦، وعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي: ١: ٩٣.
- ٤- ينظر: المصاحف، السجستاني: ١٦، وكنز العمال، المتقي الهندي: ١٣: ١٢٧، وشرح نهج البلاغة، المعتزلي: ٢: ١٦.
- ٥- لسان العرب: ١: ٢٥٣، ومجمع البحرين: ١: ٩٤.
- ٦- سورة الأحزاب، الآية (٣٣).
- ٧- الارشاد، الشيخ المفيد: ٢: ١٨٦ - ١٨٧، والخرائج والجرائح: ٢: ٨٩٥.
- ٨- علوم القرآن، محمد باقر الحكيم: ٥٠.
- ٩- الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦: ١٧٢، ومستدرک الوسائل، الشيخ النوري: ٤: ٣٧٢، البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ٢٩.
- ١٠- ينظر: دروس في علوم القرآن، حسين جوان ارسته: ٢٧-٢٨.
- ١١- الأحكام، يحيى ابن الحسين: ١: ٤٠، والانتصار، الشريف المرتضى: ٨٠، وبحار الانوار: ٥: ٦٨.
- ١٢- الامالي، الطوسي: ٣٥٧، وسائل الشيعة: ٦: ١٦٧، بحار الانوار: ٩٢: ١٨٦.
- ١٣- الكافي: ٢: ٢٣٨، وسائل الشيعة: ٦: ١٧١، مستدرک سفينة البحار، النمازي: ٨: ٤٤٨.
- ١٤- نهج البلاغة: ٢: ٩١ - ٩٢، مستدرک الوسائل، النوري: ٤: ٢٣٩.
- ١٥- بحار الأنوار: ٩٢: ١٣.
- ١٦- بحار الانوار: ٩٢: ٣٢، مستدرک سفينة البحار: ٨: ٤٥٠.
- ١٧- القاموس المحيط: ١: ٨، ومختار الصحاح: ٢٨١.
- ١٨- سورة الكهف، الآيات (٨٤-٨٥).
- ١٩- سورة فاطر، الآيات (٣٦-٣٧).
- ٢٠- سورة الحج، الآية (١٥).
- ٢١- ينظر: أصول البزدوي: ٤: ١٦٩.
- ٢٢- ينظر: أصول السرخسي: ٢: ٣٠١.
- ٢٣- سورة طه، الآية (٨١).
- ٢٤- ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي: ٢: ٢٣.
- ٢٥- ينظر: موجز علوم القرآن: ١٢٤.

٢٦- ينظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم: ٣٨.

٢٧- سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

٢٨- سورة الليل، الآية (١٧).

٢٩- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ١: ٣٩، بحار الأنوار، المجلسي: ٩٠: ٤.

٣٠- ينظر: البرهان، الزركشي: ١: ٢٢.

٣١- ينظر: الإتيقان، السيوطي: ١: ٢٨.

٣٢- ينظر: الجمان في علوم القرآن، محي الدين رمضان: ٣٨.

٣٣- ينظر: الجمان في علوم القرآن: ٣٨.

٣٤- ينظر: الإتيقان، السيوطي: ١: ٢٩.

٣٥- أسباب النزول، الواحدي: ٤.

٣٦- بشارة المصطفى لشيعته المرتضى، عماد الدين الطبري: ٢٤١-٢٤٢.

٣٧- تفسير العياشي، العياشي: ٢: ١٤.

٣٨- تاريخ الطبري، الطبري: ٢: ٤٢٠.

٣٩- بحار الأنوار، المجلسي: ٢٤: ٢٦٤.

٤٠- مسند الإمام الحسن (عليه السلام)، العطاردي: ٥٨٣.



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ١- أسباب النزول، الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٠ هـ.
- ٢- أصول البزدوي، علي بن محمد البزدوي (ت ٣٨٢ هـ)، مكتبة مركز العلم، كراچي - باكستان، دون طبعة، دون تاريخ.
- ٣- أصول السرخسي، محمد بن أحمد السرخسي (ت ٤٩٠ هـ)، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدرآباد - الهند، دون طبعة، دون تاريخ.
- ٤- أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١ هـ)، دار التعارف، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٢ هـ.
- ٥- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- ٦- الأمالي، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، مؤسسة البعثة، قم - إيران، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- ٧- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ٨- البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، منشورات الأعلمي، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٣٩٤ هـ.
- ٩- الجمان في علوم القرآن، محي الدين رمضان، دار البشير، ط ١، ١٩٩٦ م.
- ٢٣- الذريعة، آغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٩٧ هـ.
- ١٠- الطبقات الكبرى، ابن سعد البصري (ت ٢٣٠ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٢ هـ.
- ١١- الكافي، الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران، ط ١، ١٣٨٨ هـ.
- ١٢- بحار الأنوار، المجلسي (ت ١١١١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.
- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، منشورات الأعلمي، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.
- ١٤- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ)، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران - إيران، ط ١، ١٣٨٠ هـ.
- ١٥- تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، منشورات الأعلمي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- ١٦- علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، قم - إيران، ط ٣، ١٤١٧ هـ.
- ١٧- كنز العمال، المتقي الهندي (ت ٩٧٥ هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

- ١٨- لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ)،
دار صادر، بيروت _ لبنان، ط١،
١٤١٤.
- ٢١- نهج البلاغة، الشريف الرضي
(ت٤٠٦هـ)، دار الثقلين، قم _ إيران،
ط١، ١٤١٩هـ.
- ١٩- مستدرک الوسائل، حسين النوري
(ت١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت
لإحياء التراث، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ٢٢- وسائل الشيعة، الحر العاملي
(ت١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت، قم
_ إيران، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٢٠- موجز علوم القرآن، داود العطار،
منشورات الأعلمي، بيروت _ لبنان،
ط٣، ١٩٩٥م.



الاستراتيجية الحجاجية في خطب الإمام الحسن (عليه السلام)، أدوات التعليل اللغوي اختياراً

م.م. كرار إبراهيم عيسى الجياشي
المديرية العامة للتربية/ محافظة المثنى

الملخص

يشكل الحجاج أهمية كبيرة في عملية التخاطب؛ كونه أداة من أدوات الإقناع. ولم تخلُ الدراسات من الحجاج وما يتعلّق به؛ لأهميته وقيامه على الإقناع، من خلال حجج لغوية شتى تمكن المرسل من الوصول إلى الفائدة الحجاجية المرجوة من عملية الخطاب. وتقوم دراستنا على بيان مواطن التعليل اللغوي في خطب الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، فهي معين لا ينضب على الرغم من خوض الباحثين فيها، ولما في خطبه من أدوات إقناعية، لكننا قصرنا الدراسة على الحجاج بواسطة تقنية التعليل اللغوي في خطب السبط المجتبي (عليه السلام)، لتكون حرزاً لنا في يوم المعاد وباباً لقربه (عليه السلام).



Abstract

Pilgrimage is of great importance in the communication process, as it is a tool of persuasion. The studies were not without arguments and what is related to it because of its importance and its persuasion through various linguistic arguments that enable the sender to reach the desired argumentative benefit from the discourse process. Our study is based on explaining the areas of linguistic reasoning in the sermons of Imam al-Hasan al-Mujtaba, peace be upon him. They are an inexhaustible source despite the researchers delving into them, and because of the persuasive tools in his sermons. However, we limited the study to al-Hajjaj using the linguistic reasoning technique in the sermons of the grandson al-Mujtaba, peace be upon him, to be our protection. On the Day of Resurrection and as a gateway to its approach, peace be upon him.



المقدمة

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، وله الحمد والشكر لمنه علينا بنعمة العلم والسعي في طرقاته، والصلاة والتسليم على خير البرية محمد وآل بيته المنتجبين الميامين، وبعد.

يسهم النص الخطابي لأهل بيت النبوة سلام الله عليهم في إيجاد ميزة إقناع المتلقي بمضمون الخطاب، فالإمام السبط عليه السلام استعمل أدوات حجاجية فاعلة في إقناع المتلقي، بحكم المكنة الثقافية للمرسل رضوان الله تعالى عليه، التي ساهمت في توظيف التعليل اللغوي في خطبه، ليكون منحاً يمارسه لاقناع الحاضرين والسامعين والقارئ في ما طرحه من موضوعات أخلاقية ودينية وسياسية، فوظف التعليل اللغوي خير توظيف؛ ليحقق المبتغى منه بإقناع المتلقي وإظهار التأثير في شتى الجوانب المتعلقة بالإنسان. وحتى نقرب من الإمام بالدراسة وبيان جوانبها، رسمتُ خطةً قوامها مقدمةٌ ومهادٌ تعريفِي حمل عنوان «مفهوم الحجاج»، ومبحثان: جاء الأول بعنوان «التقنيات اللغوية (التعليل اللغوي)»، ليكون المبحث الثاني تحت مسمى «دراسة تطبيقية لألفاظ التعليل اللغوي في خطب الإمام الحسن عليه السلام»، وانتهت الدراسة بخاتمة بينتُ فيها أهم ما توصلتُ إليه.

المهاد: مفهوم الحجاج:

لم تخل المعاجم اللغوية من بيان لمصطلح الحجاج كونه مشتقاً من (حج)، فمنهم من يرى الحج بفتح الحاء يراد به القصد والذهاب إلى بيت الله فيقال: حج يحج حجاً^(١). وللفظ الحج ذكر في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ (سورة آل عمران: ٩٧). ويخرج الحج من باب القصد إلى محاجة الخصوم فيقال: «احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهباء». وحاجَّ خصمه فحجَّه، وفلان خصمه محجَّوة، وكانت بينهما

محاجة وملاحة. وسلك المحجة، وعليكم بالمناهج النيرة، والمحاج الواضحة. وأقمت عنده حجة كاملة، وثلاث حجج كوامل»^(٢).

وليس هذا فحسب ف«(الحجة) البرهان و(حاجة فحجة) من باب رد أي غلبه بالحجة. وفي المثل ليج فحج فهو رجل (محجاج) بالكسر أي جدل، و(التحاج) التخاصم و(المحجة) بفتح الحاء جادة الطريق»^(٣).

تعلم الألفاظ والتعرف عليها من خلال معاجم اللغة العربية أمر ضروري للاطلاع على المعاني التي تؤديها ومعرفة اختلاف دلالتها من نص إلى آخر وفق ما يقتضيه السياق، فنرى مفردة (حج) دلت على أكثر من معنى؛ فقد تأتي بمعنى القصد، أو يراد بها البرهان والدليل، أو تعرف بالمحاجة، فهذا مدعاة للنظر في المعاجم ومعاني الغريب من الكلمات. ولا بد من الإشارة إلى أن مفهوم الحجاج يصعب حصره والإحاطة به إذ «يتضح أنه مفهوم عائم، يصعب حصره وتحديدده داخل ركام هائل من الكتابات والمرجعيات النظرية، إذ تجده متواتراً في الأدبيات الفلسفية والمنطقية والبلاغة التقليدية، وفي الدراسات القانونية، والمقاربات اللسانية والنفسانية والخطابية المعاصرة»^(٤).

وارتبط مفهوم الحجاج بالدراسات التداولية والبلاغية، كون النظريات الحجاجية لها مكانة بين الدراسات العربية الحديثة «ولعل الإقناع، وهو مقصد أساسي، في الخطب والنصوص ذات المنزع التأثيري، قد شكل نواة البحث الحجاجي المحور الجامع بين البلاغة القديمة الأرسطية وفي صيغتها العربية القديمة، والبلاغة الجديدة نظريات الحجاج والتداولية ونظرية الأعمال اللغوية. فالإقناع هدف يتحقق عبر توسل أدوات وأساليب بلاغية»^(٥). وأكدت المصادر على الربط بين الإقناع والحجاج كون المحاجة يريد بها كل طرف التأثير في الآخر بما يسعى لطرحة بالرغم من اختلاف



المسميات الاصطلاحية، فمن الدراسات التي تناولت الحجاج بشكل دقيق «كتاب فن الإقناع لمحمد العمري، حيث اقترح أنماط ونماذج عملية لتحليل الخطبة تحليلاً حجاجياً، ويأتي كتاب صلاح فضل «بلاغة الخطاب وعلم النص» ليعزز الناحية النظرية والتأريخية والعلائقية لمباحث الحجاج من خلال فتح الحدود بين البلاغة والأسلوبية وبين التداولية والحجاج»^(٦). وكون اللغة وسيلة تواصل وتفاهم بين الأفراد فلا بد من وجود إمكانية يتمتع بها الأشخاص لإثبات وجهات نظرهم للآخرين والتأثير فيهم.

والنظرية الحجاجية «وضع أسسها اللغوي الفرنسي أرفالد ديكر و منذ سنة ١٩٧٣ نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: «أنا نتكلم عامة بقصد التأثير»^(٧).

و«انبثقت نظرية الحجاج من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها «أوستن وسيرل» وقد قام «ديكر» بتطوير أفكار وآراء «أوستن» بالخصوص، وفي هذا الإطار قام بإضافة فعليين لغويين هما فعل (الاقتضاء) وفعل (الحجاج)، وأعاد تعريف (الإنجاز) مع التشبث دائماً بفكرة الطابع العرفي للغة... ففعل الحجاج يفرض نمطاً معيناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار»^(٨). وفق تفاهم لغوي بين طرفين يكون فيه الجميع يفهمون لغة التخاطب حتى يحدث التأثير. ويراد بالحجاج «تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب... إذ يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها»^(٩). ومن الضرورة معرفة آلية وإمكانية استخدام

الفعل الحجاجي لأجل الإقناع، كون الحجاج يرتبط «ارتباطاً عميقاً باللغة البشرية، وهو إحدى إمكانياتها الكبرى. وينبغي لكل ثقافة أيضاً أن تسند له مكانة لأجل أن تتمكن هذه الطاقة اللغوية من النمو»^(١٠).

المبحث الأول: التقنيات اللغوية (التعليل اللغوي):

هدف المخاطب في الخطابات كافة؛ الوصول إلى نتيجةٍ مرجوةٍ من الخطاب وإحداثٍ تغييرٍ وأثرٍ في المرسل إليه، موظفاً التقنيات والوسائل الحجاجية العديدة، وهذه الأدوات مهمة في أي خطاب؛ إذ تؤدي دوراً فعالاً في إقناع المتلقي برسائل المتكلم. و«من الأدوات التي يستعملها المخاطب لتقديم حججه في الخطاب ما يمكن أن نطلق عليه ألفاظ التعليل، مثل: المفعول لأجله، والسبب، ولأنّ، إذ لا يستعمل المخاطب أي أداة من الأدوات، إلا تبريراً لفعله أو تعليلاً له، بناءً على سؤال ملفوظ به، أو سؤال مفترض»^(١١). ولا تعد الأدوات السابقة الذكر هي الحجج بعينها، بل هي قوالب تؤدي دورها في ترتيب العلاقة بين النتيجة والحجة، وتمكن المتكلم من تقديم حجته بالطريقة الملائمة للسياق آنذاك^(١٢).

و«تعد تقنية التعليل من أهم الروابط اللغوية في حدوث التماسك النصي بين السبب والنتيجة، فبروز حدث أو فعل هو حجة على حادثة ما، والنتيجة هي الفائدة الحجاجية من هذا الحدث»^(١٣).

وألفاظ التعليل تعمل على إحداث تغييرٍ في العملية التخاطبية، وترك مضمونٍ حجاجيٍّ، ومن أمثلتها:

١. لأنّ:

وتعد «من ألفاظ التعليل، بل من أهمها، فقد يبدأ بها خطاب الحجاج، وتستعمل لتبرير فعل، كما تستعمل لتبرير عدمه، فالأول مثل الخطاب التالي:

والبحر الميت بسبب جائحة كورونا التي اجتاحت العالم. ويريد المرسل أن يبين العلة وراء هذا الانخفاض من خلال كلمة السبب، فهي تبرر ما جاء في النتيجة المتقدمة وتدعم الحجة التي بعدها وهي جائحة كورونا^(١٦).
 ما يعني أنّ مجيء كلمة السبب يضع القارئ أمام حجج متعددة أو حجة؛ لإقناع المرسل إليه بالنتيجة التي ذكرها المتكلم في خطابه، وإمكانية الإقناع بما آل إليه الحدث، تبدأ بالتمهيد ليفضي أنّ ما وراء السبب هو حجج المتكلم على دعواه.

٤. الوصل السببي:

أداة من أدوات التعليل اللغوي؛ إذ من خلاله «يعمد المرسل إلى الربط بين أحداث متتابعة، مثل الربط بما يمكن أن يكون المقدمة والنتيجة»^(١٧).
 قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار)).

يتضح من خلال قول أمير المؤمنين (عليه السلام) الوصل السببي بين قوله: «من كثر كلامه كثر خطؤه» وبين قوله: «ومن كثر خطؤه قل حياؤه»، وذلك من خلال «اتصال المقدمة والنتيجة بذات السبب للوصول إلى نتيجة أعظم، فكلما تدرجنا بالحجج وصلنا إلى نتيجة أعمق وأكثر إقناعاً... ما يعني أنّ النتائج المتسلسلة يقوي بعضها بعضاً للوصول إلى النتيجة النهائية، وأكثر قوة في مخاطبة العقل بهدف إقامة الدليل»^(١٨).

المبحث الثاني: دراسة تطبيقية لألفاظ التعليل اللغوي في خطب الإمام الحسن (عليه السلام)
تعدّ خطب الإمام الحسن (عليه السلام) من أفصح الخطب وأبلغها على مرّ التاريخ العربي، ومن أكثرها حجاجاً وبياناً، ممّا دعانا إلى النظر في جزئية ممّا تحمل في ثناياها، وخدمة لثراث أهل بيت الرسالة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والإفصاح عمّا أراد إمامنا تبليغيه للمسلمين عامة.
ونلتمس من خطبه النصّح والارشاد الموجه منه (عليه السلام) إلى الأمة، وتقريب أمة جده (عليه السلام) من الله عز وجل، ففي خطبه وعظ وتذكير في اليوم الآخر، ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ (عبس: ٣٤).

مواضع التعليل اللغوي:

الموضع الأول: كي الناصبة للفعل المضارع

وردت «كي» في خطبة الإمام الحسن (عليه السلام)، وبعد مجيء الناس لمبايعته، قام فيهم خطيباً، فقال (عليه السلام): ((أيها الناس إنّ الدنيا دار بلاء وفتنة، وكل ما فيها إلى زوال واضمحلال، وقد نبأنا الله عنها كيما نعتبر فقدم إلينا بالوعيد كي لا يكون لنا حجة بعد الإعذار والإنذار، فازهدوا فيما يفنى، وارغبوا فيما يبقى، وخافوا الله في السر والعلانية))^(١٩).

بدأ إمامنا سلام الله عليه ناصحاً ومرشداً للناس من حوله، فذلك من مسؤولياته اتجاههم، وليس بالغريب من أهل بيت النبوة (عليه السلام) أن يضعوا في أولوياتهم رعاية الناس والاهتمام بمتعلقاتهم الدنيوية والأخروية، فتلك رسالة حملهم الله عز وجل إياها، وتجده في ذلك متبعاً لنهج أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وسيرة النبي محمد (عليه السلام)، المأخوذة من القرآن الكريم، فقال عز وجل في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧). وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته في ذم الدنيا: ((إني أحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات... وتحلّت بالأمال، وتزينت بالغرور... غرارة ضرارة، حائلة، زائلة))^(٢٠).

ويجدر القول بأنّه ﷺ التزم بنهج القرآن الكريم وجده ﷺ وأبيه ﷺ في التحذير من الدار الزائلة الفانية، التي حذر الله سبحانه وتعالى منها، حتى يصل الإمام ﷺ إلى قوله: «وقد نبأنا الله كيما نعتبر... كي لا يكون لنا حجة»، ليعلل لنا سبب ذم الدنيا والتخلي عن ملذاتها بـ«كي» التي تنصب المضارع، ويبيّن أنّها دار الزوال، وأريد بذلك الفائدة الحجاجية الآتية: تذكير المسلمين بشكر الخالق، الذي خلقهم وأوجدهم في الدنيا، ووضعهم موضع الاختبار، وحذرهم من ملذات الحياة الدنيا، وأعلمهم بأنّ البقاء في دار الآخرة. ولا بدّ من مخافة الله تعالى في كل شيء جهراً وعلانية، فالله عز وجل مطلع على صغائر الأمور وكبائرها. وكل هذا لإقناع المتلقي بقدرة الله تعالى ومعرفته بما خفي قبل العلن. وغاية الخطاب الأساسية إقناع المتلقي.

الموضع الثاني: مسائل «لأن»

تُعد «لأن» «من ألفاظ التعليل الصريحة، فهي تربط المقدمة بالنتيجة، ويحصل من خلالها ما يسمى بالتعليل الحجاجي»^(٢١). ولها أكثر من موضع في خطب الإمام الحسن ﷺ، منها خطبته ﷺ عند لقائه أهل الكوفة يدعوهم لنصرة الإمام أمير المؤمنين ﷺ، إذ قال: ((أيها الناس إنّه قد كان من مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما قد بلغكم، وقد أتيناكم مستنفرين لكم لأنكم جبهة الأنصار، ورؤوس العرب، وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما، وخروجهما بعائشة ما بلغكم، وتعلمون أنّ وهن النساء وضعف رأيهن إلى التلاشي، ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء))^(٢٢).

ورد النص السابق في خطبة للإمام الحسن ﷺ عند لقائه أهل الكوفة يدعوهم للوقوف معه نصرته لأمر المؤمنين ﷺ^(٢٣).

وسعى ﷺ في خطابه لإيصال رسالة إلى المتلقين بحاجة أمير المؤمنين ﷺ إلى مساندتهم إياه ونصرتهم، وقد يتعدد الاستلزام عند المتلقي، فيرى سبب دعوة الإمام ﷺ لهم؛ لقلّة جيشه أو لضعف مقاتليه في مجابهة العدو، إلا أنّ



أداة التعليل الحجاجي «لأن» أخذت ببيان السبب وحصرت الاحتمالات في واحدٍ دون غيره، بذكر دليل على ذلك قوله: «لأنكم جبهة الأنصار وروؤس العرب» فكانت خير حجةٍ لنفي أي احتمال آخر وإشارة إلى فائدة حجاجية واحدة بأنهم جبهة الأنصار وروؤس العرب.

وفي خطبةٍ أخرى للناصح الولي قال فيها: ((فإنه لم يجتمع قومٌ قط على أمرٍ واحدٍ إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر، ولا تحاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة؛ لأنه لم يمتنع قومٌ قط إلا رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة))^(٢٤).

خطب الإمام المجتبي عليه السلام في «أحداث صفين غير مرة، وأثر عنه هذه الخطبة التي قالها في النخيلة، بعد أن قام أمير المؤمنين خطيباً حاضاً أنصاره على الجهاد، قام الحسن عليه السلام بعده»^(٢٥)، وخطب فيهم خطبته التي ذكرنا منها جزءاً. أراد الإمام عليه السلام أن يبين للناس أهمية الوحدة والتكاتف، ودورهما في علو الكلمة، وتمكين القوم من الوصول إلى الغايات المنشودة المرجو منها رضا الله عز وجل، وإن احتمل من ذلك دعوة إلى الاقتتال وزهق الأنفس، جاءنا المجتبي عليه السلام بأداة تعليلية تقتصر الحديث عن حجةٍ ترشد إلى نتيجةٍ حجاجيةٍ فيها عزةٌ للقوم وقوةٌ، ورفعٌ من الباري تعالى، ودفعٌ عن الشدائد. ولا يتضح ذلك لولا أداة التعليل «لأن» وما أثرته من تغيير في سياق الكلام وحددت مراد الإمام عليه السلام من نص خطبته.

وليس هذا وحسب فكلام السبط الأكبر عليه السلام فيه مواضع أخرى للتعليل اللغوي، من ذلك قوله صلوات الله وسلامه عليه: ((يا عجباً من قومٍ لا حياء لهم ولا دين مرة بعد مرة، ولو سلّمتُ إلى معاوية الأمر فأيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أمية، والله ليسو منكم سوء العذاب حتى تتمنوا أن يلي عليكم حبشياً^(٢٦)) ولو وجدت أعواناً ما سلّمتُ له الأمر لأنه محرّم على

بني أمية، فأفّ وترحاً يا عبيد الدنيا))^(٢٧).

أراد الإمام عليه السلام مواجهة بني أمية آنذاك؛ لإعلاء كلمة الحق والرسالة المحمدية. وعسكر في النخيلة عشرة أيام «فلم يوافه إلا أربعة آلاف، فعاد إلى الكوفة ليوبخ أهلها ويحثهم على الجهاد ثانية، فصعد المنبر»^(٢٨)، وحضهم للنهوض معه مبنياً لهم سبب دعوته للقتال؛ بأنهم لا يرون فرجاً منهم، ولا يهنئون بالعيش معهم، وأنه لو وقفوا معه لما سلم الأمر لبني أمية إلا أنه عليه السلام ما وجد عدداً كافياً من الأنصار، لقتال عدو كبنِي أمية، فكل ذلك مقدمة لنتيجة أو رسالة مفادها ومراده منها عليه السلام أن الحكم محرّم على أمثال بني أمية، وهذه الفائدة الحجاجية جاءت بها أداة التعليل اللغوي (لأن).

وتعرض السيد الزكي عليه السلام للطعن من رجل من بني أسد يعرف بـ: الجراح بن سنان، إذ طعنه في فخذه، بعد خطبته التي دعا فيها للصالح مع معاوية^(٢٩). وعاد بعد حادثة الطعن موبخاً إياهم «عندما أرسل إليه قيس بن سعد كتاباً يخبره بأن وجوه أصحابه صاروا يتوجهون إلى معاوية، حتى خفّ عسكره»^(٣٠). فخطب فيهم عليه السلام قائلاً: ((يا أهل العراق! ما أصنع بجماعتكم معي وهذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأن أهل الشرف منكم قد صاروا إلى معاوية أما والله ما هذا بمنكر منكم لأنكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفين على الحكمين، فلما أمضى الحكومة، وقبل منكم اختلفتكم، ثم دعاكم إلى قتال معاوية ثانية فتوانيتم، ثم صار إلى ما صار إليه من كرامة الله إياه))^(٣١).

وسأل عليه السلام أهل الكوفة عن أي صنع يجزي فعلهم بأن صاروا إلى معاوية تاركين جيش الحق وقائده، موبخاً إياهم بأن هكذا أفعال ليست بالجديدة العهد عليهم، وأتى بأداة التعليل «لأن» ليبين امتداد عملهم لعمل سابق مع والده أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين. ويظهر من خطابه أنهم أهل اختلاف لا ائتلاف ولا رأي عندهم يؤخذ به ولا كلمة يعتمد عليها، فكان لأداة التعليل اللغوي فضلٌ في البيان والفائدة الحجاجية.

الخاتمة

بعد سفر في النص الخطابي للإمام المجتبي عليه السلام، نروم الإشارة إلى النتائج التي توصلنا إليها.

١. اشتق لفظ الحجاج من (حج) التي جاءت بمعانٍ شتى منها القصد

والبرهان أو المحاجة. وهدف الدراسات الحجاجية في الخطب،

بيان أهمية الإقناع كونه مقصداً أساسياً في الخطاب.

٢. ثانياً خطب الإمام الحسن عليه السلام غنية بالأدوات الحجاجية الإقناعية

التي لا يستغني عنها الخطباء في إقناع المتلقين، إذ يستلهم الخطيب

من نصوص أهل البيت عليه السلام ما يضيفي إلى خطابه جمال اللفظ والتأثير

في المتلقي.

٣. عمّل المرسل «سلام الله عليه» في خطابه على ترك أثرٍ في العملية

الخطابية من خلال الوصول إلى نتيجة ما، موظفاً أدوات

التعليل اللغوي كجزء من وسائل الحجاج المتعددة والمهمة في

استراتيجية الإقناع.

٤. لم نجد في خطب الإمام السبط عليه السلام جميع أدوات التعليل اللغوي،

بقدر ما وجدنا عينة من تلك الأدوات التي أخذت دوراً مؤثراً في

عملية اقناع المتلقي.

٥. كان لأداة التعليل اللغوي (لأنّ) وجوداً بارزاً في النص الخطابي

للإمام عليه السلام، فهي أكثر أدوات التعليل اللغوي حضوراً؛ لإسهامها

في أداء دورها الإقناعي في الخطاب.



الهوامش

- ١- ينظر: تهذيب اللغة: ٢٤٩/٣-٢٥٠.
- ٢- أساس البلاغة: ١٦٩/١.
- ٣- مختار الصحاح: ٦٧.
- ٤- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، ٥.
- ٥- التداولية والحجاج مداخل ونصوص: ٤٥.
- ٦- المصدر نفسه.
- ٧- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ٥٥.
- ٨- الحجاج التصورات والتقنيات: ٢. (بحث)
- ٩- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه: ٥٧.
- ١٠- الحجاج في التواصل، فيليب بروطون: ٣١.
- ١١- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، الشهري: ٤٧٨.
- ١٢- ينظر: المصدر السابق: ٧٩/١.
- ١٣- البنية الحجاجية في جزء عم دراسة تداولية، روان الكراعي: ٢٩.
- ١٤- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: ٤٧٨.
- ١٥- المصدر السابق: ٤٧٩.
- ١٦- البنية الحجاجية في جزء عم: ٣٣.
- ١٧- استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية: ٤٨٠.
- ١٨- البنية الحجاجية في جزء عم: ٣٤.
- ١٩- خطب الامام الحسن (عليه السلام): ٧٠-٧١.
- ٢٠- نهج البلاغة، عباس الموسوي: ٢٥٧.
- ٢١- البنية الحجاجية في جزء عم: ٣١.
- ٢٢- خطب الامام الحسن (عليه السلام): ٢٨-٢٩.
- ٢٣- المصدر السابق: ٢٧.
- ٢٤- خطب الامام الحسن (عليه السلام): ٤٤.
- ٢٥- المصدر السابق: ٤٣.
- ٢٦- كذا في المصدر والحيج
- ٢٧- خطب الامام الحسن (عليه السلام): ٧٦.
- ٢٨- المصدر السابق: ٧٥.
- ٢٩- ينظر: الإرشاد، للشيخ المفيد: ١١/٢-١٢.
- ٣٠- خطب الامام الحسن (عليه السلام): ٩٠.
- ٣١- المصدر السابق: ٩١-٩٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولاً: الكتب العربية والأجنبية

*الإرشاد في معرفة حجج الله على
العباد، محمد بن محمد بن النعمان
العكبري البغدادي (ت: ٤١٣هـ)،
تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق
التراث، دار الهدى، الطبعة الأولى،
١٤٣١ هـ-ق.

* أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزخشي جاز الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

* استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

* البنية الحجاجية في جزء عم دراسة
تداولية، روان عبد الله علي الكراعين،
دار صفاء، عمان، الطبعة الأولى،
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.

* التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه،
حمو النّقاري، النجاح الجديدة، الدار
البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ -
٢٠٠٦م.

* التداولية والحجاج مداخل ونصوص،
صابر الحباشة، صفحات للدراسات
والنشر، دمشق، ٢٠٠٨م.

* تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن

الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)،
تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء
التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى،
٢٠٠١م.

* الحجاج في التواصل، فيليب بروطون،
ترجمة: محمد مشبال، وعبد الواحد
التهامي العلمي، المركز القومي
للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى،
٢٠١٣ م.

* خطب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جمع وتحقيق: لمى عبد القادر خنياب، دار نبور، العراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

* مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

* النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة،

الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
* نهج البلاغة، عباس الموسوي، دار
الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة،
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

نيًا: البحوث

* الحجاج التصورات والتقنيات، مؤيد آل صوينت، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

ثانياً: البحوث

* الحجاج التصورات والتقنيات، مؤيد آل صوينت، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

أ.د. سرحان جفات سلمان

كلية التربية/ جامعة القادسية

المقدمة

في القرآنية ينتقل النص القرآني الكريم، من النص المقدس المدون إلى النصية المقدسة الحاضرة في وعي الناس وحيواتهم تلك التي يمثّلها السلوك، ويصدر عنها العمل، ويتدبر الفعل مستشرفاً إياها مستجيباً لمعاني حضورها في الحياة. ويمثل الوعي بالقرآن العظيم من لدن أهل بيت النبوة القرآنية في أعمق معانيها الماكثة نفعاً في الدنيا من أرض الله، لأنها ترد ترجمة في سياقات متعددة للقرآن الكريم، ترجمة تضمّر التأويل، وتوحي بالتدبر، وتأخذ بالباب الفهم الأعمق، ومن ثمة فهي (القرآنية المدرسة وليس فقط الفهم والتفسير الصادر عن آل النبوة). وترد في كلام الإمام الحسن بن علي (عليهما الصلاة والسلام) في صور وأشكال متعددة، وفي تجليات ذات كشف مستجد. وعمل البحث هنا على قراءتها في ثلاثة أبعاد هي المباحث الرئيسة التي تكون منها، أعني: (مفهومها) و (أشكالها) و (وظائفها). ولما كانت نهجاً في كلام الإمام، فإن البحث عني لما يدل، وليس بالاستقصاء الإحصائي الذي يستدعي سعة من المتن يؤديها الكتاب الموسع وليس البحث الموجز. وسيجد المتلقي الكريم أن كلام الإمام هو المساحة التطبيقية التي تأخذ بها الدراسة للقول بمفهوم (القرآنية) هذا.

أولاً: مفهومها:

ينطوي القول بـ مصطلح (القرآنية) على إضمار مصطلحات أخرى شاعت في الدراسات التي عنت بتمثيل القرآن العظيم في كلام الناس كلهم من أهل الإسلام أو من الذين اختصوا بثقافته؛ علمياً أو ادبياً أو فنياً أو دينياً، ومن تلك المصطلحات: (أثر القرآن، الاقتباس، التضمين، التوظيف القرآني، التناس، التأثير....) لأنه جامع لها، مشتق من نصية المصطلح الإلهي المؤسس (القرآن)، وقد تعددت الرؤى القرآنية في القول بمفهومه، فيذهب الدكتور مشتاق عباس معن إلى القول بأنها: آية يتوسّل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية، على نحو يصدر فيه عن القرآن الكريم^١.

أما الدكتور إحسان التميمي، فقد عدّها مفهوماً معرفياً نقدياً ينتمي لحقل التناس في عالم النقد الأدبي^٢. فيما يذهب رحمن غركان إلى ((أن القرآنية ثقافة تمثل بعض الحضور القرآني؛ والوعي بذلك التمثّل وعياً مقصوداً موجهاً، لإبداع معنى شعري، إذا كان الفن شعراً، ولإبداع معنى روائي، إذا كان الفن رواية، ولإبداع معنى هندسي إذا كان الفن هندسة معمارية مثلاً، ولإبداع معنى تشكيلي، إذا كان الفن تشكياً، وهكذا في الفنون التي لها أول في الإنجاز المؤسس، وليس لها آخر في لحظة الآن، لأنها منطّات تجدد الإنسان حتى في العلوم الصرفة. وقد تدخل القرآنية بوصفها ثقافة تمثل القرآن في الحياة، باعثاً ابداعياً، أو موجهاً إنجازياً، أو وعي توظيف، يدعو للالتفات لكل ما يستجد؛ توجيهاً وتقويماً وتجديداً))^٣ فلا مفصل في حياة المسلمين إلّا ويدخل القرآن العظيم في تغذيته، ومدّه بالحياة، بشكل مباشر أو غير مباشر. ولما كان القرآن، في معانيه السماوية الإلهية المباركة شرط وجود، فإن تمثّله في تفاصيل الحياة، ومنها الفنون التي منها الآداب شرط خلق مثمر دائم الحضور.

والقرآنية في كلام الإمام المعصوم توحى بالمعنى القرآني عند التوظيف والاستشهاد حيناً، وتنص على بعض تفسيره حيناً آخر، وتأخذ بإفاداته الروحانية الجارية في حياة الناس أحياناً أخرى، وتوجه المتلقين إلى المعنى القرآني عند توظيفه في سياق من رسالة أو خطبة، أو الاستشهاد به بين يدي وقائع الحياة وشؤونها: السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية بخاصة، حيث ترد آي القرآن وقد حملت في سياقات الاستشهاد رؤية من كشف، وحقيقة من إفهام، ودليلاً على رأي يبعث على الإقناع، لأن الإمام يتنفس القرآن حضوراً في حياته، ويجريه معاني حاضرة في حياة الناس من جهة أخرى، وهو نهج تحقق المواقف، وتأخذ بأبعاده تفاصيل الحياة؛ لذا فهو واجب فيها.

وأجد أن قراءة القرآنية في كلام الإمام الحسن بن علي عليه السلام تتيح رؤية نقدية تجمع بين جهتي: التنظير والتطبيق في آن معاً، لأن الإمام لا يستشهد لغرض فني إنما لرؤية واقعية مباشرة تقتضيها حياة الناس، وتستدعيها حاجاتهم، ولا يقول بالقرآن إلا مبيناً عن قرآنية كشف وإضافة واستنباط يجد له في الحياة حضوراً، وتأخذ بتطبيقاته معطيات حياتية كثيرة، كونه يؤسس باتساع، ولا يتقيد بغرض فردي، حيث الباعث حاجة أمة، وإقامة منهج ثم إن المعصوم يضع الأمور في موازين عدالة ذات حضور عام يتسع لاستيعاب الأخ.

واذا كانت القرآنية تتعدد في الفنون بسبب من سعة أجناسها وثرء الأشكال في كل جنس منها، فإنها في كلام المعصوم تتعدد في واحدة المصدر الذي تنبع منه، فهي واحدة تستجيب لمتطلبات أمة، وليس لفن في الكلام النوعي أو أغراض بعينها في حاجات أحزاب أو أهداف جماعات. القرآنية في كلام الإمام أشبه بالماء عنها تصدر المعاني، وبها تجعل المنهج كل شيء متصفاً باستقامة منشودة. ولهذا يستضيء بها نور المنهج في علوم كثيرة، ولا يقف

المعنى عند جهة الكلام في مناسبة قوله، فهو مؤسس تشريعي، ولذا تذهب الدراسة إلى تأمل أشكال ذلك بحسب كلام الإمام (عليه السلام).

ثانياً: أشكالها:

ترد أشكال القرآنية في كلام الإمام الحسن حاملة كلامه حملاً قرآنياً ليكون نهج الرؤية فيه القرآن العظيم، وسبيل الوصول لديه الدليل القرآني عنده، حتى يبدو فن القول الصادر عنه، من خطبة أو رسالة أو وصية أو مفاخرة وبقية فنون القول الثرية فناً يوجهه القرآن الكريم وهو يوجه المعنى منه والتفسير من أبعاد السياق توجيهاً وإلا مقصوداً إذا اتساع، لأنه يجري في نهر القرآن حيث جرى، ويسقي منه، وبه المعنى حيث يريد له الإنبات والازدهار. وهنا تدبر القراءة أوضح الأشكال بحسب شيوعها في كلام الإمام تدبر شمول بالشاهد، أكثر منها تدبر إحصاء واستقصاء بالنص والعدد، وبخاصة أن هذه الأشكال تنفتح على ما هو من علم التشريع عند من يستنبط الحكم، وما هو من علمية القول الأدبي عند من يقرأ القول على أنه أدب (قرآني - إسلامي) مؤسس، موجه لذا تقف القراءة هنا عند الأفق الأدبي الذي ينضج عن كلام الإمام في مكنون رؤيته القرآنية، حيث الخطبة من فنون القول، وكذلك الرسالة، والمفاخرة، وغيرها، وانطوائها على القرآنية توزع على أشكال:

١ - شكل الاقتباس الذي يتمثل في إيراد الآية الكريمة أو بعضها إيراداً مباشراً، حيث نصّ علماء البلاغة بعد ذلك على أنه نهج في الصدور عن القرآن مباشرة، ويتمثل ((في أن يضمّن المتكلم كلامه، كلمةً من آية، أو آية من آيات كتاب الله تعالى، والمقبول الممدوح عندهم ما كان في الخطب والعهود ومدح النبي ﷺ ونحو ذلك)).^٤ وما من قول للإمام الحسن بن علي (عليه السلام) إلا وهو يتمثل القرآن فيه، روحاً أو معاني أو اقتباسات، ولا سيما في



خطبه كلها، لأنه على نهج جدّه المصطفى ﷺ خلقه القرآن العظيم. وللدلالة على شكل الاقتباس المباشر أورد هنا خطبته في بعض مقاماته الشريفة؛ وجاء في بعضها: ((فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله عز وجل والرسول مقرونة قال الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا أولي الأمر منكم﴾، ﴿فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾، ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلاً﴾ وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان بكم، إنه لكم عدو مبين، فتكونوا ك أوليائه الذين قال لهم: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون﴾ فتلقون للرماح أزرأ، وللسيوف جزراً، وللعمد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ والله اعلم.

حيث جاءت القرآنية بالاقتباس المباشر هنا صادرة عن آيات: التاسعة والخمسين من سورة النساء، والثالثة والثمانين من سورة النساء أيضاً، والثامنة والأربعين من سورة الأنفال، والآية الثامنة والخمسين بعد المائة من سورة الانعام. وجاءت القرآنية كاشفة عن اتصال طاعة الرسول بطاعة الله سبحانه وطاعة آل بيته الأطهار من طاعة الله والرسول، ولما كان النهج نصّاً إليها فقد اقتبس الإمام من ثلاث سور هي (النساء والأنفال والأنعام) اقتباساً مباشراً؛ ولما كان السياق المقامي في الخطبة جمع الطاعات الثلاث في أفق قرآني من معنى إلهي واحد: طاعة الله ورسوله وآل بيته، فقد بني الاقتباس على هذه الرؤية الثلاثية ذات المآل الواحد:

- أطيعوا الله، أطيعوا الرسول، أطيعوا أولي الأمر.

- ردّوه إلى الله، ردّوه إلى الرسول، إلى أولي الامر.

ليكون مؤدّى الطاعات الثلاث إليها؛ يأخذ بعضه ببصيرة بعضه الآخر،
صادراً عن مشكاه الله الواحدة. أما العصيان فقد توزّع على ثلاثة عصيانات
انبنى إيقاعها على التشتت والتباعد والتطرف في:

- نكص على عقبيه/ قال: إني بريء منكم/ قال: إني أرى ما لا ترون،
ومن ثمة فإن الاقتباس المباشر قام على نهج (الثلاثيات) التي كان فيها المطاع
الله؛ من لدنه سبحانه ومن لدن رسوله، ومن لدن آل بيت الرسول. أما
حين التفت الكلام في الخطبة إلى الاقتباس الذي يحذّر من العصيان، مستدلاً
بالشيطان رمزاً موجهاً له فقد جاءت نهج (الثلاثيات) أيضاً ولكنه دّل على
الضياع حين يصير الناس إلى العصيان مخدوعين بالشيطان لأن نصّ الخطبة
مبنّى بناء يدل بالنهج منه على المعنى فيه، وباللفظ على فائض معنى سماوي
يغذّيه الاقتباس القرآني المباشر. ويتصل هذا في الخطابة عند الإمام بأن
المعنى يؤديه الكلام في صورتين أولاهما ألفاظ وجمل وثانيهما نهج متكامل
في بناء الخطبة كلها ويأتي وقد انتظم الكلام، ونسج أبعاده من الاستهلاك
إلى الختام، ومردّد ذلك إلى وضوح الرؤية وعمقها وحضور الدليل القرآني
بوصفه كلام قلبه ال أول ودليل نهجه الأوضح، ومعجم بيانه الأقرب، لذا
يجيء الاقتباس منه في هذه الصورة التي لا تبدّى على هذا النحو في كلام
غيره فهو من خصائص أسلوب الإمام في الاقتباس.

وفي (المفاخرة) يؤدي الاقتباس المعنى أداءً تشريعياً باعثاً على الاقتناع،
يكون نص الاقتباس جزءاً من حجية العقل، من ذلك قوله عليه السلام: ((إنما
الخليفة مَنْ سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل بطاعته، وليس الخليفة من
دان بالجور، وعطّل السنن، واتخذ الدنيا أباً وأماً، ولكن ذلك ملك أصاب
ملكاً يمتّع منه قليلاً، ويعذب بعده طويلاً، وكان قد انقطع عنه، واستعجل
لذته، وبقيت عليه التبعة، فكان كما قال الله تعالى: ﴿وإن أدري لعله فتنة

لكم ومتاع إلى حين﴾ ، ﴿أفرايت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾^٧. حيث تتابع الاقتباس من سورتي: الأنبياء/ ١١١، والشعراء/ ٢٠٥-٢٠٦.

بما كان فيه كلام الإمام في أول المفاخرة إبانة عن رأي، وإظهاراً لحقيقة، وتوصيفاً لرؤية جارية في الحال الموصوفة، ليأتي الاقتباس القرآني وقد أقام الدليل على حجية الرأي، وأظهر الحجة حقيقة ما يقصده، وحدد الموصوف بما يلزم أن يكونه. لتكون المسافة بين كلام الإمام والاقتباس مسافة بين قول الحق والدليل عليه الملزم على الأخذ به، هي مسافة وصول قرآني إلى المعنى، وإيحاءٍ بوجه من المعاني القرآنية التي توحى بها الآيات المباركة.

٢- الشكل البنائي الذي يتضمن بناء النص الحسن على القرآنية من المطالع إلى الختام، سواء بالاقتباس أم بالتناص أم الاستلham بناءً تكون القرآنية مرجعه، وهائل معانيه الإسلامية، وهو شكل شائع في كلام الإمام، لأن القرآن العظيم مصدر كلامه، ومرجع مقامه، وهو في كليهما قرآن مبين. من ذلك نص خطبته التي قالها بين يدي استشهاد أبيه عليه السلام^٨.

((الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً، وفي ازلته متعظماً بالإلهية، متكبراً بكبريائه وجبروته، ابتداءً ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبقت، بشيء مما خلق، ربنا القديم، بلطف ربوبيته، وبعلم خبره فتق، وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق، وبنور الإصباح فلق، فلا مبدل لخلقه، ولا مغير لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا رادّ لأمره، ولا مستراح عن دعوته، ولا زوال لملكه، ولا انقطاع لمدته، وهو الكينون أولاً، والديموم أبداً، المحتجب بنوره دون خلقه في الأفق الطامح، والعز الشامخ، والملك الباذخ، فوق كل شيء علا، ومن كل شيء دنا، فتجلى لخلقه من غير أن يكون يُرى،

وهو بالمنظر الأعلى، فأحب الاختصاص بالتوحيد إذ احتجب بنوره، وسما في علوه، واستتر عن خلقه، وبعث إليهم الرسل لتكون له الحجة البالغة على خلقه، ويكون رسله إليهم شهداء عليهم....)).

حتى إذا قارب المتلقي الكريم خطبة الإمام هنا ناظراً في مرجعيتها القرآنية، أمكنه أن يجد مصدرية كل فقرة منها وقد اتصلت بأي من القرآن العظيم؛ استلهاماً أو تفسيراً أو شرحاً أو ترجمة لخصوصية ما تدلّ عليه. حيث صدر في صفات: (الأولية والوحدانية والأزلية) عن آيات التوحيد، وفي صفات: (الكبرياء والعظمة والجبروت) عن آيات التعظيم، وفي صفات: (الابتداء والابتداء والخلق) عن آيات كيفية الخلق^٩: ﴿قال فمن ربكما يا موسى، قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ وفي صفات (اللطف والربوبية والعلم السابق) عن آيات اللطف والربوبية وفي صفات الحلم الإلهي: (لا مبدل لخلق، لا مغير لصنعه، لا معقب لحكمه، لا راد لأمره، لا مستراح عن دعوته، لا زوال لملكه، لا انقطاع لمدته) يصدر عن الآيات المباركات التي تصل كل صفة من هذه الصفات السبع بالنص القرآني الذي تتمثله هكذا:

- لا مبدل لخلق: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾^{١٠}.

- لا مغير لصنعه: ﴿ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيّرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً﴾^{١١}.

- لا معقب لحكمه: ﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾^{١٢}.

- لا رادّ لأمره: ﴿وان يمّسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾^{١٣}.

- لا مستراح عن دعوته: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلاّ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين: إلاّ في ضلال﴾^{١٤}. لأن دعوة الحق دائمة لا مستراح عنها. - لا زوال للملكه: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾. في معنى الديمومة والهيمنة في الزمكان وأن الزوال لا يطل ملكه.

- لا انقطاع لمدته: ﴿الله لا إله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾^{١٥}. حيث (الحيّ القيوم) الذي لا انقطاع لمدته، و﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ فلا زوال للملكه، فهو الكينون أولاً، والديموم أبداً. وبعد هذه الصفات السبع الصادرة عن (أسلوب النفي) ترد صفات سبع أخريات صادرة عن أسلوب الإثبات لا النفي هي: (الكينون، الديموم، المحتجب بنوره، العزيز الشامخ، الملك الباذخ، العلي فوق كل شيء، الذي دنا من كل شيء) وهي صفات مستلهمة من آيتي: (النور والكرسي) صفات مستلهمة منهما، وقرآنية تتمثلها؛ تعبيراً، وتأويلاً، وبعض تفسير، وبعض إحياء. كما توافرت الخطبة على قرآنية بالتناسل الأسلوب من جهة استدعاء النسخ، ودلالي من جهة استلهم المعنى.

فمن الأسلوب ما جاء في: (فتجلى خلقه من غير أن يكون يرى، وهو بالمنظر الأعلى...) استلهاماً أسلوبياً من قوله سبحانه: ﴿ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى﴾^{١٦}. حيث أسلوب نسج الكلام في

هذه الفقرات مستوحى من نسج الآيات المباركات من سورة النجم. أما في الفقرات التي تتأول ثنائية: (الرسل-الناس) فقد صدرت قرآنيها عن قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^{١٧}. وهي ثنائية قائمة على المساواة، على نحو إعجازي دال معبر، ((فإن لفظ (الناس) تكرر بعدد لفظ (الرسل) فقد تكرر كل منهما مائتي وواحد وأربعين مرة وهل الرسل إلا للناس؟))^{١٨}.

وفي هذه الخطبة يقف المتلقي الكريم على القرآنية بوصفها المرجعية التي صدرت عنها الألفاظ على مستوى المعجم والمعاني الباعثة على التأمل على مستوى الدلالة الإسلامية التي يفصح عنها الإمام فهو قرآن ناطق والنسج التركيبي - في بعض الفقرات، على المستوى التركيبي، بما يخلص معه الرأي إلى أن الشكل البنائي هو الشكل الالفت الثاني بعد الاقتباس في كلام الإمام، ولا سيما أنه مهيمن على بناء الخطبة كلها وكذلك الفنون الأخرى ومنها فن المفاخرة، لأنه ﷺ يصدر في حججه عن القرآن العظيم.

٣- الشكل البياني الذي يتمثل بصدر كلام الإمام عن أساليب بيانية تقارب أساليب المرجعية القرآنية المستوحاة، بكيفية يكون فيها كلام الإمام مستلها المعنى القرآني وأسلوبه البياني استلهاهم تعبير وإيجاء، واستعادة وكشف، وتمثل وقوة خطاب موج. لأن المعنى القرآني شمولي ويعدده كلام الإمام شارحاً ومفسراً، ومدلاً ببعض القرآن على بعض معاني الإمامة كونها من مناهج تفسيره، ومن ذلك خطبته التي أجازها الإمام علي بن أبي طالب بقوله بعد فراغ ابنه من القول: ﴿ذرية بعضها من بعض، والله سميع عليم﴾^{١٩}. وهي قرآنية توحى بما تدلّ عليه الآية المباركة في هذا المعنى، وبخاصة أن علياً قبّل الحسن بين عينيه ثم تلا هذه الآية الكريمة^{٢٠}. حيث جاء في بعضها^{٢١}:

((الحمد لله الواحد بغير تشبيه، الدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبة، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدودية، العزيز لم يزل قديماً في القدم؛ ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزته، وخضعت الرقاب لقدرته؛ فليس يخطر قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كنه جلالة، ولا يفصح الواصفون منهم لكنه عظمت، ولا يقوم الوهم منهم على التفكير على ما معنى سببه، ولا تبلغه العلماء بألبابها ولا أهل التفكير بتدبير أمورهما؛ اعلم خلقه به الذي بالحد لا يصفه، يدرك الأبصار ولا يدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

اما بعد: فإن علياً باب من دخله كان آمناً، ومن خرج منه كان كافراً)).
توزعت الخطبة على خمس وحدات دلالية خطابية انتظمت في التعبير عن معنى صدرت به عن مرجعية قرآنية، بدت فيه كاشفة عنه، مفسرة بعض معطياته، تمثلت الوحدة الأولى في آيات صفة الخالق كما وردت في القرآن العظيم، معبراً عن سبعة معانٍ توحى بسبع صفات هي (الوحدانية، والديمومة، والقيومية، والخالقية، والموصوفية، واللامحدودية، والأزلية)، وجاء التعبير في جمل اسمية لأن المعنى الموحى به، والظاهر المعبر عنه خطابي يكشف للمتلقيين حقائقه دائمة متصلة بعالم الخالق الدائم سبحانه اتصال استمرار سرمدي، ودوام أبدي، تقرب من العقل البشري من يدركه تقريباً ولا يحيط به يقيناً دائماً، ولأن الأمر الخطابي يقارب لهذا العقل البشري ما لا يحيط به في ضوء إمكاناته إلا قليلاً فقد أقام المقاربة على بيانه التقابل في أنه الإمام، فسّر صفة الواحد بـ (الند على التشبيه) والدائم (بالند على التكوين) والقائم بـ (الند على الكلفة) والخالق بـ (الند على المنصبة) والموصوف بـ (الند على الغاية) والمعروف بـ (الند على المحدودية) والعزيز (بالند على القدم الزماني)، وجاء الخطاب صادراً عن أسلوب بياني واحد هو الكناية

عن (الصفة) التي أوحى منها بسبع صفات، نصّ عليها مسفراً، وأوحى بها مدلاً بما يقار بها كشفاً وإقناعاً حجاجياً ذا مرجعية قرآنية؛ حتى جرى النسيج في المعاني السبعة في مجرى ماء خطابي واحد، يأخذ بعضه بدلالة بعضه أخذ تمهّاه كاشف دال.

وفي الوحدة الثانية ذات الجمل الثلاث التفت الإمام إلى حضور معطيات الصفات السبع في وعي المخلوق المتلقي، لا صدر ذلك في ثلاث صور استعارية بيانية هي:

- (ردعت القلوب لهيته) حيث المخلوق بصيرة قلب محدود، والخالق هائل هيته تهدي بالعجز عن إدراك كنهها بالاستغراق في تأملها عبادةً.
- (ذهلت العقول لعزته) حيث استعار الذهول دالاً معبراً عن معنى الاستغراق في تدبّر عبادته.

- (خضعت الرقاب لقدرته) حيث استعار الخضوع للدلالة على الانقياد عبادة. وقد تسلسل نهج إيصال المعنى بيانياً من القلب إلى العقل إلى التسليم، ومن الردع إلى الذهول إلى الخضوع. لأن الإمام يصف ما يرى، ويرصد ما يبعث على الإقناع بالحقائق الماثلة للعيون، وهذه الاستعارة التمثيلية التي تتابعت دواها ثلاثاً جاءت بعد الكناية التي تتابعت دواها سبعا؛ لأن الإمام تدرج من الهائل الذي نستغرق فيه ولا نلّم به إلا عبادةً إلى آثاره في حيواتنا قلباً وعقلاً وتمثلاً.

أما الوحدة الخطابية الثالثة فقد صدرت على أسلوب النفي نهجاً في تركيب الجملة، وعن المجاز الدلالي (العقلي) في بناء الصورة الخطابية ذات المعنى الواصف الباعث على الإقناع في ست جهل هي:

- لا يبلغ الناس كنه جلاله.

- لا يفصح الواصفون منهم لكنّه عظمته.

- لا يقوم الوهم منهم على التفكير على ما معنى سببه.

- لا تبلغه العلماء بالباها.

- لا تبلغه أهل التفكير بتدبير أمورها.

- ليس يخطر على قلب بشر.

حيث انبنى المجاز اليباني في الجمل الست على الدوال الستة الآتية:
(الناس، الواصفون، الوهم، العلماء، أهل التفكير، قلب بشر) حيث بدأ
الناس وخلص إلى قلوبها، خلوص وصول إلى المعنى في خلال المبنى المؤدي
له؛ فيما توزعت الجهات الأربع الأخريات، العقل مرتكزاً على التقابل بين
كل دالين حيث التقابل بين (الوصف - الوهم) و (العلماء - وأهل التفكير)
وبدا أن الجامع المشترك بين المتقابلين ثم بين الدوال الأربعة ماثل في العجز
عن الوصول المسي، والتدبر بالوصول القلبي، وقد جرى كلام الإمام ليقنع
بالمجاز في صورة ما يصف من حقائق.

وفي الوحدة الخطابية الرابعة يخلص إلى (العجز عن الوصول الحسي) و
(العجز عن الوصول العقلي بالمدرجات البشرية المباشرة) مدلاً على ذلك
بأنه سبحانه (اللطيف الخبير) دالاً على العجز البشري بـ:

- أعلم خلقه به الذي بالحد لا يصفه.

- يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار.

والتكامل بين (أعلم خلقه به) و (بالحد لا يصفه) استعارة تمثيلية تؤدي
معنى الألوهية. ويصير إلى المعنى نفسه في جملة (الإدراك الثانية). ومن بيانية
الكلام أن الجملتين ال أوليين فعليتين فيما الثالثة اسمية قرآنية خالصة (هو
اللطيف الخبير). وجعلت الخطبة هذه الوحدات الأربع استملاً لمرادها
المتمثل بالوحدة الخطابية الرابعة^{٢٢}: (إن علياً باب؛ من دخله كان آمناً، ومن
خرج منه كان كافراً) وهي الوحدة: الغرض من الخطبة، لأن الإمام يدل

بالقرآنية على إمامة علي، ويرمز به (الباب) على بعض معانيه، وبـ (الأمن) على عالم معطاتيه في التمثّل والحضور. وفي بيانية التشبيه من جملة (علي باب) دلالة على معنى (الأمن) في أبعاده الأرضية والسمائية. في جهتين تتصلان بالناس: جهة الدخول إليه وجهة الخروج عليه.

ويستجيب الشكل البياني في خطاب الإمام لمعطيات المعنى القرآني استجابة تفسير ودلالة، وتمثّل واستجابة، واستلام وهداية؛ ولذا يحضر المتلقي: المخاطب قصداً مخصوصاً، وذاكرة تلقى تستغرق الناس في الزمكان من أول القول إلى أهدافه الدائمة في الناس.

ثالثاً: وظائفها.

يرتفع كلام الإمام إلى الإفصاح عن وظائف كثيرة، يمكن أن تتوزّع على نوعين هما: الوظائف المضمرة التي يستنبطها التدبر والتأمّل والتأويل، وهي أبعد مدى، وأثرى في معطاتها، وذات بُعد ثقافي في إمكاناتها، وترتكز على العصمة وتفصح عنها، وتصدر عن الإمامة في متبنياتها الإنسانية الشاملة، من ذلك الوظيفة (القيادية الكاملة العصمة) التي تؤديها الأفعال والأقوال والإقرارات، وهي مما يلتزمها الإيمان أكثر من العقل الظاهر المباشر. و(الوظيفة المستقبلية) التي تبدّى معطاتها لوعي الناس في الزمان والمكان الجاريين في أفعال الناس وعقولها وعالم ثقافتها غير الساكن. ولذا تدرس الوظائف المضمرة، كلاً على انفرادها لأجل التأسيس للمفهوم والخلوص منه للتطبيقات وما يترتب على ذلك من استشرافات مستقبلية هي من خصائص خطاب الإمام. وهناك الوظائف الظاهرة التي يبين عنها الخطاب من ظاهر معجمه ومنطوق نصوصه. وهنا تشير هذه المقالة إلى خمس منها هي: الوظيفة القرآنية الدائمة. والوظيفة التفسيرية، والوظيفة الإلهامية. والوظيفة التوجيهية. والوظيفة الإمامية. لأن نصوص الإمام ذات خلوص

إلهي، وإلهام قرآني، واتصال نبوي، بما يجعل الشمولية في النور منها أوسع من الإحاطة الشاملة التي تتوق المقالة إليها، مكتفية بالتنبيه.

١ - الوظيفة القرآنية الدائمة المتمثلة في كون كلام الإمام صادراً عن القرآن دائماً، يتمثله، ويدلّ به، بقوله مستهدياً به، سواءً نص على ذلك بالمعنى أو بعض المعجم أم نص اقتباساً، وسواءً أخذ عن السيرة النبوية نصّاً أم أعاد معنى، لأن النبوة (خُلِقَ من قرآن كريم) وكل نص من كلام الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) يكتنز الوظيفة القرآنية ظاهراً في التوجيه وباطناً التدبر. ولعل (المفاخرة) التي جرت بينه وبين معاوية وبعض أصحابه أنموذج دال في هذه الوظيفة حيث أداها الخطاب في كل جواب منه، وفي كل معنى خلص إليه، من ذلك ما خصّ به (مروان بن الحكم بن العاص بن أمية) حيث قال له الإمام (عليه السلام): ((أما أنت يا مروان فلست أنا سببتك ولا سببت أباك، ولكن الله عزّ وجلّ لعنك ولعن أباك وأهل بيتك وذريتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة، على لسان نبيه محمد ﷺ. والله يا مروان. ما تنكر أنت ولا أحد من حضر هذه اللعنة من رسول الله ﷺ لك ولأبيك من قبلك. وما زادك الله يا مروان بما خوَّفك إلا طغياناً كبيراً)) وصدق الله وصدق رسوله، يقول الله تبارك وتعالى^{٢٤}: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾. وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في (القرآن)). حيث يؤدي خطاب الإمام الكشف عن معنى الإسلام الدائم بالنص القرآني دالاً وبتمثله للوظيفة القرآنية في خطاب الإمام الشريف.

٢ - الوظيفة التفسيرية التي يمثلها خطاب الإمام الذي يحمل تفسيراً دالاً كاشفاً عن بعض آية القرآن العظيم، ومن ذلك (آية الشجرة الملعونة في القرآن/ الاسراء - ٦٠) ومن ذلك ردّ الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية^{٢٥}: ((أنشدكم بالله، أتعلمون أنّ علياً أول من حرّم الشهوات كلها على نفسه

من أصحاب رسول الله فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات من أحل الله لكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً، واتقوا الله الذين أنتم به مؤمنون﴾^{٢٦}. وفي سياق آخر من هذه المفاخرة موجهاً الكلام لـ (عمرو بن العاص بن وائل): ((أنه قال العاص بن وائل: إن محمداً رجل أبتّر، ولا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إنّ شأنك هو الأبتّر﴾ وكانت أم عمر بن العاص تمشي إلى عبد قيس تطلب البغية))^{٢٧}. لأن خطاب الإمام الحسن في: الخطب والمفاخرة والمحاججات، والرسائل وغيره، يوفر مادة نفيسة للمفسر حيث يأتي بالآية المباركة في سياقها من التنزيل، وفي مناسبة النزول التي عاشها آل بيت النبوة فهم أقرب أهل الأرض إلى كل كلام الله، وإذ يأتي بها مفسراً، شارحاً، مدّلاً، بالسياق على المعنى القرآن، وبالدليل على مناسبة النزول، وبالتفسير الموصول بكلام الله وهذه الوظيفة في كلام الإمام لا يستغني عنها كل مفسر، وبها يستدل المؤمنون على معنى مصطلح (الصحابة) وعلى نهج في التفسير لا غنى عنه.

٣- الوظيفة الإلهامية التي تتمثل فيما يقدمه الإمام من طروحات تجمع بين القرآن وحياً سماوياً والكشف من لدن الإمام (إلهاماً لدُنياً) يتصف به المعصوم موصولاً بالنبوة، وهذا شأن فكري، وعمق قرآني يميّز المعصوم انفراداً، ويدل به عليه إلهاماً منه سبحانه. من ذلك قول الإمام الحسن بن علي لـ (عمرو بن العاص بن وائل)^{٢٨}: ((إن لأهل النار علامات يعرفون بها، هي: الإلحاد في دين الله، والموالاتة لأعداء الله، والانحراف عن دين الله...)) إذ يكتفي الإمام هنا عن (كفر ابن العاص) مبشراً إياه بالنار. مستدلاً عليه بعمل الكافر في صفتي: (موالاتة أعداء الله والإلحاد في دين الله) وهما يخرجان بالمتصف بهما عن (دين الله فهو منحرف عنه) وهذا الهام استشرافي مستقبلي. ومن ذلك قول الإمام لـ

(معاوية بن أبي سفيان): ((أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله ﷺ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك؛ ولا سخط ذلك ولا كراهة، وتكلم فيه المنافقون فقال: لا تخلفني يا رسول الله فإنني لم اتخلف عنك في غزوة قط. فقال رسول الله ﷺ: أنت وصيي وخليفتي في أهلي؛ بمنزلة هارون من موسى. ثم أخذ بيد (علي) فقال: أيها الناس من تولاني فقد تولّى الله، ومن تولّى علياً فقد تولاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب علياً فقد أحبني)). لأن الخلافة ومن ثمة الإمامة وكذلك (الوصاية) شأن قال به النبي عن ربه وحيّاً، والمؤمنون يأخذون به عقيدة والإمام يفيض عنه ذلك الهاماً إلهياً.

٤ - الوظيفة التوجيهية التي يُمثلها خطاب الإمام الحامل لمعايير تقييم الفرد، ومنهاج بناء الأمة، ومواصفات القائد فيها بالصدور عن المرجعية القرآنية التي يكونها الإمام مباشرة بالاعتباس، أو غير مباشر بالاستلham أو التناص غير المباشر. من ذلك قول الإمام لـ (الوليد بن عقبة)^{٢٩}: ((والله ما ألوئك أن تبغض علياً، فقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك وجره بيده يوم بدر، أم كيف تسبه، وقد سمّاه الله مؤمناً في عشر آيات من القرآن وسمّاك فاسقاً!! وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستتون﴾ وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة، فتصبّحوا على ما فعلتم نادمين﴾^{٣٠}؛ إذ يوجّه الأمة إلى المصدر الإلهي في توصيف أعداء الله ورسوله وآل بيته قبل (أن يقولوا: أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم)، ثم لما صار الأمر إلى معاوية الذي عمل على تقريبهم وتنطوي محاولات الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية ومع أصحاب معاوية على الوظيفة التوجيهية التي تنبه الأمة كلها إلى صفاتهم أفراداً، ومنهاج عملهم قبل أن يسلموا، ثم لما ادعوا الإسلام وصعوبة القول

بصلاحهم لأن يكونوا مؤمنين، وتؤدي مفاخرات الإمام هذه الوظيفة بنهج من قرآنية، تقدّم للرؤية بدليلها من كتاب الله، وتكشف عن التاريخ بشهود أحياء لحظة قول الإمام، ليكون الخطاب موجهًا للامة وليس لمعاوية ولما هو على نهجه لأنه عدو بالسيف واليد واللسان.

٥- الوظيفة الإمامية التي يفصح عنها كل نصّ يقوله الإمام كونه مقصوداً موجهاً، ودالاً شاهداً، ومدلاً بالقرآن والسنة على ما يفصح بياناً، ويوحى خطاباً، بكيفية تكون عندها الإمامة شاهداً مستمراً في الزمكان وشهيداً على الناس، لأن المعنى منها قرآن خالص. من ذلك قول الإمام رداً على كلام لمعاوية: ((إنه لم يبعث نبي إلا جعل له وحي من أهل بيته، ولا نبي إلا وله عدو من المجرمين، وإن علياً كان وحي رسول الله من بعده. أيها الذاكر علياً؛ أنا الحسن وأبي علي. وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله ﷺ وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة. فلعن الله أئمتنا ذكراً، والأمتنا حسباً، وشرنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً))^{٣١}؛ لأن الإمام هنا ليس في معرض الهجاء لمعاوية بل وصف هو الواقع عينه، وتشخيص هو الحقيقة ذاتها. وبه يفصح الإمام عما يلزم في الإمارة، وما هو مطلوب في الأمير عندها، لأن ديمومة الصلاح شرط فيها، والصلاح الماكث في الأرض بعض مواصفات الموصول بها، وفي نصوص أخرى كثيرة أفصح عن الإمامة موصولةً بعليٍّ ونبه (عليهم صلوات الله) كونها بعيدة عن غيرهم كقوله: ((إن علياً أول الناس إيماناً، وإنك - يا معاوية - وأباك، من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر، وتظهرون الإسلام، وتستملون بالأموال))^{٣٢}؛ لأن الإمام الحسن (عليه السلام) ينتمي للإمامة قرآنياً وليس سياسياً، وأصلاً دائماً، لذا يصف ما كان من واقع غير قرآني، ليخلص إلى الحق النبوي الذي يكونه دائماً.

خلاصة:

القرآنية في كلام المعصوم غيرها في كلام الناس، حيث تكون عند الإمام خطاباً جارياً مجرى القرآن، متهاجياً معه، منمياً إليه؛ عمقاً ومعنى وتفسيراً، يرد ليكمل معاني قرآنية لا يستطيع سواه إيرادها بمعنى مستجد. أما في كلام الأدباء وغيرهم فاقتباس يستضيئون به، ويعززون ما يؤدون من معاني، وما يتبنون من خطاب. أما الإمام فيجريه كشفاً وتأويلاً وقراءات مستجده.

أشكال القرآنية في كلام الإمام لها أول في المنهج الذي يتبناه المتلقي ومنه الدارس الإسلامي، وليس لها حدّ متصل بالمعنى الجامع المانع لأنها تستجيب لمتبنيات الإسلام القرآني في الزمكان وفي الثقافة القرآنية، وتتسع بحسب قدرة الدارس على الكشف والاستلham والاستنباط.

وظائف القرآنية في كلام المعصوم؛ تفسيرية ذات مستجدات، وت أولية ذات استشراف، وقرآنية ذات ديمومة، ولذا تنهل القراءات منها، من دون أن تصل قراءة إلى الحد الجامع المانع، لأن في كلام المعصوم من خطاب القرآن شبهاً من سعة وديمومة، واستمرار لا تنفذ معطياته.



القرآن الكريم

الهوامش:

- ١- تأهيل النص/ قراءة في أيديولوجيا التناص، مشتاق عباس معن، ص ٢١١، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اليمن، ٢٠٠٣م.
- ٢- القرآنية في شعر الرواد، د. إحسان الشيخ حاجم التميمي، ص ١٢، دار الشؤون الثقافية، ط ١، بغداد، ٢٠١٢م.
- ٣- القرآنية، مفهوما - موضوعها - معياريتها - أشكالها، د. رحمن غركان، ص ١١-١٢، منشورات دار نيبور - بغداد - العراق، ٢٠٢١م.
- ٤- معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، ص ٥٣١، دار المنار، جدة - دار ابن حزم، بيروت، ط ٤، ١٩٩٧م.
- ٥- خطب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٤٩هـ). جمع وتحقيق، د. لمى عبد القادر، ص ٢١١-٢١٣، منشورات دار نيبور، بغداد - العراق، ٢٠١٦م.
- ٦- نفسه، ص ١٧٢-١٧٣.
- ٧- نفسه، ص ٢٠٩-٢١٠.
- ٨- طه، ٤٩-٥٠.
- ٩- الروم، ٣٠.
- ١٠- النساء، ١١٩.
- ١١- الرعد، ٤١.
- ١٢- الانعام، ١٧.
- ١٣- الرعد، ١٤.
- ١٤- البقرة، ٢٥٥.
- ١٥- البقرة، ٢٥٥.
- ١٦- النجم، ٦-١١.
- ١٧- الحديد، ٢٥.
- ١٨- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ص ١٥، بيت الحكمة، بغداد، العراق، ١٩٨٧م.
- ١٩- آل عمران، ٣٤.
- ٢٠- تفسير فرات الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي، (ت ٣٥٢هـ) تحقيق، محمد الكاظم، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
- ٢١- خطب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) (٤٩هـ)، ص ٢١٥-٢١٦.
- ٢٢- نفسه، ص ٢٦٦.

- ٢٣- نفسه، ص ١٦٤-١٦٥.
- ٢٤- الإسراء، ٦٠.
- ٢٥- خطب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ١٣٩-١٤٠.
- ٢٦- المائدة، ٨٧-٨٨.
- ٢٧- خطب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص ١٥١.
- ٢٨- نفسه، ص ٢٠١-٢٠٢.
- ٢٩- نفسه، ص ١٥٤-١٥٥.
- ٣٠- السجدة، ١٨، الحجرات، ٦.
- ٣١- خطب الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، ص ١١٩-١٢٠.
- ٣٢- نفسه، ص ١٣٤.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا وَكُنَّا لَهُ مُشْكِرِينَ



مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام

إشكالية المعرفة في فهم شخصية الإمام الحسين (عليه السلام)

أ.د. عماد حسين عبيد المرشدي
جامعة بابل - كلية التربية الأساسية

المقدمة:

إن النظر إلى أي شخصية من الشخصيات المعروفة أو المشهورة عادة ما تكون نظرة تجزئية تعتمد في تقييمها لهذه الشخصية من خلال ذاتها فقط، وهذا النوع من التقييم أو الفهم قد يكون فهماً خاطئاً وليس شمولياً لا ينظر إلى الشخصية من خلال جميع أبعادها.

ومن هنا تأتي إشكالية المعرفة في فهم شخصية الإمام الحسين (عليه السلام)، بمعنى آخر: من هو الإمام الحسين (عليه السلام)؟ هل عرفنا سيد الشهداء (عليه السلام)؟، هل هو ولي من أولياء الله؟ هذه درجة من درجات المعرفة، هل هو إمام مفترض الطاعة على جميع الخلق؟ هذه أيضاً درجة من درجات المعرفة، وهل هو مصلح من المصلحين العظام؟، وهذه درجة من المعرفة، ومن هنا تتفاوت درجات المعرفة لهذه الشخصية العظيمة.

إن شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) فوق ذلك وأعظم من كل ذلك، فالمعرفة لها قيمة كبرى عند الله سبحانه وتعالى، ففي الحديث الشريف يقول (وأفضلكم أفضلكم معرفة)^١، بمعنى أن معرفة حياة العظماء وتجاربهم عبارة عن إضاءات للأفراد ودروساً لتغيير برمجية حياتهم والارتقاء بذواتهم في الجوانب الدينية والتربوية والاجتماعية، فشخصية الإمام الحسين (عليه السلام)



تميزت عن باقي الشخصيات بسماة فريدة خصها الله سبحانه وتعالى بها، وهذه الخاصية أعطتها الحياة والبقاء طيلة القرون الماضية وإلى يومنا هذا، وجعلت من القيم والمبادئ التي ضحى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام بكل ما يملك مادة متجددة للحياة الإنسانية، فامتازت بإدراك مخاطر الواقع بما يحمله من تيار جارف ومنحرف سيله المجنون والانحلال الخلقي، وذلك من خلال القراءة التحليلية للمستقبل الذي سيكون عليه الدين الإسلامي، وما سيولد من اضطهاد وجهود فكري قائم على نسيان الدين والحقوق التي يكفلها، فبقاء الدين الإسلامي وما نحن عليه من نعمة الإسلام إلى يوم القيامة إنما هو بسبب توضيحات الإمام الحسين عليه السلام فلولاً شهادته وكل قدمه من الغالي والنفيس من أجل بقاء الدين الإسلامي لما بقي من الدين المحمدي أثر يذكر، فالحديث الشريف يبين بأن بقاء نسل الرسول الأكرم ﷺ أي الذين هم خلفاء رب العالمين وأئمة المسلمين إنما هو بسبب الحسين عليه السلام، فهو أبو الأئمة التسعة المعصومين عليه السلام.

وبناء على ما سبق يهدف البحث الحالي التعرف على بعض جوانب هذه الشخصية العظيمة :

أولاً: الجانب الأول: السمات والخصائص الشخصية للإمام الحسين عليه السلام.

ومن سمات شخصيته الفريدة التي خصها الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي «حديث اللوح الأخضر» الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى الرسول الأكرم وأهداه إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام (وجعلت حسيناً خازن وحياً وأكرمتها بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه، والحجة البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب) ٢ أما في الزيارة المطلقة الأولى (إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم والصادر عما فصل من أحكام العباد) ٣، فإن إرادة الله عز وجل هي إرادة

فعلية وليست ذاتية ، وحينئذ يكون المراد من هبوطها هو هبوط متعلقها أي المراد أو المقدور ، وبما أن أهل البيت (عليهم السلام) هم واسطة الفيض وأن ما يصل إلى العباد من خير أو شر لا بد أن يكون بتوسطهم ترد هذه المقادير الإلهية التي هي متعلقات إرادة الرب سبحانه إلى أهل البيت، (عليهم السلام) وهم سلام الله عليهم لهم إرادة في طول إرادة الله أي أنهم لا يريدون إلا ما أراد ولا يشاؤون إلا ما يشاء الله، ولذلك وُصفوا في بعض الأدعية والأخبار بأنهم محالّ مشيئة الله عز وجل، وقد يتوسط أهل البيت (عليهم السلام) عند الله عز وجل يمحو بعض ما قدره، فيفعل؛ لأن الله عز وجل قال في محكم كتابه العزيز ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ١، ثم تصدر تلك المقادير لتقضى وتتحقق، وهذا دليل على الولاية التكوينية التي أعطاها الله سبحانه وتعالى للأمام الحسين (عليه السلام)، وكذلك الحديث الشريف (حسين مني وأنا من حسين) ٢

ومن سماته (عليه السلام) شبهه بجده الرسول (صلى الله عليه وآله) في الخلقة واللون، ويقتسم الشبه به مع أخيه الحسن (عليه السلام)، ولا غرو، فهما فلقتان من ثمرة واحدة من الشجرة التي قال فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) «أنا الشجرة، وفاطمة أصلها - أو فرعها - وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، فالشجرة أصلها في جنة عدن، والأصل والفرع واللقاح والثمر والورق في الجنة».

ومن خصائصه العظيمة (عليه السلام) أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) أتت بابنها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو في شكواه التي توفي فيها، فقالت «يا رسول الله، هذان ابناك، تورثهما شيئا» أو قالت ابناك وابنائي، انحلهما، قال (صلى الله عليه وآله) نعم، أما الحسن: فقد نحلته هيتي وسؤدد. وأما الحسين: فقد نحلته نجدتي وجودي. قالت: رضيت يا رسول الله؛ فالذي يخلد من إرث النبي هو الخلق العظيم، دون حطام الدنيا الزائل، وهو أشرف لهما، ولذلك رضيت الزهراء لابنها من الرسول إذ نحلها - أيضاً أهم الصفات والخصائص الضرورية للقيادة

الإلهية (الحلم، والصبر على الشدائد، والهيبة، والسؤدد، والجلالة، للحسن عليه السلام، والمتحن في عصره بأنواع البلاء الإمام الحسين عليه السلام، فأعطاه ما يحتاجه الأئمة الصابرون، والشجاعة، والجرأة، والنجدة، والجود.

ومن الخصائص التي خصها الله سبحانه وتعالى للإمام الحسين عليه السلام أنه عاش في ظل وحي جبرئيل عليه السلام، إذ كان بيت الرسالة مهبطه، تنزل آياته على جده رسول الله ﷺ، وهو يحب في أفنائه حتى شب في ظلاله، وكذلك خصه الله تعالى أن يكون من أصحاب الكساء الذين نزلت الآية الكريمة بحقهم ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، وفي حديث آخر: إن رسول الله ﷺ كان عند أم سلمة، فجعل الحسن عليه السلام من شق، والحسين عليه السلام من شق، وفاطمة عليها السلام في حجره، فقال ﷺ: (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)، وكان موعد المباهلة، عندما أمر الله رسوله بقوله: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾، فقد قال الإمام علي عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: خرج رسول الله ﷺ حين خرج لمباهلة النصارى بي وبفاطمة والحسن والحسين، ثم قال النبي ﷺ هؤلاء أبناؤنا، وهو يعني الحسن والحسين عليه السلام، وأنفسنا، ويعني الإمام علي عليه السلام ونسائنا، ويعني فاطمة الزهراء عليها السلام.

إن وفقتهم مع النبي ﷺ في هذا الموقف الخاص العظيم، فلا بد أن يتسم الواقفون معه بما يتسم به النبي ﷺ من الطهارة والقداسة والعظمة، ومن الخصائص للإمام الحسين عليه السلام أنه ولد ونما وعاش طفولته في مهبط الملائكة، إذ تربى صعوداً ونزولاً على جده رسول الله ﷺ ترفده بالوحي، وأنباء السماء، ومغيبات الأرض، وإذا حطت طيور الوحي أو طارت، فإن زغب أجنحتها لا بد أن يتناثر في أروقة هذا المكان، وإن أهل البيت لا بد أن يحتفظوا بهذا

الزغب ليجددوا به ذكريات الرسول والنبوة، والرسول نفسه قد خص الحسن والحسين ﷺ بتعويذين جمع فيهما من زغب جناح جبريل أمين الوحي، يحملانه معها، ليكونا أظهر دليل على ارتباطهما بالسماء.

فعن عبد الله بن عمر قال: (كان على الحسن والحسين تعويذان فيهما من زغب جناح جبرئيل)، وإذا كان في التعويد دعم معنوي، فإن لجبريل موقفاً آخر مع الحسين خاصة، إذ كان يدعمه مادياً ويثبت فيه (القوة والشجاعة)، ففي الحديث: (أن الحسن والحسين كانا يصطرعان فاطلع علي ﷺ على النبي ﷺ وهو يقول: وبها الحسن. فقال علي: يا رسول الله، على الحسين؟ فقال: إن جبرئيل يقول: وبها الحسين) إنه من أجمل المناظر أن يلعب الصغار ببراءة الطفولة، ولكن الأجل من ذلك أن يكون بمشهد النبي الأعظم ﷺ من جانب، وجبرئيل ﷺ ملك السماء من جانب آخر، وإذا كان جبرئيل ﷺ ينفث في الحسين ﷺ روح القوة والشدة والتشجيع، فإن ذلك بلا شك بأمر من السماء، إذ إن الملائكة (يفعلون ما يؤمرون).

ولجبرئيل ﷺ شأن آخر مع الحسين ﷺ أعظم، عندما كان المنبئ عن قتله وشهادته، والمراسل الأول بأنباء السماء عن كربلاء، بل أتى النبي من أرضها بتربة حمراء، إلى آخر الحديث، وكان أمير المؤمنين علي ﷺ يعرف ما تميز به الحسين ﷺ من القوة الغيبية التي نفثها فيه جبرئيل ﷺ، فكان يشبهه بنفسه في الشجاعة والإقدام ويقول «وأشبه أهلي بي الحسين ﷺ»، وكان إذا تحدث عن الحرب يقول «وأما أنا وحسين، فنحن منكم وأنتم منا، وهو البطل المقدام الذي لا تنكر ضرباته، ولا تفل عزماته»، والإمام الحسن ﷺ يعلن عن شدة الحسين ﷺ وصلابته حين قال له «أي أخ، والله، لوددت أن لي بعض شدة قلبك»^٧.

ثانياً: الجانب الثاني أهداف الإمام الحسين عليه السلام.

نحن نعلم اننا لا ندرك الاهداف الخفية للأمام الحسين عليه السلام وهذه بحد ذاتها إشكالية المعرفة، فأقوال المعصومين وأفعالهم مُطابقة للحكمة الإلهية ومُساوقة للعلم الإلهي ؛ لما لهم من التأييد والتسديد والكرامة منه جلّ جلاله ، ومن المعلوم أنّ الحكمة والعلم الإلهيين غير محدودين بالنسبة للأمام الحسين عليه السلام والأئمة المعصومين عليه السلام ، وبالتالي نحن البشر العاديون محدودون في المعرفة، ولا يُمكن للمحدود أن يُدرك مدى عليهم ومكانتهم ومنزلتهم عليه السلام ، فالإمام المعصوم عليه السلام هو أفضل من أفضل واحد من البشر رأيناه أو سمعنا عنه ، في جميع المستويات وعلى أيّ صعيد ، والفرد مهما أوتي من قوّة تفكير وحِدّة ذكاء فهو أدنى منهم بمراتب عظيمة ، ومن المعلوم أنّ الأدنى لا يُمكن أن يُدرك جميع ما لدى الأعلى ، ولا يُمكن أن يفهم مُستواه إلا إذا كان مُساوياً له .

ولكن بحسب حدود درجات معرفتنا فإن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن هدفه الدنيا ولكن هدفه كان أعلى من الآخرة، قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾^{١٠} ، فقد كان هدفه هو الله سبحانه وتعالى، ففي زيارة الأربعين نقراً (وبذل مهجته فيك)^{١١} بمعنى لأجل الله سبحانه وتعالى، وكذلك يقول عليه السلام أو على لسان حاله:

تركت الخلق طرا في هواك وأيتمت العيال لكي اراك

فلو قطعتنني بالحب اربا لما مال الفؤاد إلى سواك^{١٢}

وهدفه يذهب أبعد من ذلك هو إصابة السنة ،بمعنى ان شخصية الإمام الحسين عليه السلام هي في خط الله سبحانه وتعالى ، ففي الحديث الشريف (لا قول إلا بعمل ولا عمل إلا بنية ، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا في إصابة السنة)^{١٣}.

فعندما رأى الحسين (عليه السلام) أن في بيعة يزيد ابن معاوية إذلالاً للإسلام وإذلالاً للدين وقد عبر عن هذا الموقف بقوله (إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)^{١٢}، وعبر عن هذا الموقف بقوله: (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)^{١٣}، فقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) مجسداً لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^{١٤}، وحفظ للدين عزته وللايمان شموخه وللإسلام سموه وعلو شأنه برفضه بيعة يزيد بن معاوية مهما كانت الظروف ومهما كانت الأحوال.

كذلك وقوفه (عليه السلام) أمام جور الجائرين المستحلين لحرم الله، وهذا ما صرح به في كتابه إلى جماعة من وجهاء الكوفة قال فيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ وَ الْمُسَيَّبِ بْنِ نَجْبَةَ وَ رِفَاعَةَ بْنِ شَدَادٍ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَالٍ وَ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ: أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ فِي حَيَاتِهِ: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ نَاقِشًا لِعَهْدِ اللَّهِ مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرْ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ وَ تَوَلَّوْا عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَ أَظْهَرُوا الْفُسَادَ وَ عَطَّلُوا الْحُدُودَ وَ اسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ وَ أَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ وَ حَرَّمُوا حَلَالَهُ، وَ إِنِّي أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ لِقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ أَتَيْتَنِي كُتُبُكُمْ وَقَدِمْتَ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِيَعْتِكُمْ أَنْكُمْ لَا تُسَلِّمُونِي وَلَا تَحْدِلُونِي، فَإِنْ وَفَيْتُمْ لِي بِيَعْتِكُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ حَظَّكُمْ وَ رُشْدَكُمْ وَ نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ وَ أَهْلِي وَ وُلْدِي

مَعَ أَهَالِيكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَلَكُمْ فِي أُسُوءَةٍ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَقَضَّيْتُمْ عَنْهُدُكُمْ وَ خَلَعْتُمْ بَيْتَكُمْ فَلَعَمْرِي مَا هِيَ مِنْكُمْ بِنُكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَ ابْنِ عَمِّي وَ الْمُغْرُورَ مِنْ اغْتَرَّ بِكُمْ، فَحَظَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ وَ نَصَبَكُمْ ضَيَّعْتُمْ فَمَنْ نَكثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ سَيُغْنِي اللَّهُ عَنْكُمْ، وَ السَّلَامُ“^{١٥}.

فإصابة السنة حتمت على الإمام الحسين (عليه السلام) القيام بوجه الحكم الأموي الذي استحل حرمة الله ونكث عهوده وخالف سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإتمام الحجة على من يريد الجهاد في سبيل الله ، فقد صرح الإمام الحسين (عليه السلام) في وصيته التي كتبها وسلمها لأخيه محمد بن الحنفية بذلك صراحة، إذ كتب فيها: ”بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ الْمُعْرُوفِ بِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ، أَنَّ الْحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي (صلى الله عليه وآله) أَرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمُعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، وَهَذِهِ وَصِيَّتِي يَا أَخِي إِلَيْكَ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ“^{١٦}.

كذلك حديثه مع أصحابه في ليلة العاشر من محرم وجمع الإمام الحسين (عليه السلام) أصحابه في تلك العشية، إذ قال لهم: أما بعد ... فإنِّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وإنِّي أظنُّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنِّي قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حل، ليس عليكم



مَنِّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله، فإنّ القوم إنّما يطلبوني، ولو قد أصابوني هوا عن طلب غيري^{١٧}، وبعدما سمع اصحابه حديثه ﷺ رفضوا جميعهم مفارقتة، فقال أحد أصحابه وهو متحمّس محتسب فادّ بنفسه لابن رسول الله: «لا والله يا ابن رسول الله، لا نخليك أبداً، حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا فيك وصية رسوله محمد ﷺ، ولو علمت أنّي أقتل فيك، ثم أحيى، ثم أحرقت، ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حماك، وكيف لا أفعل وإنّما هي قتله واحدة، ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً»^{١٨}

فيزيد بن معاوية كان عازماً على محو الإسلام وقلع جذوره، فقد أعلن الكفر والفسوق حال تربيته على كرسي الخلافة الإسلامية حين قال :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^{١٩}

ثالثاً: الجانب الثالث : مكانة ومنزلة شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

عندما نقرأ ونطلع على حجم التضحيات على مر العصور في التاريخ القديم والحديث للشخصيات المختلفة، هل نجد شخصية كشخصية الإمام الحسين عليه السلام ضحت من أجل كرامة الانسان وبقاء الدين الإسلامي في المسار الصحيح بعيداً عن الانحراف، فقد ضحى بلا حدود ولا مثيل له في التاريخ، فقد خصّ الرسول الأعظم حفيديه الحسن والحسين بأوصاف تنبئ عن عظم منزلتهما لديه، فهما ريجانتاه من الدنيا وريجانتاه من هذه الأمّة، وهما خير أهل الأرض، وسيّد شباب أهل الجنّة، وإمامان إن قاما أو قعدا، وهما من أهل البيت ﷺ التي لا تفرق عن القرآن الى يوم القيامة، ولن تضلّ أمّة تمسكت بهما، وقد استفاد الحديث عن مجموعة من أصحاب الرسول ﷺ أنّهم قد سمعوا مقالته فيما يخصّ الحسين 'مجموعة من أصحاب الرسول ﷺ أنّهم قد سمعوا مقالته فيما يخصّ الحسين'

«اللهم إنك تعلم أنني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما»^{٢٠}.

ولا بد أن نعلم بأن الله سبحانه هو خالق الكون ومليك السماوات والأرض، وييده الأمر، وأنه يرفع من يشاء ويضع من يشاء، وأن من تمسك بحبله رفعه، ومن ترك حبله وضعه.

ومن المعلوم أن الحسين (عليه السلام) تمسك بحبل الله فرفعه، وأخلص العمل له فأخلص الله له ودّ المؤمنين، وجعل له في قلب كل مسلم حرارة. وقديماً عندما خلق الله تقدّست أسماؤه آدم وأسكنه الجنة، رأى آدم ما رأى حول العرش من الأنوار، ثم علّمه جبرائيل تلك الأسماء والكلمات، ونطق بها، وأقسم على الله عز وجل بتلك الكلمات والأنوار الخمسة، ... «فلما ذكر الحسين سالت دموعه وأنخس قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ قال جبرئيل: ولذلك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصرٌ ولا معين ... فبكى آدم وجبرئيل بكاء الشكلى»^{٢١}.

وهكذا فإن مكانة الإمام الحسين (عليه السلام) تكمن في أنه كان مخلصاً صفيّاً، فهو (عليه السلام) لو كان يمتلك ألف ابن مثل عليّ الأكبر (عليه السلام)، وكان عليه أن يضحي بهم في لحظة واحدة، لما تردّد في فعل ذلك لأنه جرّد نفسه عن أهوائه، رغم أنّه (عليه السلام) كان يحب عليّ الأكبر حبّاً لا حدّ له، حبّاً لا يمكن أن يضمّره أيّ أب لابنه، لأنّ عليّاً الأكبر كان أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلقاً وخلقاً، ومع ذلك فإن حبّ الحسين (عليه السلام) لله تعالى كان أشدّ كما يقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^{٢٢}.

إن الإمام الحسين (عليه السلام) عندما وقف في عرفة وقرأ ذلك الدعاء الخالد الذي هو - بحق - كنزٌ من كنوز الرحمة، وموسوعة توحيدية كبرى، فإنّه قد جسّد فقرات هذا الدعاء في كربلاء. فهو عندما قال وهو متوجّه إلى الله جل

جلاله : « إلهي ماذا فقد من وجدك وماذا وجد من فقدك »^{٢٣}، وقد عظمه الله في الدنيا والآخرة، وتجلّى هذا التعظيم الربّاني للحسين (عليه السلام) قبل ولادته، وبعد ولادته، وقبل استشهاده، وبعد استشهاده، وفيما أدناه بعض الأدلة التي تدعم هذا التعظيم:

١- إنّ الله عز وجل هو الذي سمّى الحسين (عليه السلام) حُسيناً، واشتقه من اسمه المبارك: «ذو الإحسان» وهناك روايات متعددة تبين هذه الحقيقة، وحسبنا هنا برواية واحدة، فعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): «لما خلق الله عز وجل آدم ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، وزوّجه حواء أُمته، فرفع طرفه نحو العرش فإذا هو بخمسة سطور مكتوبات، قال آدم: يارب من هؤلاء؟ قال الله عز وجل له: هؤلاء الذين إذا تشفّع بهم إليّ خلقي شفّعتهم، فقال آدم: يارب بقدرهم عندك ما اسمهم؟ قال تعالى: أما الأوّل: فأنا المحمود وهو محمد، والثاني: فأنا العالي وهو عليّ، والثالث: فأنا الفاطر وهي فاطمة، والرابع: فأنا المحسن وهو الحسن، والخامس: فأنا ذو الإحسان وهو الحسين، كلّ يحمّد الله عزّ وجل»^{٢٤}.

٢- أخبر الله عز وجل بقتل الحسين (عليه السلام) قبل ولادته: فعن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: «لما حملت فاطمة (عليها السلام) بالحسين جاء جبرائيل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إن فاطمة ستلد غلاماً تقتله أُمّك من بعدك...»^{٢٥}.

٣- من مصاديق التعظيم أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان يحدث بذلك منذ طفولته، فعن حذيفة بن اليمان قال: سمعت الحسين بن عليّ يقول: «والله ليجمعن عليّ قتلي طغاة بني أمية، ويقدمهم عمر بن سعد» وكان ذلك في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت له: أنبأك بهذا رسول الله؟ قال: لا. قال: فأتيت النبي فأخبرته فقال: علمي وعلمه وعلمي لأننا نعلم بالكائن قبل كينونته»^{٢٦}.

٤- كذلك من تعظيم الله تعالى للحسين (عليه السلام) بعد ولادته: أن جبرائيل (عليه السلام) كان يناغيه في مهده ويسلّيه، فعن طاووس اليماني: إن جبرائيل (عليه السلام) نزل يوماً فوجد فاطمة الزهراء (عليها السلام) نائمة، والحسين في مهده يبكي، فجعل يناغيه ويسلّيه حتى استيقظت، فسمعت من يناغيه فالتفت فلم تر أحداً فأخبرها النبي (صلى الله عليه وآله) أنه كان جبرائيل (عليه السلام) ^{٢٧}

٥- ومن شواهد تعظيم الله عز وجل للحسين (عليه السلام) قبل استشهاده، أن القتل كُتب عليه وعلى أصحابه معاً، وأن أصحابه معروفون قبل واقعة كربلاء بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً، وإلى ذلك أشار عندما عُنّف ابن عباس على تركه للإمام الحسين (عليه السلام) وعدم اشتراكه معه في مواجهة الأعداء فقال: (إن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم) ^{٢٨}، وقال محمد بن الحنفية: (وإن أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم) ^{٢٩}.

٦- وكانت الخطوة اللاحقة للتعظيم الإلهي للحسين (عليه السلام)، هي جعل الإمامة في ولده تعويضاً له عن القتل، وفي هذا المعنى جملة روايات نذكر منها ما يلي: عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد يقولان: إن الله تعالى عوّض الحسين (عليه السلام) عن قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائره جائئاً وراجعاً (من عمره...) ^{٣٠}.

٧- لم يقتصر تعظيم الله تعالى للحسين (عليه السلام) في الدنيا بإعلاء ذكره، بل عظمه في الآخرة أيضاً، بجعله سيد شباب أهل الجنة، وقرط عرشه، فعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ^{٣١}.

الخاتمة

إن كل صلاة يصلّيها مسلم على وجه الكرة الأرضية، هو مدين لهذه الشخصية العظيمة التي أنقذت الدين الإسلامي بدماؤها الزكية، والمقولة المعروفة (الإسلام محمدي الوجود وحسيني البقاء) التي تبين أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي امتداد للرسالة المحمدية، فلو لم يكن الإمام الحسين عليه السلام، ولو لم تكن واقعة، الطف لكان الإسلام اسمه موجود وحقيقته مفقودة، ولأصبح كبقية الأديان السماوية الموجودة الآن ليس له من الحق إلا الاسم، فهذه المقولة لها واقع حقيقي ملموس ممتد من قوله ﷺ

«حسين مني وأنا من حسين»، وبهذا تتجلى لنا الأهمية الكبرى لدور الإمام الحسين عليه السلام في الحفاظ على الإسلام، بل إن «عاشوراء قد كشفت عن وحدة وجودية لا انفكاك لها بين الإسلام المحمدي الخالص وبين الحسين عليه السلام، فصارت الدعوة إلى هذا الإسلام هي عين الدعوة إلى الحسي عليه السلام وبالعكس، وصارت مواجهة هذا الإسلام ومعاداته هي عين مواجهة الحسين عليه السلام ومعاداته وبالعكس، وصار بقاء هذا الإسلام بعد كربلاء بقاء عاشوراء الحسين عليه السلام، وهذا لا يعني عدم تحقق هذه الوحدة الوجودية بين الإسلام المحمدي الخالص وبين سائر أئمتنا عليه السلام، بل يعني أن المميزات الفريدة للدور الحسيني جعلت الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام من خلال عاشوراء عنوان بقاء الإسلام والحفاظ عليه نقياً كما هو «ومن هنا نفهم لماذا حظيت شخصية الإمام الحسين عليه السلام، وتاريخ النهضة الحسينية بكل هذا الاهتمام الكبير وهذه العناية الفائقة من قبل المسلمين خاصة، بل حتى من قبل غير المسلمين، حتى أن الكتب والدراسات التي ألفت بلغت آلاف الكتب في سيرة الإمام الحسين عليه السلام العطرة والمباركة، وفي نهضته للحفاظ على الدين الإسلامي المحمدي، وفي طبيعة استشهاده وفي وفاء أنصاره، وفي آثار ثورته

السياسية والاجتماعية والأدبية، وفي الأبعاد الأخرى الكثيرة المتعلقة بهذه السيرة المقدسة، وهذا عدا المخطوطات التي لم تنزل مجهولة المكان، خافية عن أعين أهل التبّع والتحقيق، وعدا كثيراً من الكتب والمقالات التي هي تحت الطبع أو قيد التأليف.

وختاماً يستنتج الباحث أن إشكالية المعرفة في فهم كنه شخصية الإمام الحسين عليه السلام وجوهرها الحقيقي ما تزال قائمة ولا نعرفها نحن البشر العاديون حتى ظهور القائم الحجة عليه السلام، فما نعرفه عن هذه الشخصية العظيمة لا يتعدى الشيء اليسير جداً، فلا يعلم مكانتها وجوهرها الحقيقي إلا الله سبحانه وتعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام.



الهوامش

- ١ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣ - الصفحة ١٤
- ٢ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٥٢٨
- ٣ - مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول المؤلف: العلامة المجلسي الجزء: ١٨: صفحة ٣٠١:
- ٤ - سورة الرعد- الآية ٣٩
- ٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: الجزء (٤) رقم الصفحة (١٧٣)
- ٦ - سورة الاحزاب- الآية ٣٣
- ٧- الامام الحسين (عليه السلام)، سماته وسيرته، السيد محمد رضا الحلالي، قم المقدسة ص ١٨ - ١٩
- ٨ - سورة الاسراء أية ١٩
- ٩ - بحار الأنوار -: العلامة المجلسي المجلد: ١٠١ صفحہ: ٣٥٤
- ١٠ - ليلة عاشوراء في الحديث والأدب - الشيخ عبد الله الحسن - الصفحة ١١٦
- ١١ - بصائر الدرجات: ص ١١
- ١٢ - بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢٥
- ١٣ - كتاب الملهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص ٥٩ .
- ١٤ - المنافقين- الآية ٨
- ١٥ - بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) - لمجلسي: ٤٤ / ٣٨١
- ١٦ - بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) - المجلسي: ٤٤ / ٣٢٩
- ١٧ - واقعة الطف، ص ١٩٧. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٦١٨
- ١٨ - المصدر: الملهوف، ص ١٥٣. تظلم الزهراء، ص ٢١٦.
- ١٩ - تاريخ الطبري - الطبري - ج ٨ - الصفحة ١٨٨
- ٢٠ - ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) - ابن عساكر - الصفحة ١٣٥
- ٢١ - بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٤٥.
- ٢٢ - سورة البقرة - الآية - ١٦٥.
- ٢٣ - مفاتيح الجنان، دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة، ص ٢٧٣.
- ٢٤ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٧، ص ٤
- ٢٥ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٤٦٤
- ٢٦ - بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٨٦، ط ٣.

٢٧- الدمعة الساكبة في أحوال النبي ﷺ و العترة الطاهرة، بهبهاني، محمداقصر بن

عبدالكريم ،ص٣١

٢٨- مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٣ - الصفحة ٢١١

٢٩- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - ص ١٨٥

٣٠- أمالي الطوسي ج ١ ص ٣٢٤ وكان الرمز في المتن (مل) لكامل الزيارة.

٣١- دراسات وبحوث مؤتمر الامام الحسين (عليه السلام) (القسم الثاني)المجمع العالمي لأهل

البيت ﷺ ، طهران، ٢٠٠٤ ص ٢٨٣





المصادر:

- * القرآن الكريم
- * بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣ - الصفحة ١٤
- * الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٥٢٨
- * مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول المؤلف: العلامة المجلسي الجزء: ١٨ صفحة: ٣٠١
- * سورة الرعد - الآية ٣٩
- * مسند الإمام أحمد بن حنبل: الجزء (٤) رقم الصفحة (١٧٣)
- * سورة الأحزاب - الآية ٣٣
- * الإمام الحسين (عليه السلام)، سماته وسيرته، السيد محمد رضا الحلي، قم المقدسة ص ١٨ - ١٩
- * سورة الاسراء أية ١٩
- * بحار الأنوار -: العلامة المجلسي المجلد : ١٠١ ص : ٣٥٤
- * ليلة عاشوراء في الحديث والأدب - الشيخ عبد الله الحسن - الصفحة ١١
- * بصائر الدرجات : ص ١١
- * بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢٥
- * كتاب اللهوف في قتل الطفوف لابن طاووس: ص ٥٩ .
- * المناققين - الآية ٨٦.
- * بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) - المجلسي : ٤٤ / ٣٨١
- * بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) - المجلسي : ٤٤ / ٣٢٩
- * واقعة الطف، ص ١٩٧. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٦١٨
- * المللهوف، ص ١٥٣. تظلم الزهراء، ص ٢١٦.
- * تاريخ الطبري - الطبري - ج ٨ - الصفحة ١٨٨
- * ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) - ابن عساكر - الصفحة ١٣٥
- * بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٤٥.
- * سورة البقرة - الآية - ١٦٥.
- * مفاتيح الجنان، دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة، ص ٢٧٣.
- * بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٧، ص ٤
- * الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٤٦٤
- * بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٨٦، ط ٣.
- * الدمعة الساكبة في أحوال النبي (صلى الله عليه وآله) و العترة الطاهرة، بهبهاني، محمد باقر بن عبد الكريم، ص ٣١
- * مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٣ - الصفحة ٢١١
- * بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - ص ١٨٥
- * أمالي الطوسي ج ١ ص ٣٢٤ وكان الرمز في المتن (مل) لكامل الزيارة.
- * دراسات وبحوث مؤتمر الإمام الحسين (عليه السلام) (القسم الثاني) المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، طهران، ٢٠٠٤ ص ٢٨٣

المسكوكة القرآنية المركبة مقاربة تداولية مدمجة في الخطاب الحسيني محطة الصفاح أنموذجاً

د. حامد معن عامر

وزارة التربية - بغداد

الملخص

يقوم البحث على قراءة جديدة للنصوص، ورصد تداخلها مع ما يسبقها من تلفّظات لسانيّة ذات تأثير بالغ في المتلقّي، فعملية توظيف تلك التلفّظات تأتي بمستويات متعدّدة منها المتلازمات المعجميّة التي تتجسّد بأنماط متعدّدة منها المسكوكات القرآنية، وهو مصطلح ينتمي إلى المدرسة اللسانية العراقيّة المعاصرة، وقد جعل له أنماطاً متعدّدة، ويحيى هذا البحث ليضيف نوعاً جديداً من المسكوكات تحت مسمّى المسكوكات المركّبة، وسعى إلى البحث إلى الانتقال من النظرية إلى التطبيق الإجرائي لهذه الإضافة عبر مراقبة نصّ مقدّس صدر من الإمام الحسين (عليه السلام) سكّ فيه آيتين قرآنيّتين مباركتين من سورتين مختلفتين؛ مركّباً بينهما على نحوٍ متلازم، وقد قُسم البحث على قسمين؛ أوّلها نظريّ عرض فيه الباحث تنظيراً إلى معنى التلازم المعجميّ وأنماطه ومسوّغات تنميّط المسكوكة المركّبة، وثانيهما إجرائي لتمثيل ذلك التنظير وإيجاد مصاديقه في الخطاب، وأتبع البحث بعد ذلك بخاتمة تضمّنت أهم النتائج.



القسم الأول : الإطار النظري:

غيّرت المقولات التداولية^١ - على اختلاف مناشئها - وجهة المناهج اللسانية، ونتائجها المعنوية في العقود الزمنية الأخيرة من التاريخ المعرفي الإنساني، فمن جهة غيّرت وجهة المنهج التحليلي من البحث في أنظمة اللغة إلى البحث في استعمال اللغة؛ أي إنّها لم تعد معنيّة بالإطار النظري للغات؛ محلّيها وكونيّها، بل سدّدت أنظارها نحو حركيّة اللغة في الاستعمال^٢.

ومن جهة أخرى غيّرت المقولات التداولية نتائج بحثها التحليلي من المستوى الدلاليّ إلى المستوى القصديّ المقاميّ؛ إذ ترى التداولية أنّ المؤثر في تحقيق نجاح التواصل، ومن ثمّ التفاعل؛ هو تقارب المقاصد بين طرفي الخطاب عبر الاستعانة بالمقام المحيط بالتلفظ المرسل وأخذه بالحسبان من لدن المرسل إليه (المُخاطَب)^٣.

من أجل ما سبق بات التحليل اللغويّ للتواصل اللفظيّ في المحاورات والكتابات والمسافهات البشرية يقوم على واحد من مستويين :

الأول منهما: حربي يقرب من حدود الدلالة المغلقة للمدوّنة.

والثاني منهما: حركيّ يراعي مقام المحادثة، ولكلّ تلقّ منها مقاصده التواصلية، وهو ما يسمّى في الدرس اللساني الحديث بـ «متضمّنات القول» التي تأتي على صنفين كلّ واحد منهما يطابق واحدًا من منوالي التلقّي، فالأول منهما يدخل في ضمن ما يعرف بـ «متضمّنات القول الدلالي Implicates semantics» أما الثاني فيدخل في ضمن «متضمّنات القول التداولي Implicates pragmatics» ويوضّح «موشلر» الفرق بينهما بقوله: متضمّنات القول الدلالية طبيعتها لسانية، بينما متضمّنات القول التداولية تخضع لقوانين الخطاب^٤.

وسنحاول في دراستنا هذه الإفادة من مفهوم المسكوكات اللفظية؛ بوصفها إحدى ظواهر المتلازمات المعجمية Collocations التي هي ((عبارة عن كلمتين أو مجموعة من الكلمات ترد مع بعضها بعضاً))^٥؛ لتكون ((ترابطات أثيرة تجمع بينها بنية تركيبية... تحقق وشائجها المركبة في تردد معين في الخطاب))^٦، وقد عرّف اللساني المعاصر ماكتوش هذه الترابطات الأثيرة بأنها ((الطريقة التي تتركب بها الكلمات في اللغة لإنتاج الكلام المنطوق والمكتوب بصورة طبيعية))^٧.

وبالمحصلة فالمراد بالمتلازمات المعجمية collocations هو: أنها تجمعات معجمية متواترة في الاستعمال، وحاملة وحدة دلالية محلية على تجربة الجماعة اللغوية، ومركبة - في الأقل - من مكونين متعاقبين فأكثر، للدلالة على معنى هذا التجمع أو ذاك^٨.

وتتكون بنية المتلازمات المعجمية من ثلاث ركائز رئيسية؛ هي:

١. الوحدة المعجمية المحورية Nodel Item :

هي الوحدة المعجمية المركزية لبنية المتلازمات المعجمية التي عليها يُقاس انجذاب الوحدات المعجمية الأخر إليها، فمثلاً الوحدة المعجمية (نبي) هي وحدة معجمية مركزية عليها يُقاس انجذاب الوحدات المعجمية الأخر من قبيل: معصوم، يوحى إليه، هادي، ناصح، شفيع... فهذه الوحدات المعجمية يُقاس انجذابها على الوحدة المعجمية (النبي) وليس العكس^٩.

٢. الوحدة المعجمية المتلازمة Collocate :

هي الوحدة المعجمية المنجذبة إلى الوحدة المعجمية المحورية Nodel Item، فالوحدات التي ذكرناها في الفقرة السابقة من قبيل: معصوم، يوحى إليه، هادي، ناصح، شفيع... هي عبارة عن وحدات معجمية متلازمة للوحدة المعجمية المحورية (نبي)^{١٠}.

٣. المدى التصاحبيّ Collocational range :

إنّ قوة انجذاب الوحدات المعجمية المتلازمة لا تكون على وتيرة واحدة، بل تتفاوت بدرجة قوتها في ذلك، ويدرس المعجميون هذا التفاوت في قوّة الانجذاب تحت عنوان (المدى التصاحبيّ Collocational range) و ((هذا المدى هو الذي يحدّد استعمالها المؤدّي للمعنى))^{١١}.

واستثارت ركيّزة « المدى التصاحبيّ Collocational range » في ذهنية الباحثين المعجميين موضوعة مهمّة وسمها أصحابها بـ «التلازم المعجميّ» وفقاً لدرجة الاستدعاء؛ ذلك ((أنّ ظاهرة المصاحبات المعجميّة لا تُعنى من أنواع السياق إلّا بالسياق اللغويّ أو السياق اللفظي « Verbal Context » أي بيان مجموعة الكلمات التي تنتظم معها الكلمة موضوع الدراسة، فكلمة «منصهر» مثلاً ترتبط مع مجموعة الكلمات: حديد - نحاس - ذهب - فضة ... ولكن ليس مع جلد^{١٢}، في مستواه التداولي غير المجازي، وتصل درجة الترابط بين اللفظين المتصاحبين إلى مستوى وطيء؛ فإذا ذكّر أحدهما استدعى صاحبه - على الفور - يمثل نمطاً للمصاحبات، وفي مقابل ذلك توجد مفردات مصاحباتها مفتوحة، إذ تكون فيها درجة الاستدعاء بين الألفاظ المتصاحبة أقلّ من غيرها، ومع ذلك تبقى مقبولة في الاستعمال اللغويّ؛ فتعدّ هذه المصاحبات نمطاً آخر باللحاظ نفسه، وتقلّ درجة التوقّع في مصاحبات آخر حتى تصل إلى درجة لا تُقبَل في الاستعمال اللغويّ، وتمثّل هذه المصاحبات النمط الثالث بلحاظ قوة الاستدعاء))^{١٣}.

واستناداً إلى التفاوت في درجات الاستدعاء بين ركيّزَي الوحدة المعجمية المتلازمة Collocate و المدى التصاحبيّ Collocational range، صار التلازم على ثلاثة مستويات، هي :

١. المتلازمات ذات النمط الوطيد .

٢. المتلازمات ذات النمط الوسيط .

٣. المتلازمات ذات النمط البسيط^{١٤} .

وما نريده من المتلازمات المعجميّة Collocations هو النمط الأول؛ أي التلازم الوطيد، الذي استثمر حضوره اللساني المعاصر مشتاق عباس معن في تداول آيات القرآن الكريم في استعمالات المتخاطبين؛ قديمًا وحديثًا؛ ليجترح مصطلحًا إجرائيًا ينبع من حاضنة النظرية المعجمية، وبالتحديد مقولة « المتلازمات المعجميّة Collocations »، وسمه بـ « المسكوكات القرآنيّة » . وأراد اللساني المعاصر معن باجتراحه هذا: أنّها متوالية تلفظية تألفت من مصاحبات تجميعيّة ثابتة؛ لها مقتضى دلاليّ مقاميّ، وقد حدّدها بأربعة محدّدات لتقديم غايات تمييزية فاصلة؛ هي :

* متوالية تلفظيّة؛ لربطها بالتداولية والخطاب بعيدًا عن أنّها مدوّنة مغلقة .

* متوالية تجميعيّة؛ لربطها بالنظرية المعجمية التداولية لا التركيبية النظرية .

* الثابتة؛ لإبعاد تصوّر مراعاة النوع والكمّ في إشارات التواصل، فهي من الوحدات التركيبية محفوظة الرتب .

* مقتضى دلاليّ مقاميّ؛ لإبعادها عن دائرة السُنن اللسانية؛ وإدخالها في حركيّة التدليل الاستعماليّ .

علمًا أنّه لا يدخل في هذه الحاضنة ما قصده القدماء من الأمثال القرآنية؛ سواء أكانت الموسومة بـ « الأمثال القرآنية الصريحة » أم تلك التي قاربت مضامينها مضامين الأمثال العربية ممّا ذكرته المصادر القديمة؛ لأنّ تلك الآيات الكريمات غايتها غاية تسجيليّة وصفيّة يقاربون بها نسق الأمثال،

على حين أن الغاية من المسكوكات القرآنية ليست كذلك، بل هي مراقبة التعامل مع النصّ القرآني بمنواله التداولي، وبيان ما يتطلبه من دلالات جديدة تنسجم والمقام التخاطبي الجديد كي يحقق انفتاحاً دلالياً بحسب تعدّد المقامات التي يمكن أن يقال فيها^{١٥}.

ومما يلفت العناية القصوى: أن آيات جمّة من آيات الذكر الحكيم تصلح لأن تتحوّل إلى مسكوكات في التخاطبات المتنوّعة تجاري في ذلك المثل في التعاطي؛ وظيفة وتداولاً، ولكنها تفارقه في الشرائط والاستمرارية؛ فالمسكوكة - بلحاظ المثل - تُداول بقيمة حجاجيّة حاملة مشتركاً ثقافياً وحضارياً للجماعة اللغوية المتخاطبة، من قبيل ما ذكره الحسين بن الفضل في كتابه «الأمثال الكامنة في القرآن الكريم» جواباً عن متسائل مفترَض^{١٦}، ونحن نعلم أن آيات القرآن الكريم خصوصيّة التداول السريع كي تكون مسكوكات؛ بحكم ما تحمله من ثقافة مشتركة في المعجم الذهني لجميع المسلمين^{١٧}.

ومن خلال متابعتي لتراثنا الثرّ، ولا سيما التراث الحسيني، وجدت نمطاً جديداً من المسكوكات القرآنية الذي لم يشر إليه صاحب الأطروحة - أعني المسكوكة القرآنية -، فسعيت للتأسيس له وتحديد مفهومه؛ وبيان حدّه؛ كي يكون إسهامة معرفيّة متواضعة في المكتبة العربية على نحوٍ عام والقرآنيّة منها على نحوٍ خاصّ.

وملخص هذا النمط؛ هو تكوين بنية تخاطبيّة من أكثر من آية قرآنيّة مباركة، وجعلها في سياق تلفظي واحد؛ من أجل تحشيد أكبر قدر ممكن من البنيات اللفظيّة ذات الصبغة الإقناعيّة؛ فالخطاب على وفق تحديد ديکرو، إنّما يُنشأ كي نوثر ونقنع المخاطب بما نريد إيصاله عبر القنوات التواصلية^{١٨}.

وعلى هذا الأساس اقترحت وسم هذا النوع من الصياغات التخاطبيّة بـ «المسكوكة المركّبة»، واجترحت لها تعريفاً جامعاً، هو أن المسكوكة

المركبة: متواليّة تلفظيّة مركّبة مكوّنة من أجزاء آيات مختلفة؛ تسهم في تحقيق مقصدية إقناعيّة .

القسم الثاني : الإجراء التحليلي :

كان طريق الإمام الحسين عليه السلام نحو كربلاء المصير ذا محطات توقّف عندها المؤرّخون وأصحاب المقاتل؛ لأهميّة الحوار الذي دار فيها؛ لأنّ تفكيك الخطاب واحد من أهمّ الركائز التي يستند إليها المحلّل؛ تاريخيًّا، وسياسيًّا، وفكريًّا، وأدبيًّا ولغويًّا وغيرها، في تحليله.

من هنا جاءت متابعة المؤرخين وأصحاب المقاتل للخطاب الحسيني على مدى مسيرته نحو كربلاء، وسنقف عن (محطّة الصّفاح)^{١٩} التي تعدّ من المحطّات المتقدّمة في مسيرة الركب الحسيني؛ لاستحصلنا على نمط مختلف من المسكوكات القرآنيّة، اصطّلحنا عليه (المسكوكة المركّبة)، وهو نمط نادر في الخطابات العربيّة؛ لاحتياجه إلى مران ودربة في الصياغة ولا سيما في الصياغات الخطابية المعتمدة على العبارات القرآنية الكريمة .

(محطّة الصّفاح) محطّة مهمّة ارتسمت ملامحها على خطا ركب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وسنقف عند المسكوكات القرآنية التي استضافها الإمام عليه السلام؛ لتتعرف عن كثب مقاصدها العالية ودلالاتها المقصودة.

النص :

إذ روى الشيخ المفيد: في كتابه المهمّ (الإرشاد) مسير الإمام الحسين عليه السلام، ونقل عند وصوله (الصّفاح) أنّه التقى الشاعر الفرزدق، وجرت بينهما محاورّة هذا مضمونها :



روي عن الفرزدق أنه قال: ((حججت بأُمِّي في سنة ستين، فبينما أنا أسوق بغيرها حتى دخلت الحرم إذ لقيت الحسين عليه السلام خارجاً من مكة، معه أسيفه وأتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي عليه السلام، فأتيته وسلمت عليه، وقلت له: أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله! ما أعجلك عن الحج؟ قال: لو لم أعجل لأخذت، ثم قال لي: من أنت؟ قلت: امرؤ من العرب، فلا والله! ما فتّشني عن أكثر من ذلك، ثم قال لي: أخبرني عن الناس خلفك؟ فقلت: الخبير سألت، قلوب الناس معك وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء؛ فقال: صدقت، الله الأمر [من قبل ومن بعد] وكل يوم هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب [ونرضى] فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحق نيته والتقوى سريره؛ فقلت له: أجل، بلغك الله ما تحب، وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك، فأخبرني بها، وحرك راحلته وقال: السلام عليك، ثم افترقنا)).^{٢٠}

الإجراء التحليلي :

كان الخطاب الحسيني المبارك في هذه المحطة مبنياً على مسكوكة قرآنية ذات مرجعين قرآنيين، جمعهما الإمام الحسين عليه السلام بمقصدية عالية بقوله: (الله الأمر [من قبل ومن بعد] وكل يوم هو في شأن) .

تمثل الجزء الأول منها بقوله تعالى ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [سورة الروم / ٤] .

أما الجزء الثاني فتمثل منها بقوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة الرحمن / ٢٩] .

وقد كانت هذه المسكوكة المركّبة من آيتين مباركتين ردّاً عمليّاً على المسكوكة القرآنية التي تضمّنها خطاب الفرزدق، حينما قال (الخبير سألت، قلوب الناس معك وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء).

فالإمام الحسين عليه السلام خير بصناعة الكلام، ويعلم أنّ الفرزدق مقتدر على صناعة الكلام، وما يُطلّقه إشارة لا يخلو من مقصدية عالية ؛ لذا ردّ خطابه المنبني على المسكوكة القولية (والله يفعل ما يشاء)^{٢١} بخطاب مبني على مسكوكة قرآنية مركّبة ؛ تردّد على مسكوكة المخاطب مقصدها بما هو أعلى، وهو ما سنوضحه في التحليل الآتي.

وسنقف عند كلّ جزء من جزأي المسكوكة المركّبة؛ لنعي المقصد العالي الذي ابتغاه الإمام الحسين عليه السلام.

إذ استضاف الإمام الحسين عليه السلام قوله تعالى ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ قاصداً استدعاء السياق العام للآيات التي تحيط بهذه الآية المباركة، وهي قوله تعالى :

﴿الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بَنَصْرٍ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم : ١ - ٧]

تحدّث هذه الآيات المباركات عن قضية مهمّة من قضايا الإعجاز الغيبيّ الذي كان أحد أعمدة الإعجاز القرآنيّ؛ وذلك بالإخبار عمّا لا يطلع عليه إلّا علّام الغيوب، كالإخبار عما كان يضمّره المنافقون في قلوبهم، وعن انتصار النبيّ على أعدائه، وظهور الإسلام على الدّين كله، وعن رجوع

النبىؐ إلى مكة منتصرًا بعد إخراجه منها، وعما يحدثه أصحابه من بعده، وعن اليهود وطبيعتهم، وعن انتصار الروم على الفرس بعد بضع سنين من انتصار الفرس على الروم، والآيات التي نحن بصدها تشير إلى هذه الحادثة التي أجمع عليها الرواة والمفسرون .

وينقل المؤرخون والمفسرون المعنيون بالجوانب التاريخية في التفسير القصّة التي تتمحور حولها هذه الآيات، وملخصها أنّ فارس كانت على دين المجوسية، لا كتاب لها كالمشركين، وكانت الروم على دين النصارى، والنصارى أهل كتاب كالمسلمين، وفي عهد رسول الله ﷺ وقعت الحرب بين فارس والروم بأذرعات وبصرى من أرض الشام، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم في الشرك سواء، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنّ الطائفتين من أهل الكتاب، وجاءت الأخبار بانتصار الفرس على الروم، فشق ذلك على المسلمين، وفرح المشركون، وقالوا للمسلمين: إن الفرس الذين لا كتاب لهم غلبوا الروم أصحاب الكتاب، وأنتم ترعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فنحن لا كتاب لنا، وسنغلبكم كما غلب الفرس الروم، فنزلت هذه الآيات، وما مضت تسع سنين حتى أظهر الله الروم على الفرس، وفرح المسلمون، وحزن المشركون .

وهنا يكمن سر الإعجاز؛ إذ أخبر القرآن الكريم بشكل جازم عن استئناف الحرب بين الروم وفارس، وحدد وقتها في بضع سنين، وأنّها تنتهي بانتصار الروم على فارس، فكان كما قال ، وهذا الغيب المحجوب لا يعلمه إلا الله وحده .

﴿لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ قبل النصر وبعده، وإليه وحده ترجع الأمور ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ يفرح المسلمون يوم تظهر الروم على فارس ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾، إذا تقاتل اثنان يتصر من يملك أسباب

النصر على الذي لا يملكها؛ محققاً كان أو مبطلاً، وأسند سبحانه النصر إليه لأنَّ جميع الأسباب الكونيّة تنتهي إليه تعالى بالنظر إلى أنّه خالق الكون وما فيه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ينتقم من الظالم، ويرحم المظلوم .

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بعد أن أخبر سبحانه عن الغيب المحجوب، وهوانتصار الروم على فارس أكد بأن ذلك واقع لا محالة، ولكن من لا يؤمن بالله كيف يؤمن بوعده ؟ وهذا التأكيد القاطع أصدق شاهد على أن القرآن الكريم وحي من الذي يتساوى لديه علم الغيب والشهادة، ولو حصل الخلف بالوعد لاتخذ منه أعداء الرسول الأعظم ﷺ ذريعة للطعن بصدقه ورسالته ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

الدنيا وأحوالها من عالم الشهادة، والآخرة وأحوالها من عالم الغيب، وبداهة أنّ عالم الشهادة يدرك بالحواس، أمّا عالم الغيب فلا يدرك إلاّ بطريق الوحي، وهم لا يؤمنون به، فمن أين يأتيهم العلم بالآخرة ؟ ٢٢ .

ويراد من هذه المسكوكة القرآنيّة المستضافة في الخطاب الحسيني، أمران مهمّان، وجّههما إلى المخاطب المركزي ؛ أعني الفرزدق ، ولعموم من يطّلع على الخطاب الحسيني هذا، وهما :

* إنّ الغيب معقود بمشيئة الله تعالى .

* إنّ النصر معقود بالمؤمنين لا محالة، وليس المقصود بالنصر هو النصر المادي فحسب، بل المعنوي كذلك .

وهو الردّ ذو المقصد العالي الذي وجّهه الإمام الحسين عليه السلام للمخاطب المركزي (الفرزدق).

أما الجزء الثاني من المسكوكة المركّبة في الخطاب الحسيني، فتمثّلت بقوله تعالى من سورة الرحمن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ .

وسياقها العام هو قوله تعالى :

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ١٤ ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ ١٥ ﴿ فَبَايَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ١٦ ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ ١٧ ﴿ فَبَايَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ١٨ ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ١٩ ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ ٢٠ ﴿ فَبَايَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ٢١ ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْزُ وَالزَّجَانُ ﴾ ٢٢ ﴿ فَبَايَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ٢٣ ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ ٢٤ ﴿ فَبَايَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ٢٥ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ٢٦ ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ٢٧ ﴿ فَبَايَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ٢٨ ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ٢٩ ﴿ فَبَايَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٤ - ٣٠].

إن هذه الآيات المباركات من سورة الرحمن يصفن بجلاء قدسيّ أهمّ النعم التي أنعم الله بها على خلقه ؛ إذ يستفاد من توالي ذكر هذه النعم بوضوح من الآيات القرآنية المختلفة حول مبدأ خلق الإنسان، إنّه كان من التراب ابتداءً، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [الحج: ٥]، ثمّ خرج مع الماء وأصبح طيناً. ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأنعام: ٢]، ثمّ أصبح بصورة طين خبيث الرائحة ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٨]، ثمّ أصبح مادّة في حالة لاصقة ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١]، ومن ثمّ يتحوّل إلى حالة يابسة ويكون من (صلصال كالْفَخَار) كما ذكر في الآية مورد البحث ... ومن الواضح أنّ هذه التعابير تبين حقيقة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمور التربوية للإنسان، إذ إنّ المادّة الأوّلية في خلق الإنسان هي مادّة لا قيمة لها، ومن أحقر المواد على الأرض، إلّا أنّ الله تعالى قد خلق من تلك المادّة الحقيرة مخلوقاً ذا شأن، بل يمثل قمّة المخلوقات على وجه الأرض، فالقيمة الواقعيّة للإنسان تكمن في الروح



الإلهية (النفخة الربانية) فيه، التي ذكرت في الآيات القرآنية الأخرى (كما في سورة الحجر / ٢٩)، وذلك ليعرف الإنسان قيمته الحقيقية في عالم الوجود ويسير في طريق التكامل على بينة من أمره... ثم يتطرق سبحانه لخلق الجن فيقول جلّ جلاله: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾... وعلى كلّ حال، فإن أكثر الموجودات التي نتحدث عنها هي: الماء والتراب والهواء والنار، سواء كانت هذه الموجودات عناصر بسيطة كما كان يعتقد القدماء، أو مركبة كما يعتقد العلماء اليوم، ولكن على كلّ حال فإنّ مبدأ خلق الإنسان هو الماء والتراب، في حين أنّ مبدأ خلق الجن هو الهواء والنار، وهذا الاختلاف في مبدأ خلق هذين الموجودين مصدر اختلافات كثيرة بين هذين المخلوقين. وبعد أن تحدّث عن النعم التي كانت في بداية خلق الإنسان يكرّر تعالى قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وفي الآية اللاحقة يستعرض نعمة أخرى؛ إذ يقول سبحانه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾... بما أنّ الشمس في كلّ يوم تشرق من نقطة وتغرب من أخرى، وبعدد أيام السنة لها شروق وغروب، ولكن نظراً للحدّ الأكثر من الميل الشمالي للشمس والميل الجنوبي لها، ففي الحقيقة أنّ للشمس مشرقين ومغربين والبقية بينهما.

إنّ هذا النظام الذي هو سبب وجود الفصول الأربعة له فوائد وبركات كثيرة، ويؤكد ويكمّل ما مرّ بنا في الآيات السابقة؛ وذلك لأنّ الحديث كان عن حساب سير الشمس والقمر، وكذلك عن وجود الميزان في خلق السماوات، وإجمالاً فإنّه يبيّن النظام الدقيق للخلقة وحركة الأرض والقمر والشمس، وكذلك فإنّه يشير إلى النعم والبركات التي هي موضع استفادة الإنسان... وعلى كلّ حال فإنّ الله تعالى يؤكّد هذه النعمة بعد نعمة خلق الإنس والجن بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾... واستمراراً لشرح النعم الإلهية يأتي الحديث هنا عن البحار، ولكن ليس عن خصوصيات البحار

بصورة عامّة، بل عن كيفية خاصّة ومقاطع معيّنة منها تمثل ظواهر عجيبة وآية على القدرة اللامتناهية للحقّ، بالإضافة إلى ما فيها من النعم التي هي موضع استفادة البشرية... ومرة أخرى يخاطب الله تعالى عباده في معرض حديثه عن هذه النعم؛ إذ يسألهم سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾... واستمراراً لهذا الحديث يقول عزّ وجلّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ اللؤلؤ والمرجان: وسيلتان للتجميل والزينة، ويستفاد منهما أيضاً في معالجة بعض الأمراض، كما أنّهما ثروة تجارية أيضاً ووسيلة جيّدة للربح الوفير، ولهذه الموارد أشير إليهما كنعمتين إلهيتين للعباد.

وبعد ذكر كلّ هذه النعم يقول الباري جلّ شأنه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٣٠].

أي إنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه، ولكن كيف يمكن أن يكون الفناء نعمة؟ وللجواب على هذا السؤال نذكر ما يلي: يمكن ألا يكون المقصود بالفناء هنا هو الفناء المطلق، وإنّما هو الباب الذي يطلّ منه على عالم الآخرة، والجسر الذي لا بدّ منه للوصول إلى دار الخلد، بلحاظ أنّ الدنيا بكلّ نعمها هي سجن المؤمن، والخروج منها هو التحرر من هذا السجن المظلم، أو أنّ النعم الإلهيّة الكثيرة - المذكور سابقاً - يمكن أن تكون سبباً لغفلة البعض وإسرافهم فيها بأنواع الطعام والشراب والزينة والملابس والمراكب وغير ذلك، ممّا يستلزم تحذيراً إلهياً للإنسان، بأنّ هذه الدنيا ليست المستقرّ، فالحذر من التعلّق بها، ولا بدّ من الاستفادة من هذه النعم في طاعة الله... إنّ هذا التنبيه والتذكير بالرحيل عن هذه الدنيا هو نعمة عظيمة.



والضمير في (عليها) يرجع إلى الأرض التي ورد ذكرها في الآيات السابقة، بالإضافة إلى القرائن الأخرى الموجودة؛ لذا فهو واضح، كما أن المقصود (من عليها) هم الجنّ والإنس مع العلم أن بعض المفسرين احتملوا أن الحيوانات والكائنات الحيّة جميعاً مشمولة بهذا المعنى، وبما أن كلمة (من) تستعمل غالباً للعقل؛ لذا فالمعنى الأول هو الأنسب، صحيح أن مسألة الفناء لا تنحصر بالإنس والجنّ فقط، ولا تختصّ بالكائنات الموجودة على الأرض فحسب؛ إذ يصرّح القرآن الكريم بأن أهل السماء والأرض جميعاً يفنون، وذلك في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ولكن لما كان الحديث يدور حول أهل الأرض؛ لذا فهم المقصودون... ثم يضيف سبحانه: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: نعم، إن خلقه مستمر، وإجاباته لحاجات السائلين والمحتاجين لا تنقطع، كما أن إبداعاته مستمرة فيجعل الأقسام يوماً في قوّة وقدره، وفي يوم آخر يهلكهم، ويوماً يعطي السلامة والشباب، وفي يوم آخر الضعف والوهن، ويوماً يذهب الحزن والهمّ من القلوب وآخر يكون باعثاً له، وخلاصة الأمر أنّه في كلّ يوم - وطبقاً لحكمته ونظامه الأكمل - يخلق ظاهرة جديدة وخلقاً وأحداثاً جديدة، والالتفات إلى هذه الحقيقة من جهة يوضّح احتياجاتنا المستمرة لذاته المقدّسة، ومن جهة أخرى فإنّه يذهب اليأس والقنوط من القلوب، ومن جهة ثالثة فإنّه يلوي الغرور ويكسر الغفلة في النفوس؛ نعم، إنّ سبحانه له في كلّ يوم شأن وعمل، وعلى الرغم من أن بعض المفسرين ذكروا قسماً من هذا المعنى الواسع تفسيراً للآية، إلّا أن البعض ذكر في تفسيرها أنّها مغفرة الذنوب، وذهاب الحزن، وإعزاز أقوام وإذلال آخرين فقط، والبعض الآخر قال: إنّها مسألة الخلق والرزق والحياة والموت والعزّة والدلّة فقط، والبعض الآخر عنون مسألة الخلق والموت بالنسبة للإنسان وقال: إنّ لله جيوشاً ثلاثة: جيشاً يتنقل من أصلاب الآباء

إلى أرحام الأمّهات، وجيشًا يخرج إلى عالم الدنيا من أرحام الأمّهات، وجيشًا يساق من عالم الدنيا إلى القبور.

وكما قلنا فإنّ للآية مفهوماً واسعاً يشمل كلّ خلق جديد وخلق جديد، ويشمل كلّ تغيير وتحول في هذا العالم^{٢٣}.

ونقرأ في حديث آخر للرسول الأكرم ﷺ في تفسيره الآية الكريمة: ((من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين))^{٢٤}.

ولربما كان في ضمن المقاصد الخفية التي أراد الإمام الحسين (عليه السلام) أن يشير إليها؛ أنّ وجوده المبارك هو أحد النعم الربّانية الكبرى التي أنعم الله بها على الخلق أجمعين، ففي ضمن التفسيرات المعهودة عن جلّ الصحابة أنّ الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا من مصاديق هذه الآيات المباركات؛ إذ نقل الشيخ الطبرسي في تفسيره عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري أنّ البحرين علي وفاطمة، بينهما برزخ محمد ﷺ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين (عليهما السلام) ولا غر وأن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما فإن البحر إنّما يسمّى بحرًا لسعته، وقد قال النبي ﷺ لفرس ركه وأجراه فأحمده ((وجدته بحرًا)) أي كثير المعاني الحميدة^{٢٥}.

وهذه المقصديّة هي بمثابة الخطاب الضاغط على ذهنية المستمع ومشاعره؛ من أجل تحقيق الاتصال الفعّال بين طرفي الخطاب.

التائج :

١. أيد البحث فرضية : أن النص القرآني حيوي، وذو طبيعة متجددة، يفيد منه أهل كل زمان بما لديهم من معارف وصناعات لفظية .
٢. أكد البحث صلاحية مقولة (المسكوكات القرآنية) منهجاً تحليلياً ؛ للكشف عن مقاصد جديدة لا تكشف عنها المنظومة الدلالية ببعدها اللساني .
٣. طرح البحث مصطلحاً جديداً هو (المسكوكة المركبة)؛ وجعل من أنموذج تحاطبي حسيّ مصداقاً على حضوره في المنظومة اللسانية العربية .
٤. أثبت البحث أن أئمة أهل البيت عليهم السلام كجدّهم وأبيهم صلوات الله عليهما من أمراء البيان، ولا يعلو على خطابهم أي خبر في الصناعات اللفظية .

الهوامش

- ١- المدرسة التداولية تضمّ أكثر من منهج للكشف عن الاستعمال، سواء أكانت بغية المنهج الكشف عن مقاصد الاستعمال، أو الكشف عن تأثيراته المقنعة، أو الدمج بينهما، ينظر: التداوليات (علم استعمال اللغة): إعداد وتقديم: د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١١م.
- ٢- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د. محمود أحمد نحلة: ٧ وما بعدها، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١١م.
- ٣- ينظر: المصدر السابق نفسه: ١٧.
- ٤- الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية «مقاربة تداولية مدججة في ضوء علم الدلالة المقامي»: أ. د. مشتاق عباس معن: ٥، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.
- ٥- توارد المتلازمات اللفظية في المعاجم اللغوية العربية «لسان العرب» لابن منظور نموذجاً: د. عبد الرزاق بن عمر: ١٤٦، مجلة الدراسات المعجمية، الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، الرباط - المغرب، ع ٥، ٢٠٠٦م.
- ٦- المتلازمات المعجمية العربية في المعاجم الأحادية والثنائية: ذ. أمينة أودور: ٥٠، مجلة الدراسات المعجمية، الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، الرباط - المغرب، ع ٥، ٢٠٠٦م.
- ٧- نقلاً عن كتاب: المصاحبات المعجمية «المفهوم والأنماط والوظائف» بين الموروث العربي والمنجز اللساني: د. لواء العطية: ٧١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١٨م.
- ٨- المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.
- ٩- ينظر: المصاحبات المعجمية: ١١٦.
- ١٠- ينظر: الترجمة والمعنى «دليل التكافؤ عبر اللغات»: ملديد لارسون: ٢٤٢، ترجمة د. محمد محمد حلمي هليل، ط١، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٧م.
- ١١- المجال الدلالي ومعنى حرف الجرّ المصاحب له «دراسة تطبيقية على القرآن الكريم»: د. إبراهيم الدسوقي: ١، دار غريب، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ١٢- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي «مدخل لغويّ أسلوبي»: د. محمد العبد: ١١٣، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م.
- ١٣- المصاحبات المعجمية: ١٢٦ - ١٢٧.
- ١٤- ينظر تفاصيلها المفاهيمية: الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية: ٤٤ - ٤٥، وينظر: المتلازمات اللفظية في القاموس العربي الحديث «المعجم الوسيط» نموذجاً: د.

منية لحمامي : ٢٢٤، مجلة الدراسات المعجمية، الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، ع ٥،
ذو الحجة، ١٤٢٧ هـ يناير ٢٠٠٦ م .

١٥- الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية : ٥٣ .

١٦- الأمثال الكامنة في القرآن الكريم : الحسين بن الفضل : ينظر منه مثلاً ص ٢٦

- ٢٧، تحقيق : د. علي حسين البواب، مكتبة التوبة، الرياض، ط ١، ١٩٩٢ م .

١٧- الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية : ٥٤ .

١٨- ينظر : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية : د.

محمد طروس : ٢٠، دار الثقافة، ط ١، المغرب، ٢٠٠٥ م .

١٩- الصفاح، بكسر الصاد: موضع بين حنين وأنصاب الحرم، على مسيرة الداخل

إلى مكة من مشاش - معجم البلدان : ٣ / ٤١٢ .

٢٠- الإرشاد: ٢١٨، ووردت الرواية مع بعض التغيير في تأريخ الطبري، ينظر

منه: ٢٩٦، ٣ .

٢١- سورة آل عمران : ٤٠ .

٢٢- التفسير الكاشف : ٦ / ١٢٩ وما بعدها، وينظر : مجمع البيان، الطبرسي، ج ٨،

ص ٤٣-٤٥ ..

٢٣- الامثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج ١٣، ص ٤٤٢-٤٥٦ .

٢٤- مجمع البيان، الطبرسي : ٩ / ٣٣٨ ..

٢٥- تفسير مجمع البيان : ٩ / ٣٣٦ .



المصادر والمراجع :

- * القرآن الكريم .
- * إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي « مدخل لغويّ أسلوبي » : د. محمد العبد : ١١٣ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ م .
- * الأداء الصوتي للمسكوكات القرآنية « مقارنة تداولية مدججة في ضوء علم الدلالة المقامي » : د. مشتاق عباس معن ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٣ م .
- * الإرشاد : الشيخ المفيد ، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- * آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : د. محمود أحمد نحلة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠١١ م .
- * الأمثال الكامنة في القرآن الكريم : الحسين بن الفضل ، تحقيق : د. علي حسين البواب ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- * الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .
- * تأريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، د. ت .
- * التداوليات (علم استعمال اللغة) : إعداد وتقديم : د. حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١١ م .
- * الترجمة والمعنى « دليل التكافؤ عبر اللغات » : ملديرد لارسون ، ترجمة د. محمد محمد حلمي هليل ، ط ١ ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، ٢٠٠٧ م .
- * التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية : دار الأنوار ، بيروت - لبنان ، ط ٤ ، د. ت .
- * توارد المتلازمات اللفظية في المعاجم اللغوية العربية « لسان العرب » لابن منظور نموذجاً : د. عبد الرزاق بن عمر ، مجلة الدراسات المعجمية ، الجمعية المغربية للدراسات المعجمية ، الرباط - المغرب ، ع ٥ ، ٢٠٠٦ م .
- * المتلازمات اللفظية في القاموس العربي الحديث « المعجم الوسيط » نموذجاً : د. منية لحمامي ، مجلة الدراسات المعجمية ، الجمعية المغربية للدراسات المعجمية ، ع ٥ ، ذو الحجة ، ١٤٢٧ هـ يناير ٢٠٠٦ م .
- * المتلازمات المعجمية العربية في المعاجم الأحادية والثنائية : د. أمينة أودور ، مجلة الدراسات المعجمية ، الجمعية المغربية للدراسات المعجمية ، الرباط - المغرب ، ع ٥ ، ٢٠٠٦ م .
- * المجال الدلالي ومعنى حرف الجرّ المصاحب له « دراسة تطبيقية على القرآن الكريم » : د. إبراهيم الدسوقي : ١ ، دار غريب ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
- * المصاحبات المعجمية « المفهوم والأنماط والوظائف » بين الموروث العربي والمنجز اللسانيّ : د. لواء العطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٨ م .
- * مجمع البيان ، الطبرسي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط ٤ ، د. ت .
- * معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ط ٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥ م .
- * النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية : د. محمد طروس ، دار الثقافة ، ط ١ ، المغرب ، ٥٢٠٠ م .

تشكّل الهوية الحسينية وأثرها في التماسك المجتمعي

أ.د. عبد الباقي الخزرجي

الملخص

ثمة دهشة ومتاهة تدخل فيها عندما تواجه أي مفهوم متحرك وسائل وتشعر بأنك معه بحاجة إلى ضبط دلالي، ومن هنا يتوجب عليك الخروج من هذه المتاهة بوضع خارطة طريق وعلامات ودلائل واضحة تساعدك في الوصول إلى أهدافك.

التساؤلات:

انطلقت فكرة البحث من إثارة تساؤلات متنوعة حول تشكّل الهوية الحسينية وكيف نفهمها؟ وكيف تشكّلت؟ وما لونها؟ هل هي طائفية أم عربية أم اسلامية؟

وكيف تجسدت الهوية الحسينية؟ هل هي هوية ضائعة في الوقت الحاضر أم حاضرة؟

وكيف أثرت الطقوس الحسينية في تأصيلها؟

ما العلاقة بين الفكر الحسيني والهوية؟

كيف أثرت الهوية الحسينية في تحقيق التماسك المجتمعي؟

كيف نجحت الهوية الحسينية في نشر الوعي لتحقيق السلم الاجتماعي؟

الهوية الحسينية أسهمت في تحطيم الهويات الطائفية واستبدالها بهوية



الوطنية من جانب وربطها بالهوية الإسلامية من الجانب الآخر وخلق مستوى وعي مجتمعي ينسجم مع مبادئها وقيمها الأخلاقية والتربوية. كل هذه التساؤلات يحاول البحث مناقشتها بواقعية وبوضوح ويقدم التصورات لمعالجة هذه الإشكاليات وعلى وفق الرؤية التي انبثقت من المجتمع الحسيني الذي كان مثلاً يُحتذى به على مستوى تشكّل الهوية الحسينية في ذلك الوقت والتي ضمّت الهويات المتنوعة والمختلفة المشارب والأهواء والاتجاهات؛ ولكنها كلها ذابت وتماهت في تحقيق هوية إسلامية صافية ونقية أثبتت ذلك الإيمان من خلال التطبيق وليس النظرية.

فرضية البحث:

البحث يتحرك في منطقتين هما (الهوية الحسينية) و(التماسك المجتمعي)، وسوف يدرس البحث تأثير المنطقة المعرفية الأولى وهي الهوية الحسينية على الثانية وهي التماسك أو التعايش المجتمعي في العراق، والكل يعلم جيداً أنّ مفهوم التعايش مازال مفهوماً عائماً غامضاً في مقاصده، وهذا يعني عندما نتأمل ونحلل هذا المفهوم نجده يتحرك في دلالاته على وفق التأويل والفهم الشخصي لكل فرد في المجتمع وبحسب طائفته والقومية التي ينتمي إليها فضلاً عن انتمائه العرقي والاثني.

فالشيوعي له فهم خاص للتعايش المجتمعي، والسني له فهم خاص للتعايش المجتمعي، وكذلك الكردي يفهم التعايش بطريقته الخاصة، وأما الأقليات الأخرى في المجتمع العراقي فتفهم التماسك أو التعايش المجتمعي بطريقة مختلفة أيضاً، ومن هنا تأسست أهمية البحث في إثبات نجاح الهوية الحسينية في جمع المختلف وتجسير التواصل مع الجميع ومحاوله تشكيل هوية حسينية جامعة عابرة للطائفية والقومية والاثنية وربطها بالهوية الوطنية من جانب، وبالهوية الإسلامية من الجانب الآخر، فضلاً عن أثر الهوية الحسينية

بوصفها مهيمناً فكرياً وروحياً أضحت فعلاً سلوكياً على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع بفضل المقدمات الصحيحة التي تبدّت منها نتائج كبيرة تجسّدت في خلق مجتمع متماسكٍ مُحِبٍّ للسلام والخير.

وهنا سوف يقدم البحث مقارنةً بينيّة بين تشكّل الهوية الحسينية الأولى وأثرها في خلق مجتمع مثالي تجسّد في المجموعة الإنسانية التي كانت مع الإمام الحسين (عليه السلام) وشكّلت التأسيس للهوية الحسينية في ذلك العصر.



Abstract

There is astonishment and a maze that you enter when you encounter any moving and fluid concept and feel that you need semantic control with it. Hence, you must get out of this maze by developing a road map, clear signs and clues that will help you reach your goals.

Questions:

The idea of the research was started by raising various questions about the formation of the Hussein identity and how do we understand it? Is it a sectarian, Arab or Islamic identity? Is the Hussein identity embodied for us through the Hussein rituals only, or through the Hussein thought, or through both?

Did the Hussein identity affect the achievement of community cohesion? And then did you succeed in spreading awareness to achieve social peace, or did you fail in achieving these goals?

The Hussein identity contributed to destroying sectarian identities and replacing them with national identity on the one hand, linking it to Islamic identity on the other hand, and creating a level of societal awareness consistent with its moral and educational principles and values.

All of these questions the research attempts to discuss realistically and clearly, and presents visions to address these problems and in accordance with the vision that emerged from the Hussein community, which was an example to be emulated in terms of the formation of the Hussein identity in that society, which included diverse identities with different stripes, whims, and trends. But they all melted and blended into achieving a pure and pure Islamic identity that demonstrated that faith through application and not theory.

Research hypothesis:

The research moves in two areas: (Husseini identity) and (societal cohesion). The research will study the impact of the first cognitive area, which is Hussein identity, on the second, which is community cohesion or coexistence in Iraq. Everyone knows very well that the concept of coexistence is still a floating concept that is ambiguous in its purposes. This means when... As we contemplate and analyze this concept, we find that

its connotations move according to the personal interpretation and understanding of each individual in society and according to his sect and the nationality to which he belongs, as well as his racial and ethnic affiliation.

The Shiite has a special understanding of societal coexistence, the Sunni has a special understanding of societal coexistence, and the Kurd also understands coexistence in his own way. As for the other minorities in Iraqi society, they understand societal cohesion or coexistence in a different way, and from here the importance of research is established in proving the success of the Hussein identity by bringing together the different, bridging communication with everyone, and trying to Forming a comprehensive Hussein identity that crosses sectarianism, nationalism, and ethnicity and linking it to the national identity on the one hand and to the Islamic identity on the other side, in addition to the impact of the Hussein identity as intellectually and spiritually dominant. It has become a behavioral act at the level of the individual, family, and society, thanks to the correct premises from which great results have emerged, embodied in the creation of a cohesive, loving society. For peace and goodness.



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وبعد.

لا شك أن ثمة دهشة ومتعة تسيل إلى أعماق النفس عندما تلجُ مناطق الإبداع والجمال العلمي، وتكون هذه المناطق علامات وبراهين وأدلة في سُبُل العلم والمعرفة فضلاً عن كونها نقاطاً مضيئةً للتأهين في مجالات البحث العلمي، ومن فقد بوصلته المعرفية، كما جعل الله سبحانه وتعالى النجوم والكواكب آيات للسائلين والباحثين عن دروب الضوء والهداية في الحياة بوصفها أدلةً ثابتةً لا شك فيها.

ومن خلال رؤية افلاطون: عقلٌ يستقرئ الحق، وإرادةٌ تستقطبُ الخير، وحسٌ يستقطرُ الجمال، فثمة دهشة ومتاهة تدخلُ فيها عندما تواجه أي مفهوم متحرك وسائل، وتشعرُ بأنك معه بحاجة إلى ضبط دلالي، ومن هنا يتوجبُ عليك الخروج من هذه المتاهة بوضع خارطة طريق وعلامات ودلائل واضحة تساعدك في الوصول إلى أهدافك.

التساؤلات:

انطلقت فكرة البحث من إثارة تساؤلات متنوعة حول تشكّل الهوية الحسينية وكيف نفهمها؟ وكيف تشكّلت؟ وما لونها؟ هل هي طائفية أم عربية أم إسلامية؟

وكيف تجسدت الهوية الحسينية؟ هل هي هوية ضائعة في الوقت الحاضر أم حاضرة؟

وكيف أثرت الطقوس الحسينية في تأصيلها؟

ما العلاقة بين الفكر الحسيني والهوية؟

كيف أثرت الهوية الحسينية في تحقيق التماسك المجتمعي؟

كيف نجحت الهوية الحسينية في نشر الوعي لتحقيق السلم الاجتماعي؟
الهوية الحسينية أسهمت في تحطيم الهويات الطائفية واستبدالها بالهوية الوطنية من جانب، وربطها بالهوية الإسلامية من الجانب الآخر وخلق مستوى وعي مجتمعي ينسجم مع مبادئها وقيمها الأخلاقية والتربوية. كل هذه التساؤلات يحاول البحث مناقشتها بواقعية وبوضوح، ويقدم التصورات لمعالجة هذه الإشكاليات، وعلى وفق الرؤية التي انبثقت من المجتمع الحسيني الذي كان مثلاً يُحتذى به على مستوى تشكّل الهوية الحسينية في ذلك المجتمع، والتي ضمّت الهويات المتنوعة والمختلفة المشارب والأهواء والاتجاهات؛ ولكنها كلها ذابت وتماهت في تحقيق هوية إسلامية صافية ونقيّة أثبتت ذلك الإيمان من خلال التطبيق وليس النظرية.

فرضية البحث:

البحث يتحرك في منطقتين هما (الهوية الحسينية) و(التماسك المجتمعي) وسوف يدرس البحث تأثير المنطقة المعرفية الأولى، وهي الهوية الحسينية على الثانية، وهي التماسك أو التعايش المجتمعي في العراق، والكل يعلم جيداً أنّ مفهوم التعايش مازال مفهوماً عائماً وغامضاً في مقاصده، وهذا يعني عندما نتأمل ونحلّل هذا المفهوم نجده يتحرك في دلالاته وعلى وفق التأويل والفهم الشخصي لكل فرد في المجتمع، وبحسب طائفته والقومية التي ينتمي إليها فضلاً عن انتماؤه العرقي والإثني.

فالشيوعي له فهم خاص للتعايش المجتمعي، والسنّي له فهم خاص للتعايش المجتمعي، وكذلك الكردي يفهم التعايش بطريقته الخاصة، وأما الأقليات الأخرى في المجتمع العراقي تفهم التماسك أو التعايش المجتمعي



بطريقة مختلفة، ومن هنا تأسست أهمية البحث في إثبات فعالية ونجاح الهوية الحسينية في جمع المختلف، وتجسير التواصل مع الجميع، ومحاولة تشكيل هوية حسينية جامعة وعابرة للطائفية والقومية والأثنية، وربطها بالهوية الوطنية من جانب، وبالهوية الإسلامية من الجانب الآخر، فضلاً عن أثر الهوية الحسينية بوصفها مهيمناً فكرياً وروحياً أضحت فعلاً سلوكياً على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع وذلك بفضل المقدمات الصحيحة التي تبذرت منها نتائج كبيرة تجسّدت في خلق مجتمع متماسك مُحِبٍّ للسلام والخير.

الكلمات المفتاحية:

التشكّل، الهوية الحسينية، التماسك المجتمعي

التشكّل لغةً:

شكل الشيء صورته المحسوسة والمتوهمة، وتشكّل الشيء تصوّره - وشكله صورته^١

شكّل الشيء تصوّره وتمثّل وأصبح ذا شكل وهيئة شكل الجنين في بطن أمه^٢

١- تشكّل: (فعل) تشكّلاً فهو مُتشكّل، والمفعول مُتشكّل به

تشكّل الموضوع من عدّة عناصر: تَكُون، تَأَلَّفَ

تشكّلت الآراء في ذهنه: انتظمت

تشكّل المنظر: تصوّر، تمثّل

تشكّلت الفاكهة: أخذت تنضج

تشكّلت القضية: اتخذت شكلاً، أشكل الأمر التبس، وشكّل الكتاب إذا قيده بالإعراب، ويقال أشكل الكتاب كأنه أزال به إشكاله والتباسه،

(والمشاكلة) الموافقة، والتشاكل مثله^٣

التَّشَكُّل اصطلاحاً:

يرى كانت بأن التشكيل هو التَّصَوُّر الذهني أي (الغريزة الصورية فهي ترفع الإنسان إلى المستوى الروحي، وتجعله فاعلاً وكائناً محدداً وهي تجسد شرعة العقل في إرادة الأخلاق والإدراك النظري)؛^٤
بمعنى أنّ كل عملية تشكيل تحتاج إلى تلازم ما بين الصورة الذهنية والخيال بوصفها تعمل على تمكين المعنى في النفس عن طريق التأثير وحيث هي أسلوب إقناعي تعبر عن تجربة وإيصالها للمتلقي.^٥
الاستعمال القرآني:

لم ترد لفظة (تشكّل) في القرآن الكريم ولكن وردت لفظة (شَكَلِه) في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا﴾ ص / ٥٨ وجاءت بمعنى (المثل) والأزواج بمعنى الأنواع أي أنواع أخرى من هذا العذاب.^٦
وردت لفظة شاكلته في قوله تعالى ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.
الإسراء / ٨٤

(المشكلة من الشكل وهو تقييد الدابة، ويسمى ما يقيده به (شكالا) بكسر الشين، والشاكلة هي السجية سمي بها لتقييدها الإنسان أن يجري على ما يناسبها).^٧

وقوله تعالى ﴿كل يعمل على شاكلته﴾ محكم في معناه على أي معنى حملنا الشاكلة غير أن سياق الآية يقرب كون المراد بالشاكلة الشاكلة بالمعنى الثاني، وهي الشخصية الخلقية الحاصلة للإنسان من مجموع غرائزه، والعوامل الخارجية الفاعلة فيه.^٨

الهوية الحسينية: (التأصيل)

مما لا شك فيه عند العودة إلى الجذور الأولى لتشكّل الهوية الحسينية، نجد أنّ هناك توافر أدوات وعناصر صحيحة وفاعلة على المستوى الفكري والروحي؛ وهي أنّ المخلصين من أتباع رسول الله عليه وعلى أهل بيته الصلاة والسلام وأصحابه والتابعين، ومن كانوا ينتهجون نهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هم من شكّل النواة الأولى للهوية الحسينية في ذلك الوقت. وحتى تتوضح لنا ملامح هذه الهوية ندخل إلى اختيار نماذج متنوعة ومختلفة منها لتجسّد صورتها لاحقاً وتكون مثلاً ونموذجاً يُحتذى به ومن هنا يكون الجزء الأول من الهوية الحسينية المجموعة الإنسانية التي كانت مع الإمام الحسين عليه السلام وهم:

أولاً: آل أبي طالب بن عبد المطلب ومواليهم من أنصار الحسين عليه السلام^٩

وهنا ومن خلال عتبة العنوان باجتماع بيت عبد المطلب مع الموالى في سياق واحد هو الصورة الأولى للهوية الحسينية حيث جمعت المولى مع الإمام المعصوم.

ونتحدث عن كل الأئمة عليهم السلام من بيت عبد المطلب الذين استشهدوا في كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام، وهنا نذكر من الموالى على سبيل المثال؛ أسلم بن عمرو مولى الحسين بن علي عليه السلام، ومنجج بن سهم مولى الحسن بن علي عليه السلام، ونصر بن أبي نيزر مولى علي بن أبي طالب عليه السلام، والحرث بن نبهان مولى الحمزة بن عبد المطلب.^{١٠}

ثانياً: القبائل المشاركة ومواليهم في تشكيل الهوية الحسينية وهي:

قبيلة أسد ونأخذ منها عينات من الشيوخ والزعماء وعامة الناس، وفي مقدمتهم الشهيد حبيب بن مظهر الأسدي صاحب رسول الله وصاحب وصيه صلوات الله عليهما وأولاده صاحب المنزلة العظيمة، ومنهم الشهيد الطاهر

مسلم بن عوسجة كان شريفاً سرياً عابداً متنسكاً وصحابياً رضوان الله عليه، والشهيد السعيد قيس بن مسهر الصيداوي كان مخلصاً في محبة أهل البيت عليهم السلام رضوان الله عليه، ومنهم سعد مولى عمر بن خالد الأسدي الصيداوي^{١١} ثالثاً: قبائل همدان ومواليهم من أنصار الحسين عليه السلام. ومن أبرزهم تجسداً للهوية الحسينية؛ هو برير بن خضير الهمداني المشرقي، وبنو مشرق بطن من همدان، وكان برير شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن من شيوخ القراء في الكوفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومنهم الشهيد البطل الرمز للهوية الحسينية؛ عابس بن أبي شبيب الشاكري، وبنو شاكر بطن من همدان، كان رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجداً، وكانت بنو شاكر من المخلصين بولاء أمير المؤمنين عليه السلام.^{١٢}

رابعاً: قبائل مذحج من أنصار الحسين عليه السلام، وفي مقدمتهم الشهيد هاني بن عروة المرادي كان صحابياً معمرأً من وجوه الشيعة وزعمائها في الكوفة، وهنا تظهر إحدى ملامح تشكيل الهوية متجسدة بوجود البطل الشهيد واضح التركي مولى الحرث المذحجي السلمي، وكان غلاماً تركياً شجاعاً قارئاً، واستشهد يوم العاشر مع الحسين عليه السلام رضوان الله عليه، وكذلك منهم الشهيد نافع بن هلال الجملي وكان سيداً شريفاً شجاعاً قارئاً كاتباً من حملة الحديث رضوان الله عليه.^{١٣}

خامساً: الأنصار من الأوس والخزرج من أنصار الحسين عليه السلام، وفي مقدمتهم عمرو بن قرظة الخزرجي الأنصاري، كان قرظة من الصحابة الرواة ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومنهم عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري الخزرجي، ومنهم الغلام عمر بن جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي، جاء مع أبيه وأمه لنصرة الحسين عليه السلام، فأمرته أمه بعد أن قُتل أبوه في الحرب فوقف أمام الحسين عليه السلام يستأذنه؛ فلم يأذن له فأعاد عليه الاستئذان فقال الحسين عليه السلام هذا غلام قتل أبوه في المعركة ولعل أمه تكره

ذلك، فقال الغلام إن أمي هي أمرتني، فأذن له فقتل وقطع رأسه ورمي به إلى جهة الحسين (عليه السلام) وأخذته أمه فرمت به رجلاً فقتلته وعادت إلى المخيم، فأخذت عموداً لتقاتل به فردّها الحسين (عليه السلام). وهنا تشكّل ملمح من ملامح الهوية الحسينية وهو ملمح مهمّ ويوفر تأصيلاً لبؤرة الانتفاء لها.^{١٤}

سادساً: جون بن حوي مولى أبي ذر الغفاري: هذا الشهيد بمفرده كان ملمحاً بارزاً لتأصيل الهوية الحسينية المخلصة والفدائية بكل ما تحمل من أبعاد قيمية وأخلاقية

كان جون منضماً إلى أهل البيت بعد أبي ذر وصحب الإمام الحسين (عليه السلام) في سفره، فلما نشب القتال وقف أمام الحسين (عليه السلام) يستأذنه في القتال، فقال له الحسين (عليه السلام): يا جون أنت في إذن مني فإنما تبعنا طلباً للعافية: فلا تبتل بطريقتنا. نتأمل الانتفاء ولحظة خلق الهوية في رد فعل جون رضوان الله عليه جواباً للحسين (عليه السلام) وماذا فعل؟ وقع على قدميه يُقبلهما: ويقول: يا ابن رسول الله أنا في الرخاء أحسّ قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، إنّ رجلي لنتن، وإنّ حسي للئيم، وإنّ لوني لأسود، فتنفس عليّ في الجئة ليطيبّ رجلي، ويشرف حسي، ويبيض لوني، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دماءكم.^{١٥}

الاستنتاج والرؤية:

المجموعة الإنسانية التي خرجت مع الحسين (عليه السلام) وعلى وفق المقدمات أعلاه هي مجموعة إنسانية متلوّنة الأعراق والأصول والمرجعات، فضلاً عن تنوّع الطبقات الاجتماعية، والمشارب الثقافية، والمرجعات الفكرية، وجدنا منهم الإمام المعصوم ابن رسول الله عليه الصلاة وعلى أهل بيته الأطهار، ومنهم المولى وشيخ القبيلة والعالم وقارئ القرآن وراوي الحديث الشريف، وأصحاب الرسول صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الأطهار

وأمر المؤمنين عليه السلام، والغلام التركي والأطفال والصبيان ممن لم يبلغوا الحلم، فضلاً عن النساء وأثرهن العظيم في تشكيل هذه الهوية الحسينية.

عندما نجح الإمام الحسين عليه السلام في صهر هذه المجموعة البشرية المتنوعة والمختلفة في كل التفاصيل في منطقة واحدة ونسيج واحد فضلاً عن تمكنه من مدّ جسور التواصل بينه وبينها، والكل أصبحوا صورة إيمانية واحدة متكاملة وشاملة ومتماسكة في توحيد أهدافها وتحقيقها، وفعلاً تمكنت هذه المجموعة البشرية من تشكيل هوية فريدة ونادرة من نوعها وخاصة بها على مدى التاريخ، وأصبحت مثلاً يُحتذى لكل المظلومين في العالم، وكانت تأصيلاً وتأسيساً لملامح إسلامية إنسانية عابرة للرؤى الضيقة في أهدافها، وهذا جعلها فعلاً مهيمناً ومحركاً للتماسك المجتمعي في أبهى صورته، وجعل عمرها كبيراً وطويلاً من جانب، وجعلها عاملاً مؤثراً ومحركاً لجميع المجتمعات الإنسانية بما حملته من نهج إصلاحية كبير ومهم في التاريخ الإسلامي.

وبمعنى أن الهوية الحسينية الأولى هي هوية اجتماعية هدفت لخلق مجتمع متماسك يؤمن بالتضحية والإخلاص للمكان، وللعقيدة وللوطن والأرض والمبادئ، وهذا حدد بنحو لا لبس فيه ملامح الهوية الحسينية، ومنحها الثبات في التأثير والإقناع والانتماء.

التماسك المجتمعي:

عندما نتحدث عن مفهوم التماسك والتعايش المجتمعي في العراق، نحتاج في البدء إلى عرض رؤية لتشكيل المجتمع العراقي؛ حتى تتوضح لنا الصورة الحقيقية له، ومن ثم نؤسس لتشكيل الهوية الخاصة لهذا المجتمع تبعاً لمكوناته، ونجد أن مفهوم التعايش مازال مفهوماً غامضاً عائماً بحاجة إلى ضبط دلالي يتحرك في دلالته على وفق التأويل والفهم الشخصي لكل فرد ينتمي إلى المجتمع العراقي.

وهنا نواجه ثمة إشكالية معقدة؛ وهي أن الضبط الدلالي لمفهوم

التعايش يتحركُ ويشتغلُ في مقاصدَ كثيرة ومتنوعة، وكل شخص ممكن أن يفهم المعنى بالطريقة التي تخدمه وتحقق مصالحه الذاتية، فضلاً عن وجود المؤثرات الخارجية والدولية والإقليمية التي تؤثر على قوة وضعف التماسك المجتمعي وتقرن هذه المؤثرات بمتغيرات داخلية مترسخة في المجتمع العراقي ولا سيما على مستوى البعد الديني والسياسي.

وإذا تطرقنا إلى التحديات التي تواجه تحقيق هذا المفهوم داخل المجتمع العراقي وهي متنوعة ومختلفة التأثير عليه، وخاصة التحديات القانونية والثقافية التي تدخل بوصفها معارضاً لتحقيق هوية وطنية جامعة وشاملة بوصفها نتيجة لمقدمات تحقيق التماسك المجتمعي بين طوائف العراق الرئيسة والأقليات الأخرى التي تعيش في المجتمع العراقي.

الإشكالية الرئيسة هي الفهم الخاص لكل طائفة من طوائف مجتمع العراق للتماسك المجتمعي بمعنى: أن الطائفة الشيعية تفهم التماسك المجتمعي بشكل خاص يتحدد بالقوة الكبيرة التي تجمعها مع بعضها البعض من خلال تحقيق الأغلبية في القاعدة الجماهيرية، أما الطائفة السنية تفهم التماسك المجتمعي بنحو مختلف ومفهوم يقوم على الحذر والخوف وعدم الثقة بالأطراف الأخرى التي تعيش معها في المجتمع، أما الأكراد فيختلفون في فهم التماسك المجتمعي وكأنهم يعيشون في معزل عن المكونات الأخرى وخاصة بالنظر إلى حجم الطموحات التي يسعون لتحقيقها في المجتمع، وكذلك بقية المكونات من الأقليات الأخرى التي بقيت متذبذبة في فهمها للتماسك المجتمعي، وهي تشعر بذوبانها وعدم قدرتها العيش بسلام بين المكونات الرئيسة وعدم حصولها حتى على أبسط حقوقها، وهنا حدثت المشكلة الرئيسة في المجتمع العراقي وهي بروز هويات فرعية وطائفية وإثنية وعرقية وقومية إلى السطح مما أدّى إلى دفع وانزياح الهوية الوطنية الجامعة والأساس إلى الهامش وبالمستوى الذي جعلها تنزف وتفقد كل

قوتها على أساس ما حصل في الواقع من خلال تبادل المراكز بينها وبين الهويات الفرعية، فكيف يكون شكل التماسك المجتمعي في هذا الوضع؟ وكيف تتحقق الهوية الوطنية الجامعة؟ وكيف نعالج هذه التفكك والتمزق المجتمعي؟ وللإجابة عن كل هذه التساؤلات يجب تقديم رؤية واضحة عن كل ما قدمته الهوية الحسينية المعاصرة بوصفها هوية فاعلة ومهيمنة قوية ومؤثرة على جميع الهويات الفرعية فضلاً عن كونها تمتلك سلطة روحية على الجميع جعلت منها تأخذ دوراً بارزاً في إعادة تقييم الإشكالات، وتحديد نقاط الضعف والمعوقات وإيجاد الحلول الناجعة لها في المجتمع العراقي.

الهوية الحسينية المعاصرة

حتى نفهم التشكيل الحقيقي للهوية الحسينية المعاصرة يجب أن نتحلى بثقافة الحوار الصريح والذي جعلته أساساً قائماً على مجموعة معايير جاءت مطابقة لفكرة تجسيد الهوية من خلال العمل والسلوك؛ بمعنى أن طرح فكرة التعايش السلمي من قبل المرجعيات الدينية العليا متجسداً بأن الإمام الحسين (عليه السلام) هو إمام الجميع من دون تمييز على طائفة أو عرق أو قومية أو ديانة، وهذا الطرح قدّم العدالة والمساواة للطوائف الأخرى، ومنحها الثقة في المرجعية الرشيدة، وذلك في محاولة منها لردم الفجوات التي أوجدتها الهويات الفرعية، فضلاً عن التثقيف ونشر الوعي بفكرة قبول الآخر المختلف بواسطة الربط التاريخي المباشر والمقترن بالهوية الحسينية الأولى وكيف جمعت المختلف بكل أنواعه، وجعلت منه نسيجاً اجتماعياً موحداً حقق جميع أهدافه الإسلامية في خلق مجتمع متماسك أصيل.

حيث قدمت الهوية الحسينية مفهوم التعايش بوصفه الهدف الأسمى للإمام الحسين (عليه السلام) في ثورته الإصلاحية التي أراد من خلالها إصلاح المجتمع بقوله (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فممن قبلني

بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين).^{١٦}

يبدو أنّ معالم التشكيل واضحة مشرقة في خطاب الامام الحسين (عليه السلام)، وهي المرتكزات الأساسية للهوية الإسلامية بشكل عام، والحسينية بشكل خاص؛ وهي الإصلاح وتقويم الانحراف في المجتمع الإسلامي آنذاك، فضلاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعلاً وليس قولاً، وهنا لم يرفع مشروعه الإصلاحية بلسانه فقط؛ بل بالذكر والنصيحة، والعمل الفعلي وهذا ما حدث فعلاً في كربلاء.^{١٧}

في عاشوراء تحديداً وعند ممارسة الطقوس الحسينية المقدسة يتحول المجتمع العراقي إلى مجتمع أقرب ما يكون من تحقيق مفهوم التماسك التي عجزت كل القدرات الحكومية على تحقيقه، بل بالعكس تجدد الناس في عاشوراء غيرهم في بقية الأشهر، والأيام تفيض كرمًا ومحبةً وعطاءً وتضحيةً وخلقاً لا تعرف الشيعة من السنّي ولا العربي من الكردي ولا المسيحي من غيره؛ كله ببركة الحسين (عليه السلام) هذه الهوية العظيمة التي تمكنت من جمع الكل تحت المظلة الوطنية، وحب الوطن وتحقيق المحبة، والعدالة والسلام والتكاتف، الكل يفكر في هدف واحد، ويتحرك لتحقيق غاية واحدة، ومن هنا نجحت الشعائر الحسينية في تشكيل هوية وطنية جامعة ذابت فيها الفواصل الطائفية والعرقية والقومية، واجتمعت كلها في حب العراق من خلال الهوية الحسينية التي قدّمت صورة المجتمع المتعايش المحب للسلام والخير والعطاء، حتى أضحت الهوية الحسينية عنواناً كبيراً يفتخر فيه أبناء المجتمع العراقي بكل طوائفه أمام مجتمعات الدول العربية والإقليمية المجاورة في زيارتها لممارسة طقوس زيارة عاشوراء والزيارة الأربعينية.

وخلاصة القول: إنّ المرجعية الرشيدة كانت فاعلاً قوياً في تحقيق السلم المجتمعي من خلال ترسيخ المحبة والسلام والثقة والدعم في نفوس الطوائف والقوميات المكونة للمجتمع العراقي على أساس الحقوق والواجبات، وتحقيق العدالة والمساواة للجميع.

التوصيات:

أولاً: نشر الوعي الإسلامي الصحيح من خلال الالتزام بتوجيهات المرجعية الدينية الرشيدة، والابتعاد عن كل ما يثير التفرقة والكراهية والفتن في المجتمع العراقي.

ثانياً: ضرورة الالتزام بالخطاب المعتدل الذي ينقل رسائل اطمئنان لجميع الطوائف والقوميات في العراق، ويكون خطاباً قوياً يشجع على التعاون، والحوار واللقاءات بين جميع الأطراف؛ لتحقيق العيش المشترك وبسلام.

ثالثاً: العمل بإخلاص وأمانة على إبراز وتقديم هوية وطنية إسلامية جامعة شاملة يؤمن بها الجميع من خلال الأفعال وليس الأقوال، وهذا ما أثبتته الهوية الحسينية العابرة للطائفية والعرقية والقومية وكل الحدود الضيقة في المجتمع.

رابعاً: تشجيع الدور الإعلامي وبكل أنواعه المرئية والمسموعة، وكذلك وسائل التواصل الاجتماعي بأن ما يجمعنا أكبر بكثير مما يفرقنا يجمعنا الوطن والتاريخ والحضارة والمصير المشترك والأرض الطيبة المعطاء، والإفادة من تجربة زيارة الأربعين وكيف تمكنت من تشكيل هوية حاضرة وفاعلة ومؤثرة.

خامساً: الاهتمام بالهوية الرئيسة للمجتمع، والعمل على ربطها بالمصير، وجعل الهوية الحسينية وما صنعته من ربط الفكر الحسيني بالطقوس في أيام عاشوراء وزيارة الأربعين من خلق مجتمع متماسك متراسخ محب للخير متعاون وقادر أن يتحرر من قيود الطائفية والعرقية والقومية ويكون مجتمعاً إسلامياً أصيلاً.



الهوامش:

١. لسان العرب - جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور - مج ١ - مؤسسة الأعلمي للطبوعات - مادة (شكل) - ص: ٢٠٧٥
٢. معجم اللغة العربية المعاصرة - الدكتور أحمد مختار عمر - مساعدة فريق عمل - عالم الكتب للنشر والتوزيع - ط ١ - القاهرة - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م - ١/ ١٢٢٧.
٣. النظريات الجمالية - ترجمة الدكتور - محد شفيق شيا - ط ١ - المنشورات الثقافية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - ص: ٩٥
٤. ينظر جاك أو مون الصورة - ترجمة ريتا الخوري - مراجعة - جوزيف شريم - ط ١ - بيروت - لبنان - ٢٠١٣م - ص: ٨٩
٥. ينظر مختار الصحاح - مادة (ش ك ل)
٦. القرآن الكريم - مختارات من تفسير النور - ص: ٤٥٦
٧. الميزان في تفسير القرآن - الطبطبائي - ١٣ / ١٨٦
٨. ينظر المصدر نفسه - ١٣ / ١٨٩
٩. ينظر أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام ص: ٢٤
١٠. ينظر المصدر نفسه ص: ٦١-٦٣
١١. ينظر المصدر نفسه ص: ٦٥-٧٨
١٢. ينظر المصدر نفسه ص: ٨٠-٨٧
١٣. ينظر المصدر نفسه ص: ٩٦-١٠٢
١٤. ينظر المصدر نفسه ١١٠-١١٣
١٥. ينظر المصدر نفسه ص: ١٢٦
١٦. فاجعة الطف ص: ٥٥-٥٦
١٧. المصدر نفسه ص: ٥٥



المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم
- * أبصار العين في أنصار الحسين عليه
وآله - تأليف الفقير إلى الله محمد بن
الشيخ طاهر السماوي - المكتبة العربية
- مطبعة الآداب - النجف
- * لسان العرب - جمال الدين محمد بن
مكرم ابن منظور - مج ١ - مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات - مادة (شكل)
- ص: ٢٠٧٥
- * معجم اللغة العربية المعاصرة -
الدكتور أحمد مختار عمر - مساعدة
فريق عمل - عالم الكتب للنشر
والتوزيع - ط ١ - القاهرة - ١٤٢٩هـ -
٢٠٠٨م - ١/ ١٢٢٧.
- * النظريات الجمالية - ترجمة الدكتور
- محمد شفيق شيا - ط ١ - المنشورات
الثقافية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ -
١٩٨٥م - ص: ٩٥
- * ينظر جاك أومون الصورة - ترجمة ريتا
الخوري - مراجعة - جوزيف شريم - ط
١ - بيروت - لبنان - ٢٠١٣م - ص: ٨٩
- * ينظر مختار الصحاح - تأليف - محمد
بن أبي بكر عبد القادر الرازي - مادة
(ش ك ل)
- * تفسير النور مختارات من القرآن
الكريم - تأليف الشيخ محسن قرائي -
دار المؤرخ العربي بيروت - لبنان.
- * فاجعة الطف - أبعادها - ثمراتها
- توقيتها - بحث تحليلي في النهضة
الحسينية ودورها في وضوح الحقيقة
الدينية - تأليف - السيد محمد سعيد
الحكيم - مؤسسة الحكمة للثقافة
الإسلامية - ط ٣ - ٢٠١٠م.
- * الميزان في تفسير القرآن - تأليف - السيد
محمد حسين الطباطبائي - منشورات
مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات - قم
- ايران - ط ١ - ٢٠٠٤م

الآثار التربوية للمظلومية على الفرد والمجتمع (مظلومية الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً))

أ.د. السيد نذير يحيى الحسني
ايران

ملخص البحث

تقوم فكرة هذا البحث على طريقة من طرق التربية الحديثة وهي طريقة ((التربية بالأحداث)) والتي هي جديدة في صياغة عناونها وقديمة قدم البشرية بتطبيقاتها ومصاديقها، فالقرآن الكريم لم يترك حدثاً من الأحداث يؤدي إلى هزة تربوية في وجدان الإنسان وضميرة إلا وذكر به بل وأشار من خلاله إلى آثاراً تربوية جمّة، فهناك أحداث يتم التخطيط لها وصناعتها، وأحداث كونية لاعلاقة لتدخل البشر في صيورتها وتكونها، وكل هذه المصاديق قابلة لأن تكون دروساً تربوية ناجعة ومؤثرة في حياة الناس بشرط استثمارها من قبل المربي الناجح الذي يستغل الحدث القابل لتعاطي النفوس معه وتقبل دروسه وآثاره التربوية، فالآيات الألهية الكريمة لم تترك شاردة ولا واردة من الأحداث إلا وجعلت لها أثراً تربوياً في نفوس الناس، ففي أحداث الهزيمة والنصر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والطاعة والعصيان، وفي كل المواقف التي مر بها المسلمون الأوائل كانت الآيات النازلة بحقها تربي المسلمين على استلهاهم آثارها التربوية الفردية، وقيمها الاجتماعية .

وحدث المظلومية التي تحل بأصحاب الحقوق من هذه الأحداث التي لها آثار تربوية كبيرة وكثيرة في نفوس الناس تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية التي



حلت بها تلك المظلومية ، فالتأمل في التاريخ يجد أن المظلوميات التي وقعت على أصحاب الحقوق خصوصاً فيما إذا كانت تلك الحقوق اجتماعية وليست فردية لها تأثير كبير على السلوكيات التربوية للفرد والمجتمع في آن واحد، فما بالك فيما إذا كانت هذه المظلومية قد وقعت على شخص ينتمي إلى السماء ومُنْصَّب بتنصيب الهي ، فما وقع على الإمام الحسين (عليه السلام) من مظلومية لم نجد له نظيراً في التاريخ فقد تم التجاوز على كل الحقوق الدينية والاجتماعية والفطرية للبشر ، ومن هنا جاء هذا البحث ((الآثار التربوية لحدث المظلومية على الفرد والمجتمع ، مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) نموذجاً)) ليؤصل الآثار التربوية لحدث المظلومية التي تعرض لها الإمام (عليه السلام) بسبب دفاعه عن الإنسانية وحقوقها المسلوقة آنذاك ، فكانت هناك جملة من الآثار السلوكية ، والفكرية ، والعقائدية ، والعاطفية على مستوى الفرد ، وأخرى دينية ، واجتماعية ، وغيبية على مستوى المجتمع ، ولهذا تكفل الله بنصرة المظلوم في قوله تعالى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾^١ ، ومن أبرز مصاديق هذا النصر هو تأصيل وتجزير أفكار المظلوم وسلوكياته التربوية في نفوس الأفراد والمجتمعات ليس فقط على المعاصرين له زماناً والمتواجدين معه مكاناً بل لكل الأزمنة والأمكنة ، ومن هنا أصبحت المظلومية السلاح الفتاك ضد الباطل لنشر آثار الحق وأهله على مر العصور ومن أهم تلك الآثار هي الآثار التربوية التي تبنى هذا البحث الكشف عنها، خصوصاً وأن هذا السلاح يُعد من الأسلحة الاستراتيجية التي تتجاوز حدود الزمان والمكان بتأثيراتها ، ولهذا السبب نجد أن الإمام الحسين ومن في ركبته قد حاولوا جاهدين إظهار المظلومية التي حلت بهم بكل الوسائل حتى تكون طريقاً رابطاً عبر الأجيال المتعاقبة تؤثر في السلوك والتربية على مستوى الفرد والجماعة

الكلمات الأساسية : المظلومية ، الآثار ، طريقة الأحداث ، التربية

تمهيد

لا يخفى على أحد ما للتربية من دور كبير في تحديد سلوك الإنسان بل المجتمع خصوصاً فيما إذا كانت تلك التربية نابعة من عملية الحفر في سلوك المتربي وليس من عملية التلقين والتدريب التي هي معتادة في كل النظريات التربوية السائدة ، فعملية الحفر في السلوك أكثر تأثيراً وأعم منفعة ، وأوسع انتشاراً ، ولعل حدث المظلومية التي يتعرض له أصحاب الحقوق خصوصاً إذا كانت تلك الحقوق دينية أو فطرية هو من أهم وسائل الحفر في السلوك لإيجاد المتغير التربوي في النفوس ، وكما لا يخفى على أحد فإن مدرسة أهل البيت منذ لبناتها الأولى وإلى يومنا هذا قد تعرضت إلى ضلالمات كثيرة بغرض طمس هويتها ، وتوزعت هذه الضلالمات بين التشويه لأفكارها والإخفاء لرموزها والتشريد لأبنائها ، فكانت مواجهة شرسة تحمل فيها أئمة هذه المدرسة ومراجعها الكرام وأبنائها كل أنواع القهر والظلم ، فكانت المظلومية واضحة تجلت بأوضح صورها في واقعة كربلاء الحسين والتي لم يترك الطغاة فعلاً تنكره الفطرة الإنسانية لم يفعلوه ، ومن جهة أخرى لم يترك أصحاب هذه المدرسة وأئمتها طريقاً لنشر مظلوميتهم لم يسلكوه ، ولو تأملنا في المظلوميات التي وقعت على الأئمة المعصومين ابتداءً من أمير المؤمنين الذي هو أول مظلوم في الإسلام إلى آخر أئمة الهدى المظلوم الطريد الشريد ، لوجدنا أن هذه المظلومية كانت الطريق المهم لنشر أفكار هذه المدرسة والتأثير سلوكياً على مواصلة هذا الحدث على مر العصور ، ومن هنا جاء هذا البحث ليكشف حقيقة الآثار التربوية لحدث المظلومية على الفرد أولاً وعلى المجتمع ثانياً من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول:- التعريف بالمصطلحات المستعملة في البحث على مستوى اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني:- التأسيس القرآني لاستثمار حدث المظلومية وجني فوائدها التربوية

المبحث الثالث:- التأسيس الروائي لإستثمار حدث المظلومية في تحقيق الآثار التربوية

المبحث الرابع: الآثار التربوية لحدث مظلومية الإمام الحسين عليه السلام

١. الآثار السلوكية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

٢. الأثر الغيبي لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

٣. الأثر الفكري لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

٤. الأثر العقيدي لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

٥. الأثر العاطفي لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

٦. الأثر الديني التربوي لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

٧. الأثر التربوي الاجتماعي لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

المبحث الثالث:- التعريف بالمصطلحات المستعملة في البحث على مستوى اللغة والاصطلاح

النقطة الأولى :- المظلوم لغة واصطلاحاً

مَظْلُوم : اسم مفعول من الفعل ظَلَمَ والجمع : مَظْلُومُونَ وَمَظَالِيمٌ ، ومؤنثه : مظلومة ، وجمعها مظلومات ، وَمَظَالِيمٌ اسم مفعول من ظَلَمَ مَظْلُومٌ^٢ مُعْتَدِي عَلَيْهِ وَقَدْ أَصَابَهُ ظُلْمٌ قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَاناً ﴾^٣ والتعريف الاصطلاحي لهذه اللفظة أظهر من أن يُذكر، وهو من التعريف بالواضحات؛ وكما قيل من اصعب الصعوبات

التعريف بالواضحات، ومع هذا يمكن القول بأن المظلوم اصطلاحاً : وهو من اعتدي عليه أو وقع عليه الظلم وقيل هو الذي يُعان ويُنصر وغير ذلك من الألفاظ الدالة على مَنْ وقع عليه الظُّلم وعاش المظلومية بسبب ذلك ، وأما المظلومية، فهي على أقسام عديدة، منها ما هو سلبي لا يعيش المظلوم فيها صراعاً مع الظالم بقدر ما يعيش حالة الذل والاستسلام والانقياد لإرادة؛ الظالم وأهواءه، وقد ذكر القرآن الكريم هذا المعنى في آياته عندما قال ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾^٤ وبنفس هذا المعنى ذكرهم القرآن الكريم بلفظة أخرى وهي لفظة (المستضعف) فقال عز من قال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾^٥ ؛ فهؤلاء وإن وقعت عليهم المظلومية ولكنها من عند أنفسهم لوجود المنافذ والمخارج للتخلص من الظلم فيها لولا استكانتهم وخضوعهم ، وأما المظلومية الإيجابية التي هي عنوان بحثنا، فهي المظلومية التي تترك آثارها التربوية الإيجابية على الفرد والمجتمع ، وهي التي وقعت على الأنبياء والأولياء والصالحين من عباده بسبب دعواتهم الإصلاحية للمجتمعات وهي التي تحدث عنها القرآن على لسان نبيه نوح عليه السلام عندما قال ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾^٦ وعبرت عن هذا النوع من المظلومية الآيات القرآنية بألفاظ أخرى من قبيل لفظة الاستضعاف فقال عز من قائل ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^٧ ، فهؤلاء اتصفوا بالمظلومية الإيجابية التي لم تهادن الظالم بل حاربت به بما تملك من وسائل وطرق وتعهد الله بنصرهم في قوله تعالى ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾^٨ وجسد هذا النوع من المظلومية أئمة اهل البيت عليهم السلام فهم المظلومون من قبل

الحكام والطغاة على مر العصور ففي زيارة أمير المؤمنين: ((السلام عليك يا ولي الله، أشهد أنك أنت أول مظلوم، وأول من غضب حقه))^٩ وجسد هذا النوع من المظلومية كل الأنبياء وعلى رأسهم نبينا الأكرم عندما قال ((ما أودني نبي مثل ما أوديت))^{١٠}، ومن قبله نبي الله موسى وهارون في صراعهما مع الباطل فقد نقلت لنا الآيات القرآنية الحوار الذي دار بين موسى وأخيه والذي قال هارون فيه: إن القوم استضعفوني وظلموني ﴿ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾^{١١} وجسد هذه المظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) بكل تفاصيلها في صراعه مع الجاهلية الأولى والتي ما تركت صورة من صور الظلم إلا وارتكبتها، فكتب الله له النصر المؤزر على أعدائه على مر العصور من خلال حفر هذه المظلومية وآثارها التربوية في سلوك الناس على مر العصور

النقطة الثانية : الآثار لغة واصطلاحاً

الأثر لغة كما ذكره ابن فارس^{١٢} له ثلاثة أصول

- د. تقديم الشيء، وكما يقال أثرتُ بأن أفعلَ كذا، معناه: أفعله أول كل شيء، ومنه الإيثار
- ذ. ذكر الشيء، يقال حديث مأثور، أي منقول^{١٣}

- ر. رسم الشيء الباقي وصفته، يقول الخليل ((والأثر بقية ما ترى من كل شيء))^{١٤} وكما قيل ((وأثرت فيه تأثيراً جعلت فيه أثراً وعلامة))^{١٥}
- وأما اصطلاحاً: فقد اختلف المراد من الأثر باختلاف الفن والعلم الذي استعمل فيه، فعلى لسان الفقهاء استعمل تارة بمعنى المنقول، وأخرى بمعنى بقية الشيء^{١٦}، وثالثة بمعنى العلامة^{١٧}، ورابعة بمعنى النتيجة^{١٨}، وكما يقولون الأثر المترتب على العقد، وخامسة بمعنى الصفة^{١٩} الحاصلة للشيء كالخياطة الحاصلة للثوب مثلاً فهي صفة جديدة حصلت للعين وهو الثوب.

وهنا في هذا البحث عندما نذكر الآثار التربوية، فالمقصود بها تلك العلامات والصفات التي تتركها أحداث المظلومية على نفسيات وسلوكيات الأفراد والشعوب، وهذا المعنى يقترب من المعنى اللغوي عندما يقال: (أثرت فيه تأثيراً) جعلت فيه أثراً وعلامة، نعم هناك مَن فرق بين الأثر والعلامة عندما يقال بأن أثر الشيء يكون بعده وعلامته تكون قبله، يقال: الغيوم والرياح علامات المطر، ولكن المراد من الأثر في هذا البحث هو العلامات والصفات كما ذكرنا أعلاه.

تعريف التربية لغة واصطلاحاً

المتبع لمعنى التربية في كتب اللغة يجد أن لهذه الكلمة ثلاثة أصول لغوية: الأصل الأول: ربا يربو: أي بمعنى الزيادة والنمو. وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾^{٢٠}. وقوله تعالى: ﴿يَمَحُقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾^{٢١}. قال مسكين الدارمي:

ثلاثة أملاك ربوا في حجورنا فهل قائل حقاً كمن هو كاذبُ

الأصل الثاني: ربا يربي، ومعناه نشأ وترعرع، وبمعناه قال ابن الأعرابي:

فمن يك سائلاً عني فإني بمكة منزلي وبها ربيتُ

الأصل الثالث: ربَّ يربُّ، أي: بمعنى الإصلاح وتولي الأمر. وذكر الفيروزآبادي هذا المعنى فقال: ((رَبَّ: جمع وزاد، وربَّ الأمر: أصلحه، والصبي ربَّاه حتى أدرك، والريبة الحاضنة))^{٢٢}.

فالتربية لغة تنطلق من ثلاثة معانٍ:

الأول: الزيادة والنمو.

الثاني: النشأة والترعرع.

الثالث: الإصلاح والتهديب.

أما في الاصطلاح:

فالتعريف هنا يختلف وفقاً لاختلاف المنطلقات الفلسفية التي يخضع لها أي مجتمع، لأن التربية هي الساحة التطبيقية للفلسفة التي يقوم عليها هذا المجتمع أو ذاك، فمثلاً مصطلح الكمال الذي يؤخذ في تعريف التربية عادةً يختلف باختلاف الفلسفات، فإذا كانت مثالية كان الكمال عندها سمو الروح على حساب الجسد، وإذا كانت وجودية أو واقعية كان الجسد ومتطلباته غاية ما تنشده، وهكذا في غيرها من الفلسفات، وأما الفلسفة الإسلامية النابعة من الكتاب والسنة، فالكمال عندها هو التوازن بين جدلية الروح والجسد، والدنيا والآخرة، والعقل والعاطفة. وسنذكر بعض التعريفات الاصطلاحية الواردة في المقام من قبل كبار الفلاسفة للتربية ثم نتخذ تعريفاً مراداً لنا في هذا البحث .

يقول عالم النفس هنري جولي: إن التربية هي ((مجموعة الجهود التي تهدف إلى أن يتيسر للفرد الامتلاك الكامل لمختلف ملكاته وحسن استخدامها))^{٢٣}. وعرفها (دوركهايم) عالم الاجتماع: بأنها العمل الذي تحدثه الأجيال الراشدة في الأجيال الناشئة، من أجل الحياة الاجتماعية، وتهدف إلى تأسيس وتنمية عدد من العادات الجسدية والعقلية والأخلاقية التي يطالب بها المجتمع السياسي والوسط الاجتماعي الذي يعد له^{٢٤}. وأما مفهوم التربية عند اليونان قديماً، فقد كان يهدف إلى إيجاد المواطن الصالح، وتنظيم علاقاته وروابطه بالدولة التي يعيش فيها^{٢٥}. وأما في العصور الوسطى عند المسيحيين فقد كانت فكرة الخلاص تسيطر على مفهوم التربية بشكل كبير لأنها هي التي توفر للإنسان النجاة من شرور الدنيا ومكائده الآخرة، ولكن هذه النظرة لم تدم طويلاً لأنه في عصر النهضة الأوروبية تم التركيز على الاستمتاع بالحياة الدنيا كثيراً واستغلالها لنفسها، وليس لأنها وسيلة لغيرها، ويعتقد بعض العلماء أن التربية هي التنشئة الاجتماعية وحسب.

والمأمل لتلك التعاريف يجد أن أصحابها حسبوا التربية في أطر ضيقة، مع أنها عملية أكبر وأشمل من ذلك بكثير، فهي تتضمن أنواعاً مختلفة من التنشئة بجانب التنشئة الاجتماعية، فهناك التنشئة السياسية والدينية أو العقائدية والاقتصادية والإدارية والقانونية إلى غير ذلك من أنواع التنشئة، كما أن التربية تهتم بجميع جوانب الشخصية الإنسانية سواءً الجانب العقلي أو الجسمي أو الجمالي أو الأخلاقي أو الانفعالي إلى غير ذلك من جوانب شخصية الفرد، وذلك في إطار متكامل ومتوازن، ولهذا نظر البعض إلى التربية بأنها نسق اجتماعي يقوم بدور وظيفي في إعداد الفرد وتنمية قدراته، بل وأضيف إليها أنها: وسيلة للحفاظ على التراث الثقافي للمجتمع ونقله من جيل إلى جيل، فهي العملية التي من خلالها يتم بناء شخصيات الأفراد على نحو يمكنهم من مواصلة حياة الجماعة، ولهذا توسع البعض في تعريفها بالقول بأنها: ((عبارة عن نسق اجتماعي يقوم بدور وظيفي في إعداد وتنشئة وتشكيل الفرد، من خلال وسائط ومؤسسات وأجهزة لها فاعلية في تكوين الفرد وتهيئته من الناحية الجسمية والعقلية والأخلاقية، ليكون عضواً في مجتمعه، يحى حياة سوية في بيئته الاجتماعية، وإمداده بعناصر مدنيته وحضارته، وتزويده بمظاهر التحضر وإنجازات العلم والتكنولوجيا))^{٦٢} ومع كل ذلك فالتعريف الأخير يحصر التربية في مفهوم التنشئة الاجتماعية التي تهدف إلى إعداد وتشكيل الفرد للقيام بأدواره الاجتماعية في مكان ما وزمان ما على أساس ما هو متوقع منه في هذا المجتمع، فالتربية هي عملية موجهة ومقصودة لإحداث تغيرات مرغوبة في شخصيات الأفراد، وسلوكهم، كي يتمشى هذا السلوك مع سلوك الجماعة التي ينتمي إليها الفرد ومن ثم يسلك وفق ما أراد المجتمع، فالتربية وفق هذه التعاريف ما هي إلا مفهوم عام وشامل ومركب يتناول السلوك الإنساني بجوهره، بالإضافة إلى اجتماعيات هذا الكائن المخلوق.

وبعد هذه الجولة في التعاريف الاصطلاحية للقوم، يمكننا الوقوف على تعريف جامع للتربية المقصودة من هذا البحث والتي تخلقها آثار المظلومية وبالخصوص مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) في الفرد تارة وفي المجتمع أخرى، فالتربية المقصودة هنا نعني بها النتيجة التي خلفتها الآثار الحاصلة من المظلومية وبالخصوص مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) التي هي مسألة البحث المطروحة.

تعريف الحدث لغةً واصطلاحاً

الحدث لغة : الأحداث جمع مفرد لها حدث، والحديث نقيض القديم، والحدوث كون الشيء لم يكن وأحدثه الله فحدث، وحدث أمرٌ أي وقع^{٢٧} الحدث اصطلاحاً :- هو عبارة عن موقف طارئ يمر به الإنسان يحرك المشاعر؛ فيثير عاطفة الفرح أو الحزن، أو يجلي الحقائق ويوضحها، فالتربية بالحدث يعني استغلال حدث معين لإعطاء توجيه معين^{٢٨}.

مميزات التربية بالأحداث

للتربية بالحدث مميزات جمة، وخصائص كبيرة ومؤثرة على تربية الإنسان، وإعادة صياغة شخصيته، ومن هذه المميزات :-

١ - تحقق التربية بالأحداث تأثيراً خاصاً، يؤدي إلى اندكالك النفس في الحادثة لما للحادثة من تأثير في تلك النفس، بحيث يصبح التفاعل والانفعال بين النفس والحادثة كبيراً جداً، وليس من السهولة تحقيق ذلك من دون أحداث، خصوصاً إذا كانت النفس في راحة، وأمن واطمئنان

٢ - استغلال الأحداث بشكل كامل في الحياة، فالمعلم الناجح تربوياً لا يترك كل حدث يذهب من دون أن يشير إلى ما فيه من دروس وعبر وتأمل، بل يحاول إيجاد الطرق الكفيلة ببقاء التأثير للأحداث على النفس زماناً أطول من زمان نفس الحدث.

٣- التربية بالأحداث تُكسب المربي تجارب وقعت تحت حاستي السمع والبصر، بحيث تعطي درجة كبيرة من التيقن والصدق عند عموم الناس الذين يستأنسون بها بأق من طرق الحواس.

٤- يختلف الأثر التربوي للحدث باختلاف نفس الحدث، فقد يختلف تأثير المتربي والمتلقي من حدث لآخر، حسب اختلاف بيئات المتلقين، وثقافتهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية، فكلما كان الحدث يشغل دائرة اهتمامه، كلما كانت الحاجة إلى تفسيره وأخذ الدروس والعبر منه كثيرة.

٥- التربية بالأحداث تحول المفاهيم إلى سلوكيات متحركة في المجتمع مما يصعب القضاء عليها أو تبديلها أو التلاعب فيها.

٦- ومن المميزات المهمة للتربية بالأحداث تحقيق استفادة قصوى من أحداث القرآن ودروسه التربوية، ولهذا يقول سيد قطب: لقد حقق القرآن بمنهجه ذاك في التربية بالأحداث خوارق في تكييف تلك النفوس التي تلقته مرتلاً متتابعاً، وتأثرت به يوماً يوماً، وانطبعت به أثراً أثراً. فلما غفل المسلمون عن هذا المنهج، واتخذوا القرآن كتاب متاع للثقافة، وكتاب تعب لل تلاوة، فحسب، لا منهج تربية للانطباع والتكيف ومنهج حياة للعمل والتنفيذ. لم ينتفعوا من القرآن بشيء، لأنهم خرجوا عن منهجه الذي رسمه

العليم الخبير))^{٢٩}

٧- التربية بالحدث تؤدي إلى مخاطبة الوجدان من خلال الأحداث مما يعمق الأثر في النفس والروح، بحيث يحافظ على التأثير المستمر.

المحور الرابع: التأسيس القرآني لاستثمار حدث المظلومية وجني فوائدها التربوية

التأمل في الآيات القرآنية يجد أن وقوع الظلم على الآخرين نتيجة الاحتكاكات والصراعات البشرية أمر لا مفر منه، ومن هنا تولد لدينا ظالم يصدر منه الظلم ومظلوم يقع عليه الظلم، ولهذا نجد القرآن الكريم قد أصل لهذا المعنى في آياته خصوصاً وهو يتحدث عن الصراع بين الحق والباطل الذي لا مفر منه في عالم التكوين، فتارة يذكر هذا المعنى بلفظه الصريح؛ فقال عز من قائل ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾^{٣٠} فهو تصريح واضح لإطلاق يد المظلومين للدفاع عن أنفسهم ومعتقداتهم، وأخرى تحدث عن ذلك بألفاظ أخرى تدل على هذا المعنى من قبيل لفظة الاستضعاف التي تشير إلى المظلومية؛ فقال تعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾^{٣١} فالقرآن الكريم لم يقصر ذكر المظلومية في القرآن على لفظة الخاص بها، بل ذكرها بألفاظ أخرى دالة عليها كلفظ الاستضعاف، فالمستضعف المظلوم هو ليس ضعيفاً عديم القدرة والقابلية، بل أصابه الضعف بسبب جور وظلم الآخرين ولهذا تجد أن القرآن الكريم قد قابل في بعض آياته بين المستكبرين والمستضعفين، فالمستكبر بما له من قوة وجبروت وطغيان والمستضعف بما له من صبر وتحمل ورفض رغم عدم قدرته على التغيير، فالاستضعاف هو نتيجة فعل وقع من الطرف المقابل على الآخر فتنتج المظلومية، ولو سبرنا أغوار الآيات القرآنية حول هذه المفردة، نجد أنها قد ذكرت في القرآن الكريم مرات عديدة من قبيل ((اسْتَضْعِفُوا)) و((مُسْتَضْعِفِينَ)) و((مُسْتَضْعَفُونَ)) و((استضعفوني)) و((يستضعف)) وكذلك ((المُسْتَضْعَفِينَ)) وفي أكثر من ثلاثة عشر آية وفي خمس سور قرآنية وفي قصص انبياء عدة كلها تشير إلى حالة المظلومية التي تعرضوا لها في



الحياة نتيجة صراعهم مع الجاهلية واتباعها وجبايرتها وطمغاتها ، ومن هنا وعد الله المستضعفين بالنصر والتمكين قال عزّ من قال ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^{٣٢} فهذا الوعد الإلهي لكل المظلومين في العالم بأن النصر حليفهم له تأثير تربوي كبير في حلبة الصراع مع الباطل مهما امتلك الباطل من إمكانيات وقدرات ، فقد حفز الجماهير على إقامة الثورات والانتفاضات على مر العصور ، ومن هنا نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عن قصص الأنبياء بهذا الأسلوب وهو أنهم مستضعفون سوف يمن الله عليهم بالتمكين والغلبة ، فأول صراع من هذا القبيل وقع بين قاتل ومقتول ، وهي أول مظلومية وقعت في هذا الكون ، قال تعالى حاكياً قصة أولاد نبي الله آدم ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^{٣٣} ف وقعت المظلومية على هابيل من أخيه قابيل وتركت لنا آثاراً تربوية كبيرة جداً تبدأ من التقوى الفردية التي يتميز بها المظلوم والتي كانت سبباً لقبول نذره وتقبله من قبل الله تعالى ومروراً بعدم اعتداء المظلوم على الآخرين وعدم تجاوزه الحدود مهما كان الأمر ، وصولاً إلى الخوف والخشية التي هي كاميرا داخلية عند الإنسان تصوّب له الاتجاه الصحيح ، وغير ذلك من الآثار التربوية التي خلفتها هذه المظلومية التي هي أول مظلومية حدثت على وجه البسيطة ، ومن ذلك الحين بدأت عملية الصراع بين الحق من جهة والباطل من جهة أخرى ، والتي تمخض عنها صراع الأنبياء على مر التاريخ مع الجاهلية والانحراف ؛ ف وقعت المظلومية عليهم لأنهم لا يتجاوزون الحدود في صراعهم مع الآخرين ، وهذا ما حدثنا به قصصهم التي نقلها القرآن

الكريم بشكل كبير في آياته وقصصه، فمظلومية النبي إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء وما رافق هذه الأحداث من آثار تربوية واخر هذه المظلوميات مظلومية نبينا محمد ﷺ والذي قال فيها سلام الله عليه ((ما أؤذي نبي كما أؤذيت))^{٣٤} فكلها مظلوميات تركت آثاراً تربوية أسس لها القرآن الكريم ناهيك عن المظلوميات الأخرى التي نقلها لنا القرآن كمظلومية المؤودة التي تقتل من دون سبب ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^{٣٥} كل هذه المظلوميات كان لها آثار تربوية مهمة على معاصريها وعلى الأجيال اللاحقة أثرت على الفرد وعلى المجتمع في آن واحد، فالصبر والتقوى والقدرة على المواجهة والتحدي والإصرار على تحقيق الأهداف كلها آثار تربوية أسس لها القرآن في ذكره لكل تلك المظلوميات .

المبحث الخامس: التأسيس الروائي لاستثمار حدث المظلومية في تحقيق

الآثار التربوية

تعتبر نصره المظلوم من أوجب الواجبات في الدين الإسلامي الحنيف حتى إن الإمام زين العابدين يعلمنا طريقة الاعتذار إلى الله في حالة عدم القدرة على نصره المظلوم فقد ورد في دعاءه عليه السلام ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظَلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ))^{٣٦} ولكن في حالة وقوع المظلومية تأتي هنا مرحلة أخرى وهي مرحلة استثمار المظلومية الإيجابية التي تدافع عن الحقوق والتي هي واحدة من أهم مهارات الاتصال القوية والعنيدة في تأصيل الأفكار وإيجاد التأثير التربوي على الآخرين تأثيراً يتجاوز حدود الزمان والمكان، وهذا ما رنا إليه النبي الأكرم وأهل بيته عندما ركزوا على المظلوميات والتي تأتي مظلومية النبي على رأس تلك المظلوميات، روى أهل الحديث أن النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص عمدوا إلى سلى جمل فرفعوه

بينهم ووضعوه على رأس رسول الله ﷺ وهو ساجد بفناء الكعبة فسال عليه، فصبر ولم يرفع رأسه وبكى في سجوده ودعا عليهم، فجاءت ابنته فاطمة (عليها السلام) وهي باكية فرفعته عنه فألقته وقامت على رأسه وهي باكية فرفع رأسه وقال: اللهم عليك بقريش قالها ثلاثاً، ثم قال رافعاً صوته: إني مظلوم فانتصر قالها ثلاثاً، وكذلك نجد هذا المعنى في خطاب النبي لعلي (عليه السلام) - ((يا علي أبشر بالسعادة فإنك مظلوم بعدي ومقتول! فقال علي (عليه السلام) يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك))^{٣٧} فظلامة علي في سلامة من الدين، ظلامة يجب أن يرفعها أتباعه على مر العصور حتى تكون وسيلة لنصرة علي وأهدافه ومبادئه، فالتأسيس الروائي لاستثمار المظلومية واحد من العلامات البارزة في الروايات المحمدية والتوجيهات العلوية في تأصيل الأفكار والعقائد ونشر آثارها التربوية، فقد أسس النبي الأكرم لاستثمار مظلومية ولده الحسين قبل وقوعها، وهذا ما حدثنا به الروايات النبوية التي تحدثت عن واقعة الطف وبكاء النبي ﷺ على الحسين قبل مقتله ليرسل رسالة للأمة لكي تستثمر هذه المظلومية التي سوف تقع ويحذر الأمة من وقوعها، وإذا ما وقعت فيجب استثمارها لنصرة الدين والشرعية وهذا ما حدث بالفعل، تقول الروايات الواردة في مستدرک الصحيحين بسنده عن شداد ابن عبد الله عن أم الفضل بنت الحارث، إنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت ((يا رسول الله إني رأيت حلماً منكرًا الليلة، قال: «وما هو»؟ قالت: إنه شديد، قال: «وما هو»؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت و وضعت في حجري، فقال رسول الله ﷺ: «رأيت خيراً، تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك» ، فولدت فاطمة سلام الله عليها الحسين (عليه السلام) فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت يوماً على رسول الله ﷺ فوضعت في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

تهريقان من الدموع، قالت : فقلت : يا نبي الله بأبي أنت و أمي - مالك ؟ قال : « أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل إبنني هذا » فقلت : هذا ؟ فقال : « نعم ، و أتاني بتربة من تربته حمراء »^{٣٨}، ولم يكن بكاء النبي ﷺ على ولده في موقع واحد أو في زمان واحد بل كان في مقاماتٍ متعددة كما دلت عليه الروايات؛ ففي يوم ولادته ، وقبل ذلك، ويوم السابع من مولده وكذلك في بيت فاطمة، وعلى منبره وفي بعض أسفاره ، وتارة يقبله في نحره، وأخرى يضعه في حجرة ، وثالثة يقبل رأسه ، وفي كل ذلك يذكر للقوم مصيبة الحسين وما يحل به من مظلومية في داخل هذه الأمة ، فهي وسيلة وطريقة لتركيز الهدف الذي جاءت من أجله الرسالات وتحمل من أجله الأئمة المظلومية التي حلت بهم، وكذلك الحال ببكاء من يلوذون بالنبي كأم سلمة، تقول الرواية التاريخية التي رواها الترمذي في صحيحه بسنده عن سلمى ، قالت : دخلت على أم سلمة وهي تبكي ، فقلت ما يبكيك ؟ قالت : رأيت رسول الله ﷺ تعني في المنام - وعلى رأسه وحيته التراب ، فقلت : مالك يا رسول الله ؟ قال : « شهدت قتل الحسين آنفاً »^{٣٩}، ومظلومية الحسين جاءت على لسان كل الأئمة الذين تقدموا الواقعة بل كل الصحابة التابعين الذين نقلوا أحاديث رسول الله بأمانة ومن دون إسقاطات نفسية مريضة ، وإذا ما تحولنا من تأسيس الرسول الأكرم وأهل بيته ﷺ لاستثمار المظلومية التي حلت بالحسين إلى مظلومية الإمام أمير المؤمنين وهو أول مظلوم في الإسلام كما جاء ذلك في زيارته ﷺ على لسان إمام معصوم نقلها لنا الشيخ الكليني رحمه الله ((عن أبي الحسن الثالث الإمام علي بن محمد النقي ﷺ قال : تقول عند قبر أمير المؤمنين ﷺ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ أَنْتَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ وَأَوَّلُ مَنْ غُصِبَ حَقُّهُ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ))^{٤٠} فهذا كله يدخل في التأسيس لاستثمار المظلومية التي حلت بهم ﷺ ليس انطلاقاً من التمهيد لتلك المظلومية بقدر ما هو استثمار لما يقع

من مظلومية لتحقيق الآثار التربوية التي تدفع الإنسان إلى الدفاع عن الحق ومصالح المجتمع وقضايا المستضعفين في العالم باعتبار أن الأئمة عليهم السلام دافعوا وتحملوا المظلومية واستشهدوا من أجل تلك القضايا ، تقول الروايات أن أعرابيا أتى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في المسجد . فقال ((مظلوم . قال : ادن مني . فدنا ، فقال : يا أمير المؤمنين مظلوم . قال : ادن . فدنا حتى وضع يديه على ركبتيه ، قال : ما ظلامتك ؟ فشكا ظلامته . فقال : يا أعرابي أنا أعظم ظلامة منك ، ظلمني المدر والوبر))^١ ولم تتوقف عملية استثمار المظلومية عند حدود المظلوميات التي حدثت للأئمة الذين قتلوا وشردوا وسجنوا، بل حتى بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام فهو يعيش مظلومية أخرى ومن نوع آخر وهذا ما حدثنا به الروايات المباركة التي جعلت مظلوميته عليه السلام من الوسائل المهمة والأكيدة لإيجاد الارتباط والعلاقة الوثيقة والعاطفية بالإمام الغائب عليه السلام فالبكاء على الحسين امرٌ طبعيٌّ لما حلَّ به من مظلوميةٍ، ولكن البكاء على الإمام الحجة المنتظر الموعود بنشر العدل والقسط في الأرض له معنى آخر؛ فالأئمة عليهم السلام أكثروا من البكاء عليه تعليماً لمن يأتي من بعدهم بعد غيابه بأن هناك مظلومية سوف يعيشها الإمام المهدي؛ ولهذا جاءت الرواية تقول ((صاحب هذا الأمر الشريد الطريد الفريد الوحيد))^٢ وهذا العمل له اثر تربوي واضح ألا وهو استنطاق ذاكرة أتباعه ومحبيه لظهور هذه المظلومية ونصرته والارتباط به والاستعداد لمواجهة أعدائه وتحقيق النصر وملء الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، وهذا ما تم التأكيد عليه ليس فقط من الأئمة أنفسهم بل حتى من صحابة الرسول وصحابة أهل بيته تقول الرواية التاريخية عن الإمام الصادق (لما دخل سلمان الكوفة ونظر إليها ذكر ما يكون من بلائها حتى ذكر ملك بني أمية والذين من بعدهم ثم قال: فإذا كان ذلك، فالزموا أحلاس بيوتكم حتى يظهر الطاهر ابن الطاهر

المطهر ذو الغيبة الشريد الطريد)^{٤٣} ناهيك عن روايات الأئمة عما يلاقيه الإمام المهدي بعد ظهوره؛ يقول الإمام الصادق (عليه السلام) ((إن قائمنا إذا قام استقبل من جهال الناس أشد مما استقبله رسول الله ﷺ من جهال الجاهلية) قلت: وكيف ذاك؟ قال: (إن رسول الله أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله محتج به عليه)^{٤٤}، فهذه الرواية تبرز وبوضوح تركيز الأئمة (عليهم السلام) على الظلمات التاريخية التي حلت وتحل بهم وبأتباعهم (عليهم السلام) لتحسين الأمة من هذه الكوارث التي تحل بها وأخذ الدروس والعبر التربوية منها وإعداد الجماعة الصالحة من أصحاب الأئمة لتحمل المصاعب والمتاعب، فهي طريقة تربية تقوم على أستثمار الأحداث التي تحل بالأمة والأئمة لتحقيق آثار تربوية جمة ولهذا تجد الروايات متظافرة في هذا المجال بل حتى الإمام المهدي (عليه السلام) عندما يقول مخاطباً جده الإمام الحسين وشارحاً لمظلوميته وما حل به لاستنهاض الأمة يقول: ((فلأندبنك صباحاً ومساءً ولأبكين عليك بدل الدموع دماً))^{٤٥} فاستثمار المظلومية وتحويلها من حالة سلبية يعيشها المظلوم إلى حالة إيجابية تحقق النصر هو في الحقيقة سلاح ستراتيغي فتاك للظالم تنكسر عنده كل أسلحة الظلام لانه سلاح معنوي يُرهب الظلمة والمجرمين، فلقد كان يتخوفون من بكاء نساء، ومن دموع أطفال ويتخوفون من أتباع المظلومين ويعتبرون ذلك أقوى سلاح يُشهر ضدهم، فإذا ما رفع الظالم سلاح السيف والرمح سابقاً والأسلحة المتطورة حالياً، فأن المظلوم له سلاح معنوي إذا ما أحسن استخدامه سوف يهزم به ظالمه ويرفع معنويات أتباعه ومريديه، فلا نبالغ إذا قلنا من أمضى أسلحة المظلوم ضد ظالمه هو سلاح المظلومية من خلال إبراز عدوانية الظالم وشدة قساوته وإجرامه وإرهابه، ومن جهة أخرى محاكاة العاطفة وإظهار حجم المأساة والآلام التي تحملها المظلوم، وهذا ما

شاهدناه في الحركة الزينية التي هزمت الظالم في كل مراحل الصراع التي مرت بها ابتداءً من كربلاء بعد مصرع أخيها الحسين (عليه السلام) ومروراً بالطريق إلى الكوفة ومنه إلى الشام فكان الركب الحسيني الذي تعرض إلى أكبر مظلومية في التاريخ يؤسس لمنهج استثمار ما يحل بالإنسان لنصرة أهدافه وتحقيق، ذلك خصوصاً إذا كانت الأهداف دينية سماوية، وهذا ما جسده الحوراء زينب (عليها السلام) فقد أبرزت مظلومية الحسين بكل الوسائل لغرض نصرته وتحقيق أهدافه أمام زمرة مارقة ظالمة طاغية تجاوزت كل الحدود مع الأطفال قبل الكبار ومع النساء قبل الرجال، ولهذا سارت مدرسة أهل البيت وأتباعها على تنويع وسائل إظهار المظلومية لتحقيق الأهداف الحسينية على مر العصور والأيام.

المبحث السادس :- الآثار التربوية لمظلومية الإمام الحسين (عليه السلام)

المتابع لروايات أهل البيت (عليهم السلام) يجد أن هناك تأكيداً بل إصراراً على نشر مظلومية أهل البيت بشكل عام ومظلومية الإمام الحسين بشكل خاص، فمثلاً في كتاب كامل الزيارات نجد أن الإمام الصادق يؤكد على مظلوميتهم جميعاً، يقول (عليه السلام) : ((مَنْ ذَكَرْنَا عَنْهُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ حَرَمَ اللَّهِ وَجْهَهُ عَلَى النَّارِ))^٦ فالإمام (عليه السلام) يُشير إلى العارف بحق مظلوميتهم والمتمثل لها والمدافع عنها، بل أكثر من ذلك فإن الإمام الحسين (عليه السلام) قد عرّف نفسه بأنه قتيْل العبرات يقول أبو بصير ناقلاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) بواسطته عن جده الإمام الحسين قال: ((أَنَا قَتِيلُ الْعَبْرَةِ، لَا يَذْكُرُنِي مُؤْمِنٌ إِلَّا اسْتَعْبَرَ))^٧ وهذا التعريف يشير إلى إضافة السبب إلى المسبب بمعنى أن قتل الإمام سببٌ للبكاء والدموع لما لهذه المظلومية من أثر ليس فقط للندب والبكاء وإنما لنشر الهدف السامي الذي خرج من أجله، ولولا أتباع الحسين ووسائلهم في نشر مظلوميته لاندثرت الكثير من الحقائق عن الأجيال وأصبحت المسألة تاريخية

تتجاذبها أطراف الحديث بين المؤرخين من مثبت لها ونافٍ لأحداثها، فالحسين يعرف نفسه من خلال مظلوميته التي تحولت من حادثة وقعت في زمان معين إلى ظاهرة اجتماعية وفكرية وثقافية وسياسية ، لأن مقتل أي شخص لا يمكن أن يكون سبباً للحزن والبكاء على مر العصور والدهور باستثناء مقتل الإمام الحسين، ولهذا نجد أعداء هذه المدرسة يحاولون جاهدين محاربة الشعائر الحسينية التي تبرز المظلومية على مر العصور والدهور ولهذا السبب يشير النبي الاكرم إلى ((إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَدًا))^٨ كل ذلك يفسر لنا بشكل واضح سبب إصرار النبي وأهل بيته عليهم السلام على نشر المظلومية لما لها من ارتباط وثيق بالعاطفة والفطرة البشرية التي تحافظ على الشيء من الضياع والتحريف، ولما لهذه المظلومية من آثار تربوية تحفز السلوك لتتجذر في عمق النفس البشرية ، فالمظلومية التي عاشها أئمة أهل البيت بشكل عام والإمام الحسين بشكل خاص إذا ما تم نشرها والمحافظة عليها سوف تعود آثارها التربوية على الفرد والجماعة في آن واحد، بل إن التأمل في تصرفات الإمام الحسين وأصحابه في يوم عاشوراء يجد أن هناك صور تعمد الإمام وأصحابه وأهل بيته إظهارها للأجيال ابتداء من الخروج بعائلته مروراً بالأحداث التي رافقت يوم الطف وحركة الحسين عليه السلام في ذلك اليوم وفي كيفية قتال أصحابه وعودته إلى خيامه وطفله الرضيع ووداع أسرته وبناته وطريقة مقتله وتخضيب شيبته الكريمة بدمه الطاهر كل هذه الصور تختزن معاني سامية متعمدة لإظهار المظلومية كوسيلة من الوسائل بل كسلاح من الأسلحة التي استعملها الحسين وركب الأسارى للانتصار بشكل استراتيجي عبر الأجيال من خلال ذلك لما فيه من قدرة وقابلية على البقاء والتمصدق بأشكال وصور مختلفة تختلف باختلاف ثقافة الشعوب ، فوسائل إظهار المظلومية منذ يوم الواقعة إلى يومنا هذا تتجدد وتتعدد بتعدد



الثقافات والأعراف والتقاليد التي تنطلق منها فأثرت تأثيراً كبيراً على كل جوانب حياة الإنسان الفكرية والثقافية والدينية والأخلاقية؛ ولهذا الإمام الصادق دعا الشعراء إلى تمثل هذه المظلومية؛ يقول زيد الشحام: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُوفِيِّينَ، فَدَخَلَ جَعْفَرُ بْنُ عَفَّانَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا جَعْفَرُ!» قَالَ: لَبَّيْكَ جَعْلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «بَلَّغْنِي أَنْتَ تَقُولُ الشَّعْرَ فِي الْحُسَيْنِ ﷺ وَتُجِيدُ»، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، جَعْلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ! فَقَالَ: «قُلْ»، فَأَنْشَدَهُ فَبَكَى ﷺ وَمَنْ حَوْلَهُ حَتَّى صَارَتْ لَهُ الدَّمُوعُ عَلَى وَجْهِهِ وَلِحْيَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: «يَا جَعْفَرُ! وَاللَّهِ، لَقَدْ شَهِدْتُكَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ الْمُقَرَّبُونَ، هَاهُنَا يَسْمَعُونَ قَوْلَكَ فِي الْحُسَيْنِ ﷺ، وَلَقَدْ بَكَوْا كَمَا بَكَيْنَا أَوْ أَكْثَرَ، وَلَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ - يَا جَعْفَرُ - فِي سَاعَتِهِ الْجَنَّةَ بِأَسْرِهَا، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ». فَقَالَ: «يَا جَعْفَرُ! أَلَا أَرِيدُكَ؟». قَالَ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي. قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ قَالَ فِي الْحُسَيْنِ ﷺ شِعْرًا فَبَكَى وَأَبَكَى بِهِ، إِلَّا أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ وَغَفَرَ لَهُ»^٩؛ فهذه الوسيلة والآلية التي دعا الإمام الصادق هذا الرجل أن يظهر مظلومية الإمام الحسين بها ما هي الا طريقة تدخل في سلسلة الطرق والوسائل التي من خلالها انتشرت مظلومية الحسين وتعددت صورها وكذلك الإمام الرضا ﷺ قد نشر مظلومية الإمام الحسين بطريقته الخاصة التي تحدث فيها عن كربلاء فقال ذاكرة الأحداث والمظلوميات التي حدثت في الطف ((فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله حرمة في أمرنا. إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام))^{١٠} فهذا التصوير الرضوي للمظلومية يكشف من جهة عظم ما حل بالحسين وأهل بيته ومن جهة أخرى طريقة

العرض لهذه المظلومية تكشف أيضاً أن هناك إصراراً من الإمام الرضا (عليه السلام) على تنوع عرض الأحداث بوسائلها المختلفة لما فيها من تأصيل لما حدث في النفوس وتركيز دروسها التربوية القائمة على الصبر والتحمل والطاعة للإمام وإظهار الحزن والتفجع لمصيبته، ولم يقف الإمام الرضا عند هذا الحد بل قال: ((كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى صاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (عليه السلام))^١، وسنحاول في هذا الفصل من البحث التركيز على الآثار التربوية المتعددة لمظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) في حياة الأفراد والشعوب مصنفةً على حسب آثارها التالية :

الآثار السلوكية لمظلومية الإمام الحسين (عليه السلام)

المقصود بالآثار السلوكية هي تلك الأفعال والنشاطات التي تصدر من الفرد والجماعة بشكل مقصودٍ وواعٍ، ويتم تعلمها من البيئة التي تحيط به أو من الأحداث التي تمر به، سواءً كانت تلك الأحداث مصنوعة يقوم البشر بصناعتها أو أحداثاً تكوينية تؤثر في سلوك الإنسان وتصرفاته، ونحن في هذا العنوان نحاول تحليل مظلومية الإمام الحسين ورصد تأثيراتها السلوكية على الأفراد والجماعات خصوصاً وأن هذا المظلومية جمعت بين دلائل العقل وميول العاطفة بحيث أثرت على السلوكيات المختلفة للإنسان فكانت بحق شعلة وهاجة تستنهض المشاعر وتوقظ العواطف وتحرك الأبدان نحو الكثير من السلوكيات المختلفة، بل وتدعو إلى تغير السلوكيات القائمة عند الإنسان خصوصاً إذا ما كانت مغايرة لدلالات تلك المظلومية، فنحن نجد تعاطفاً كبيراً لدى جميع طبقات المجتمع بمجرد عرض تلك المظلومية بغض النظر عن انتماءاتهم ومدارسهم، فتظهر عليهم سلوكيات الحزن والبكاء والميل

العاطفي والجسمي اتجاه شخصيات هذه المظلومية ، بل والدفاع عنهم بكل ما يملك الإنسان المتأثر من وسائل ، فتنمو عنده روح التضحية والفداء وترك روح الجبن والتخاذل فيصبح الإنسان سلوكه سلوك الشجاع وطريقته طريقة المضحى في الحياة مبتعداً عن سلوك الأنانية ذات الأبعاد والمصالح الشخصية سلوكاً قائماً على أساس الدفاع عن مصالح المجتمع وكيان الأمة وتراثها ، ولو تأملنا فتوى الجهاد المقدس التي أعلنها سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني، لوجدنا أن روح التضحية التي طلبها من الأمة كانت قائمة على روح المظلومية التي تعرض لها هذا الشعب فدعاهم للدفاع عن مقدساتهم وقيمهم ، وهبّ الملايين من الناس ملبين هذه الفتوى تحت شعارات المظلومية الحسينية التي جاءت داعش وأمثالها من أجل القضاء عليها ولو تأملنا طبيعة الشعارات التي رفعها الملبون لفتوى الجهاد الدفاعي التي أعلنها المرجع الكبير السيد السيستاني لوجدنا أن مظلومية الحسين كانت حاضرة في تغيير سلوك الناس واندفاعهم للدفاع عن مقدساتهم واستبدال حالة التراجع والتفرج إلى حالة الإقدام والتضحية والفداء ، فبدأت قوافل الشهداء على درب الحسين تسير إلى أن تم تحرير كافة الأراضي العراقية من دنس هؤلاء، علماً أنه لم يقتصر التأثير بهذه المظلومية على أتباع مدرسة أهل البيت بل شمل كل طبقات المجتمع وفئاته ومدارسه، فالجميع لبوا النداء المرجعي لسماحة السيد ورفعوا شعار الحسين وما حل به من مظلومية ليطردوا هذه الفلول التي تجمعت من كل أقطار المعمورة للنيل من هذا الشعب ومقدساته ، فالسلوك الإنساني الذي سار عليه المجتمع تحول إلى سلوك التضحية والفداء والتقدم والانتصار لجعل التضحية مناراً يقتدي به السائرون على طريق مظلومية الإمام الحسين التي خلقت في نفوسهم قدرة على تحمل الصعاب والصبر على المكار، ليتعلموا من الحسين كيف يكونون



مظلومين معتدى عليهم وبنفس الوقت مدافعين يتعلمون من الحسين كيف يكونون مظلومين منتصرين وفق الشعار السائد ((تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر)) ومن هنا يبرز الدرس التربوي السلوكي وهو درس الانتصار في رحم المظلومية والمأساة، فالمظلومية إذا اقترنت بالإبء والعزة، فهي منتصرة بشرط مزجها بالصبر والثبات على العقيدة والدفاع عن المنهج والهدف الصادق، فكل مظلوم إذا ما أراد الانتصار على ظالمه فعليه أن يتعلم من الإمام الحسين درس المظلومية المقترنة بالعزة والابء، المظلومية المرافقة للصبر والثبات، فهي سلاح يحفز الطاقات والقدرات الكامنة في الافراد على الظهور والتجلي للدفاع عن أهداف المظلومين، وبهذا السلاح واجه أنصار الحسين الدولة الأموية، فكلما اشتدت مظلومية إمامهم كلما أظهروا ما عندهم من استماته وصلابة، وهذا مانراه في سلوكيات زائر الحسين أيضاً، فكان يقدم الغالي والنفيس ليقهر عدوه ويتحمل الصعاب بل يصل الأمر إلى الإعدام من قبل الحكومات الجائرة التي حاربت الفكر الحسيني وحاولت جاهدة طمس تلك المظلومية، فكان الزائر الحسيني يتحمل كل تلك الصعاب ليصل إلى معشوقه رغم القتل والتشريد والسجن، ولو طالعنا في التاريخ قليلاً وبحثنا عن الذين قتلوا وسجنوا وشردوا بسبب ولائهم للحسين المظلوم لوجدنا موسوعة متكاملة من الأسماء التي تحملت ما تحملت لأجل إظهار مظلومية الإمام وما حل به من مصائب، وهذا التغيير السلوكي عند الناس لم يأت من فراغ بل جاء نتيجة تمثل هذه المظلومية وتجسيدها في الأمة من قبل أتباع مدرسة أهل البيت الذين رفضوا كل أنواع العبودية والملذات ليعيش الناس في عز ويغيروا من سلوكياتهم امتثالاً لمقولة إمامهم المظلوم ((موت في عز خير من حياة في ذل))^{٥٢}؛ فالسلوك الإنساني القائم على الحياة بعزة يختلف عن السلوك



الإنساني القائم على الذل والخنوع والخضوع، فهذه العزيمة والإصرار تمثلها أنصار الحسين من إمامهم عندما وقف في صحراء كربلاء وفي حر عاشوراء والقوم يحيطونه من كل جانب فخطبهم بعدما عرضوا عليه الاستسلام والذل فقال ﷺ ((والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لهم إقرار العبيد))^٣، فهذا الأثر التربوي والسلوك الحر الذي يحتاج الإنسان أن يتمثله ويطبقه في حياته كي يعيش سعيداً ويموت حراً يتعلمه من مظلومية الإمام الحسين في كربلاء ويغير من خلاله سلوكه من إنسان خاضع خانع جبان إلى إنسان عزيز شديد مقاوم أمام الانحرافات والمغريات، ولم يقتصر الأمر السلوكي في المظلومية على ذلك، بل إن الشجاعة في تحمل المسؤولية والوضوح في الهدف ورباطة الجأش والصبر عند نزول المصائب في وسط مصائب المظلومية التي يتعرض لها الإنسان، هي درس مهم من دروس كربلاء في تغير السلوك البشري ولاتزال ترن في آذان الناس تلك المقولة الحسينية لأصحابه ((ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فقوموا واتخذوه جملاً...))^٤؛ فالشجاعة لا تبرز عندما تكثر الأنصار أو عندما يشعر الإنسان بأنه محاط بأسوار، وإنما تبرز عندما يتعرض الإنسان لمظلومية ويحاصر من كل جهة فينبغي لمواجهة القوم بنفسه، هذا الدرس لاتعطيه المدارس التربوية بالتلقين ولكن مدرسة كربلاء بمظلوميتها أعطته للأجيال ليتعلموا من الحسين كيف يكونون مظلومين محاصرين مهددين وبنفس الوقت يتحملون المسؤولية كاملة بشجاعة من دون تردد أو خوف، فهذا السلوك الحسيني يبرز عندما تكون المظلومية عنواناً للحق والحقيقة، ولهذا ينقل أحد الذين حضروا معركة كربلاء لينقل لنا موقف الحسين المظلوم وهو يقاتل أعداءه ليقول: ((فو الله ما رأيت مكثوراً قط قتل

ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناحاً منه))^{٥٥} فالصبر هو سلوكك يتمثله الإنسان عندما يتعرض لمظلومية ، فالقرآن الكريم يقول: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾^{٥٦} فالقرآن سمح للمظلوم غير القادر على الصبر أن يتحرك بمساحة محدودة، لكننا نجد مظلومية كربلاء التي تمثلت في كل صورها بشخص الإمام (عليه السلام) تختلف تماماً عن ذلك فهو (عليه السلام) يوصي أصحابه بالصبر والتحمل في أحلك الظروف، فقال لهم من رحم المظلومية التي حلت به: ((أيها الناس فمن كان منكم يصبر على حدّ السيف وطعن الأسنة فليقم معنا والا فلينصرف عنا))^{٥٧} وكأنه جعل شرط الصحبة الصبر على تحمل المكاره وتحمل مسؤولية المظلومية وما يترتب عليها ، وفي وسط لهوات الحرب قال لهم: ((صبراً بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة))^{٥٨}، وفي وصية أخرى قال (عليه السلام) لاحدى بناته: ((فاصبري على قضاء الله ولا تشكي))، فسلام عليك أبا عبد الله لقد حولت كربلاء إلى مدرسة تربية للسلوك الإنساني متكاملة الأركان ترسل آثارها التربوية إلى كل البشرية على مر العصور وعلى اختلاف ألوانهم وثقافتهم ومشاعرهم بل وحتى أديانهم .

الآثار الغيبية لمظلومية الإمام الحسين (عليه السلام)

تصدر الإيمان بالغيب التعليمات الإلهية في الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^{٥٩} ، ولو طالعنا الآيات القرآنية لوجدنا أن الإيمان بالغيب هو القاعدة الأساسية التي يركز عليها إيمان الإنسان بالله وبأنبياءه وكتبه ، وهذا الإيمان له آثار وبركات في حياة الإنسان لا تعد ولا توصف لما فيه من طاقة إيجابية تجعل الإنسان يتغلب بها على كل صعوبات الحياة، خصوصاً إذا عرف بأن مفاتيح الأشياء



بيد الغيب المطلق ، فهذا الدرس التربوي الذي قدمته الآيات القرآنية كان درساً تربوياً طبقه الأنبياء والأولياء والصالحين في كل مراحل حياتهم فكان مفتاح الفرج لمغاليق القضايا ، وواحدة من أهم الآثار التربوية التي رسمتها كربلاء على سلوك الناس وتصرفاتهم هو الإيمان بالغيب وقدرته على حسم الأمور لصالح المظلومين رغم ما يظهر من انتصار الظالمين عليهم ظاهراً ، فلو تأملنا في قضية الإمام الحسين (عليه السلام) وهو وحيداً فريداً في ساحات الوغى مناجياً ربه رغم كل الضغوط والمشاكل التي تواجهه ، لوجدنا أن كل ابتلاء له مدخلية في المشيئة الإلهية وأن مفاتيح الغيب القائمة على أساس المناجاة والدعاء بيد الله وحده بحيث تمنح القدرة على ما يهون المصائب ويذل الخطوب ، فالإمام الحسين رغم كل المظلومية التي حاطت به من المجتمع التجأ إلى الله تعالى ﴿إلهي... ليس من معبود سواك.. ياغيث المستغيثين...﴾^{٦٠} فالعلاقة مع القدرة الغيبية الفاعلة في الأمور كلها هي مفتاح لكل المغاليق في الحياة، فمظلومية الإمام الحسين أعطتنا درساً تربوياً مهماً وهو اللجوء إلى الغيب والقدرة الإلهية رغم تكالب المجتمع وانكبابه على الحياة والملمات ، فالإنسان المتكئ على الغيب يعيش بسكينة وهدوء وطمأنينة عجيبة رغم كل الظروف المأساوية التي تحيطه ورغم المظلومية التي تحصل له ، فالذي يرتبط بالله لا يوجد أمامه باب مغلق فهو في سكينة وطمأنينة ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾^{٦١} ومن أهم الآثار التربوية لمظلومية الإمام الحسين والمرتبطة بالغيب هي أن التفوق ليس في العدة والعدد المادي الذي أعده الإنسان للمواجهة بقدر الاستعداد الروحي للإيمان بالغيب والذي هو العامل الحاسم في الصراع بشرط مصداقية المدافع عن الحق ومظلوميته، ولهذا يقول المؤرخ الإنكليزي (توماس كارليل) ((أسمى درس نتعلمه من مأساة كربلاء هو أن الحسين

وأنصاره كان لهم إيمان راسخ بالله، وقد أثبتوا بعملهم ذاك أنَّ التفوق العددي لا أهمية له حين المواجهة بين الحق والباطل والذي أثار دهشتي هو انتصار الحسين رغم قلة الفئة التي كانت معه)) ٦٢ تلك الفئة القليلة التي يقودها الحسين عليه السلام انتصرت بفعل إيمانهم بالغيب المطلق القادر على تغيير المعادلات مهما كان الطرف المقابل ومهما ملك من إمكانيات العدة والعتاد وهذا درس تربوي مهم يتعلمه المدافعون عن الدين والإسلام في كل زمان ومكان رغم تكالب الظروف عليهم.

الآثار الفكرية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

تحدثنا الآيات القرآنية بأن عقبة الأفكار والمعتقدات من أهم العقبات التي واجهت الأنبياء على مر التاريخ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ ٦٣ وذكر لنا القرآن الكريم جملة من الفواصل التاريخية لمواجهة الأنبياء والتي دخلت فيها عملية الجمود الفكري عاملاً أساسياً في عدم هداية الأقوام والشعوب ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ ٦٤، فالجمود الفكري يصعب على الإنسان تجاوزه وتغييره ولكن كان للمظلومية رأي آخر في هذا الجانب، فقد أوجدت نقلة نوعية في تغيير الأفكار بشكل مذهل على مر التاريخ وتجلت هذه الصورة في كربلاء بأجلى صورها، فالحر بن يزيد الرياحي كان من قادة الجيش الأموي ويتمي لمنظومة فكرية تختلف عن المنظومة التي يتمي لها الإمام الحسين عليه السلام، وإلا لما قاد فرقة عسكرية ليجتمع بالحسين ويحاصره في تلك المناطق النائية وفي الصحاري والقفار الخالية هو وعياله، ولكن بمجرد أن تجسدت مظلومية الإمام أمام ناظريه نجده قد



تحول فكرياً من جبهة إلى جبهة مقابلة تماماً حركت المظلومية وجدانه ومشاعره وأيقظت أفكاره ومتبنياته الفكرية فألوى بعنان فرسه نحو الإمام ليعلن عملية التحول الفكري الكاملة من معسكر الطاغية يزيد إلى معسكر الحسين المظلوم وهو مطرق برأسه إلى الأرض حياءً وندماً، قائلاً: ((اللهم إليك أنيب فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك يا أبا عبد الله إني تائب فهل لي من توبة ؟))، فلولا المظلومية لم يتحول فكرياً من معسكر إلى معسكر آخر ولم يتوسل بالمظلوم ليقبله في جبهته والدموع تنحدر على وجهه وهو يخاطب الحسين عليه السلام ((جعلني الله فداك يا ابن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وجعجعت بك في هذا المكان. والله الذي لا اله الا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبداً))^{٥٠} ففي هذا الخطاب يُظهر الحر سبب تحوله الفكري من جبهة إلى أخرى وهو المظلومية التي عليها الإمام الحسين، وهذا التحول الفكري الذي حدث في ساحة الصراع في كربلاء لم يكن قد انحصر بالحر بن يزيد، بل هناك أكثر من ثلاثين فارساً قد اتخذوا هذا الموقف بين من وقف إلى جانب الحسين^{٥١} وقاتل حتى استشهد وبين من لوى عنان فرسه وهرب من ساحة المعركة بعد أن شاهد مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، وهذا النوع من الآثار التربوية في حالة التحول الذي حدث في ساحة الصراع نفسه حدث على مر العصور والدهور، ولو راجعنا كلمات الكثير من إخواننا من المدراس الأخرى الذين تركوا ما هم عليه ولجأوا إلى مدرسة أهل البيت نجد أن سبب ذلك هو هذه المظلومية التي عاشها الحسين وأصحابه وأهل بيته يقول أحدهم: ((وبعد البحث تعرّفت على حقائق دفعتني إلى التخلي عن عقائدي الموروثة، والاتجاه نحو عقائد مذهب أهل البيت عليه السلام، ومن ذلك الحين عرفت سمو مقام أهل البيت عليه السلام عند الله تعالى، وعرفت المظلومية التي واجهوها بعد

وفاة الرسول ﷺ. فاتخذت القرار باعتراف مذهب أهل البيت ﷺ، فأعلنت بعد ذلك استبصاري^(٦٧)، فالمظلومية التي حلت بالنبي وأهل بيته بشكل عام والإمام الحسين ﷺ بشكل خاص هي التي دعت هؤلاء إلى عملية التحول الفكري من مدرسة إلى مدرسة أخرى، بل إننا في هذه الأزمنة نشاهد أن هناك الكثير من الشعوب والدول التي يقام فيها عزاء الإمام الحسين قد تحولت فكرياً بعد سنوات طويلة من طريقة تفكير إلى طريقة أخرى تعترف بأن هناك حقائق تم تغييرها عنهم طيلة الفترة التي خلت، وبنفس الوقت نجد الطائفتين يحاربون بشدة هذه الشعائر الحسينية التي تبين المظلومية الحسينية لأنهم يعرفون أن هذه المظلومية سوف لا تبقى لهم مكاناً في الأمة وسوف يتحول أتباعهم من طراز فكري إلى آخر ليس لهم فيه مكان، ولهذا نجد هناك من يحارب الشعائر ويمنع من دخولها إلى بلده بحجج متعددة تخفي وراءها خوفاً من هذه المظلومية التي لو انتشرت وتعددت وسائلها لتحولت المجتمعات إلى مجتمعات حسينية، ولعل هذا السر الأساس الذي يكمن وراء إصرار أهل البيت على عرض المظلومية العامة لأهل البيت والمظلومية الخاصة التي تعرض لها الإمام الحسين في كربلاء الآثار العقيدية لمظلومية الإمام الحسين ﷺ

لو تأملنا في الرواية التي نقلها النضر بن مالك عندما سأل الحسين بن علي ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رُبِّهِمَا﴾ قال: نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل، قلنا، صدق الله، وقالوا: كذب الله. فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة^(٦٨)، نجد أن الصراع بين الطرفين صراع عقيدي يدخل في صلب الإيمان، وتحديد المنتصر من المهزوم في هذا الصراع يتم من خلال تحقيق الهدف لكل طرف، ولهذا نجد أن جواب الإمام السجاد لإبراهيم بن طلحة بن عبيد الله عندما سأله مَنْ غَلَبَ، بمعنى آخر يا ابن رسول الله مَنْ المنتصر في هذه الحرب، وهذا السؤال كان بعد

استشهد الإمام الحسين وعودة السبايا، فقال الإمام السجاد في جوابه ((إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَنْ غَلَبَ وَدَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَأَذِّنْ ثُمَّ أَقِمْ))^{٦٩} يعني عندما يرتفع الأذان ويصدق بالشهادة لله ولمحمد رسول الله تعرف مَنْ هو المنتصر، فالصراع هو في حقيقته صراع عقائدي بامتياز، ولهذا السبب كان معاوية يحارب علي بن أبي طالب، يقول المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية، و كان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلي، فيذكر معاوية وعقله، ويُعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، و رأيته مغتماً فانتظرته ساعة، و ظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني جئتُ من عند أكفر الناس وأخبثهم^{٧٠}، قلت: وما ذاك؟! قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً و بسطت خيراً، فإنك قد كبرت، و لو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، و إن ذلك مما يبقى لك ذكره و ثوابه، فقال: هيهات هيهات، أي ذكر أرجو بقاءه! مَلِكٌ أخو تيم فعدل، و فعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد و شمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، و إن ابن أبي كبشة^{٧١} ليُصاح به كل يوم خمس مرات «أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، فأَيُّ عمل يبقى و أَيُّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبالك، لا والله إلا دفناً دفناً»^{٧٢}، ولهذا السبب حذر النبي الأكرم من خطر بني أمية مراراً وتكراراً، فقد روى الحاكم في مستدرك الصحيحين بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل بيتي سيُلَقون من بعدي من أمتي قتلاً و تشريداً، و إن أشدَّ قومنا لنا بغضاً بنو أمية و بنو المغيرة و بنو مخزوم»، ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد^{٧٣} و ذكر السيوطي

في تفسيره المسمى بالدر المنثور في ذيل تفسير قول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ...﴾ ٧٤ ، أن سعيد بن مسيب قال : رأى رسول الله ﷺ بني أمية يَنْزُونَ على منبره نزو القرد فساء ذلك ، قال : وهذا قول ابن عباس في رواية عطا ٧٥ .

وبموجب هذه المستندات والوثائق التي نقلتها مصادر المسلمين جميعاً بمختلف اتجاهاتهم ومذاهبهم فقد انتفضى الإمام الحسين وهو يعلم بأن المواجهة سوف تكون شرسة، ولهذا جند لها كل وسائل الانتصار ومن أهمها وسيلة المظلومية التي سوف تحل به وبأهل بيته وأصحابه ، واستطاع من خلال هذه الوسيلة أن يغرس الأثر العقائدي في السلوك الإنساني من خلال مظلوميته ، وأذا أردنا أن نعرف هذا الانتصار العقائدي من خلال المظلومية فلننظر إلى ما بعد المظلومية من أحداث حدثت ببني أمية ، وبني العباس ، ولننظر اليوم إلى كربلاء والقباب التي تعانق السماء والجموع المليونية التي تصوب وجهتها صوب المظلوم الشهيد المنتصر ولننظر إلى دول العالم في شهر محرم والمسيرات المليونية التي تجوب الشوارع والأزقة والميادين لتعلن أن النصر حليف المظلوم ، وأن المظلومية حفرت الآثار العقائدية في سلوك الناس وضمايرهم ، فصدق الحق تبارك وتعالى عندما نصر رسله لا بالعدة والعتاد وإنما بالمظلومية التي حلت بهم، ففي الوقت الذي يقول فيه نبي من الأنبياء ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ ﴾ أي: إني مظلوم، نجد أن الله قال له ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ ٧٦ فالذي ينظر إلى الرسل وما حل بهم من القتل والتشريد والتكذيب والطرده ، فمنهم من ينشر بالمناشير ، ومنهم من يُدفن في الأخدود ، ومنهم من يُقتل شهيداً ، ومنهم من يعيش فقيراً ويقول ﴿ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ٧٧ ، ففي وسط





هذه المظلوميات والمحن نجد صوت الحق يصدق بالقول ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فهذه هي الحقيقة التي تنطلق من رحم المعاناة
والمظلومية التي عاناها ويعانيها رجال الله في الأرض ، وهذا ما طبقه الإمام
الحسين وسار بسيرة سلفه من الأنبياء والصالحين واستطاع من خلال تلك
المظلومية أن يحفر الآثار العقائدية السماوية التي جاء بها الأنبياء في سلوك
الناس وأفكارهم ليسقي شجرة العقيدة بدمه الطاهر ومظلوميته وأهل بيته
وأصحابه لتصبح فيما بعد شجرة باسقة يستظل بظلها كل البشر إلى يوم
القيامة ، فهذا هو النصر الحقيقي لهؤلاء القديسين ، نصر عقائدي يُغرس في
سلوك البشرية تربوياً وأخلاقياً غير قابل للتحريف والتضليل ، فالإسلام باقٍ ،
والنبوة والإمامة باقية ، والأوامر الإلهية باقية إلى يوم القيامة بفضل مظلومية
القديسين ورجال الله في الأرض ، واللعنة باقية على المستكبرين والمجرمين
والطغاة ، هذا هو نصر الله ، نصرٌ تغلب فيه الدم على السيف ، والمظلوم على
الظالم ، واعترف به الكثير من الصحابة والتابعين وغيرهم وهذا ما حدثنا به
تاريخ أولئك؛ يقول البلاذري ^{٧٨} ((لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ
إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتِ الْمُصِيبَةُ وَحَدَّثَ فِي
الإِسْلَامِ حَدَثٌ عَظِيمٌ، وَلَا يَوْمَ كَيَوْمِ الْحُسَيْنِ! فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَزِيدُ: أَمَّا بَعْدُ، يَا
أَحْمَقُ، فَإِنَّا جِئْنَا إِلَى بُيُوتٍ مُنَجَّدَةٍ، وَفُرُشٍ مُمَهَّدَةٍ، وَوَسَائِدَ مُنَضَّدَةٍ، فَقَاتَلْنَا
عَنْهَا، فَإِنْ يَكُنِ الْحَقُّ لَنَا فَعَنْ حَقِّنَا قَاتَلْنَا، وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ لِغَيْرِنَا فَابُوكَ أَوَّلَ
مَنْ سَنَّ هَذَا وَابْتَزَّ وَاسْتَأْثَرَ بِالْحَقِّ عَلَى أَهْلِهِ)) ^{٧٩}، وهذا الأثر العقائدي
الذي حققه الإمام الحسين من خلال تلك المظلومية ذكرته الحوراء زينب في
وسط جعجعة الطغاة فقد رَوَى السَّيِّدُ ابْنُ طَاوُوسٍ أَنَّ ((ابْنَ زِيَادٍ جَلَسَ فِي
الْقَصْرِ لِلنَّاسِ وَآذَنَ إِذْنًا عَامًّا، وَجِيءَ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ،
وَأُدْخِلَ نِسَاءُ الْحُسَيْنِ وَصَبْيَانُهُ إِلَيْهِ، فَجَلَسَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ عليها السلام مُتَنَكِّرَةً

فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقِيلَ: هَذِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي فَضَحَكُمْ وَأَكْذَبَ أَخْذُوثَكُمْ! فَقَالَتْ: إِنَّمَا يَفْضَحُ الْفَاسِقُ، وَيَكْذِبُ
الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنَا. فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللَّهِ بِأَخِيكَ وَأَهْلِ
بَيْتِكَ؟ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلاً، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا
إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتُحَاجُّ وَتُخَاصَمُ، فَاَنْظُرْ لِمَنِ
الْفُلْجُ يَوْمَئِذٍ، تَكَلِّتُكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ. ^{٨٠}

فهذا الأثر التربوي العقائدي الذي حفرته كربلاء في سلوك الناس
اعترف به حتى المستشرقون يقول المستشرق كارل بروكلمان: ((الحق إن
ميتة الشهداء التي ماتها الحسين، قد عجلت في التطور الديني لحزب علي،
وجعلت من ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجة))، ويقول المستشرق
الإنكليزي (د.ج. هوكار): ((دلّت صنوف الزوار التي ترحل إلى مشهد
الحسين في كربلاء والعواطف التي ما زال تؤججها في العاشر من محرم في
العالم الإسلامي بأسره... كل هذه المظاهر استمرت لتدل على أن الموت ينفع
القديسين أكثر من حياتهم مجتمعة)) ^{٨١}، فهذه اعترافات صريحة بتحقيق
الآثار التربوية العقائدية من خلال مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام)، فالمظلومية
سلاحاً استراتيجي قد أعده الحسين (عليه السلام) للطغاة ليعطينا درساً مهماً بأن من
لا يملك السلاح والعدة والعتاد يستطيع أن يملك سلاح أقوى وأمضى في
تحقيق الأهداف بشرط أن يستعمله في الدفاع عن الحق والحقيقة .

الآثار العاطفية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

المتأمل في أحداث كربلاء يجد أن الإمام الحسين عليه السلام قد رسم بمظلوميته أقدس وأجمل لوحة واقعية مطرزة بحلقات البقاء والاستمرار والتمدد والتوسع على مر العصور خصوصاً وقد مزج العاطفة في وسط تلك اللوحة الجميلة ليظهر لنا واقعة يعسر على الزمن نسيانها، وعلى الطغاة تحريفها، فقد جعل الأثر العاطفي والذي سمي بالمشاركة الوجدانية من أهم حلقات تلك الصورة، والمقصود بالمشاركة الوجدانية كما تقول د. ماري جرامينو^{٨٢} أن تضع نفسك مكان الآخرين أو أن تنظر للأشياء من وجهة نظر شخص آخر، حتى ترسم في سلوكه وتصرفاته ما تبغي بقاءه واستمراره، فالأثر العاطفي الذي تريد بقاءه يتوقف على قدرتك في تشخيص ما يشعر به الآخر على مر العصور والدهور حتى تحركه باتجاه ما تريد وتتمكن من خلال ذلك إدارة الآخر وفق أهدافك المرادة وهذا ما فعله المظلوم في كربلاء فقد تمكن من رسم الأثر العاطفي بصورة قادرة على أن تؤثر بالآخرين على مر العصور وهذه مهارة لا تتوفر عند كل إنسان إلا أولئك الافئدة الذين يدافعون عن الأهداف الكبرى السامية، وهذه المهارة ليست ناتجة عن المشاعر والأحاسيس فقط بقدر ما هي ناتجة عن عملية تفكير منطقية للتحكم في عواطف الآخرين ومشاعرهم وما يحركهم خصوصاً إذا كان أولئك الآخرين بعيدين جداً زمنياً ومكانياً عن موقع الحادثة التي وقعت فيها تلك المظلومية، فالعاطفة التي أبرزها الحسين في كربلاء وأراد لها البقاء والاستمرار انطلقت من رحم المظلومية وهي مصدر انفعالات الإنسان، وبهذا فهي تقابل العقل^{٨٣} في هذه المصدرية، نعم حاول الصوفية الذين جعلوا المصدرية للقلوب في خطاباتهم وما تمتلك تلك القلوب من مشاعر وأحاسيس بحيث حاولوا أن يجعلوا للعاطفة مكانه أصدق من مكان العقل إذ جعلوا الأفكار

العميقة نابعةً من عواطف عميقة ولكنهم لم يستطيعوا أن يجذروا هذا المعنى من خلال نظرياتهم بل غرسه الإمام الحسين من خلال مظلوميته ، فخلق لنا ميلاً وتعاطفاً قليلاً لكل مَنْ يسمع بتلك الحادثة سواء ينتمي لما ينتمي إليه الحسين من عقائد أم لا ؟ وسواء اتفق معه في خروجه على الطغيان أم لا ، لأن الجميع يشعر بشعور العاطفة اتجاه هذا الحدث المطرز بالمظلومية الناشد لرفع راية الإصلاح في الأمة ، فالجميع يريد أن يتمثل هذه المظلومية في الحياة ويدافع عنها بحيث أصبحت تلهب مشاعر الناس لغرض الوقوف بوجه الطغيان والظلم على مر العصور ومبادلة المظلوم نفس العواطف والمشاعر والأحاسيس ، فصار عليه السلام قدوة الأحرار ، والعاشقين والمظلومين بل وحتى أولئك الذين أهتمهم أنفسهم كما يقول القرآن الكريم^{٨٤} عن بعض الشرائع الاجتماعية التي تفضل المصالح الشخصية على المصالح العامة ، حتى أولئك كانوا يميلون للحسين بقلوبهم بسبب العاطفة والأثر التربوي العاطفي الذي جَنده الإمام في نهضته ولا ننسى تلك العبارة الشهيرة ((قلوب الناس معك وسيوفهم عليك)) هذه العبارة التي ذكرها الفرزدق^{٨٥} عندما قال ((لَقَيْنِي الْحُسَيْنُ عليه السلام فِي مُنْصَرَفِي مِنَ الْكُوفَةِ ، فَقَالَ : « مَا وَرَاءَكَ يَا بَا فِرَاسٍ ؟ » قُلْتُ : أَصْدُقُكَ ؟ قَالَ : « الصَّدْقُ أُرِيدُ » . قُلْتُ : أَمَّا الْقُلُوبُ فَمَعَكَ ، وَ أَمَّا السُّيُوفُ فَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَ النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . قَالَ : « مَا أَرَاكَ إِلَّا صَدَقْتَ ، النَّاسُ عَبِيدُ الْمَالِ ، وَ الدِّينُ لَغْوٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحْوَطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَائِشُهُمْ ، فَإِذَا مُحْصُوا لِلْإِبْتِلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ))^{٨٦} فهذه العبارة - مع سلبية محتواها - لأن المطلوب من الناس أن تتوحد قلوبهم مع سيوفهم حتى لا يكون عنوانهم النفاق ولكن تحتزن في داخلها أن المشاعر والعواطف التي تحتزنها الناس ولا تعبر عنها بالظاهر خوفاً تارة ومصلحة شخصية أخرى ، هي إلى جانب الحسين بن علي عليه السلام ، وهذا بحد ذاته يكشف بأن المنتصر في القلوب والعواطف والأحاسيس والمشاعر



هو الحسين بن علي وليس الطغيان الذي تمثله الحكومة الأموية آنذاك ، فالأثر التربوي العاطفي قد أثر أثره لأن القلوب تقف به إلى جانب المظلوم، وتشمئز به من الظالم، وهو المسؤول عن إيجاد وعي في النفوس عن طريق المشاعر والعواطف يستصرخ الضمائر الحية ويوقظ وجدانهم ويدفعهم إلى الوقوف إلى جانب الحق بالقلب واللسان واليد تارة وبأحداها تارة أخرى ، فالمهم أن الأثر العاطفي قد حقق مراده سواء عمل بأقصى طاقة له وهو الوقوف مع المظلوم بأقوى الإيمان أو بأضعفه كما صرح الحديث الشريف ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))^{٨٧} فالأثر التربوي العاطفي الذي أعده الإمام الحسين في مظلوميته تخطى بتأثيره الأزمنة والأمكنة ليحشد أجيال البشرية على مر التاريخ للوقوف إلى جانب الحق مهما كانت قوة الباطل العسكرية وإرهابها للناس ، وهذا ما أراده الإمام الحسين أيضاً من خليفته الإمام السجاد وأخته الحوراء زينب عندما أوصاهما بوصاياها وبشرهما بنصر الله لهما عندما قال لهما: ((استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله حافظكم وحاميكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ، ويعذب أعاديكم بأنواع البلاء ويعوضكم الله عن هذه البلية أنواع النعم والكرامة))^{٨٨} فهذا هو العوض الإلهي لمظلومية هذه الثلة الطاهرة بأن عواطف الناس وقلوبهم ومشاعرهم وأحاسيسهم معهم على مر العصور وكل ذلك أثر تربوي واضح لسلاح المظلومية الذي أعده الحسين وأهل بيته وأصحابه في معركة الحق ضد الباطل ، بل إن ذلك السلاح هو الذي أشهرته الحوراء زينب عليها السلام بوجه الأعداء والطغاة حيث كانت تسلط الأضواء وتلفت الأنظار إلى مواقع الظلامنة ، فقامت بدور التأجيح للعواطف والمشاعر الأحاسيس سواء كان ذلك في واقعة الطف أو بعدها في الكوفة والشام والمدينة وفي كل مكان حلت به أو ارتحلت منه ،

فقد كرس كل حياتها لإيجاد أثر تربوي عاطفي لهذه المظلومية عن طريق البكاء والتألم والنعي والندب والاستغاثة فكل تلك الوسائل كانت تعبيراً عن إيجاد هذا الأثر التربوي العاطفي الذي يبقى محفوراً في سلوك الناس متجاوزاً حدود الزمان والمكان فهو سلاحٌ استراتيجيٌّ بوجه الطغاة لتحقيق النصر المؤزر الذي نراه اليوم في كل أرجاء المعمورة حيث ترفع راية الحسين عالياً وتقف خلفها ملايين العواطف والمشاعر والأحاسيس لأناس قد لا ينتمون عقيدياً لمدرسة أهل البيت (عليه السلام)، فالأثر العاطفي التربوي كان ثمنه مآسي وآلاماً ومظلومياتٍ لأجساد رُفعت بلا رؤوس، وأشلاء مقطعة على رمضاء كربلاء، ودماء طاهرة صبغت صحراء المعركة، وأطفال ونساء أسارى يُدار بهم من بلد إلى بلد، فلم يكن أثراً عاطفياً تربوياً خالياً من المظلومية بل كان أثراً تربوياً عاطفياً ينتمي إلى آيات القرآن التي قالت ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾^{٨٩} فأصبحوا هداة مهدين يهدون إلى الحق بواسطة هذه الآثار التربوية التي غرسوها في ضمير الإنسانية عن طريق المظلومية التي حلت بهم .

الآثار التربوية الدينية لمظلومية الإمام الحسين (عليه السلام)

النهضة الحسينية هي نهضة دينية بامتياز استمدت حركتها وأصولها من الخطابات الإلهية القرآنية والخطابات النبوية، وهي من أكبر النهضات الدينية التي تهدف إلى إحياء أركان الدين وأحكامه ومواجهة الانحرافات التي حصلت منذ زمن السقيفة إلى يوم نهضة الحسين (عليه السلام)، ولهذا نجد كماً كبيراً من الآيات القرآنية قد تم تحشيداً من قبل قائد هذه النهضة

ليعيد الإسلام إلى نصابه الحقيقي بعد الانحراف الذي أصابه ويقوم بعملية إحياء شاملة للدين وإحلال حكومة قائمة على أساس العدل الإلهي متمثلة بالقيادات الدينية التي هي امتداد حقيقي للنبي الأكرم محمد ﷺ ومحاربة الجاهلية بكل اصنافها ، ولهذا نجد الإمام الحسين قد جعل القرآن هو الناطق في تلك النهضة في كل مفصل من مفاصلها، فقد استدل بعدد كبير من الآيات القرآنية التي تعيد النصاب الديني إلى واقعه الحقيقي، فقد استدل بآيات قرآنية كثيرة بناءً على أن الأساس الذي أنطلق منه هو أساس ديني قائم على الإصلاح والتغيير ولهذا نجد حضوراً للآيات القرآنية التي استدل بها الأنبياء بشكل جلي ابتداءً من حركته من المدينة إلى مكة، فخرج من المدينة وهو يتلو قوله تعالى ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^{٩٠} وهذا بحد ذاته يكشف الآثار التربوية التي يريد الإمام الحسين إرسالها إلى الأمة آنذاك وإلى الأجيال اللاحقة كذلك؛ أن منطلقاته منطلقات دينية بحثه على حد منطلقات الأنبياء وحركاتهم الإصلاحية ، فخروجه كخروج موسى ولهذا نجد في زيارته سلام الله عليه ((السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ))، يقول الشيخ المفيد رحمه الله خرج الحسين من مكة وهو يردد قوله تعالى ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ولما لزم الطريق الأعظم ولاحت له تلال مكة وجبالها تلا قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ، وبنفس الأسلوب والطريقة، ففي كل حدث أو موقف يستشهد الإمام الحسين بآية قرآنية تُشير إلى حركة الأنبياء في الدفاع عن الدين وأحكامه وقواعده، روى الطبري عن عقبة بن سميان قال: لما خرج الحسين من مكة، اعترضته رُسُلُ عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين تذهب؟! فأبى عليهم ومضى، وتدافع

الفريقان فاضطربوا بالسياط . فأرادوا منعه من الاستمرار ومواصلة الطريق فتلى قوله تعالى: ﴿لِيَعْمَلِيَ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^{٩١}، ونحن هنا لا نريد أن نستعرض الآيات القرآنية التي استحضرها الحسين في حركته بقدر ما نريد أن نؤكد على أن الأثر التربوي الذي سعى الحسين إرساله إلى أجيال الأمة أن هذه الحركة هي حركة دينية بامتياز تستمد جذورها من القرآن وحركات الأنبياء وقصصهم وكلمات الرسول الأكرم ﷺ لما لهذه الأمور من آثار تربوية عميقة في نفوس الناس ، وهذا الأثر ليس مادة تلقينية يتعلمها الإنسان من خلال التلقين والإشادة بمن مثلوا الدين في مراحل مختلفة من الزمن بقدر ما هو تطبيق لسلوك هؤلاء من خلال حياتهم ومنهجهم وسيرتهم حتى تكون تلك الحركة مطبوعة في النفس وراسخة في الجذور الإنسانية غير قابلة للتبديل والتشويه وهذا ما أراده الإمام الحسين من تأطير نهضته بالآطار الديني من خلال الاستناد قولاً إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتطبيقها عملاً أمام مرأى ومسمع الجمهور، فتصبح تلك الحركة ذات أثر تربوي ديني مؤثر ليس على الجيل المعاصر للحسين ﷺ فقط بل شامل في تأثيره لكل الأجيال اللاحقة وهذا ما نشاهده اليوم إن الجميع يحاول تقمص أدوار تلك الثلة المجاهدة التي قادها الحسين في ثورة دينية ذات آثار تربوية رغم المظلومية التي عاشوها من أبناء أمتهم، فالأثر التربوي الديني للنهضة الحسينية الدينية التي توشحت بالمظلومية انعكس بطريقة إيجابية وسريعة على كل تصرفات المجتمع وسلوكياته رغم عمليات التشويه والتحريف الذي قاده الدولة آنذاك وقادته الأقلام المأجورة إلى يومنا هذا لتشويه تلك النهضة وآثارها التربوية، ولكن قوافل المجتمع تجاوزت هذا التشويه وأخذت على عاتقها تقمص أدوار تلك الآثار التربوية وتغير من قناعاتها الدينية التي

بنى معاوية واسلافه دولتهم عليها، وبدأت حركات التمرد بشعارات دينية تتمثل المظلومية الحسينية التي تحملها الإمام وأهل بيته وأنصاره ، ولم يتوقف الأثر الديني على العناوين العامة لحركة الأنبياء فقط بل شمل حتى الحركات العبادية وآثارها التربوية رغم المظلومية التي عاشوها ، ولهذا نجد الحسين وأهل بيته وأصحابه محاصرين من كل مكان يصورون لنا المظلومية التي عاشوها من خلال اثر عبادي تربوي وهو الصلاة^{٩٢} في احلك ظرف من ظروف المعركة ، فوقف هو وأهل بيته وأنصاره محاصرون من كل مكان مظلومون من أمة تدعي لنفسها الإسلام ليصلي إلى ربه ويترك لنا أثراً تربوياً عبادياً مؤثراً على الأجيال بأن الشريعة المحمدية لا ينبغي تركها على كل حال مهما اشتدت المظلومية وتكالت الأمور.

الآثار التربوية المجتمعية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

عادة ما يحدث الأثر التربوي في المجتمع نتيجة لصدمة أو حدث معين يصيب المجتمع بمشاعره وآراءه وسلوكياته بحيث يصبح التأثير الاجتماعي (social influence) بهذا الحدث السمة البارزة لهذا المجتمع أو ذاك ويتأثر من خلال ذلك بكل ما يحمل من عادات واعراف وتقاليد بحيث تؤثر على سلوكيات وأفكار أفرادهم ومعتقداتهم ليتوافق لاحقاً مع مَنْ تأثر به ، ومن خلال هذا المعنى نجد أن المجتمع الإسلامي وبسبب الحركة الحسينية والمظلومية التي حلت بالحسين وأهل بيته وأنصاره انتقل من مرحلة الخنوع والخضوع والسكوت التي أصبحت العادة الاجتماعية الحاكمة فيه من زمن معاوية إلى زمن يزيد إلى مرحلة الثورة والاستنكار لكل ما هو سائد في الحياة الاجتماعية آنذاك والتي أراد معاوية وأحفاده تركيزها في الأمة وبمجرد ان انتهت معركة الطف العسكرية بدأت معركة الطف

الاجتماعية ، فبعد أن كان الحسين وأهل بيته وأنصاره هم طرف المعركة العسكرية ضد الحكم السائد وعاداته وأعرافه وتقاليده أصبح المجتمع بكل أطيافه هو طرف معادلة الصراع مع الحكم السائد وسلوكياته ، وهذا التحول ما كان ليكون لولا المظلومية التي حلت بالحسين وأهل بيته ومن معه في معركة الطف العسكرية والتي خلقت أثراً تربوياً مجتمعياً غير قابل للزوال أو التشويه ، وعند ذلك انطلقت الجموع المجتمعية لتتكون في مناطق العالم الإسلامي لمواجهة الدولة الأموية فبدأت الاعتراضات الجماهيرية بعد أن كان السكوت الجماهيري مخمياً عليها، وبدأت الثورات المجتمعية بعد ما كان الخنوع والخضوع للحاكم هو السمة البارزة لها ، ولعل الحراك الاجتماعي بعد معركة الطف بدأ مبكراً جداً بسبب المظلومية التي حلت بالمعسكر الحسيني ، وأول مَنْ بدأ هذا الحراك عبد الله بن عفيف الأزدي الذي وقف بوجه حاكم الكوفة عبيد الله بن زياد بعدما كان يعربد في الكوفة من دون رادع ، فبعد أن سمع هذا الرجل والي الكوفة يشتم أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيته والحسين وأنصاره انتفض في وجهه وقال ((إِنَّ الكَذَابَ أَنتَ وَأَبوكَ ، وَمَنْ وَلَاكَ وَأَبُوهُ ! تَقْتُلُونَ أولاد النبين وتجلسون على منابر المسلمين ؟))^{٩٣} فهذه هي الروح الحسينية التي بدأت تدب في نفوس المجتمع ، وما كانت أن تكون لولا الأثر التربوي الاجتماعي لهذه المظلومية التي وقعت في طف كربلاء ، وبدأت جموع الأزدية تتجمع لنصرة ابنهم البار وأنقذوه من أيدي هؤلاء ، ولم يترك الطاغية هذا الرجل بل تتبعه وقتله في داره ، بعد مواجهة كلامية بينه وبين حاكم الكوفة تكشف عن قوة مجتمعية دبّت في جسم الأمة لا يمكن لأحد أن يتغلب عليها ، فعندما بدأ ابن زياد يشتمه عندما قبض عليه وأدخلوه إلى قصر الإمارة ، توجه عبيد الله الأزدي بروح حسينية فقال لابن مرجانة مخاطباً إياه: ((اعلم يا ابن مرجانة أنّي كنت أتمنى الشهادة على يد

شَرَّ خلق الله قبل أن تولد ، فلَمَّا كَفَّ بصري (وقد كف بصره في بعض معارك أمير المؤمنين (عليه السلام)) يئست من الشهادة ، والحمد لله الذي سيجعل شهادتي على يد شَرِّ خلقه . فأمر به فُقُتِلَ (عليه السلام) ٩٤ ، فأين كانت هذه الروحية قبل مقتل الحسين، ومظلوميته، فلولا حدث الطف لما كانت هذه الروح تدب في جسد الأمة، ومنذ ذلك الحين بدأت حالات الرفض الاجتماعي لكل ما هو سائد آنذاك وبدأت الجموع تنظم نفسها وبدأ سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجية الفزارى ، وعبد الله بن والٍ التميمي ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وغيرهم ، يتداولون أمر الأمة والمجتمع ، وبدأت الثورات تنتشر ليس في الكوفة فقط بل في كل أرجاء العالم الإسلامي لإنهاء حالة المجتمع الثقافية والسياسية والأخلاقية التي كانت حاکمة والتي تنتمي إلى الجاهلية الأولى ، بدأ ناقوس الخطر يدق لكل العادات والأعراف والتقاليد التي زرعها حكومة معاوية وبني أمية على مدى سنوات خلت وحدثت الثورات وتأسست الدول على تلك المظلومية التي تعرض لها الإمام ، فمظلومية الإمام الحسين عبأت الأمة حول قضاياها المصيرية لنصرة المظلوم والوقوف بوجه الظالم ومنع سلب خيراتها وقتل ابنائها ومحاولة العودة إلى طريقة التفكير التي جاء الإسلام من أجلها لهذا المجتمع ليخرج من حالة التردى والتراجع والانتماء إلى الماضي والآباء والأجداد إلى حالة التقدم وصناعة مجتمع وجيل جديد ينتمي إلى الحاضر لبناء المستقبل ، فثارت الثورات وبدأت الانتفاضات وتحركت الجموع لنصرة مظلومية الحسين وأتباعه وأشياعه وُرُفِعَت الشعارات المجتمعية التي دوت في أرجاء العالم الإسلامي آنذاك ولعل شعار ((يا ثارات الحسين)) كان هو الخيمة التي تجمع كل طبقات المجتمع المختلفة بمشاربها وأفكارها، فجاءت ثورة التوابين، وثورة المختار، وثورة أهل المدينة، وغير ذلك من التغييرات الاجتماعية التي هي في الحقيقة آثار تربوية

مجتمعية لحركة المظلومين التي قادها الإمام الحسين وأهل بيته وأنصاره ، ولعل من أهم البواعث الاجتماعية التي تغيرت آنذاك وبسرعة هي عملية الالتفاف حول العلويين في كل مناطق العالم الإسلامي باعتبارهم يمثلون رمزاً لمظلومية الإمام الحسين، وحتى لا تتكرر المأساة مرة أخرى ، وانتشرت ثقافة جديدة في وسط المجتمع الإسلامي هي ثقافة محمد وآل محمد بعدما كانت الثقافة الأموية القائمة على أسس جاهلية هي السائدة آنذاك ، وتحولت عادات وأعراف المجتمع آنذاك التي كانت تبني أفكارها على حالة التلقين الحكومي القائم على أساس القصاصين والوضاعين ووعاظ السلاطين التي أمدّها ودعمها الإعلام الأموي إلى حالة التفكير والبناء الذاتي والترميم الداخلي للأمة ، ولم تكن الآثار الاجتماعية مقتصرة على تلك الفترات الزمنية التي تلت المظلومية بل حتى يومنا المعاصر نجد أن مجالس الذكر التي تقام على طول السنة بشكل عام وفي محرم الحرام بشكل خاص قد تكفلت بإيجاد التغييرات الاجتماعية بسبب المظلومية التي حلت بالحسين وأنصاره ، فكانت تلك المجالس محطة مراجعة لكل ما عليه المجتمع من عادات وأعراف وتقاليد وسلوكيات فيجتمع المؤمنون لتكون لهم مظلومية الإمام الحسين وحركته ونهضته هي المعيار لكل العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية ليتم محاربة ما لا يتوافق معها ودعم ما كان منسجماً مع تلك الثورة ، ولهذا لا تجد مجتمعاً ينتمي إلى الحسين إلا وتجد في داخله نصرة واضحة ظاهرة للمظلوم بغض النظر عن إنتماءه وعقيدته ، ناهيك عن روح المحبة والإلفة والانسجام التي تخلقها تلك المجالس كأثار تربوية إجتماعية نابعة من رحم المظلومية التي حلت بالإمام (عليه السلام) ، فأصبحت تلك المجالس روضة من رياض الجنة ينمو من خلالها المجتمع على تربية صالحة لأجياله وأبنائه ، وأما العادات المجتمعية التي خلقتها تلك المجالس والعمل التطوعي الذي يقوم

به أبناء هذا المجالس والتفاعل مع دعم المظلوم وقضاء حوائج الناس وبناء المجتمعات وتأسيس الحسينيات، كل ذلك هو نتاج وأثر اجتماعي تربوي خلقته مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام)، ناهيك عن الأخلاق الروحية والتي لها تأثير كبير على سلوكيات المجتمع وأخلاقه، فما نراه اليوم من حركة حسينية في الزيارات وفي أربعينية الإمام الحسين والعطاء المنقطع النظير والذي لم يشهد العالم له نظيراً ما هو إلا ثمرة من ثمرات الشجرة التي سقاها الإمام سلام الله عليه بدمائه الطاهرة وبآهات وآلام أبنائه وأسرته المظلومة، فكل ذلك آثار تربوية تؤثر في المجتمع ككل وتجعل هذه الأمة مصداقاً حقيقياً للآية القرآنية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^{٩٥}

الهوامش

- ١- سورة الحج : رقم الآية : ٣٩ .
- ٢- انظر : معجم المعاني الجامع ، مقاييس اللغة وغيرها في كلمة مظلوم
- ٣- سورة الاسراء ، الآية : ٣٣ .
- ٤- سورة الزخرف : رقم الآية ٧٦ .
- ٥- سورة النساء : رقم الآية ٩٧ .
- ٦- سورة القمر : رقم الآية : ١٠ .
- ٧- سورة القصص : رقم الآية : ٥ .
- ٨- سورة الحج : رقم الآية ٣٩ .
- ٩- جعفر بن محمد بن قولويه : كامل الزيارات : ص ٩٥ .
- ١٠- المتقي الهندي : كنز العمال : ج ٣ : ص ١٣١ .
- ١١- سورة الأعراف : رقم الآية : ١٥٠ .
- ١٢- ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٥٣
- ١٣- المصباح المنير، ص ٤ .
- ١٤- العين، ج ٨، ص ٢٣٦ .
- ١٥- المصباح المنير، ص ٤ .
- ١٦- ابن ادريس : السرائر، ج ١، ص ٩٧ .
- ١٧- الشيخ محمد حسن النجفي : جواهر الكلام، ج ١٣، ص ٣٨٣ .
- ١٨- السيد كاظم اليزدي : العروة الوثقى، ج ٢، ص ١٢٣ .
- ١٩- محمد حسن النجفي : جواهر الكلام، ج ٣٧، ص ١٥٠ .
- ٢٠ - سورة الروم: الآية: ٣٩ .
- ٢١ - سورة البقرة: الآية: ٢٩٦ .
- ٢٢- القاموس المحيط: الفيروزآبادي: ج: ١: ص ٧٠: مادة رب .
- ٢٣- التربية العامة: فاطمة الجيوشي: ص: ١٢٧ .
- ٢٤- انظر المصدر نفسه .
- ٢٥- انظر المصدر نفسه .
- ٢٦- انظر: الأسس الاجتماعية للتربية في ضوء متطلبات التنمية الشاملة والثورة المعلوماتية: سميرة أحمد: ص ٢٣٤ .
- ٢٧- ابن منظور: لسان العرب ج: ٢: ص ٦٣٢ .
- ٢٨- انظر سيد قطب: في ضلال القرآن: ج: ٢: ص ١٥١ .

- ٢٩- في ظلال القرآن: سيد قطب: تفسير سورة الفرقان: الآية ٣٣
- ٣٠- سورة الحج: رقم الآية ٣٩.
- ٣١- سورة القصص: رقم الآية: ٤.
- ٣٢- سورة القصص: رقم الآية: ٥.
- ٣٣- سورة المائدة: رقم الآية: ٣٠..
- ٣٤- أخرجه ابنُ شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٢، والعلامةُ الإربلي في كشف الغمّة ج ٣ ص ٣٤٦، والباعوني الشافعي في جواهر المطالب ج ٢ ص ٣٢٠.
- ٣٥- الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٨، ص ٤٩
- ٣٦- سور التكوير: الآية رقم ٨.
- ٣٧- العلامة المجلسي: بحار الأنوار: ج ٣٨: ص ١٠٣، طبع مؤسسة الوفاء، إيران، قم .
- ٣٨- مستدرك الصحيحين: ٣ / ١٧٦، قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ..
- ٣٩- صحيح الترمذي: ٢ / ٣٠٦، في مناقب الحسن والحسين (عليه السلام).
- ٤٠- المحدث القمي: مفاتيح الجنان، ص ٣٥٣.
- ٤١- قطب الدين الراوندي: الخرائج والجرائح: ج ١: ص ١٨٠
- ٤٢- محمد بن إبراهيم النعماني: كتاب الغيبة: ج ١: ص ١٨٢.
- ٤٣- الشيخ الطوسي: كتاب الغيبة: ص ١٠٣ كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ج ١ - الصفحة ٣٠٥.
- ٤٤- محمد بن إبراهيم النعماني: ج ١: ص ٣٠٥.
- ٤٥- الشيخ باقر شريف القرشي: كتاب حياة الإمام المهدي (عليه السلام): ج ١: ص ٥٧ وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٤ - الصفحة .
- ٤٦- الحر العاملي: وسائل الشيعة: ج ١٤: ص ٥٠١ موسوعة الامام الحسين (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٩.
- ٤٧- محمدي الري شهري: موسوعة الامام الحسين (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ج: ٩: ٤٣٣.
- ٤٨- الميرزا النوري: مستدرك الوسائل: ج ١٠: ص ٣١٨ مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي الشاهرودي - ج ٥.
- ٤٩- الشيخ علي النمازي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار: ج ٥: ص ٣٤١.
- ٥٠- الشيخ الصدوق: كتاب الأمالي: ص: ١٩٠، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام) - الشيخ عبد الله البحراني - الصفحة ٥٣٨.
- ٥١- الشيخ عبد الله البحراني: كتاب العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام) ص ٥٣٨

- ٥٢- العلامة المجلسي : بحار الأنوار : ج ٤٤ : ص : ١٩٢ .
- ٥٣- الطبري، ابن جرير : تاريخ الرسل والملوك : ج : ٥ : ص : ٤٢٥ .
- ٥٤- الشيخ عبد الله الحسن : كتاب ليلة عاشوراء في الحديث والأدب : ج ١ : ص : ٢٣ .
- ٥٥- الشيخ المفيد : كتاب الإرشاد : ج ٢ : ص ١١١
- ٥٦- سورة النساء : الآية : ١٤٨ . موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام) - الصفحة ٤٢٣ .
- ٥٧- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام) : موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) : ص ٤٢٣ .
- ٥٨- الشيخ الصدوق : كتاب معاني الأخبار : ص : ٢٨٩ .
- ٥٩- سورة البقرة : رقم الآية : ١-٢ .
- ٦٠- السيد عبد الرزاق المكرم : كتاب مقتل الحسين (عليه السلام) : ج : ص : ٢٨٣ .
- ٦١- سورة الفتح : رقم الآية : ٤
- ٦٢- موقع انترنتي [tps://almaaref.org/maarefdetails.php?subcatid=1725&id=12522&cid=570&supcat=39&bb=55&number=21](https://almaaref.org/maarefdetails.php?subcatid=1725&id=12522&cid=570&supcat=39&bb=55&number=21)
- ٦٣- سورة الأنبياء : رقم الآية : ٥١ ..
- ٦٤- سورة المائدة : رقم الآية : ١٠٤ . من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) - عبد العظيم المهدي البحراني - الصفحة ٢٤٢ .
- ٦٥- عبد العظيم المهدي البحراني : من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام) : ص : ١٤٢
- ٦٦- مقتل الامام الحسين : ص ١٥٦ .
- ٦٧- موسوعة حياة المستبصرين : المركز الأبحاث العقائدية ، ص ٤٨١ بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣١ - الصفحة ٥١٧
- ٦٨- العلامة المجلسي : بحار الأنوار : ج ٣١ : ص ٥١٧
- ٦٩- الشيخ الطوسي : كتاب الأمالي : ص ٦٧٧
- ٧٠- يقصد معاوية بن ابي سفيان .
- ٧١- يقصد به الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) .
- ٧٢- الصحوة ، لصباح علي البياتي : ٤٠٣ ، نقلاً عن الموفقيات : ٥٧٧ . جواهر التاريخ - الشيخ علي الكوراني العاملي - ج ٢ - الصفحة ٢٦٣
- ٧٣- فضائل الخمسة من الصحاح الستة : ٣ / ٣٥١ ، نقلاً عن مستدرك الصحيحين : ٤ / ٤٨٧ ..

- ٨٧- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري : كتاب صحيح مسلم : ج ٧ : ص ١٣٧ : دار الجيل بيروت دار الأفاق الجديدة- بيروت
 نام كتاب : مقتل الحسين عليه السلام نويسنده : المقرّم، السيد عبد الرزاق جلد : ١ صفحه : ٢٧٦
 ٨٨- المقرّم، السيد عبد الرزاق : مقتل الحسين عليه السلام : ج ١ : ص ٢٦٧
 ٨٩- سورة البقرة : رقم الآية : ١٥٥ .
 ٩٠- ليبب بيضون : موسوعة كربلاء : ج ١ : ص ٤٢٩ .
 ٩١- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧: ص ٢٣٨، الناشر: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ
 ٩٢- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤: ص ٣٤٣، الناشر: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ
 ٩٣- السيد محسن الأمين : لواعج الأشجان: ص ٣٩٨: الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٣٣١ المطبعة: مطبعة العرفان - صيدا / الناشر: منشورات مكتبة بصيرقي - قم
 ٩٤- المصدر نفسه
 ٩٥- سورة آل عمران : رقم الآية : ١١٠ .



فلسفة التغيير والإصلاح في فكر الإمام الحسين عليه السلام

أ.د. طلال خليفة سلمان
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات

المستخلص

يسعى البحث إلى دراسة فلسفة التغيير والإصلاح في فكر الإمام الحسين عليه السلام، واستكناه آليات التغيير وطرق الإصلاح التي اعتمدها الإمام عليه السلام في نهضته المباركة؛ للإفادة منها في حياتنا، ومحاولة تطبيقها في مجتمعاتنا، وبذلك نستكنه ونتعلم مفاهيم التطور والتغيير والإصلاح والثورة ضد الظلم والظالمين وضد الفساد والمفسدين من الإمام الحسين عليه السلام ونهضته التحريرية التي سعت إلى تحرير الإنسان من كل أنواع الظلم والعبودية.

انقسم البحث على عدة أقسام، فقد بينت في المقدمة بعض أسباب نهضة الإمام الحسين، وأهدافها التي يريد تحقيقها، ثم ذكرت المراكز التي اعتمد عليها الإمام في نهضته الإصلاحية. وفي الجانب النظري بينت أن نهضة من هذا النوع، وبهذه الأهداف والاستراتيجيات، لابد لها من قائد حكيم كبير مسدد من السماء، يتمتع بميزات خاصة تمكنه من الوقوف بوجه الظلم والانحراف، ومن قيادة ثورة تغييرية إصلاحية تخلد على مدى الزمان، ويبقى ذكرها مستمراً؛ لتعطي للأجيال اللاحقة الدروس تلو الدروس والعبر تلو العبر. أما الجانب التطبيقي من البحث فقد سعت فيه إلى تحليل بعض كلمات الإمام



الحسين وخطبه ورسائله التي تظهرت فيها فلسفة التغيير والإصلاح بشكل جلي؛ للوصول إلى الطرق التي اعتمدها في نهضته الإصلاحية، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها، فضلاً عن بعض التوصيات التي أراها مهمة ومفيدة لكل إنسان ولكل مجتمع يريد السير في طريق الإصلاح الذي خطّه الإمام الحسين (عليه السلام) بدمه الشريف.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح، الإمام الحسين، التغيير، النهضة الحسينية (عليه السلام)



١- المقدمة

تنبع حركات التغيير والإصلاح من حاجة ماسة لدى القادة المخلصين والمجتمعات التي أصابها الانحراف؛ بسبب السياسات الخاطئة لقاداتها الظالمين ورعاع الناس الذين يتبعونهم ويشجعونهم على أخطائهم الفادحة، بل يزينونها لهم، فالتغيير الإيجابي والإصلاح هو هدف القادة المصلحين النزاعين نحو معالي الأمور، وهدف الناس والمجتمعات الإنسانية حينما يخيم ليل الظلم والانحراف ويحتم على الصدور، ولا بد لكل حركة ترنو إلى التغيير والإصلاح من أسباب وأهداف ومركزات تستند إليها، وقد كانت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) من أكثر النهضات تأثيراً في تاريخ الإنسانية الطويل، على كرور الليالي ودوران الأيام؛ لأنها كانت نهضة تغييرية إصلاحية شاملة، وكان قائدها الإمام الحسين (عليه السلام) سيد شباب أهل الجنة وخامس أهل الكساء وسبط النبي الأكرم (عليه السلام)، وابن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم.

كانت أسباب نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) كثيرة، وقد ذكرها في خطبه ورسائله وكلماته، منها أن خصمه يزيد بن معاوية شارب للخمر، وقاتل النفس المحترمة، ومعلن بالفسق، وظالم فاجر متهتك وهو من يقود الأمة الإسلامية بالظلم والجور، وهو من يريد أخذ البيعة منه بالقوة والإكراه والغصب، وهو من لزم الشيطان وترك طاعة الله تعالى، وأظهر الفساد وشجع الفاسدين والمفسدين، وعطل حدود الله واستأثر بأموال المسلمين وخيرات البلاد وفيئها، وأحل حرام الله وحرم حلاله، ومنها أن الموازين انقلبت وأضحى الناس عبيداً للدنيا بدل أن يكونوا عباداً لله تعالى، وأن الدين أصبح لعقاً على ألسنتهم ولا يتعمق عقولهم وأرواحهم وقلوبهم، ومنها أن الدنيا قد تغيرت وتكرت وذهب المعروف الذي كان فيها، وأن الناس لا يعملون بالحق ولا يسيرون في طريقه، ولا يتناهون عن الباطل ولا يتركون طريقه، لذلك انطلق في نهضته؛ لكي يغيّر الواقع الفاسد ويصلح ما يمكن إصلاحه.



أما أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام فقد كانت واضحة ومحددة بشكل دقيق ومدرّوس، وهي تغيير الوضع المأساوي الذي وصل إليه الإسلام والمسلمون، والإصلاح المطلق والجذري عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسير على نهج القرآن الكريم وسيرة جدّه الرسول الأكرم عليه السلام وسيرة أبيه عليه السلام، وهذا الأمر يوجهنا إلى موضوع المرتكزات التي استند إليها الإمام عليه السلام في نهضته المباركة، فقد استند إلى دستور المسلمين الأول القرآن الكريم، فكان يقتبس الكثير من كلماته ومواقفه من كتاب الله العظيم ويتحرّك على وفقها ويتناصّ معها، وكان يسير على سنة جدّه النبي الأعظم عليه السلام، وعلى سيرة أبيه الإمام علي عليه السلام، وكان يجتهد في مواقف أخرى، فهو الإمام المعصوم المفترض الطاعة، وهو إمام الأمة في زمنه.

حاولت في هذا البحث أن أرصد كلمات ومواقف الإمام الحسين التغيرية الإصلاحية؛ من أجل الوصول إلى فلسفته في التغير والإصلاح الذي خرج من أجله وسعى في طلبه وتحقيقه؛ لينقذ الأمة من الجهالة والتجهيل وحيرة الضلالة التي أصيبت بها؛ بسبب سياسات الأمويين المنحرفة، وبسبب طيش يزيد بن معاوية ونزقه وظلمه الذي فاق الحدود وتجاوز الخطوط الحمراء؛ لذلك سأسعى في البحث - كما ذكرت آنفاً - إلى بيان فلسفة التغير والإصلاح عند الإمام الحسين عليه السلام عن طريق دراسة كلماته ورسائله وخطبه التي سبقت نهضته المباركة والتي قيلت في أثنائها، وعن طريق دراسة أفعاله، وبذلك نحاول الوصول إلى فلسفة وآليات الحكم المتعالي عند الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن استكناه مفاهيم التطور والتغير والإصلاح والثورة ضدّ الظلم والظالمين وضدّ الفساد والمفسدين التي تجلّت بأجلى صورها في نهضته التغيرية الإصلاحية العظيمة.

٢. الجانب النظري

انمازت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) بأنها نهضة تغييرية إصلاحية، سعى عن طريقها الإمام (عليه السلام) إلى تغيير المنظومة الحاكمة الفاسدة، وإلى إصلاح المجتمع إصلاحاً شمولياً وجذرياً يشمل مفاصله جميعاً؛ بعدما أحدثه الأمويون من تخريب متعمّد في المنظومة الاجتماعية والقيمية التي أسسها النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله)، لذلك كان لابدّ من نهضة تغييرية إصلاحية تثور على الفساد والإفساد الأموي، وتحرّر الناس من نير الخوف من الحكومات الظالمة والمستبدّة، وتكسر حاجز الخوف عندهم، يتزعمها ويقودها قائد إصلاحي كبير هو الإمام الحسين (عليه السلام)، ولا بدّ لهذا القائد الرسالي العظيم أن يمتاز بعدّة ميزات تمكنه من مواجهة حكومة فاسدة مستبدة ظالمة مستعدة لفعل كل شيء من أجل البقاء.

من أولى ميزات هذا القائد أنه لا مكان للخوف في قلبه وفي قلب من سيؤازره في هذه النهضة التغييرية الإصلاحية الكبيرة التي تغيّت تغيير مسار التاريخ الإنساني من تاريخ يملؤه الفساد الأموي إلى تاريخ يملؤه الإصلاح الحسيني، وقد صرّح الإمام الحسين ومن كان في معسكره الإصلاحية بعدم خوفهم مهما كانت النتائج، فالمهم عندهم الإصلاح والتغيير، ومن ذلك قول الإمام الحسين (عليه السلام) للحر الرياحي حينما نصحه قائلاً: ((إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن. فقال الحسين (عليه السلام): أقبالوت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟))^١، ومن ذلك أيضاً قول زهير بن القين حينما هدّده الشمر قائلاً: ((إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة. فقال زهير: أقبالوت تخوّفني؟! فو الله للموت معه أحبُّ إليّ من الخلد معكم))^٢.

الميزة الثانية لهذا القائد العظيم، فضلاً عن عدم خوفه من الموت، أنه وطّن نفسه ونفوس من خرج معه من أهل بيته وأصحابه على الموت وبذل المهج؛ من أجل التغيير المنشود، وفي ذلك يقول (عليه السلام) في خطبته التي خطبها قبل

خروجه من مكة إلى العراق: ((ألا من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا))^٣.

الميزة الثالثة لهذا المصلح أنه لا يبايع عدوّه ولا يضع يده بيده، ولا يذلّ نفسه الأبية له، مهما كان الوضع خطيراً، ومهما بلغت تهديدات الفاسدين له، وفي ذلك يقول أبو عبد الله عليه السلام مجيباً على طلب البيعة منه ليزيد: ((ومثلي لا يبايع مثله))^٤، ويقول لأخيه عمر بن علي: ((وإني لا أعطي الدنية من نفسي أبداً))^٥، ويقول لأخيه محمد بن الحنفية: ((يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية))^٦.

الميزة الرابعة للقائد المصلح أنه يسير على الحق ولا يجيد عنه أبداً، ويشترط على من يبايعه ويسير معه في طريق التغيير والإصلاح أن يقبله بقبول الحق، ولا شيء سوى الحق، وفي ذلك يقول عليه السلام في وصيته: ((فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين))^٧.

إن قول الإمام الحسين الذي ذكرناه في الميزة الرابعة يحيلنا على الميزة الخامسة التي ظهرت في هذا القائد المصلح، وهي الصبر على الابتلاءات والشدائد مهما بلغت درجتها، فقد كان صابراً محتسباً في أشدّ المواقف وأحلك الظروف. إذ يقول: ((رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين))^٨، ويقول حينما سقط من فرسه مضرراً بدمه ومتأثراً بجروحه الكثيرة: ((صبراً على قضائك يا رب، لا إله سواك يا غياث المستغيثين. مالي رب سواك ولا معبود غيرك. صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له))^٩.

الميزة السادسة هي العزّة والمنعة والإباء وعدم الذلّ مهما اشتدت الأمور، ومهما بلغت التهديدات، ومهما بلغت التضحيات، إذ يقول الإمام الحسين عليه السلام: ((ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات

منا الذلّة. يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام))^{١٠}.

٣. الجانب التطبيقي

إن إنعام النظر في نصوص الإمام الحسين عليه السلام التي قالها قبل نهضته المباركة وفي أثنائها، وفي أفعاله ومواقفه يفضي إلى استكناه فكر دقيق وفلسفة حسينية مسددة من السماء، وتسير على وفق ما سار عليه جدّه النبي الأعظم ﷺ، وأبوه الإمام علي عليه السلام تتغىي تشكيل منظومة تغييرية إصلاحية شاملة تواجه المنظومة التخريبية التي ابتدعها الأمويون؛ لتغيير وطمس معالم الدين الإسلامي وتزوير السنة النبوية الشريفة؛ من أجل الاستحواذ على الحكم ونهب خيرات المسلمين، وقد كانت هذه النهضة التغييرية الإصلاحية محفوفة بالكثير من المخاطر، وقد نصّح الإمام عليه السلام من أكثر من شخص، وفي أكثر من موقف، بترك هذا الطريق المحفوف بالمخاطر، والمندر بقتله وقتل من نهض معه، إلا أن الإمام عليه السلام كان متهيئاً لهذا الوضع الخطير وعازماً على الخروج والتغيير والإصلاح مهما كانت النتائج، فالمهم عنده هو الإصلاح الشامل، حتى إن كلفه ذلك حياته وحياة من خرج معه، وسبي نساء البيت الهاشمي، فدون الأهداف الرسالية الكبرى تهون المصائب ويهون كل شيء، وفي ذلك يقول عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية: ((وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي. أمرهم أمري ورأيهم رأيي))^{١١}، ويقول أيضاً: ((ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر))^{١٢}.

١.٣. تحليل البيانات

من النصوص المهمة التي تؤسس لفلسفة التغيير والإصلاح في فكر الإمام الحسين (عليه السلام) قوله للوليد بن عتبة والي المدينة حينما طلب منه البيعة ليزيد بن معاوية: ((ويزيد رجل شارب الخمر، وقاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة))^{١٣}، فالإمام (عليه السلام) يؤسس لنهج تغيير إصلاحي كبير في هذه المقولة التي يخبر بوساطتها عن عدم مبايعته ليزيد بن معاوية، فهو (عليه السلام) لم يشخصن موقفه من يزيد، ولم يقل مثلاً: أنا لا أباعه، أو: الحسين بن علي لا يبايع يزيد بن معاوية؛ لأن المسألة ليست شخصية بينه وبين يزيد، وإنما يختط (عليه السلام) نهجاً إصلاحياً للجميع بعدم مبايعة الظالمين وشاربي الخمر وقاتلي النفس المحترمة والمعلنين بالفسق، فكأنه يقول (عليه السلام): كل شخص يريد أن يكون مثلي ويترسم طريقي الإصلاحية الذي سأختطه بدمي وبدم أهل بيتي وأصحابي عليه ألا يبايع الظالمين، ولا يضع يده بأيديهم الملطخة بدماء المسلمين، وكل إنسان يفهم موقفه من يزيد وعدم بيعتي له، عليه ألا يرضى عن الظالمين ولا يقبل بأعمالهم، ولا يعطيهم صوته في الانتخابات؛ لأن اختيار الحاكم العادل مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتقه، فلا يختار الحاكم أو الشخص الظالم البعيد عن دين الله وسنة نبيه (عليه السلام)، ثم يندم على اختياره السيء وغير الموفق.

يظهر لنا مما تقدم أن هناك نهجاً إصلاحياً ونهضة تغييرية حسينية كبرى في قبال نهج تخريبي أموي يعيث في الأرض ظلماً وفساداً، فالأحق بالخلافة وقيادة الأمة هو صاحب منهج التغيير والإصلاح لا صاحب منهج الظلم والفساد، وهذا ما عبّر عنه الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله: (ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينما أحق بالخلافة)، فالمعنى الثانوي للنص ونسقه الضامر يشير إلى أن الإمام الحسين يريد بيان أنه (عليه السلام) أحق بالخلافة وقيادة الأمة الإسلامية من

يزيد بن معاوية؛ لأنه سبط نبي الأمة وابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء صلوات الله عليهم، فهو من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، كما ورد على لسانه الشريف، في حين أن يزيد رجل فاسد شارب الخمر وقاتل النفس المحترمة معلن بالفسق^{١٤}، فكيف يمكن لسبط النبي الأعظم ﷺ وصاحب هذا الانتماء العالي والنسب العظيم والشرف السامق أن يضع يده بيد شخص مثل يزيد بن معاوية، ولا سيما أن القرآن الكريم يحرم مبايعة الظالمين والركون إليهم واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين وفي ذلك يقول تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾^{١٥}، ويقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^{١٦}.

في حوار جريء بين الإمام الحسين عليه السلام ومروان بن الحكم، نصحه مروان ببيعة يزيد بن معاوية، فأجابه الإمام وهو يسترجع: ((على الإسلام السلام إذا بليت الأمة براعٍ مثل يزيد))^{١٧}. يحسد هذا النص موقفاً مبدئياً وصلباً من الإمام الحسين عليه السلام في قبال طلب مروان بن الحكم، فهو يسترجع قائلاً: إنا لله وإنا إليه راجعون، وقوله هذا هو نص من القرآن الكريم اقتبسه من قوله تعالى: ﴿وَلَبَلَوْنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^{١٨}، وإذا دققنا النظر في النص القرآني نجد أنه يشير إلى أنواع من الابتلاءات التي تقع على الإنسان في الدنيا، وإلى أهمية الصبر عليها، وقول: إنا لله وإنا إليه راجعون عند وقوع المصائب، وبناءً على هذا التناص القرآني، فإن الإمام الحسين عليه السلام يرى أن تولي يزيد لمقاليد الخلافة يعد مصيبة كبرى حلت بالمسلمين، ولا بد من الوقوف ضده وضد سياساته المنحرفة؛ لذلك أردف قائلاً: (على الإسلام السلام إذا بليت الأمة براعٍ مثل يزيد)، وهو هنا يتنبأ بمصير الإسلام المحمدي

الأصيل في حال بايع يزيد بن معاوية ووضع يده الكريمة بيد حاكم باغٍ طاغٍ ظالم مثله ، وأعطاه الشرعية ليحكم البلاد والعباد، فبيعة هذا الرجل المنحرف تشكل خطراً كبيراً على مصير الإسلام والمسلمين، وبلاءً شديداً، ولا بدّ للإمام الحسين عليه السلام أن يقف بوجه هذا الخطر الداهم والابتلاء الشديد؛ ليحافظ على الإسلام من التحريف، وليجنب المسلمين هذا البلاء الكبير، لذلك أصرَّ عليه على عدم إعطاء الشرعية لحكم يزيد وعدم مبايعته، مع كثرة التهديدات وشدتها، ومع كثرة الناصحين له بالبيعة وعدم الخروج من المدينة المنورة؛ لأنه يعلم ما سيؤول إليه الإسلام والمسلمون إن بايع، فخرج من المدينة المنورة قاصداً مكة المكرمة؛ لكي لا يبايع يزيد ولا يكون شريكاً في تسليط هذا الرجل الظالم المنحرف على الإسلام وعلى رقاب المسلمين.

زار الإمام الحسين عليه السلام قبر جدّه النبي ﷺ قبل خروجه من المدينة المنورة مرتين، وفي الزيارة الثانية، وبعد أن صلى عند القبر الشريف قال: ((اللهم إن هذا قبر نبيك محمد ﷺ، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت. اللهم إني أحبّ المعروف وأنكر المنكر وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى))^{١٩}، فهو في هذا الموقف الصعب والأمر الشديد يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى من عند قبر جدّه خير البشر ﷺ، ويعطي رسالة واضحة عن طريق قوله وفعله بجواز زيارة القبور والصلاة والدعاء فيها، ولا سيما قبور الأنبياء والرسل وأهل البيت صلوات الله عليهم، وفي هذا القول والفعل الصادر عن الإمام المعصوم عليه السلام رد على كل من يحرم زيارة القبور أو يقف بالضدّ منها.

مما قاله الإمام الحسين عليه السلام في هذا الموقف: ((اللهم إني أحبّ المعروف وأنكر المنكر))، فهو بقوله هذا يبين فلسفة الإصلاح التي انطلق منها، المعتمدة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أصل قرآني نجده في بعض آيات

القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^{٢٠}، وقال عزّ ذكره: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^{٢١}، فالإمام الحسين (عليه السلام) يعتمد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه التغييري الإصلاحي، وهو هنا، فضلاً عن بيان فكره الإصلاحي، فإنه من جانب آخر يعرّض بيزيد بن معاوية الذي عكس هذا التوجيه والأمر الصادر من القرآن الكريم، فكان يعمل المنكر ويأمر به، ولا يعمل المعروف ولا يتخذة دستوراً في حكمه، مما أدى بالإمام (عليه السلام) إلى عدم مبايعته والاستمرار في طريق التغير والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي اختطه بدمه الشريف ودماء أهل بيته وأصحابه.

تشكل وصية الإمام الحسين (عليه السلام) نصاً مهماً تتجلى فيه فلسفة الإصلاح الحسيني بشكل جلي لا مرأى فيه، إذ يقول فيها: ((وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (عليه السلام). أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب. فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين))^{٢٢}، فالإمام (عليه السلام) يؤكّد وينفي خروجه أشراً أو بطراً أو مفسداً أو ظالماً، أما الأشر فهي صفة تدل ((على الحدة، من ذلك قولهم: هو أشر أي بطر متسرّع ذو حدة))^{٢٣}، وهي بمعنى ((بطر وكفر النعمة فلم يشكرها))^{٢٤}، وتأتي بمعنى مرح وتجبر واستكبر^{٢٥}، أما البطر فهو ((دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقوقها وصرها إلى غير وجهها))^{٢٦}، فالإمام (عليه السلام) يريد الإخبار في وصيته أنه لم يخرج متسرّعاً متجبّراً مستكبراً على الناس، ولم يخرج من أجل الحكم والكرسي، ولا بطراً على نعم

الله، ولا مرحاً أو صارفاً لنعم الله الكثيرة عليه في غير موضعها، ولا من أجل الفساد والإفساد ولا من أجل الظلم، بل خرج من أجل التغيير والإصلاح والعدل، ووضع الأمور في موضعها الصحيح بعد محاولات التخريب الأموي، فهو ينفي خروجه مفسداً، وعكس المفسد هو المصلح، وينفي خروجه ظالماً، وعكس الظالم هو العادل.

بعد ذلك يذكر الإمام الحسين عليه السلام سبب خروجه موظفاً أداة الحصر (إنما)، ليحصر ويؤكد أن سبب خروجه هو الإصلاح، واللافت للنظر في هذه الجملة أنه عليه السلام وظّف الفعل الماضي (خرجت)، مع أن خروجه لم يتحقق بعد في ذلك الوقت الذي كتب فيه وصيته؛ وذلك ليبين للمتلقي أن خروجه متحقق لا محالة، مع شدة الظروف وحراجه الموقف، وأن الإصلاح يحتاج إلى الخروج لا الجلوس في البيت، كما أن توظيفه لقول: (طلب) يعطي إشارة جليّة إلى أن الإصلاح مطلوب في كل زمان ومكان، وعلى كل مصلح أن يخرج من أجل طلب الإصلاح، لا أن يطلب الإصلاح بالكلام فقط دون الفعل، ولا أن يجلس في مكانه ويطلب الإصلاح دون تحقيق مقدماته من الخروج على الظلم والفساد، ودون الطلب الفعلي له، وهو هنا يختطّ طريق التغيير والإصلاح الواضح والجلي، ويدعو الأجيال أن ترسم هذا الطريق وتنحو نحوه؛ لتتمكن من الثورة على الأنظمة القمعية الفاسدة وتغييرها وإصلاح ما يمكن إصلاحه، ومما يلفت النظر في الإصلاح الحسيني أنه جاء إصلاحاً مطلقاً وشاملاً، فهو لم يقيّد كلمة الإصلاح بقيد، ولم ينعتها بنعت، كأن يقول: وإنما خرجت لطلب الإصلاح الديني أو العقائدي أو الاجتماعي مثلاً، بل أراد الإصلاح الشمولي بكل أنواعه، فهو يريد الإصلاح الديني والإصلاح العقائدي والاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي والفكري.. إلخ، وهذا الأمر يدلّ على أن الدين الإسلامي والمجتمع الإسلامي يعانيان من محاولات التخريب الأموي المتعمّد،

وأن هذا الوضع الخطير والمأساوي يحتاج إلى مصلح كبير يسعى بكل ما أوتي من قدرات وملكات إلى الوقوف بوجه هذه المحاولات التخريبية البشعة، وإصلاح المنظومة الفاسدة إصلاحاً شاملاً، وإرجاع الأمور إلى نصابها الصحيح الذي أراده الله تعالى، وأراده النبي الأعظم ﷺ وأهل البيت صلوات الله عليهم، وما على الإمام الحسين عليه السلام إلا التصدي لهذه المهمة الرسالية الكبرى والسير في طريق الإصلاح المحفوف بالأشواق والعقبات التي وضعها الأمويون فيه، مهما بلغت الأخطار، ومهما كانت النتائج.

بعد أن بين الإمام الحسين عليه السلام هدف خروجه على النظام القمعي الفاسد المستبد، وأظهر نوع الإصلاح الذي يريد، فإنه يخبر بالآليات والطرق التي سيعتمدها لتحقيق الإصلاح الشامل الذي يطلبه، ومنها:

- * الأمر بالمعروف.
- * النهي عن المنكر.
- * السير بسيرة جدّه النبي ﷺ.
- * السير بسيرة أبيه الإمام علي عليه السلام.

لذلك يقول: (أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)، إذ يظهر إرادته المستمرة التي يريد بها عن طريق توظيف الفعل المضارع (أريد)، وهي الأمر بالمعروف الذي يطلبه ويتغيّاه، والنهي عن المنكر الذي سيقف بوجهه، والمتمثل بسياسات يزيد المنحرفة، وقد تقدم الحديث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل قرآني اعتمده الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة، ثم يعقب قوله هذا بقوله: (وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب)، فطريق الإصلاح الذي سلكه وسار فيه، أراد أن يكون سيره فيه على وفق سيرة جدّه النبي الأكرم ﷺ وسيرة أبيه عليه السلام، لا على سيرة من سعى إلى تغيير الدين وتحريفه أو إضافة ما ليس منه فيه، وهو بذلك يختار الطريق

الصحيح والواضح والسليم ويترك الطرق الأخرى غير السليمة، ويرسل لكل مصلح رسالة واضحة مفادها أن طريق الإصلاح الصحيح هو الذي يسلك فيه المصلحون المسالك التي سلكها سبط من لا ينطق عن الهوى، ويسيرون على نهجه المبارك في التغيير والإصلاح، ويتركون المسالك الأخرى التي لا تنفع ولا تؤدي إلى نتائج صحيحة؛ لأن طريقه هذا هو طريق النبي الأعظم والإمام علي صلوات الله عليهما، وهو طريق الله المستقيم وصراطه القويم الذي يقول عنه تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^{٢٧}.

حينما وصل الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مكة المكرمة، كتب كتاباً إلى رؤساء الأخماس في البصرة، ومما ورد فيه: ((وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أُميتت، والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي أهدكم سبيل الرشاد))^{٢٨}. إن الحسين (عليه السلام) يبين في هذا الكتاب طريقاً آخر من الطرق المهمة والأصيلية التي سيعتمدها في طريقه الإصلاحية ونهضته ضدّ الظلم والظالمين، وهو طريق القرآن الكريم الواضح والدقيق، فهو دستور المسلمين، والمدرك الأول من المدارك المقررة لاستنباط الأحكام الشرعية؛ لذلك يدعوهم إليه وإلى سنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم يسبب هذه الدعوة مؤكداً بأن السنة النبوية الصحيحة التي يجب أن يعتمدها المسلمون قد أُماتها الأمويون ومن سار على نهجهم المنحرف التخريبي الضال والمضلّ، وأن البدعة تم إحيائها على أيدي أعداء الدين، وإزاء هذا الوضع الخطير جداً والأسلوب المتعمد في إماتة السنة وإحياء البدعة كان لابداً لقائد إصلاحية كبير أن يسعى جاهداً، وبكل ما يملك من قدرات وقابليات إلى التصدي لهذا المشروع التخريبي الذي يهدّد وجود الإسلام والمسلمين، ولا بد أن يكون واعياً بطرق الإصلاح وآلياته التي سيعتمدها في نهضته الشاملة وتغييره الإصلاحية. ثم يستمر الإمام (عليه السلام) في

كلامه قائلاً: (فإن تسمعوا قولي أهدكم سبيل الرشاد)، إذ يشترط عليهم عن طريق توظيف أسلوب الشرط أن يسمعوا كلامه ويعوه ويقفوا بجانبه في نهضته الإصلاحية، وبذلك تكون النتيجة التي يريدها ويسعى إليها أنه سيهديهم إلى سبيل الرشاد والصلاح والإيمان، ويبعدهم عن طريق الضلال والكفر والفساد، وهو هنا عليه السلام يستحضر كلام مؤمن آل فرعون ونصيحته لقومه وموقفه الذي ذكره القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^{٢٩}، والإمام الحسين عليه السلام يقف الموقف نفسه من قومه، محذراً إياهم من فرعون زمنه يزيد بن معاوية ومخططاته وألاعيبه وغدره، وناصحاً إياهم باتباعه عليه السلام؛ لأن أتباعه والسير على طريقه الإصلاحية سيؤدي إلى هدايتهم إلى سبيل الصلاح والرشد الذي يريده لهم.

أرسل الإمام الحسين عليه السلام كتاباً واحداً إلى أهل الكوفة؛ جواباً على كتبهم الكثيرة التي بعثوها له، والتي يطلبون فيها حضوره، ويعدونه بنصرته، ومما جاء في الكتاب: ((فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام))^{٣٠}، وهنا يبين أبو عبد الله عليه السلام بعضاً من صفات الإمام العادل والقائد الحقيقي الذي يجب أن يقود الأمة ويتبعه الناس، إذ يوظف أسلوب القسم والقصر؛ ليؤكد أن الإمام هو من يجعل القرآن الكريم قائداً له ودستوراً يسير عليه ويعمل به، وهو من يحكم بالعدل والقسط والحق ولا يلجأ إلى الظلم والجور أبداً، وهو الذي يكون مع الحق دائماً ويدين به، ويدور معه حيث دار، ولا يكون مع الباطل، وهو الذي يحبس نفسه ويقيدها بالسير على طريق الله تعالى، لا على طريق الشيطان وطريق الباطل، ومن ثم فإن الإمام الحسين عليه السلام حينما ذكر صفات الإمام العادل والقائد المصلح، فإنه أراد الإشارة إلى نفسه، وبأنه هو من يملك هذه الصفات القيادية، وهو المؤهل لتلتف حوله الأمة وتعاضده في السير في طريق

التغيير والإصلاح الذي ينشده، ومن ناحية ثانية فإنه يعرّض يزيد بن معاوية الذي لا يملك هذه الصفات ولا يتمتع بها، ومن ثم فهو غير مؤهل لقيادة أمة النبي الخاتم ﷺ، وغير جدير بحكمها، فلو قرأنا معنى المعنى أو ضامر النص الحسيني لاستكنهنا أن يزيد بن معاوية لا يعمل بالقرآن الكريم، ولا يلتزم بأوامره ونواهيه، ولا يحكم بالعدل والقسط، بل يحكم بالجور والظلم والعدوان، ولا يعمل بالحق، بل يعمل بالباطل، فهو أبعد ما يكون عن الحق وأهله، كما أنه لم يجس نفسه على ذات الله، ولم يلزمها بالسير على طريق الله الحق، وإنما تركها تسرح في ملذاتها وشهواتها وغرائزها البعيدة كل البعد عن أخلاق الإسلام ومبادئه التي أرساها القرآن الكريم، والنبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام، وبهذا الوصف الحسيني للإمام يمكننا أن نستنتج أن الحسين ﷺ أراد أكثر من أمر:

١. تنبيه الناس وإخبارهم بصفات الإمام الحق الذي يجب أن يتبعه الجميع، فهو الأقدر على قيادة الأمة والحفاظ على الإسلام والمسلمين.
٢. المقارنة بين الإمام الحسين ﷺ ويزيد بن معاوية، فالإمام الحق والقائد الرباني هو الذي يسير على طريق القرآن الكريم، ويحكم بالعدل والقسط، ويعمل بالحق، ويؤمن بالله تعالى، ولا يسمح لنفسه بالابتعاد عن هذا الطريق، أو السير على وفق شهوات نفسه وملذاتها، وهذه الصفات تنطبق على الإمام الحسين ﷺ، وهي أبعد ما يكون عن يزيد.
٣. وعن طريق هذه المقارنة بين شخصيتي الإمام الحسين ويزيد، فإن أبا عبد الله ﷺ يوجّه الناس إلى ترك القيادة الظالمة المتجبرة البعيدة عن الله وكتابه ورسوله، والالتفاف حول القيادة الربانية العادلة، وقيم الحجة عليهم؛ لكي يفهموا ويعرفوا تكليفهم الشرعي تجاه إمام زمانهم.

إن فلسفة التغيير والطريق الإصلاحي الذي اختطه الإمام الحسين (عليه السلام) كان ذا تأثير واضح في أهل بيته وأصحابه الذين أكملوا معه هذا الطريق إلى نهايته، فهذا مسلم بن عقيل يجيب عبيد الله بن زياد حينما اتهمه بتفريق الناس وشق عصا المسلمين قائلاً: ((كلا لست أتيت لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أن أبائك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم؛ لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب))^{٣١}، فهو هنا يرد على ابن زياد رداً قوياً شجاعاً، ويبين سبب مجيئه إلى الكوفة، فقد جاء - كما أراد قائده الإمام الحسين - ليأمر بالعدل والقسط، ويدعو إلى حكم القرآن الكريم، وهو بكلامه هذا يعرّض بعبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية وأعوانه بأنهم لم يأمروا بالعدل، ولم يحكموا بكتاب الله تعالى، بل ظلموا الناس وعاملوهم بال جور والعدوان والأذى، وحكموا بما تمليه عليهم نفوسهم الشريرة الأمارة، وبما يمليه عليهم الشيطان.

حينما وصل الإمام الحسين (عليه السلام) إلى منزل من منازل الطريق إلى العراق يسمى بالبيضة خطب خطبة مهمة بالحر الرياحي وأصحابه قال فيها: ((أيها الناس إن رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزمو الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله. وأنا أحقّ ممن غير، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني. فإن أتممت عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، ولكم في أسوة...))^{٣٢}.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعدّ هذه الخطبة من الخطب المفعمّة بالمفاهيم التغييرية والإصلاحية، ويمكنني أن أطلق عليها اسم: (خطبة الحثّ على التغيير)، فالإمام الحسين (عليه السلام) يبدوّها بعد الحمد والثناء على الله تعالى بحديث ينقله عن جدّه المصطفى (عليه السلام)، مفاده أن من رأى سلطاناً ظالماً جائراً يستحلّ حرام الله ويعمل الخبائث والموبقات، ناكثاً عهده غير ملتزم به، مخالفًا عن عمد وإصرار سنة النبي الخاتم (عليه السلام)، يعمل بالإثم والعدوان والإجرام والظلم، فلم يعمل على تغيير هذا الحاكم ونظامه المنحرف، ولم ينكر عمل هذا السلطان الجائر بفعل يفعله ضدّ سياساته المنحرفة عن دين الله وعن سنة نبيه، كأن يعلن الثورة ضدّ نظامه الاستبدادي الكافر، أو يساند من يثور وينهض ضده، أو قول يقوله يفضح هذا السلطان وانحرافه عن الدين والعقيدة، ويندّد بسياساته الإجرامية الظالمة المجحفة، فقد كان حقاً على الله تعالى أن يدخله مدخل هذا الظالم الكافر وأن يشركه في عمله، فالإمام الحسين (عليه السلام) يقتبس نصاً من الرسول الكريم (عليه السلام)؛ ليؤثّر في الحر وأصحابه الذين ساندوا عدو الله والدين والسنة والمسلمين يزيد بن معاوية ضدّ وليّ الله المصلح الكبير وسبط رسوله الإمام الحسين، وليحثّهم على التفكّر في الوضع الذي هم فيه، ويسعوا إلى تغيير منهجهم وإصلاح شأنهم قبل فوات الأوان، فإن لم يغيروا في أنفسهم، ولم يتركوا طريق الضلال الذي هم سالكوه، ولم يغيروا على يزيد بن معاوية بفعل أو قول فإن نهايتهم ستكون فاجعة ومأساوية. وقد يتصور شخصٌ ما أن الإمام (عليه السلام) ينصحهم من أجل أن ينقذ نفسه، أو من أجل مصلحة، فأقول له: إنك واهم في تصورك ورأيك هذا؛ لأن الحسين (عليه السلام) كان متأكداً من شهادته في كربلاء، وقد أخبره بذلك جدّه الرسول الذي لا ينطق عن الهوى في أكثر من مورد، ومن تلك الموارد الرؤيا التي رآها الإمام الحسين (عليه السلام) حينما زار قبر جدّه (عليه السلام) بعد أن حصل ما حصل بينه وبين الوليد بن عتبة ومروان بن الحكم، وبعد أن صلّى وتوجّه بالدعاء إلى الله تعالى، وضع رأسه على القبر فغفا، ورأى جدّه النبي (عليه السلام) ٣٣، ومما

قال له جدّه في تلك الرؤيا :

((حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قدموا علي، وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنان لدرجات لا تنالها إلا بالشهادة))^{٣٤}، ومما قال له أيضاً :
((لا بدّ أن ترزق الشهادة؛ ليكون لك ما كتب الله فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وعمك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة))^{٣٥}، فضلاً عن أن الإمام (عليه السلام) أخبر بشهادته في كلمات ومواقف كثيرة، لا مجال لذكرها، فهو حريص عليهم وعلى تغييرهم والانتقال بهم نقلة تغييرية من طريق الكفر والضلال والإجرام إلى طريق الإيمان والصلاح.

بعد أن استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) بكلام الرسول الكريم ﷺ، يبدأ بفضح سياسات يزيد بن معاوية وحكومته الظالمة، وبيان فسادهم وتجبرهم وتشويههم لدين الله، إذ قال: (ألا وإن هؤلاء قد لزموا الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلّوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله)، إذ يؤكّد أن يزيد وزبانيته قد أطاعوا الشيطان، بل لزموه ولزموا طاعته والانصياع له، وتركوا طاعة الله الواحد الأحد، وأظهروا الفساد وعملوا به دون تردّد أو خوف، فهم لم يستروا فسادهم وإفسادهم، بل أظهره للناس، وفي ذلك دلالة على قبحهم ووقاحتهم وصلفهم وتجاوزهم للحدود كلها، لذلك عطّلوا حدود الله وأحكامه، واستولوا على أموال المسلمين وخيرات البلاد واستأثروا بالفيء، وعملوا على عكس ما يريد الله تعالى، فأحلّوا حرامه وحرّموا حلاله.

بعد أن ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) صفاتهم السلبية وفضحهم، وبَيّن بعدهم عن الإسلام، وسعيهم إلى تشويه الدين والعقيدة والسنة قال: (وأنا أحقّ ممن غير)، فهو هنا، وفي هذا الفصل من مفاصل نهضته المباركة يطلق صرخته التغييرية المدوية في أفق التاريخ، وفي آذان من يستمع إليها ويقرؤها، فهو

الأحقّ والأفضل والأجدر بقيادة هذا التغيير الجذري في أمة جدّه النبي ﷺ، وهو الأقدر على إيجاد هزّة تغييرية وإصلاحية شديدة توقظ الأمة من سباتها العميق وكبوتها، وتحرر الناس من التردد والخوف الذي لازمهم؛ بسبب بشاعة الأمويين وظلمهم الشديد لهم، باتباع سياسات التجويع والحرمان من العطاء، والتغيب في طوامير السجون، والتهديد بتصفيتهم وتصفية عوائلهم ومصادرة أموالهم وأملاكهم، وفعلاً كانت الأمة بحاجة ماسّة إلى هذه الصرخة التغييرية الإصلاحية المدوّية في كل زمان ومكان، وإلى فدية عظيمة مضمّخة بدم الشهادة الأحمر ومتوهّجة به؛ لتصحو من نومها، وتثور على الظلم والظالمين. وقد حقّقت هذه الصرخة الحسينية، وهذا الدم الشريف تلك الصحوّة التي كان يتغيها الإمام الحسين (عليه السلام)، فبدأت الثورات التغييرية ضد الظلم والجور والاستبداد، واستمرت بعد صرخته وشهادته (عليه السلام).

بعد هذه الصرخة التغييرية من لدن الإمام الحسين (عليه السلام) يقول لهم: (فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، ولكم فيّ أسوة)، إذ يعرف بنفسه، ويخبرهم بنسبه العريق وانتمائه الشريف إلى بيت النبوة ومهبط الملائكة وعنوان الرسالة الإسلامية، لكنه مع هذا الانتماء العظيم والشرف السامق يتواضع تواضع القائد الرسالي الكبير المصلح الذي يريد تحرير العقول من نير المذلة والمعصية والعبودية للظالمين، فمع أنه الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وسبط نبي الأمة وأفضل خلق الله، إلا أنه يتواضع لهم ويقول: نفسي مع أنفسكم وأنا معكم وحالي حالكم، فأنا كأحدكم، وأهلي مع أهليكم، لكن مع هذا التواضع الجم والأدب النادر ينبههم إلى أمر مهم تظهر في قوله (عليه السلام): (ولكم فيّ أسوة)، فهو الأسوة الحسنة في زمنه بعد جدّه وأبويه وأخيه صلوات الله عليهم، وهو الأحقّ بالاتباع، لا يزيد بن معاوية، وهو هنا يحيلهم

على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^{٣٦}، ويذكرهم بأنه امتداد لهذه الأسوة الحسنة جدّه النبي الأعظم ﷺ، ومتفرع من شجرته المباركة، وهو المؤهل لخلافته والسير بهديه المبارك في حكم الأمة الإسلامية، لا يزيد الذي يقفون معه في هذا الموقف ضدّ سبط النبي ﷺ. إن الحسين عليه السلام يجسد في هذا الموقف أخلاق المصلح الذي يريد تغيير الواقع الفاسد وتغيير ما ارتكز في عقول هؤلاء الناس المغرّ بهم، الذين عمت عيونهم وأصابها الغشاوة عن رؤية الحق والتمييز بينه وبين الباطل، لذلك يسلك كل الطرق المتاحة؛ ليغيّر المنظومة الفاسدة، ولينير عقول الناس ويبصّرهم بالواقع المزري والوضع الخطير الذي هم عليه؛ عليهم يهتدون بهديه المبارك وكلامه ومواقفه الإنسانية والمبدئية، ويغيرون وجهتهم من معسكر الظلم والفساد والكفر والعدوان الذي يمثله يزيد بن معاوية إلى معسكر العدل والإصلاح والإيمان الذي يمثله الإمام الحسين عليه السلام.

وصل أبو عبد الله عليه السلام إلى كربلاء في اليوم الثاني من المحرم، وبعد أن نزل في أرض شهادته خطب بأهل بيته وأصحابه خطبة جاء فيها: ((الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معاشهم، فإذا مُحْصُوا بالبلاء قلّ الديانون (...)) أما بعد، فقد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيّرت وتنگّرت وأدبر معروفها، ولم يبقَ منها إلا صباغة كصباغة الإناء وخسيس عيشٍ كالرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؛ ليرغب المؤمن في لقاء الله؛ فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برّما))^{٣٧}. يتناول الإمام عليه السلام في هذه الخطبة موضوع ذمّ الدنيا؛ لذا أسميتها بـ (خطبة ذمّ الدنيا والتزهيد فيها)، إذ يبدؤها، بعد الحمد والثناء على الله تعالى وبيان حالهم التي هم عليها، بجملة خبرية يخبر بوساطتها عن

حال الناس التي وصلوا إليها، ثم يخبر بعد ذلك مؤكداً بأن الدنيا قد تغيرت عليه، وتنكرت له، وذهب معروفها وبقي منكرها، مع أنه لم يبق منها إلا الشيء القليل جداً والسيء جداً، إذ شبه ما بقي منها بصبابة الماء القليلة المتبقية في قعر الإناء، وبالمرعى الوبيل الذي أكلت الماشية النباتات الموجودة فيه، وأبقت فضلاتها وآثار أقدامها عليه، ثم يذكر أمراً خطيراً جداً، وهو أن الناس لا يعملون بالحق ولا يحثون أنفسهم عليه، ولا ينهاون أنفسهم عن عمل الباطل، فهم يعملون بضد ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى منهم، وهو في هذا الموقف يصف ما أصاب الدنيا وأهلها، ويصور الواقع البائس الذي وصل إليه الناس، ومن ثم فإن أناساً هذه حالهم، وواقعاً هذه صفاته سيكون بأمس الحاجة إلى قائد يغيّر هذا الوضع المزري، ويبدأ حركته الإصلاحية. إن وصف الواقع كما هو وتشخيص سلبياته ومشاكله وأدوائه يشكل جزءاً مهماً من التغيير والإصلاح المنشود، فبدون معرفة مساوئ الواقع، ودون وضع اليد على سلبياته وتشخيصها بشكل دقيق، لا يمكن إيجاد الحلول الناجعة والصحيحة لتغييره وإصلاحه، وهذا ما سعى إليه الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبته هذه وفي نهضته، فالتغيير عنوانها، والإصلاح هدفها الرئيس والمنشود الذي أَرَادَهُ قائدها الإمام الحسين (عليه السلام).

٤- الخاتمة

بعد هذه القراءة لفلسفة التغيير والإصلاح في فكر الإمام الحسين (عليه السلام)، وبعد استكناؤه بعض نصوصه ومواقفه التي تظهرت فيها هذه الفلسفة، كان لا بدّ لي من خاتمة للبحث أدرج فيها بعض النتائج والتوصيات، وهي كما يأتي:

١- إن عملية التغيير والإصلاح بحاجة إلى قائد رسالي مخلص لا يهتم بالمصالح الدنيوية، ويكون بعيداً عن النفعية التي تتبنى فلسفة ميكافيلي: (الغاية تبرر الوسيلة)، يركّز جلّ اهتمامه على التغيير والإصلاح الذي ينشده، ويستمر في طريقه الإصلاحية المليء بالمصاعب، مهما كانت النتائج؛ من أجل تحقيق الأهداف التي يرنو إليها.

٢- المصلح المخلص والمؤمن بقضيته لا يضع يده بيد الظالمين ولا يبايعهم ولا يجاملهم أبداً، بل يقول لهم: لا، وهذا ما فعله المصلح العظيم الإمام الحسين (عليه السلام) حينما قال: ((ومثلي لا يبايع مثله))، وقال: ((لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية)).

٣- أراد الإمام الحسين (عليه السلام) فضح الحكومات الظالمة الجائرة، وفضح قادتها المنحرفين والمستبدّين، وفضح سياساتهم الهوجاء، وقد سلك هذا الطريق ومارس خطاب الفضح والتعرية حينما فضح في أكثر من فرصة يزيد بن معاوية وأتباعه وحكومته الظالمة المنحرفة عن خط الدين والعقيدة. وهذا الأمر من مقتضيات التغيير والإصلاح المهمة.

٤- سعى الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مراسلة القادة ورؤساء القبائل ومفاتحتهم بمشروعه التغييرية الإصلاحية، وإخبارهم بالوضع الخطير الذي آلت إليه الأمة، وضرورة التغيير نحو الحكم الصالح والرشيد، وهذا جانب مهم لا بدّ منه في كل مشروع إصلاحية.

٥- الإمام العادل والقائد الإسلامي المصلح هو الذي يعتمد في حركته الإصلاحية التنويرية على دستور المسلمين القرآن الكريم، وعلى السنة النبوية الشريفة وسيرة المعصومين والصالحين، وهو الذي يحكم بالقسط والعدل، ويطيع الله تعالى، وهذا ما اعتمده الإمام الحسين (عليه السلام).

٦- وصفَ الإمام الحسين (عليه السلام) الوضع الخطير الذي أصبحت عليه الأمة الإسلامية؛ بسبب سياسات يزيد المنحرفة، وبين بُعد الناس عن الدين وعن الحق، وعدم تركهم للباطل الذي خيم بظلاله على المجتمع، ومن ثم فوضعٌ خطير كهذا يحتاج إلى فلسفة تغييرية إصلاحية شاملة تستطيع تغيير وإصلاح ما وصل إليه المجتمع من خراب وبُعد عن الدين وعن الحق، ولها القدرة على الإصلاح الشامل.



التوصيات

يوصي البحث بعدة توصيات يمكن استكناها من فلسفة التغيير والإصلاح في فكر الإمام الحسين (عليه السلام)، وهي كما يأتي:

١- إن الحكم الصالح يحتاج إلى قائد مصلح يتمتع بمواصفات قيادية تؤهله للتغيير والإصلاح، يعرف تكليفه، ويميز الحق من الباطل، وله فلسفته التغييرية الإصلاحية التي يسعى إلى تطبيقها؛ وصولاً إلى تطبيق حكم الله تعالى.

٢- ضرورة الاستفادة من فلسفة التغيير والإصلاح عند الإمام الحسين (عليه السلام)، وتطبيقها في حياتنا، ولا سيما أن المجتمعات أصبحت بحاجة ماسة إلى هذه الفلسفة، بعد أن غزاها واعتراها الكثير من الانحرافات الدينية والعقائدية والسلوكية، وبعد أن أصابتها الأدواء الاجتماعية التي تحتاج إلى حلول ناجعة يمكن استنباطها من فلسفة التغيير والإصلاح الحسيني.

٣- كما يمكن الاستفادة من فلسفة التغيير والإصلاح التي اعتمدها الإمام الحسين (عليه السلام) في صناعة قادة مؤهلين يتمتعون بمواصفات خاصة عن طريق دراسة وتدرّس دروس القيادة عند الإمام القائد المصلح الكبير الحسين (عليه السلام)، وفتح مدارس أكاديمية متخصصة بهذا الجانب من العلم تعمل على تخريج قادة مؤهلين لقيادة مفاصل الدولة ومؤسساتها قيادة صالحة بعيدة عن الأخطاء والسلبيات.



الهوامش:

- ١- مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المقرّم، مطبعة غدیر، قم، ط ١، ١٤٢٤ هـ، ١٨٨.
- ٢- مقتل الحسين، ٢٤١.
- ٣- مقتل الحسين، ١٦٩.
- ٤- مقتل الحسين، ١٢٩.
- ٥- مقتل الحسين، ١٣٣أ.
- ٦- نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، الشيخ عباس القمي، تحقيق الشيخ رضا أستاذي، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، د. ط، ١٤٠٥ هـ، ٧٤.
- ٧- مقتل الحسين، ١٣٩.
- ٨- مقتل الحسين، ١٦٩.
- ٩- مقتل الحسين، ٢٩٧.
- ١٠- مقتل الحسين، ٢٤٤.
- ١١- مقتل الحسين، ١٣٤.
- ١٢- مقتل الحسين، ٢٤٤.
- ١٣- مقتل الحسين، ١٢٩.
- ١٤- ينظر: مقتل الحسين، ١٢٩.
- ١٥- آل عمران، ٢٨.
- ١٦- هود ١١٣.
- ١٧- مقتل الحسين، ١٣٢.
- ١٨- البقرة، ١٥٥-١٥٦.
- ١٩- مقتل الحسين، ١٣٢.
- ٢٠- آل عمران، ١٠٤.
- ٢١- التوبة، ٧١.
- ٢٢- مقتل الحسين، ١٣٩.
- ٢٣- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م، ٦٢، مادة أشر.
- ٢٤- المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي المقري، دار الحديث، القاهرة، د. ط، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م، ١٥، مادة أشر.
- ٢٥- ينظر: مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، د. ط، ١٩٨٣، ٢٢، مادة أشر، وينظر: القاموس الجديد، علي بن هادية، بلحسن البليش،

- الجيلاني بن الحاج يحيى ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ط ٩ ، ١٩٨٨ ، ٥٩ .
- ٢٦- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ضبطه هيثم طعيمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٨ م ، ٥٥ ، مادة بطر .
- ٢٧- الأنعام ١٥٣ .
- ٢٨- مقتل الحسين ، ١٤٢ .
- ٢٩- غافر ، ٣٨ .
- ٣٠- مقتل الحسين ، ١٤٦ .
- ٣١- مقتل الحسين ، ١٦٥ .
- ٣٢- مقتل الحسين ، ١٨٩ .
- ٣٣- ينظر : مقتل الحسين ، ١٣٢ .
- ٣٤- نفس المهموم ، ٧٣ .
- ٣٥- مقتل الحسين ، ١٣٢ .
- ٣٦- الأحزاب ، ٢١ .
- ٣٧- مقتل الحسين ، ٢٠٠ .



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* القاموس الجديد، علي بن هادية،
بلحسن البليش ، الجيلاني بن الحاج
يحيى، الشركة التونسية للتوزيع ،
تونس، ط ٩ ، ١٩٨٨.

* مختار القاموس ، الطاهر أحمد
الزاوي ، الدار العربية للكتاب ، د. ط،
١٩٨٣.

* المصباح المنير، أحمد بن محمد
الفيومي المقرئ، دار الحديث ، القاهرة،
د. ط ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
* المفردات في غريب القرآن ،

الراغب الأصفهاني، ضبطه هيثم
طعيمي، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٨ م.
* مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس،
دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.
ط، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

* مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق
المقرّم، مطبعة غدير، قم، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
* نفس المهموم في مصيبة سيدنا
الحسين المظلوم، الشيخ عباس القمي،
تحقيق الشيخ رضا أستاذي، منشورات
مكتبة بصيرتي، قم، د. ط ، ١٤٠٥ هـ .



مؤتمر الإمام السجاد عليه السلام

أثر الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجّادية في سلوك المؤمن

سجاد باقري

الحوزة العلمية / قم المقدسة

الملخص

إن الأئمة (سلام الله عليهم) قد أولوا الاهتمام بالحفاظ على وحدة شيعتهم من خلال بيان أهمية التواصل والمواساة فيما بينهم، فلطالما نلحظ التأكيد على ذلك في مضمون بعض الروايات الشريفة التي تؤكد على ضرورة التمسك بجبل المودة والارتباط الأخوي بطرق مختلفة قد اتضحت معالمها في الكثير من الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام، فإن من جملة تلك الطرق ما ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجّادية، إذ نرى أنه عليه السلام يؤكد على ضرورة أن يكون الفرد الشيعي شديد الاحترام والمحبة لإخوانه وأصدقائه وجيرانه من الشيعة المؤمنين، وأن يعاملهم بمتهى اللطف والمودة، إذ إن الهدف من ذلك هو تقوية أواصر الوحدة والتضامن بين المؤمنين. وفي سبيل تحقيق ذلك أشار عليه السلام إلى عدة التزامات مهمّة يتحتم على الفرد المؤمن تأديتها وفق الأصول التي تفرضها الشريعة الإسلامية الغراء، منها: أداء الحقوق، وإقامة السنن، والتحلي بالأخلاق الحميدة، ومساعدة المستضعفين، وزيارة المرضى، وإرشاد السائلين، ونصح المستشيرين، وزيارة العائدين من السفر، وكتمان الأسرار، وستر العيوب، ومساعدة المظلوم، ومقابلة السيئة بالحسنة، والعفو، وحسن الظن، واللطف



بالعباد، والتواضع للخلق، والرقّة على أهل البلاء، وحفظ مودة الإخوان في غيابهم، وتمني دوام النعمة للآخرين وعدم زوالها، وأن يعتقدوا بضرورة ما يكون للآخرين كما يعتقدون بضرورته لأنفسهم، ومراعاة حقوق الآخرين كما يراعون حقوقهم، ومعرفة حقّ الإمام (عليه السلام) والبصيرة في فضله .

وبناءً على ما تمت الإشارة إليه أعلاه؛ فإن أثر الدعاء (محل البحث) على سلوك المؤمن يتبيّن عند قراءة الآيات الوعظية لهذا الدعاء الكريم، واتباع تعاليمه الإرشادية، لنرى بعدها كيف أن التأثير يكون بالغاً في تصحيح سلوك المؤمن مع أقرانه من المؤمنين، فإن القصد من كتابة هذا البحث هو الوصول إلى إيضاح طرق تحقّق هذا الأثر التي ذكرها الإمام السجاد (عليه السلام) في هذا الدعاء.

الكلمات المفتاحية: الإمام السجاد (عليه السلام)، الدعاء، المؤمن، السلوك.



المقدمة

إن سلوك المؤمن من أهم ما اهتمّ به أئمة الهدى ومصابيح الدجى (سلام الله عليهم) اهتماماً كبيراً. وقد اقتدى الإمام السجاد (عليه السلام) أيضاً بأبائه الكرام (عليهم السلام) واهتمّ بهذا الأمر المهم اهتماماً خاصاً، وهذا الاهتمام الخاص مستمدّ من كلماته الجليلة. إن سلوك المؤمن - أي سلوكه مع سائر المؤمنين - من المسائل المهمة التي ينبغي عليه أن يتنبه إليها ويوليها الاهتمام الكامل، حيث إن هذا السلوك يتمثل في صورة حسن المعاشرة مع سائر المؤمنين بحسب التعاليم الإسلامية التي ترشد الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة. وقد ورد في الكثير من الأحاديث الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) ما يتضمن حثّ المؤمنين على التحلّي بحسن الخلق في تعاملهم مع إخوانهم، فقد تم التأكيد على التزام حسن الخلق في التعامل بين المؤمنين من الشيعة على نحويتين لنا من خلاله أن مقصد الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) من ذلك هو الحفاظ على الوحدة والارتباط الأخوي بين شيعتهم، وهذا ما يظهر بوضوح من خلال الدراسة والقراءة المتأنية لأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) القيمة.

وقد ذكر الإمام السجاد (عليه السلام) في الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية ميثاق علاقات الشيعة، فينبغي للمؤمن أن يمثل بما جاء في مضمون هذا الميثاق في علاقاته الاجتماعية مع سائر المؤمنين وأن يكون سلوكه موافقاً للكلمات المنيرة في هذا الدعاء الكريم، ويكون أثر هذا الدعاء في سلوكه بحيث يتم مخالطته مع سائر المؤمنين على ما أوصى به الإمام زين العابدين (عليه السلام) في هذا الدعاء النفيس، وبهذا سيصحح سلوكه السابق مع إخوانه المؤمنين وتنشأ له حياة أخلاقية واجتماعية جديدة مع أسرته الإيمانية. لأن هدف الإمام السجاد (عليه السلام) من كلماته الثمينة في هذا الدعاء الجميل هو أن يصل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) إلى الوحدة والتضامن من خلال التأسي بالكلمات المضيفة لهذا الدعاء الشريف والعمل بها، ليزداد عدد المؤمنين بهذه الوحدة، ويصبح مذهب أهل البيت (عليهم السلام) عالمياً وينتشر محاسن كلامهم (عليهم السلام) في أرجاء الكون.

ونريد في هذا البحث توضيح كيفية أثر الفقرات الإلهية لهذا الدعاء الكريم في سلوك المؤمن، ومن هذه النافذة نشير إلى نقطة مهمة وهي أن الحياة الإيمانية في المجتمع الإسلامي تتحقق باتِّباع أحاديث المعصومين (عليه السلام)، ولكلام سيد الساجدين (عليه السلام) تألَّق خاص في هذا الدعاء النيِّل والمستنير، ونذكر هذا الأمر المهم حينئذٍ وهو أنه على الرغم من أن كلام حضرة (عليه السلام) جاء في شكل دعاء، إلا أنه يُعبَّر عن دروس ثمينة ترشد حياة المؤمنين وتقودهم نحو السعادة وتصل بهم إلى أعلى درجات الكرامة، فإن كل فقرة من فقرات هذا الدعاء تعبر عن أسلوب يضع السلوك الديني أمام الإنسان ويعلمه كيف يسلك طريقه بما يليق بالإنسان المؤمن بدينه وعقيدته.

وفي ختام المقدمة نتضرَّع إلى الله العلي العظيم أن يعجِّل فرج وليه الإمام المنتظر (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) وببشرى الإذن بظهوره الشريف سيزيل الأحزان والهموم عن شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) (عليه أفضل الصلاة والسلام) ويتنقم لدماء أهل بيت النبي الكرام (عليه السلام) ولا سيما سيد الشهداء الإمام أبا عبد الله الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه المتجيبين (عليه السلام) من قاتليهم وغاصبي حقوقهم ومناصبهم إنه على كل شيء قدير.

تعريف المؤمن والمسلم والفرق بينهما

١ - تعريف المؤمن

أ. المؤمن في اللغة

«المؤمن» على ما هو موجود في بعض المصادر اللغوية يكون بمعنى المصدَّق، لأن «المؤمن» اسم فاعل من «الإيمان»، و«الإيمان» من «أمن» يكون معناه التصديق وقال بعضهم: الإيمان: بمعنى التصديق، ضدَّه التكذيب و قيل أيضاً: اتَّفَق أهل العلم من اللُّغَوِيِّين وغيرهم أن الإيمانَ معناه التصديق.

ب. المؤمن في الاصطلاح

إن معنى «المؤمن» في الاصطلاح ليس بعيداً عن معناه في اللغة، فالمؤمن في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة هو من آمن بالله وملائكته وكتبه وأنبيائه ورسله لا سيما خاتم الأنبياء والرسل، محمد المصطفى ﷺ ويعتقد ولاية المعصومين ﷺ وإمامة الأئمة الاثني عشر الطاهرين ﷺ من أهل بيت رسول الله ﷺ بقلبه ولسانه وعمله؛ ومجموعة أخرى من الروايات القيمة بالإضافة إلى قبول ولاية أمير المؤمنين ﷺ، تعتبر براءة أعداءه ﷺ سبباً لقبول الإيمان، وتفيد بأن عدم الولاية والبراءة موجب لعدم قبول الإيمان.

وبالإضافة إلى الأدلة القرآنية والحديثية، فإن فقهاء الشيعة يطلقون أيضاً لقب المؤمن على الشيعي المعتقد بإمامة الأئمة المعصومين ﷺ وقد عرفوا المؤمن بهذا البيان. فمثلاً الشيخ محمد حسن النجفي قدس سره في جواهر الكلام يعتبر من يعتقد بإمامة الأئمة الاثني عشر ﷺ مؤمناً ما لم يصدر منه سببٌ للكفر.

٢- تعريف المسلم

أ. المسلم في اللغة

«المسلم» اسم فاعل من «الإسلام» وفي بعض المعاجم اللغوية يكون «المسلم» بمعنى الشخص الذي أخلص عبادته لله العلي العظيم، وبما أن «الإسلام» يكون بمعنى الاستسلام والانقياد لأمر الله وكذلك يكون بمعنى الطاعة لله عز وجل، فإن «المسلم» في بعض المصادر اللغوية هو المنقاد لأمر الله والمذعن لحكمه وفي بعض المصادر الأخرى فإن من دخل في الإسلام يسمى «مسلياً».



ب. المسلم في الاصطلاح

هو من شهد بوحداية الله تبارك وتعالى ونبوة رسول الله ﷺ قولاً، فيخرج بذلك -ظاهراً- من حالة الكفر ويدخل دين الإسلام، فيسمى في الاصطلاح الإسلامي «مسلياً»، وينطبق عليه حكم الإسلام وهذا هو المعنى الذي يشير إليه القرآن الكريم في سورة الحجرات حين ادعى العرب البدو الإيآن في وقت لم يكن الإيآن في قلوبهم ولم يصدقوا الإسلام إلا على ألسنتهم، يخاطب الله عز وجل النبي الكريم ﷺ ليقول لهم: ﴿لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيآن في قلوبكم﴾ ومن خلال هذه الآية الكريمة يتبين الفرق بين الإسلام والإيآن في القرآن الكريم وقد ذكر بعض كبار مفسري الشيعة في تفسير هذه الآية الكريمة أن الإيآن معنى قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد، والإسلام أمر قائم باللسان والجوارح فإنه الاستسلام والخضوع لساناً بالشهادة على التوحيد والنبوة وعملاً بالمتابعة العملية ظاهراً سواء قارن الاعتقاد بحقية ما شهد عليه وعمل به أو لم يقارن، وهذا المعنى للمسلم يذكر في أحاديث الشيعة وكلمات فقهاء الإمامية أيضاً. على سبيل المثال، قال العلامة محمد باقر المجلسي رحمه الله في تعريف الإسلام: هو الإذعان الظاهري بالله وبرسوله ﷺ وعدم إنكار ما علم ضرورة من دين الإسلام فلا يشترط فيه ولاية الأئمة عليهم السلام، ولا الإقرار القلبي فيدخل فيه المنافقون وجميع فرق المسلمين ممن يظهر الشهادتين عدا النواصب والغلاة والمجسمة ومن أتى بما يخرج عن الدين كعبادة الصنم وإلقاء المصحف في القاذورات عمداً ونحو ذلك.

٣- الفرق بين المؤمن والمسلم

ومن خلال ما ورد في تعريف المؤمن والمسلم لغةً واصطلاحاً يمكن استخلاص الفرق بين المؤمن والمسلم على النحو التالي:

المسلم هو من لم ينطق إلا بالشهادتين وقبل الإسلام ظاهراً وبهذا القبول الظاهري للإسلام يكون هذا الشخص تحت حكم الإسلام، وتجري عليه بعض أحكام الإسلام كحقن الدماء والزواج ونحو ذلك. لكن المؤمن هو من يقبل دين الإسلام الحنيف قلباً وعملاً بالإضافة إلى قبوله ظاهراً ولساناً، ويصدق جميع أوامر رسول الله ﷺ ولما كان قبول ولاية أهل البيت ﷺ من أهم وصايا النبي الأكرم ﷺ للمسلمين ومن أحد الأركان الرئيسة للإيمان، لذلك لا يمكن إطلاق لفظ المؤمن إلا على شخص يقبل ولاية المعصومين المنتجبين ﷺ أي ولاية أمير المؤمنين ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ، بالإضافة إلى اعتقاده بسائر أصول الدين في قلبه ولسانه وعمله وقد ذكرنا في هوامش التعريف الاصطلاحي للمؤمن وثائق من القرآن الكريم وأحاديث قيّمة وكلمات الفقهاء العظام فيما يخص هذا الأمر الجليل.

فضل الدعاء وآثاره في الإسلام

إن للدعاء مكانةً رفيعةً ومنزلةً عظيمةً في الشريعة الإسلامية الغراء، ويمكن فهم هذه المكانة والمنزلة من خلال النظر في بعض الآيات من كتاب الله الكريم والأحاديث الكثيرة التي رويت عن المعصومين ﷺ في الدعاء؛ إذ يدعو الله تعالى في قرآنه الكريم عباده إلى الدعاء بهذا الخطاب: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ويعدّهم بالإجابة، وهذا يكفي لإثبات عظمة الدعاء وأهميته في نظر الخالق المتعال، فهو يدعو عباده إلى الدعاء صراحةً ويخاطب نبيه العظيم ﷺ ليقول للمؤمنين: ﴿مَا يَعْبُوهُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاءُكُمْ﴾ وقد وردت أيضاً في بعض الأحاديث الشريفة المختصة بالدعاء فضائل وآثار عجيبة وغير عادية، وعدد هذه الأحاديث يصل إلى درجة أننا إذا لم نقل إن الأحاديث التي وردت في الدعاء لا يمكن إحصاؤها فلا بد من القول بأنها كثيرة جداً

ويصعب إحصاؤها، ولا يمكن جمعها بسهولة، ولكثرة تلك الروايات فقد تم في بعض الكتب الشيعية الحديثية جمع وتأليف كتب أو أبواب مستقلة في الدعاء، وقد ذكر المؤلفون الروايات التي وردت في الدعاء وما يتجلى فيها من خصائص للدعاء والتضرّع إلى الله العلي العظيم، نذكر بعضها:

الأول: من الأمور الصادمة الواردة في بعض الروايات عن الدعاء والطلب من الله القدوس أنه ليس شيء أفضل عند الله عز وجل من أن يُسأل منه ويُسأل عما عنده، وليس أحد عند الله تبارك وتعالى أبغض ممن لا يسأل عما عنده، ومن المثير للاهتمام أن هناك منزلة عند الله عز وجل لا يمكن الوصول إليها إلا بالسؤال، وأهمية الدعاء والطلب من الله عز وجل عظيمة حتى إن العبد إذا أغلق فاه ولم يسأل الله تبارك وتعالى، لا يُعطى له شيء؛ ومن لم يطلب فضل الله تعالى فسيصبح فقيراً.

الثاني: ميزة أخرى وردت في الأحاديث الخاصة في الدعاء، هي أن الدعاء بالإضافة إلى كونه عبادة في ذاته، هو أيضاً من أفضل العبادات بحيث لا يوجد شيء مثل الدعاء يتقرب به إلى الله عز وجل؛ ولذلك فإن من أحب الأعمال إلى الله عز وجل في الأرض هو الدعاء، ويكفي لأهمية الدعاء أن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام كان يكثر من الدعاء وكان رجلاً دَعَاءً.

الثالث: ومن أشهر الفضائل التي وردت في الأحاديث الشريفة للدعاء أن الدعاء هو سلاح المؤمن؛ وهو ليس سلاح المؤمن فقط، بل سلاح الأنبياء أيضاً. وجاء في بعض الأحاديث القيمة أن الدعاء أنفذ من السنان، بل هو أنفذ من السنان الحديد وهذا يعني أن المؤمن يحتاج دائماً إلى الدعاء في مختلف مواقف الحياة، وبهذا السلاح القوي يحل مصاعبه ومشاكله أو يسهلها على نفسه، وفي الأوقات الصعبة يجد السكينة في الدعاء، ودعاؤه هو راحة لقلبه، وكما أنه يدمر الأعداء بسلاح الحرب، فهو بهذا السلاح الروحي يدفع عن نفسه المصائب،

وكما جاء في الرواية فإن الدعاء هو تُرس المؤمن، يحمي به نفسه من أحداث العصر المريرة كما يدافع به عن نفسه من سهام الأعداء بدرع الحرب.

الرابع: هناك صفات أخرى للدعاء في الأحاديث، منها أن الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح، وأن في المناجاة سبب النجاة.

الخامس: من خصائص الدعاء الواردة في الأحاديث أن أثر الدعاء يصل إلى حدٍّ يردّ حتى البلاء والقضاء وقد أبرم إبراماً، وورد أن في الدعاء شفاءً من كل داء.

وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام وردت ميزات أخرى للدعاء، وهذا المقدار يكفي لهذا البحث، ومن أراد المزيد من الدراسة ينبغي عليه الرجوع إلى كتب الحديث والكتب التي ألفها علماء الإمامية حول الدعاء.

الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية وأثره في سلوك المؤمن

كما ذكرنا سابقاً أن الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية هو مدونة سلوك المؤمن تجاه المؤمنين، حيث يُعلّم الإمام السجاد عليه السلام المؤمنين كيفية التفاعل الاجتماعي وتصرف بعضهم مع البعض الآخر، فالدعاء عبرة للمؤمن، فلا بد أن يكون سلوك المؤمن تجاه إخوانه المؤمنين مبنياً على الممارسة لتعاليم هذا الدعاء الكريم؛ لذلك فمن المناسب في هذا القسم إلقاء نظرة على الآيات الكريمة لهذا الدعاء الفضيل والنظر في كيفية تأثيرها على سلوك المؤمن.

بداية الدعاء بالصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام وهي توعية للمؤمن، والإمام السجاد عليه السلام يعلم المؤمن من خلال الصلاة على رسول الله وآله الأطهار عليهم السلام في أول الدعاء، أن ابتداء دعاء المؤمن ينبغي أن يكون بالصلاة على النبي الأكرم وآله الكرام عليهم السلام دائماً، ويمكن القول إنه في هذا الجزء من الدعاء يتعلّم المؤمن أدب الحديث مع الله سبحانه وتعالى. وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام تأكيد على ابتداء الدعاء بالصلاة، بحيث يكون في الروايات

الإمامية أن الدعاء الذي لا صلاة فيه محجوب ولا يرتفع حتى تصحبه الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ، وينبغي للمؤمن أن لا يسأل الله شيئاً إلا أن يصلي على النبي الأكرم وآله الطاهرين ﷺ ثم يسأل الله حاجته.

وفيما يلي يعرض الإمام السجاد ﷺ ذلك لله تبارك وتعالى: «وَتَوَلَّنِي فِي جِرَانِي وَمَوَالِي الْعَارِفِينَ بِحَقَّتْنَا، وَالْمُنَابِذِينَ لِأَعْدَائِنَا بِأَفْضَلٍ وَلَا يَتِيكَ. أَيَّ يَارَبِّ تَوَلَّنِي فِي جِرَانِي وَأَصْدِقَائِي الَّذِينَ لَهُمْ صِفَتَانِ بِأَفْضَلٍ وَلَا يَتِيكَ، وَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ هُمَا:

* يعرفون حقنا؛ أي قبلوا ولاية أهل البيت ﷺ ويعتبرون أن الأئمة المعصومين ﷺ هم الأئمة الحق وأوجبوا على أنفسهم طاعة هؤلاء الكرام ﷺ.

* يعاندون أعداءنا ويعادونهم. وإن معنى «المنابذين» في كلام الإمام السجاد ﷺ جمع «المنابذ» اسم الفاعل من «المنابذة»، ويكون «المنابذة» في اللغة بمعنى انتباز الفريقين للحرب والمخاصمة والمخالفة، ولعل مقصد الإمام زين العابدين ﷺ من استعمال هذه العبارة هي المعارضة الفكرية والإعتقادية لشيعه أهل البيت ﷺ مع أعداء هؤلاء الكرام ﷺ؛ ولأن الإمام السجاد ﷺ كان في زمن التقية ونظراً لظروف العصر الخائفة وإنقاذاً لحياته ﷺ ولحياة شيعته، لم يأمر بمعارضة الأعداء وقتلهم قط؛ لأن الإمام ﷺ عالم بالواقع الماضي والمستقبل، وبعلمه ﷺ يعرف كيف يتصرف وفق الوضع الحالي.

ومن الدروس الأخرى في هذا الجزء من الدعاء أن الشيعة هم من آمن بولاية أهل البيت ﷺ في قلبه ويؤمن بالبراءة من أعداء هؤلاء المعصومين المنتجين ﷺ ومن كان كذلك فيمكن أن يسمى شيعياً، وكما جاء سابقاً في بعض روايات الإمامية، بالإضافة إلى ولاية الأئمة المعصومين ﷺ، تعتبر أيضاً البراءة من أعداء أنوار الله

الطاهرة ﷺ من شروط الإيمان وأركانه وفي تلك الأحاديث أن من كان له ولاية ومحبة الأئمة المعصومين ﷺ ولا يبغيض أعداء أهل البيت ﷺ ليس مؤمناً.

وفيما يلي يبين الإمام زين العابدين ﷺ سلسلة من السلوكيات التي يجب على المؤمن أن يتصرف بها مع جيرانه وأصدقائه المؤمنين، وهي مذكورة بالترتيب من أول الدعاء:

١ - أداء الحقوق

يقول الإمام السجاد ﷺ في الفقرة الأولى من الدعاء السادس والعشرين: «وَتَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي وَمَوَالِيٍّ...»؛ «فِي جِيرَانِي وَمَوَالِيٍّ» وردت بصيغة مطلقة ولم يوضح الإمام السجاد ﷺ بوضوح ما يعنيه ﷺ بقوله: «فِي جِيرَانِي وَمَوَالِيٍّ»؛ وأكثر ما يتبادر إلى الأذهان في معنى هذه العبارة أنه على الأغلب أن الإمام زين العابدين ﷺ قصد أداء حقوق جيرانه وأصحابه. ولذلك فمن المناسب أن نشير إلى بعض النقاط التي وصلت إلينا حول حقوق الجيران والأصدقاء من المصادر الإسلامية والحديثية الصحيحة. ويحسن أن نبين أولاً كيفية أداء حق الجوار وآدابه بترتيب ألفاظ الدعاء (محل البحث)، ثم نذكر حق الصداقة وكيفية أداء ذلك في مصادر روايات الشيعة؛ إذ تمت التوصية على احترام الجار بشدة بحيث أنه حتى لو قام الجار بمضايقة جاره، فمن المستحسن فيه أن يكون الجار المضايق لطيفاً بتعامله معه ويصبر على إيذائه له وقد جاء في الأثر أن احترام الجار مثل احترام الوالدين. أي أنه كما يجب على الإنسان أن يحترم والديه في أي حال من الأحوال، فإنه يجب ألا يغفل عن حال جاره ويحترمه في أي حال ويكون متوافقاً معه، وكذلك فقد جاء في رسالة الحقوق للإمام السجاد ﷺ بيان حق الجار بشكل جيد، وقد قال ﷺ في هذا الموضع كلمات جميلة جداً وعلم المؤمنين كيفية التعامل مع الجار، ومنها أن حق الجار هو أن يحفظ الإنسان جاره في غيابه (أي لا يتكلم

عنه بما لا يليق) وإذا كان حاضراً فليكرمه ويعينه وأن لا يبحث عن عيوبه، ويتجاهل زلاته، ولا يترك جاره وحيداً في شدة، إذا جاءته نعمة فلا يحسد عليه، وإذا جهل عليه فليصبر ويسلم معه بحيث إذا سب جاره أحد فإنه يدافع عنه ويبعد عنه لسان القاذفين ويحسن معاملته.

وفي بعض الأدعية الأخرى الواردة عن الإمام السجاد عليه السلام ذكر جيران المؤمنين أيضاً؛ مثل الدعاء السابع عشر من الصحيفة السجادية الذي يطلب فيه الإمام زين العابدين عليه السلام من الله عز وجل أن يجعل جيرانه من المؤمنين والمؤمنات في حرز حارز، وحصن حافظ، وكهف مانع، ويلبسهم الدروع الواقية لدفع أذى الشيطان، ويعطيهم أسلحة النصر عليه. كما أن التعاهد مع الجيران بالإفضال والعطية ورد في الدعاء المروي عن حضرته عليه السلام بمناسبة دخول شهر رمضان المبارك.

وأما الطائفة الثانية التي تذكر في الدعاء بعد الجيران هم الأصدقاء؛ إذ ينبغي للمؤمن أن يعطف على سائر أصدقائه المؤمنين؛ والتعبير عن الحب والمودة له أهمية كبيرة في الشريعة الإسلامية الغراء حتى إنه يعتبر نصف العقل في روايات الشيعة الشريفة، ونظراً لثبات المحبة بين شخصين فقد استحب في بعض الأحاديث أنه إذا أحب الإنسان أحداً من الناس أن يعلن له ويخبره بصداقته له.

ومن الحقوق التي ينبغي للصديق أن يراعيها تجاه صديقه هي أن لا يتخذ عدو صديقه صديقاً، لأن الصداقة مع عدو الصديق تكون كالعداوة للصديق. وقد صرح الإمام السجاد عليه السلام بحق الصديق في رسالة الحقوق بحيث لا يغتر الصديق صديقه ولا يغشه ولا يكذبه ولا يغفله ولا يخدعه ولا يعمل في انتقاصه عمل العدو الذي لا يبقى على صاحبه، فإذا كان صديقه يثق به فليبذل قصارى جهده من أجله، ويعلم أن غبن من يثق به مثل الربا.

وكانت الجمل القليلة التي ذكرت خلاصة ما ورد في النصوص الحديثة من حق جيران المؤمنين وأصدقائهم، ولا بد لمن كان مؤمناً كامل الإيمان بالأئمة المعصومين عليهم السلام من دراسة هذه الأحاديث والعمل بها وخاصة بالاهتمام بهذه الفقرة من الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية لتحسين سلوكه مع جيرانه وأصدقائه المؤمنين وينبغي أن يكون أثر هذه الفقرة من الدعاء على سلوكه أن يحسن التصرف معهم، بحيث يضاف إلى التأثير الروحي للسلوك الطيب تجاه جيرانه وأصدقائه المؤمنين الذي يبارك حياته بهذه التصرفات الطيبة، فإن الأثر الاجتماعي لهذا السلوك الجيد هو أن يشعر المؤمن في المجتمع الشيعي أنه إذا كان كل شيعي ودوداً مع جيرانه وأصدقائه الذين آمنوا مثله، فإن وحدة الشيعة وتضامنهم ستوفر تدريجياً، وسيعيش المؤمنون بالنقاء والإخلاص، ويتمتعون حياةً صحيحة وممتعة معاً، وبهذه الوحدة سيكونون جبهة موحدة ضد خصومهم وأعدائهم.

٢- إقامة السنن

السنة في اللغة بمعنى الطريقة والسيرة والمذهب، والمعاني المذكورة متشابهة، وإن الكلمات المستخدمة للتعبير عن المعنى اللغوي للسنة في بعض القواميس تختلف لفظياً فقط وجميع الكلمات المستخدمة لها اشتراك معنوي. كما أن المعنى الاصطلاحي للسنة الإلهية ليس بعيداً عن معناها اللغوي، حتى إن بعض أهل اللغة -بالإضافة إلى التعبير عن المعنى اللغوي للسنة- عرّفوا سنة الله تعالى بأنها أحكام الله عز وجل وأوامره ونواهيه. ويمكن القول بأن سنة الله العلي العظيم هي منهج الله تعالى الثابت في إدارة السماوات والأرض؛ والأحكام والأوامر والنواهي التي وضعها لتربية الإنسان وتوجيهه، والشاهد على هذا البيان بعض آيات القرآن الكريم التي وردت فيها السنة بمعنى الطريقة وبهذا يتبين أنه لا يوجد فرق كبير بين معنى السنة الإلهية في المصطلحين القرآني

والديني، وبين معنى السنة في اللغة، وأن الله الواحد يشير إلى ثبات سنته في عدة آيات من القرآن الكريم ويبين فيها أن ما سنه الله تعالى سنة لا تغيير فيه أبداً وبحسب رأي بعض الفقهاء والمفسرين، فإن من مجموع هذه الآيات يستفاد بشكل جيد أن «السنة» في مثل هذه الحالات يعني سنن الله «التكوينية» أو «التشريعية» الثابتة والأساسية التي لا تتغير أبداً. وبعبارة أخرى، فإن لله مبادئ وقوانين في عالمي التكوين والتشريع لا تتغير ولا تتبدل مثل القوانين الأساسية المشتركة بين أهل العالم، لقد حكمت هذه القوانين شعوب الماضي، وستحكم شعوب اليوم والمستقبل. إن بعض السنن الإلهية لا يمكن للإنسان أن يتدخل فيها، ولا يمكن للبشر أن يكون له دور في إقامة تلك السنن؛ على سبيل المثال، سنة إرسال الأنبياء العظام ﷺ - سواءً أراد البشر تلك أم لا- ستتم قهراً من قبل الله تعالى ولا علاقة لها بإرادة البشر ورغبتهم، لكن بعض السنن الإلهية هي على نحو يمكن للبشر أيضاً أن يتدخلوا في إقامتها، وبعض هذه السنن الإلهية هي مجموعة من عقائد وأحكام وأوامر ونواهي من الله عز وجل بحيث جعلها الله القدير لهداية الإنسان إلى السعادة ووضع عليها عنوان «الدين» كما قال بعض فقهاء الشيعة في شرح هذا الدعاء (محل البحث) أن معنى السنة في هذه الفقرة من الدعاء السادس والعشرين هو دين الله، وذهب بعض العلماء الشارحين إلى أن معنى سنة الله تعالى هو حكمه وما شرعه من فرض أو ندب، وذكروا أن إقامتها عبارة عن صيانتها وحفظها من الانحراف؛ ودعاء الإمام السجاد عليه السلام إلى الله المنان هو طلب التوفيق في إقامة سنة الله عند الشيعة، كما أنه عليه السلام أيضاً يدعو بمثل هذا الدعاء لاتباع السنة في دعاء آخر في الصحيفة السجادية وهذا الجزء من الدعاء هو في الحقيقة أمر الإمام عليه السلام للمؤمنين بإقامة السنن الإلهية، ويتم التعبير عن هذا الأمر في شكل دعاء ويمكن القول إن ما يقصده الإمام السجاد عليه السلام بـ «السنة» في

عبارة « وَوَفَّقَهُمْ لِإِقَامَةِ سُتِّكَ » في الدعاء هو نفس دين الله عز وجل الذي يسمى «الإسلام»، ويتضمّن مجموعة من العقائد والأحكام الإلهية التي ينبغي للمؤمن أن يهتمّ اهتماماً خاصاً لإقامة هذا الدين المبين وأن تؤثر هذه الفقرة من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) على سلوكه بحيث إذا كان قبل قراءة هذا الدعاء لم يهتم بالشؤون الدينية وكان غير مبالي بها، فعليه بعد قراءة الدعاء الشريف المذكور أن يزيد اهتمامه بتعاليم دينه وألا يتكاسل في الأمور الدينية، سواء في أمور الدين الفردية، كالصلاة والصيام والحجّ والخمس والزكاة، أو في أمور الدين الاجتماعية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبهذه الطريقة ينبغي للمؤمنين أن يتحدوا على إقامة سنة الله عز وجل ونشر دين الإسلام القويم المقدّس، الذي هو سنة الله الدائمة التي تحقّقت في مذهب أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

٣- التحلّي بالأخلاق الحميدة

من الصفات التي تلعب دوراً أساسياً في جميع جوانب حياة المؤمن، ولها تأثير كبير على حياته الاجتماعية، هي أن يتمتع المؤمن بأخلاق حسنة، بحيث إذا لم تكن أخلاقه جيدة، فلن يكون لديه أي نوع من الجاذبية في المجتمع ولا يمكن أن يقود المجتمع ويرشده نحو تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) النقية، بل سيكون له أثر عكسي والناس الذين ابتعدوا عن طريق الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) عندما يلاحظون أن الشخص الذي يحمل لقب المؤمن ويتحرك في طريق الولاية والإمامة لأهل البيت (عليهم السلام) يكون فاسد الأخلاق، بل يعامل إخوانه المؤمنين بأخلاق سيئة، فهم ينفرون تلقائياً من هذه المدرسة المقدّسة ويضعون سوء أخلاق المؤمن على حساب المذهب الشيعي بأكمله ويظنّون أن كل مؤمن وشيعي يتصرّف بهذه الطريقة. ولذلك في أحاديث الشيعة يُنصح بشدة بالتحلّي بالأخلاق الحميدة وحسن الصحبة، وقد عرف الخلق الحسن بأنه

أحسن الحسن، وقالوا: من لا يملك نفسه عند الغضب، ولا يحسن صحبة من صحبه ومخالقة من خالقه ومرافقة من رافقه ومجاورة من جاوره ومخالحة من مالحه فليس منا. بل أوسع من حسن المعاشرة مع المؤمن، فقد جاء في الحديث: فإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته؛ وهذا يدل على أن الأخلاق الحميدة ليست مخصصة للمؤمنين والمسلمين، فإذا جلس المؤمن حتى مع يهودي، ينبغي له أن يراعي الآداب الاجتماعية وأن يتأدب معه. وكان أهل البيت عليهم السلام يعاملون جميع الناس بالأخلاق الحميدة، ولم يتخذوا الدين معياراً لحسن الخلق، كما كانوا يحسنون الصحبة مع الكفار الذميين وكانوا سبباً في اهتداء بعض الكفار إلى دين الإسلام الهادي عندما رأوا حسن سيرة هؤلاء الكرام عليهم السلام، كما أرشد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام الكافر الذمي إلى دين الإسلام الحنيف بحسن خلقه عليه السلام معه. ويستعيز الإمام السجاد عليه السلام في بعض أدعيته الأخرى من الصحيفة السجادية من سوء الخلق إلى الله عز وجل؛ وكما هو الحال في الدعاء السادس والعشرين الذي هو موضوع بحثنا، فإنه عليه السلام يتمنى التوفيق في التهذيب وغرس الآداب والأخلاق الإلهية الحسنه في نفوس المؤمنين من الشيعة، فقد دل على ذلك في قوله عليه السلام: «وَالْأَخْذُ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ» وبالإضافة إلى سؤاله عليه السلام الله تعالى هذا أن يمنحني هذا التوفيق، فإنه عليه السلام ينبه المؤمنين أيضاً إلى أنه ينبغي التحلي بالأخلاق الحميدة، وأن يكون أثر الدعاء (محل البحث) في سلوكهم ملحوظاً، وأن يحسنوا معاملة بعضهم بعضاً بحيث تدوم الألفة والمحبة بينهم. واستلهاماً من سيرة الرسول الكريم وآله الكرام عليهم السلام ينبغي أيضاً أن تكون لديهم علاقة جيدة حتى مع سائر أفراد المجتمع، أي أولئك البعيدين عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، من أجل كسب قلوبهم وجذبهم إلى تعاليم أهل البيت عليهم السلام بالأخلاق الحميدة ولزيادة عدد المؤمنين الشيعة من يوالون أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ - مساعدة الضعفاء

إن مساعدة الضعفاء والعاجزين في المجتمع وسدّ خلتهم هي من وصايا دين الإسلام المبين، وفي الأحاديث الشريفة تم التأكيد على أن الشيعة الأقوياء ينبغي أن يساعدوا الشيعة الضعفاء. وتعتبر إغاثة الملهوف من أفضل المعروف، ومن كفارات الذنوب العظام، ومن صفات المؤمن، وفوق كل ذلك، فإن إغاثة الملهوف الضرير تكون من صفات الله تبارك وتعالى والله عز وجل يحب إغاثة اللهفان وقد جعل ثواب هذا العمل ثلاثة وسبعين حسنة، واحدة منها فقط تكفي لإصلاح الدنيا والآخرة لمغيث الملهوف، ومن أغاث لهفاناً من المؤمنين يكون آمناً يوم الفزع الأكبر حتى حشره الله تعالى مع جملة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وما ورد من أمور ما هو إلا جزء من الثواب الخاص بنصرة الضعفاء والعاجزين، كما وردت في مصادر روايات الشيعة فضائل كثيرة أخرى لهذا العمل القيم، وكما أن لإغاثة الملهوف فوائد كثيرة وفضائل مذهلة، فإن ترك إغاثة اللهفان من الذنوب التي تنزل البلاء.

الإمام السجاد (عليه السلام) في الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية يسأل الله عز وجل أن يوفّق الشيعة في إرفاق الضعفاء وسدّ خلتهم، وكذلك في بعض الأدعية الأخرى؛ ويمكن أن يكون أثر هذا الجزء من الدعاء -السادس والعشرين- من الصحيفة السجادية في سلوك المؤمن بحيث يحثّ الإمام السجاد (عليه السلام) المؤمن في هذه الفقرة من الدعاء في عبارة: «فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَ سَدِّ خَلَّتِهِمْ» على أن يخطو دائماً في طريق مساعدة الطبقة الضعيفة من المجتمع الشيعي وأن يحاول وي بذل الجهود لسدّ خلتهم، حتى تحلّ مشاكل إخوانه المؤمنين الضعفاء وتسهل لهم الحياة الدنيا، ويقل الفقر وغيره من المشاكل التي تؤدي إلى الضعف أو العجز عند الشيعة ومحبي أهل البيت (عليهم السلام) وأن يسيروا جميع المؤمنين معاً دون أي ضعف في اتجاه رفع رؤية الهدى للأئمة المعصومين (عليهم السلام) والعياذ بالله، إن المشاكل التي أدت إلى ضعف

المؤمنين لا تفصلهم عن طريق الهدى ولا تصدّهم عن هدفهم العالي
والمقدس وهو علوّ مذهب أهل البيت (عليه السلام)

٥- عيادة المرضى

ومن حقوق المؤمن على أخيه المؤمن في دين الإسلام الحنيف أن يعود في مرضه، وقد ورد في ذلك فضل وأجر عظيم وقد جاء في أحاديثنا أن عيادة المريض من أحسن الحسنات ومن عاد امراً مسلماً في مرضه صلى عليه يومئذ سبعون ألف ملك وشيعة سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يرجع إلى منزله وليس فقط يستغفر له حتى بيته، بل يوكل الله له سبعين ألف ملك يغشون رحله فيقولون فيه التسبيح والتكبير والتهليل والتكبير إلى يوم القيامة، ومع ذلك أيما مؤمناً عاد مؤمناً في مرضه وكل الله به ملكاً من العوادم يعود في قبره ويستغفر له إلى يوم القيامة ومن خرج من بيته يعود مريضاً فمات فله الجنة. وبالإضافة إلى أن عيادة المريض مستحبة وفيها فضائل وأجر، فإن ترك العيادة أيضاً مكروه وعظم كراهته حتى يعير الله تبارك وتعالى عبداً من عباده يوم القيامة فيقول: «عبي، ما منعك إذ مرضت أن تعودني» فيقول: سبحانك، أنت ربّ العباد لا تألم ولا تمرض! فيقول: «مرض أخوك المؤمن فلم تعده، وعزتي وجلالي لو عدته لوجدتني عنده... الحديث». ولذلك أشار الإمام السجاد (عليه السلام) إلى هذا الأمر المهم جداً في فقرة من الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية بقوله (عليه السلام): «وَ عِيَادَةُ مَرِيضِهِمْ» حتى يكون الأثر التربوي لهذه الفقرة من الدعاء على سلوك المؤمن هو أن يعود المؤمن إخوانه المؤمنين عند مرضهم، وفقاً لتعاليم الإسلام، ويستفسر عن أحوالهم وأن تصبح عيادة المرضى ثقافة بين المؤمنين، وبذلك تزدهر الألفة والنقاء بينهم، وتزداد محبتهم بعضهم لبعض، لأن هذا العمل سيقوّي العلاقات العاطفية والاجتماعية بينهم، والتي في النهاية تؤدي إلى الوحدة الكاملة للمؤمنين الشيعة في المجتمع.

٦- إرشاد السائلين

ومن الأمور التي اهتمت بها المدرسة الإسلامية الشريفة هداية المسترشدين والباحثين عن الطريق الصحيح الذين يطرحون الأسئلة حول مختلف القضايا الدينية من أجل الوصول إلى الحقيقة. وعلى هذا فقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم أن ينفر طائفة من كل فرقة ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون. وفي موضع آخر يأمر رسوله الأعظم ﷺ بالتذكير، موضحاً أن الذكرى تنفع المؤمنين. ونلاحظ في أحاديثنا تأكيداً متكرراً في هذا الشأن، وقد تعرض العلماء الذين تركوا الهدى لانتقادات شديدة ووصفوا بالخونة لأن الله تبارك وتعالى عهد إليهم في القرآن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد نقضوا هذا العهد. وقيمة إرشاد الجاهل وتعليمه عظيمة لدرجة أن الله تعالى أوحى إلى النبي موسى (على نبينا وآله ﷺ): «تَعَلَّمِ الْخَيْرَ وَ عَلَّمَهُ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ فَإِنِّي مُنَوِّرٌ لِمَعْلَمِي الْخَيْرِ وَ مُتَعَلِّمِيهِ قُبُورُهُمْ حَتَّى لَا يَسْتَوْحِشُوا بِمَكَانِهِمْ». كما أن مكانة هداية الجاهل في فقه الإمامية عالية جداً، حتى إن كبار الفقهاء جعلوها واجبة في شروط معينة، وأشاروا إلى هذا الوجوب في كتبهم وعلى سبيل المثال، فقد أصدر سيد الفقهاء والمجتهدين، وزعيم الشيعة في عصره آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي رحمه الله فتوى واضحة بوجوب إرشاد الجاهل.

وقد ذكر الإمام زين العابدين رحمه الله أهمية وضرورة إرشاد المسترشدين وطلبة الحق بقوله رحمه الله: «وَهَدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ» وبناء على الأدلة الماضية فمن الممكن أن يكون الإمام السجاد رحمه الله قصد بالمسترشد الشخص الذي قبل ولاية أهل البيت رحمه الله، ولكن هناك أسئلة وشكوك تدور في ذهنه حول بعض المسائل الاعتقادية التي يسعى إلى فهمها ومن هذا المنطلق يمكننا أن نرسم أثر هذا المقطع من الدعاء السادس والعشرين على سلوك المؤمن، فأنه

يجب عليه بحسب ضرورة القيام بواجبه الديني، أن يتعلم أصول ومسائل العقيدة والدين من المصادر الصحيحة وبالإضافة إلى ذلك ينبغي أن يُعَلِّم تلك الأصول والمسائل لشخص شيعي من أتباع أهل البيت (عليه السلام) ولكنه يجهل بعض مسائله الدينية والعقائدية ويبحث عن الحق حتى تقوى عقيدته ويبقى ثابتاً على طريق هداية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وحتى لا يستغل أعداء التشيع جهله ببعض المسائل فيحرفوا تماماً عن مصدر الهدى ويجروه إلى سراب وضلال.

٧- نصح المستشيرين

إذا جاء المؤمن إلى أخيه المؤمن يستشيره، فينبغي للمؤمن أن يطلب الخير لأخيه المؤمن، وينصحه بالتي هي أحسن؛ لأن من حقّ المؤمن على المؤمن أن يكون ناصحاً له في حضوره وغيبته بأحسن الوجه كما أن يكون ناصحاً لنفسه. وفي بعض أحاديث الشيعة قد تمّ التطرّق إلى أهمية نصح المستشير وقد أمر بذلك بحيث إذا استشار المؤمن أخاه المؤمن فلم ينصحه محض الرأي سلبه الله رأيه (أي أن الله تبارك وتعالى ينزع منه قدرة الرأي). كما يحظى نصح المستشير باحترام كبير بين فقهاء الشيعة؛ لدرجة أن المرحوم الشيخ الحرّ العاملي (رحمه الله) قد أنشأ باباً في وسائل الشيعة تحت عنوان «وجوب نصح المستشير» وروى الأحاديث التي تثبت وجوب نصح المستشير. كما أن فقهاء الشيعة المشهورين قد أدرجوا نصح المستشير من مستثنيات الغيبة، كما أورده بعض في مستحبات التجارة، وقد استحبه بعض الفقهاء مطلقاً. ويشير الإمام السجاد (عليه السلام) أيضاً إلى أهمية نصح المستشير بهذه العبارة: «وَمُنَاصَحَةُ مُسْتَشِيرِهِمْ» حتى يؤثر في سلوك المؤمن بحيث يكون دائم النصح لإخوانه المؤمنين وكلما جاءه المؤمن يستشيره نصحه بنصح كامل، وبهذا الفعل يفكّ عقده ويوصله إلى غاية الخير.

٨- زيارة العائدين من السفر

وقد استحب بعض الفقهاء استقبال المسافر ومصافحة القادم من السفر ومعانقته وقد استندوا بهذا الإستحباب إلى سيرة رسول الله ﷺ في استقبال جعفر الطيار عليه السلام المذكورة في أحاديث الإمامية. وإذا كان الشخص مسافراً للحج وعاد من رحلة الحج، يتم التأكيد بشكل أكبر على الترحيب به وتكريمه في أحاديث الشيعة. ونتيجة وأثر هذه الفقرة من الدعاء (محل البحث) في سلوك المؤمن هو زيادة المحبة بينه وبين إخوانه الآخرين في الإيمان ويريد الإمام السجاد عليه السلام زيادة الألفة بين المؤمنين فيوصي بهذا في هذه الفقرة من الدعاء: «وَتَعَهَّدِ قَادِمِهِمْ» حتى تتآلف شيعة أهل البيت عليه السلام بعضهم بعضاً وتتضاعف المودة في قلوبهم أكثر من ذي قبل.

٩- كتمان الأسرار

ومن واجبات المؤمنين أن يحافظوا على أسرارهم وفي دين الإسلام المنير أسرار المؤمن أمانة، ومن أفشى سر غيره اعتبر خيانة له، وأثره أن من كشف سر أخيه المؤمن وهتك حجاب كشف الله عز وجل عورات بيته. فإذا لم يخف المؤمن أسرار إخوانه المؤمنين ويكشفها، يترزع نظام المجتمع الإيماني، وتعم الفوضى بين المؤمنين؛ ولذلك يعطي الإمام السجاد عليه السلام للمؤمنين درساً مهماً بقوله: «وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ»، ليعلم المؤمنون أن أحد مفاتيح بقاء المجتمع الشيعي هو كتمان الأسرار وأن يكون أثر هذا الجزء من الدعاء في سلوك المؤمن بحيث إذا أراد المؤمن أن يبقى المجتمع شيعياً فإن ثباته يكون على أسس منها كتمان أسرار المؤمنين؛ فليحفظ أسرار إخوانه المؤمنين أمانة، وبالكتمان ينال خير الدنيا والآخرة.



١٠ - ستر العيوب

من الضروري للمؤمن إذا علم عيوب غيره من المؤمنين أن يسترها حفاظاً على عرضهم، لأن حرمة المؤمن حسب أحاديثنا الشريفة أعظم من حرمة الكعبة وجاء في روايات الإمامية أيضاً: من ستر عورة مؤمن ستر الله عز وجل عورته يوم القيامة، ومن هتك ستر مؤمن هتك الله ستره يوم القيامة ومن تتبع عثرات المؤمنين تتبع الله عثراته، ومن تتبع الله عثراته يفضحه ولو في جوف بيته. إن تتبع عثرات المؤمنين ثقيل لدرجة أنه ورد في الأحاديث الإمامية أن أقرب حال العبد من الكفر أن يعد زلات أخيه الديني ليلومه بها يوماً ما. يصرح الإمام زين العابدين (عليه السلام) بستر العيوب أيضاً في دعائه الكريم المسمى بمكارم الأخلاق ويطلب ذلك من الله العلي العظيم وفي دعاء آخر يعتذر إلى الله تعالى من أن خطأ مؤمن ظهر له (عليه السلام) ولم يستره واعتراف الإمام السجاد (عليه السلام) بهذا واعتذاره منه لا يعني أنه (عليه السلام) فعل ذلك واعتذر عنه لأن هؤلاء الكرام (عليهم السلام) هم مقام العصمة وحتى الخطأ لا يصدر من أنوار الله الطاهرة (عليه السلام)، ناهيك عن ارتكاب الذنب (العياذ بالله المتعال)! بل إن هذا النوع من التعبير، الموجود أيضاً في دعاء سائر الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، يدل على أن أئمة الهدى (عليهم السلام) في غاية الخضوع والخشوع بين يدي الله؛ ولا يفقدون تواضعهم (عليهم السلام) أمام رب العالمين باعتمادهم (عليهم السلام) على العصمة والطهارة من المعصية والخطأ.

وبالنظر إلى الأحاديث الكثيرة التي وردت في أهمية حفظ حرمة المؤمن وستر عيوبه، يتبين أن حفظ حرمة المؤمن واجب، وهتك عرضه حرام وقد أشار بعض فقهاء الإمامية إلى هذا الوجوب وهذه الحرمة، كما يقول سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (رحمته الله): ومن الظاهر أن حفظ حرمة المؤمن مما يجب على كل أحد.

ولذلك صرح الإمام السجاد (عليه السلام) بهذه الفريضة الإلهية في الدعاء السادس والعشرين بالقول التالي: «وَسْتِرْ عَوْرَاتِهِمْ»؛ بحيث يكون هذا الجزء من الدعاء

مؤثراً في سلوك المؤمن، بحيث يزيد المؤمن من إصراره على حماية عرض المؤمنين الآخرين من خلال قراءة هذا الجزء من الدعاء المذكور والاستفادة منه وعليه أن يضبط لسانه تحذراً من المساس بحرمة المؤمنين، حتى ينال ما دُكر لها من الثواب، ويتعد عن العقوبات التي وردت في إهانة حرمة المؤمنين.

١١ - مساعدة المظلوم

إن نصرة المظلوم من أهم الأوامر التي أمروا بها المؤمنين في كثير من الأحاديث الشريفة بحيث قال أمير المؤمنين علي (عليه أفضل الصلاة والسلام) في وصيته للحسين (عليه السلام): «كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً». وقد ورد بأنها أحسن العدل بحيث اعتبرها بعض فقهاء الشيعة واجبة على الكفاية ومنهم من جعل وجوبها مطلقاً ولم بقيده بالكفاية وبالإضافة إلى وجوبها الشرعي، فقد قال بعض الفقهاء إن نصرة المظلوم واجب عقلي وقال أيضاً: يحرم منع الآخرين عن نصرة المظلوم. إن أهمية نصرة المظلوم عند الإمام السجاد (عليه السلام) عظيمة لدرجة أنه (عليه السلام) في واحد من أدعيته يعتذر إلى الله عز وجل عن ظلم لحق بمظلوم أمامه (عليه السلام) فلم ينصره وقد جاء في الجزء السابق أن اعتذار الإمام (عليه السلام) لا يعني ارتكاب ذلك الذنب، وقد بينا سبب الاعتذار في ذلك الجزء.

ولأهمية نصرة المظلوم، يحذر الإمام السجاد (عليه السلام) المؤمن بالنسبة إلى هذا الأمر في الدعاء السادس والعشرين بقوله (عليه السلام): «وَنُصْرَةَ مَظْلُومِهِمْ وَحُسْنَ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ، وَالْعَوْدَ عَلَيْهِمْ بِالْحِدَّةِ وَالْإِفْضَالِ، وَإِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ» فيكون أثر هذا الجزء من الدعاء على سلوك المؤمن أنه إذا ظلم مؤمن آخر بين يديه لا ينبغي له أن يكون غير مبال بالظلم الذي لحق به، بل عليه أن يساعده ويدافع عنه، وأن يكون بريئاً مما وقع عليه من الظلم، ويغض من ظلمه، وعليه أن يهتم بهذه الطريقة بالمشاكل التي نشأت له بسبب ظلم أعدائه، وقبل أن يسأل المظلوم المؤمن، عليه أن يحلّ عيوب حياته اليومية.

١٢ - مقابلة السيئة بالحسنة

قد تكون في المجتمع الشيعي مواقف يخطئ فيها المؤمن تجاه مؤمن آخر فيسيء إليه، فحينئذ يليق بالمؤمن أن يرد على هذه التصرفات السيئة بالإحسان؛ لأن المؤمن هو تابع للقرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، وعليه أن يستمع دائماً لأمر الله عز وجل وأولئك الكرام عليهم السلام، وبينما أمر الله تعالى في القرآن الكريم أن تقابل السيئة بالحسنة، وأهل البيت عليهم السلام يأمرون بذلك أيضاً ويعتبرونه من كمال الإيمان وقالوا عليهم السلام: من لم يجاز الإساءة بالإحسان فليس من الكرام. ولذلك يطلب الإمام السجاد عليه السلام من الله عز وجل أن يجعله عليه السلام ممن يقابلون السيئة بالحسنة؛ ويدعو عليه السلام بهذا البيان المبارك: «وَأَجْعَلْنِي اللَّهُمَّ أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسِيئَتُهُمْ» بالإضافة إلى الدعاء إلى الله تعالى أن يعلموا الشيعة حسن الردّ على سيئاتهم بعضهم بعضاً ويكون أثر هذا البيان المبارك في سلوكهم، فهم بمقابلة السيئة بالحسنة يوطدون أواصر الصداقة فيما بينهم وهذا النوع من السلوك هو وسيلة لتقوية المحبة فيما بينهم، وبالتالي تتعزز حياتهم الاجتماعية وتتقدّم. وبالإضافة إلى هذا الدعاء فقد أشار الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق أيضاً إلى حسن الخلق مع من اجتنب الإنسان.

١٣ - العفو

يلج الله تعالى في القرآن الكريم أمر العفو إلى النبي الكريم صلّى الله عليه وآله بشكل واضح ومباشر، ووفقاً للأحاديث الشريفة فإن من مكارم الدنيا والآخرة العفو عن ظلم إنساناً وقد اعتبر أهل البيت عليهم السلام العفو من أسباب إكرام الله للمسلم، ويأمرون المؤمنين بذلك وهذا يدل على أهمية العفو ويظهر قيمته. يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاءه أنني غفرت لمن ارتكب في حقي الذنوب والأخطاء. وقد أشار الإمام السجاد عليه السلام إلى هذه الأهمية في الدعاء (محل البحث) بقوله عليه السلام: «وَأَعْرِضْ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِمْ» وذلك لتعليم

العفو والتجاوز لشيعه أهل البيت (عليه السلام) وعندما يقرأ المؤمن هذا الدعاء، فإنه يؤثر على سلوكه بحيث يكون متسامحاً ويغفر أخطاء المؤمنين الآخرين ولا يحقد عليهم ولهذا السبب يستطيع أتباع أهل البيت (عليه السلام) أن يعيشوا حياة ودية دون أي عدااء أو عنف، ويشعروا بحلاوة التعايش متآخين متحابين.

١٤ - حسن الظن

من المبادئ الاجتماعية الضرورية في جماعة المؤمنين حسن الظن فيما بينهم وفي مقابل حسن الظن هناك الظن الذي أمر الله تعالى باجتنابه في القرآن الكريم، واعتبره إثماً. وقد تكرر في أحاديث أهل البيت (عليه السلام) الأمر بحسن النية فإذا رأى المؤمن خمسين قسامةً شهد على أخيه المؤمن، وأخيه المؤمن يقول غير ذلك، فقد أمر في الأحاديث أن يصدق قول أخيه المؤمن ويكذب الخمسين قسامة. وينبغي للمؤمن أن يضع أمر أخيه المؤمن على أحسنه حتى يأتيه ما يغلبه منه، ولا يظن بكلمة خرجت من أخيه سوءاً وهو يجد لها في الخير محملاً. كما أشار الإمام السجاد (عليه السلام) إلى حسن الظن في الدعاء السادس والعشرين وقد سأل الله تبارك وتعالى استعماله (عليه السلام) حسن الظن مع جميع مؤمني الشيعة بقوله (عليه السلام): «وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَّةِهِمْ» حتى يؤثر في سلوك المؤمنين بحيث إنه من أجل الوصول إلى مجتمع شيعي سليم أخلاقياً، من الضروري أن يشق المؤمنون بعضهم ببعض ويتبعوا طريق حسن الظن لأنه سبب استقرار النظام في المجتمع الشيعي وعليهم ترك سوء الظن، لأن نهاية سوء الظن هي الطعن والافتراء على المؤمنين، مما يؤدي في الدنيا إلى تدمير النظام الاجتماعي للمجتمع الشيعي، وفي الآخرة يسبب العقاب الإلهي.

١٥ - اللطف بالعباد

الإحسان أمر مستحسن من الله تبارك وتعالى يحث المؤمنين على التزامه والعمل به في القرآن الكريم؛ وفي الأحاديث الشريفة وردت الوصايا في البرِّ

والإحسان إلى المؤمنين، وجاءت لهما فضائل وآثار ومكافآت، مثل: إكرام المسلم يكون كإكرام الله عز وجل ومن ألطف أخاه المؤمن في الله بشيء من لطف، أخدمه الله من خدم الجنة. وقد ذكر الإمام السجاد (عليه السلام) أيضاً هذا الأمر المهم في الدعاء (محل البحث) بقوله: «وَأَتَوَلَّى بِالْبِرِّ عَامَتَهُمْ» وهي في الواقع نصيحة للمؤمن ليتعلم منها، وأن يؤثر في سلوكه بما يقوي أو اصر الأخوة بينه وبين إخوانه المؤمنين بالبر واللطف والإحسان إليهم وبهذا الأداء سيخطو خطوة في مجال تحسين العلاقات بين المؤمنين وتقوية الألفة بينهم، وفي هذه الحالة ينال رحمة الله تعالى، ويخيب الشيطان الرجيم.

١٦- التواضع للخلق

إن مقام التواضع له قيمة كبيرة عند الله عز وجل حتى إنه جعل في القرآن الكريم المشية المتواضعة صفة من صفات عباده. وجاء في الحديث إن في السماء ملكين موكلين للعباد، فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه، وأقرب الناس من الله المتواضعون، وأبعد الناس من الله المتكبرون. وهناك فضائل وآداب أخرى تتعلق بالتواضع في الأحاديث، وهذا القدر من البيان يكفي لبحثنا. ويشير الإمام السجاد (عليه السلام) إلى التواضع بقوله (عليه السلام) في الدعاء المذكور مع هذه العبارة: «وَأُلِّينِ جَانِبِي لَهُمْ تَوَاضِعاً». وأثر هذه الفقرة على سلوك المؤمن هو أن المؤمن يجذب إليه بكل تواضع قلوب المؤمنين الآخرين وحتى غير المؤمنين في المجتمع ثم يعلمهم تعاليم أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأن الإنسان إذا تواضع مع الناس، حرص الناس على أن يأتوا إليه ويأخذوا لطفه إلى قلوبهم ويحبوه. ولذلك ينبغي للمؤمن أن يتصرف بالتواضع تجاه الأفراد حتى تأتي إليه الأمة وأن يغتنم هذه الفرصة بشكل جيد لتعليم أصول أهل البيت (عليهم السلام) في مختلف مجالات الدين لأبناء المجتمع وخاصة الشباب لجذب قلوبهم نحو المعصومين (عليهم السلام) وجعلهم يهتمون بأهل البيت (عليهم السلام).

١٧ - الرقة على أهل البلاء

ومن الأمور التي روعيت في دين الإسلام الخيف هي التزام الرقة والإحسان في التعامل مع أهل البلاء. وقد وردت آداب التعامل مع أهل البلاء في الروايات الإمامية، ومن ذلك أنه ينبغي للإنسان إذا رأى أهل البلاء أن يحمد الله ويشكر الله عز وجل بحيث لا يصل إلى آذانهم؛ لأنهم عندما يسمعون ذلك يحزنون. ومن هذا التعليل المذكور تؤخذ هذه القاعدة العامة: ألا يفعل شيئاً من شأنه أن يؤذي قلوب أهل البلاء؛ وأن هذه الرواية القيّمة تدل على الاحترام الخاص من الدين لأهل البلاء وأن لهم مكانة عالية عند الله عز وجل كما في الحديث أن في الجنة منازل لا ينالها العباد بأعمالهم ليس لها علاقة من فوقها ولا عماد من تحتها (لتحمي تلك المنازل بذلك العماد) وأهل تلك المنازل هم أهل البلاء والهموم؛ وقد ذكر الإمام السجاد (عليه السلام) في الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية هذه الطريقة في الرقة على أهل البلاء: «وَأَرِقْ عَلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً»، وينبغي أن يكون تأثير هذا الجزء من الدعاء على سلوك المؤمن بحيث إن المؤمن إذا رأى مؤمناً في ورطة يريحه، ويحيي فيه رجاء الحياة بدعوته إلى الصبر ويكون معزياً لقلبه، ولا تخرج من لسان المؤمن كلمة تجرحه وتحزنه، حتى يعطف عليه، ويشاركه في الأجر الذي يأتيه من الله تبارك وتعالى.

١٨ - حفظ مودة الإخوان في غيابهم

الصدقة بين المؤمنين يجب أن تكون حقيقية، أي أن تظهر على نحو واحد في الظاهر والباطن والحضور والغياب، ولا ينبغي للمؤمن أن يقول في أخيه المؤمن بحضرة أخيه، وفي غيبته يقول فيه بغير ذلك؛ لأن الصديق في الأحاديث الشريفة لا يكون صديقاً حتى يحترم أخاه (هنا الأخ يعني الصديق) في غيابه وأن تكون سريرته وعلائحته له واحدة.

وقد أشار الإمام السجاد عليه السلام أيضاً إلى هذا الشرط من الصداقة في دعائه الشريف محل البحث بقوله عليه السلام: «وَأُسِرُّهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً»؛ والعبرة التي يمكن للمؤمن أن يتعلمها من هذه العبارة ويرى أثرها في سلوكه هو أن صداقة المؤمن للمؤمنين يجب أن تكون مبنية على الحق، ويكون المؤمن في السر والعلن محباً لأصدقائه المؤمنين وإلا فإن مودة المؤمن لإخوانه المؤمنين تكون نفاقاً، وأهل النفاق مذمومون جداً في بعض الأحاديث؛ ولذلك فإن الجمع بين الإيثار والنفاق غير ممكن بأي حال من الأحوال، ولا يمكن لأحد أن يكون مؤمناً ويسلك طريق النفاق في صداقاته مع المؤمنين الآخرين.

١٩ - تمتي دوام النعمة للآخرين وعدم زوالها

على قدر المنافع التي قضاها الله للناس أنعم عليهم، ومن صفات المؤمن أن يرضى بقضاء الله تبارك وتعالى. و تمتي زوال نعم الآخرين وعدم دوامها لهم يسمى حسداً، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم أيضاً، والشخص الذي يتمتع بهذه الصفة يعرف بـ «الحسود»، وهو مثل ذلك الشخص الذي لا يرضى بنعمة الله عز وجل على هذا الشخص، فإن المؤمن لا يحسد الآخرين أبداً، لأن الحسد بحسب الأحاديث الإمامية يعتبر آفة الدين، والحسد يأكل الإيمان كما تآكل النار الحطب. ونلاحظ أن الإمام السجاد عليه السلام في الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية يشير إلى هذا البيان بقوله: «وَأُحِبُّ بَقَاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً، وَأُوجِبُ لَهُمْ مَا أُوجِبُ لِحَامَتِي، وَأَرْعَى لَهُمْ مَا أَرْعَى لِحَاصَتِي».

إن هذا الجزء من الدعاء السادس والعشرين يجب أن يؤثر في سلوك المؤمن بحيث يكون دائماً راضياً بما عنده، ويرضي برضا الله ويجب أن تبقى النعمة التي وصلت إلى أيدي إخوانه المؤمنين معهم وما يراه ضرورياً لأقاربه، فليعتبره ضرورياً لهم أيضاً وما يحترمه لحامته يحترمه لهم وبهذا يكون قد أدى حقوق إخوانه في الإيمان.

٢٠- معرفة حق الإمام (عليه السلام) والبصيرة في فضله

إن من أهم الواجبات على المؤمن بإمامة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) هو معرفة هؤلاء الكرام (عليهم السلام)؛ لأن الإمامة من أصول الدين، والإمام (عليه السلام) هو مركز الدين بعد استشهاد النبي الكريم (صلى الله عليه وآله)؛ وعلى عباد الله عز وجل في هذه الفترة طاعة الإمام الذي فرض الله تبارك وتعالى طاعته، حتى يكمل دينهم بحكم القرآن الكريم ويرضى الله تعالى بإسلامهم ومعرفة الإمام (عليه السلام) مهمة جداً لدرجة أنه وفقاً لأحاديث الشيعة والسنة فإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وجاء في الأحاديث الشيعة أن من لا يعرف الأئمة كلهم وإمام زمانه (عليه السلام) لا يكون مؤمناً. ومن يعرف الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) يجب عليه أيضاً أن يعرف الإمام (عليه السلام)؛ لأن معرفة الإمام (عليه السلام) هي الطريقة الوحيدة لمعرفة الله عز وجل وعبادته، وطاعة ولادة الأمر هي طاعة الله تبارك وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وإنكار الأئمة المعصومين (عليهم السلام) هو بمثابة إنكار معرفة الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله). فمن دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير والله شائن لأعماله، وإن مات على هذه الحالة فقد مات ميتة كفر ونفاق. والأحاديث التي وردت في وصف كرامة الإمام (عليه السلام) وفضله وعلمه أكثر من أن ندرجها في هذا البحث وعلى من يرغب في دراسة تلك الأحاديث الشريفة عليه أن يرجع إلى كتب الحديث وكتب علماء الشيعة في إمامة أهل البيت (عليهم السلام).

وفي الدعاء السادس والعشرين بين الإمام السجاد (عليه السلام) معرفة الإمام (عليه السلام) واعتبرها سبباً للسعادة بقوله (عليه السلام): «وَرَزَّهُمْ بَصِيرَةً فِي حَقِّي، وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي حَتَّى يَسْعُدُوا بِى وَأَسْعَدَ بِهِمْ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» لكي يفهم الشيعة أهمية معرفة حق الإمام (عليه السلام) ومعرفة فضله (عليه السلام) بحيث يكون لها أثر في سلوك المؤمن لدرجة أنه يسعى إلى معرفة إمامه (عليه السلام) وزيادة الدراسات عن حق الإمام (عليه السلام) وفي ما

يتعلق بذلك مما لا يعلمه، فليرجع إلى عالم له معرفة وخبرة في علم الإمامة ليطلع عليه لدرجة أنه حتى لو واجه مجموعة كبيرة من العلماء المخالفين، فسيكون لديه القدرة على الاحتجاج عليهم وبالإضافة إلى سلامته من مكر أعداء أهل البيت (عليه السلام) ومنكري هؤلاء الكرام (عليه السلام)، يرشد الآخرين على تعاليم أهل البيت (عليه السلام) من خلال الترويج للنصوص المتعلقة بإمامة أئمة المعصومين (عليه السلام) وشرحها، ويكون سبباً لجذبهم إلى مذهب أهل البيت (عليه السلام).

الخاتمة

قد تبين لنا من خلال كتابة مطالب هذا البحث أن للإمام السجاد (عليه السلام) في الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية توصيات مهمّة جاءت على هيئة الدعاء للمؤمنين، أهم ما يمكن استنتاجه منها هو ضرورة أن يقوم المؤمن سلوكه بناءً على التوصيات العشرين المستخرجة من هذا الدعاء، وبما أن معظم النقاط المهمة التي وردت في الدعاء لها جانب اجتماعي وتتعلق بسلوك المؤمن وتعامله مع سائر المؤمنين، فينبغي للمؤمن أن يُصحح سلوكه تجاه سائر المؤمنين باتباعه لهذه التوصيات). فإلى جانب تحقيق الحيوية الروحية الفردية، فإنها تلعب دوراً مهماً في تقوية وحدة وتضامن الشيعة في المجتمع؛ لأن المؤمنين إذا انتبهوا مجتمعين لفقرات هذا الدعاء الكريم وعملوا بها، كان لذلك تأثير خاص على سلوكهم، إذ ينعكس ذلك بشكل إيجابي على توطيد العلاقات فيما بينهم وتنمية روابط المحبة والإخاء، حتى يصلوا إلى مرحلة يجدون فيها أنفسهم قادرين على مواجهة الأعداء والوقوف صفّاً واحداً ضد مؤامراتهم .

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم
- * نهج البلاغة، مؤسسة نهج البلاغة، ١٤١٤ق، ط١، قم المقدسة، الشرح: السيد الشريف الرضي.
- * الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، نشر الهادي، ١٤١٨ق، ط١، قم المقدسة.
- * رسالة الحقوق، مكتبة الإمام الحسن (عليه السلام) العامة.
- * ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب (عليه السلام)، منشورات علامة، ١٣٧٩ق، ط١، قم.
- * ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر - دار صادر، ١٤١٤ق، ط٣، بيروت.
- * أبو الحسين، أحمد بن فارس، معجم مقائيس اللغة، منشورات مكتب التبليغ الإسلامي، ١٤٠٤ق، ط١، قم.
- * الأردبيلي، أحمد بن محمد، مجمع الفائدة والبرهان، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠١ق، ط١، قم.
- * الأنصاري، المرتضى، كتاب المكاسب، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤١٥ق، ط١، قم.
- * البرقي، محمد بن أحمد بن خالد، المحاسن، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧١ق، ط٢، قم.
- * التبريزي، الميرزا جواد، دروس في مسائل علم الأصول، دار الصديقة
- * الشهيدة سلام الله عليها، ١٣٨٧ش، ط٢، قم.
- * التفتازاني، سعد الدين، شرح المقاصد، الشريف الرضي، ١٤٠٩ق، ط١، قم المقدسة.
- * التميمي الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠ق، ط٢، قم.
- * الجزري، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مؤسسة إسماعيليان، ١٣٩٩ق، ط١، قم.
- * الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول (عليه السلام)، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤ق، ط٢، قم.
- * الحسيني الروحاني، السيد محمد صادق، منهاج الصالحين.
- * الحسيني السيستاني، السيد علي، توضيح المسائل جامع، مكتب ساحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله العالي) في مشهد المقدسة، ١٤٤٣ق، ط١، مشهد المقدسة.
- * الحسيني الشيرازي، السيد محمد، الفقه، القانون، مركز الرسول الأعظم (عليه السلام)، ١٤١٩ق، ط٢، بيروت.
- * الفقه، المرور وآداب السفر، مؤسسة المجتبى (عليه السلام)، ١٤٢١هـ، ط١، بيروت.
- * شرح الصحيفة السجادية، دار العلوم، ١٤٢٣ق، ط٥، بيروت.
- * من فقه الزهراء (عليها السلام)، رشيد، ١٤٢٨ق،

دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣ق،

ط٨، بيروت.

* الصدوق، محمد بن علي بن بابويه،

الأُمالي، مركز الطباعة والنشر في

مؤسسة البعثة، ١٤١٧ق، ط١، قم.

* الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي،

١٣٦٢ش، ط١، قم.

* كمال الدين وتمام النعمة، الإسلامية،

١٣٩٥ق، ط٢، طهران.

* معاني الأخبار، مؤسسة النشر

الإسلامي، ١٤٠٣ق، قم.

* من لا يحضره الفقيه، مؤسسة النشر

الإسلامي، ١٤١٣ق، ط٢، قم.

* ٣٨. الطباطبائي القمي، السيد النقي،

ثلاث رسائل، منشورات محلاتي، ط١،

قم.

* مباني منهاج الصالحين، منشورات

قلم الشرق، ١٤٢٦ق، ط١، قم.

* الطباطبائي القمي، السيد حسن،

كتاب الحج، مطبعة باقري، ١٤١٥ق،

ط١، قم.

* الطباطبائي المجاهد، السيد

محمد، كتاب المناهل، مؤسسة

آل البيت (عليه السلام)، ط١، قم.

* الطباطبائي اليزدي، السيد محمد

كاظم، العروة الوثقى، مؤسسة

الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٩ق،

ط٢، بيروت.

* الطباطبائي، السيد علي، رياض

المسائل، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)،

ط١، قم.

* الحكيم، السيد محسن، مستمسك

العروة الوثقى، مؤسسة دار التفسير،

١٤١٦ق، ط١، قم.

* الحكيم، السيد محمد سعيد، مصباح

المنهاج (كتاب الطهارة)، مؤسسة

المنار، قم.

* الحلّي، الحسن بن يوسف، الرسالة

السعدية، دار الصفوة، ١٤١٣ق،

ط١، بيروت.

* الحميري، نشوان، شمس العلوم،

دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠ق، ط١،

بيروت.

* الديلمي، حسن بن محمد، إرشاد

القلوب إلى الصواب، منشورات

الشریف الرضي، ١٤١٢ق، ط١، قم.

* الراوندي، قطب الدين، الدعوات،

مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، ١٣٦٦ش،

ط١، قم.

* الزبيدي، المرتضى، تاج العروس، دار

الفكر، ١٤١٤ق، ط١، بيروت.

* السبزواري، السيد عبد الأعلى،

مهذب الأحكام، مؤسسة المنار،

١٤١٣ق، ط٤، قم.

* الشهيد الثاني، كشف الريبة، دار

المرتضوي، ١٣٩٠ق، ط٣.

* صاحب بن عباد، المحيط في اللغة،

عالم الكتاب، ١٤١٤ق، ط١، بيروت.

* الصدر، السيد محمد باقر، الفتاوى

الواضحة وفقاً لمذهب أهل البيت (عليه السلام)،

- * ط ١، قم.
- * الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠ - ١٣٩٤ق، ط ١، بيروت.
- * الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، مكتبة مرتضوي، ١٤١٦ق، ط ٣، طهران.
- * الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، مكتبة جهل ستون العامة ومدرستها، ١٣٧٥ق، ط ١، طهران.
- * الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، دار الثقافة، ١٤١٤ق، ط ١، قم.
- * مصباح المتعبد، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١ق، ط ١، بيروت.
- * الحلي، السيد بن طاووس، مهج الدعوات، دار الذخائر، ١٤١١ق، ط ١، قم.
- * العاملي، الشهيد الأول، محمد بن المكي، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، ١٤١٩ق، ط ١، قم.
- * العاملي، حر، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، ١٤٠٩ق، ط ١، قم.
- * عدة محدثين، الأصول الستة عشر، دار الشبستري للمطبوعات، ط ١، قم.
- * العراقي، ضياء الدين، مقالات الأصول، مجمع الفكر الإسلامي، ١٤٢٠ق، ط ١، قم.
- * علي بن بابويه، فقه الرضا (عليه السلام)، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام)، ١٤٠٦ق، ط ١، مشهد المقدسة.
- * الغروي الإصفهاني، محمد حسين، صلاة الجماعة، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩ق، ط ٢، قم.
- * الفيض الكاشاني، المولى محسن، الوافي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ١٤٠٦ق، ط ١، إصفهان.
- * كاشف الغطاء، حسن، أنوار الفقاها (كتاب المكاسب)، مؤسسة كاشف الغطاء، ١٤٢٢هـ، ط ١، النجف الأشرف.
- * الكركي، علي بن الحسين، رسائل المحقق الكركي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٩ق، ط ١، قم.
- * الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧ق، ط ٤، طهران.
- * الكوفي الأهوازي، الحسين، المؤمن، مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم.
- * الكوفي، محمد بن محمد الأشعث، الجعفریات، مكتبة نينوى الحديثة، ط ١، طهران.
- * المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ق، ط ٣، بيروت.
- * المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (عليه السلام)، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ق، ط ٢، قم.

طهران.

* المدني الشيرازي، السيد علي خان،

رياض السالكين في شرح صحيفة

السيد الساجدين (صلوات الله

عليه)، مؤسسة النشر الإسلامي،

١٤٣٥ق، ط ٨، قم.

* مغنية، محمد جواد، فقه الإمام جعفر

الصادق (عليه السلام)، مؤسسة أنصاريان،

١٤٢١ق، ط ٢، قم.

* مكارم الشيرازي، ناصر، تفسير

نمونه، دار الكتب الإسلامية،

١٣٧٤ش، ط ٣٢، طهران.

* الموسوي الخوئي، السيد أبو القاسم،

صراط النجاة (تعليق الميرزا جواد

التبريزي)، مكتب نشر المنتخب،

١٤١٦ق، ط ١، قم.

* ا، موسوعة الإمام الخوئي، مؤسسة

إحياء آثار الإمام الخوئي ره،

١٤١٨ق، ط ١، قم.

* النجفي، محمد حسن، جواهر

الكلام، دار إحياء التراث العربي،

١٤٠٤ق، ط ٧، بيروت.

* النوري، المحدث، الميرزا حسين،

مستدرك الوسائل، مؤسسة آل

البيت (عليه السلام)، ١٤٠٨ق، ط ١، بيروت.

* ورام بن أبي فراس، مجموعة ورام،

مكتبة الفقيه، ١٤١٠ق، ط ١، قم.



استراتيجيات الإمام السجاد عليه السلام لإعادة الأمة إلى ركب التطور الإسلامي

الشيخ حسين محسن علي التميمي
العتبة العباسية المقدسة

المستخلص:

إن الاستراتيجيات التي اعتمدها الإمام السجاد عليه السلام لإعادة الأمة إلى ركب التطور الإسلامي، تهدف الدراسة إلى فهم الجهود التي بذلها الإمام السجاد عليه السلام لتحقيق التطور والتقدم في المجتمع الإسلامي، وكيفية مواجهته للتحديات والظروف الصعبة التي واجهها في ذلك الوقت. وتحليل استراتيجيات الإمام السجاد عليه السلام في نظره لتحفيز الوعي الديني والفكري بين المسلمين، وتعزيز القيم الإسلامية الأساسية. يتم أيضاً استكشاف دوره في تثقيف الناس عن الإسلام وإشاعة المعرفة بشكل صحيح ومؤكد. كما يتم تسليط الضوء على جهوده في إحياء التراث الإسلامي وتعزيز الوعي الثقافي بين الأفراد.

تكمن أهمية هذه الدراسة في توضيح التحديات التي واجهها الإمام السجاد عليه السلام وكيفية تعامله معها، بالإضافة إلى التعرف على الحلول التي اقترحها لتطوير المجتمع الإسلامي وإعادةه إلى ركب التقدم والتطور.



بيان البحث:

تتناول هذه الدراسة استراتيجيات الإمام السجاد (عليه السلام) لإعادة الأمة إلى ركب التطور الإسلامي، يهدف البحث إلى فهم الجهود التي بذلها الإمام السجاد (عليه السلام) لتحقيق التطور والتقدم في المجتمع الإسلامي، وكيفية تعامله مع التحديات والظروف الصعبة التي واجهها في ذلك الوقت.

أهمية البحث:

تقع أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على دور الإمام السجاد (عليه السلام) في تطوير المجتمع الإسلامي وتعزيز قيم العدل والإنصاف والتسامح في ظل ظروف صعبة. من خلال فهم استراتيجياته، يمكن أن نستلهم دروساً وعبراً قيمة لتطبيقها في الوقت الحاضر لتعزيز التطور الإسلامي والتعايش السلمي في المجتمعات الإسلامية.

بعض نتائج البحث:

أظهرت هذه الدراسة بعض النتائج المتعلقة بالاستراتيجيات التي اتبعتها الإمام السجاد (عليه السلام) لإعادة الأمة إلى ركب التطور الإسلامي. قد تشمل هذه النتائج ما يلي:

- * الاهتمام بالتعليم: كان للإمام السجاد (عليه السلام) اهتمام كبير بالتعليم ونشر المعرفة، حيث سعى إلى تعزيز الوعي الديني والثقافي بين المسلمين.
- * النضال السلمي: استخدم الإمام السجاد (عليه السلام) النضال السلمي والتعبير السلمي عن الرأي لتحقيق التغيرات الإيجابية في المجتمع.
- * تحليل للمفاهيم الدينية والفكرية التي تمثل أساس المنظومة المعرفية للإمام السجاد (عليه السلام).
- * دراسة لأساليب الإمام زين العابدين (عليه السلام) في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية وكيفية تطبيقها عملياً.

- * تقييم لتأثير الأفكار والمنظومة الفكرية للإمام عليه السلام على المجتمعات الإسلامية وتأثيرها على استعادة هوية المسلم.
- * مراجعات ودراسات سابقة حول أفكار الإمام العابد عليه السلام ومساهمته في إعادة الأمة إلى الرسالة الإسلامية.
- * تحليل للتأثير الثقافي والاجتماعي لفهم المنظومة المعرفية للإمام عليه السلام في المجتمعات الإسلامية.
- * العمل بالشرعية السمحة.
- * وضع الأمة في المسار الصحيح.
- * تحريك الضمير الإنساني.
- * وضع مسارات مستقبلية لتطور الوضع الإنساني عبر العصور.
- * تأسيس جوانب جوهرية لتغيير الواقع المترجع للأمة إلى ثقافات ووعي معرفي.
- * ترجمة الواقع إلى تطور فكري منظم اعتمده المجتمع، مساهمة في تجديد وتعزيز مناهج حياة الأمة للمضاهاة الأخلاقية.
- * رفض الكيان الأموي والأنظمة المستقبلية.
- * سيسفر هذا البحث عن توثيق المفاهيم والرؤى الرئيسية الموجودة في المنظومة المعرفية للإمام منار القانتين عليه السلام، وكذلك تحليل تأثيرها في إعادة الأمة إلى الواقع الإسلامي، قد توفر النتائج أدلة جديدة تؤكد على تأثير هذه المنظومة في تعزيز الوعي الثقافي والديني للأمة، وبالإضافة إلى ذلك قد تشكل النتائج أساساً قوياً للعمل على تحقيق التجديد الإسلامي في المجتمعات المسلمة.

مقدمة:

تعتبر الهوية الإسلامية أحد الجوانب الأساسية للمسلمين، فهي تمثل التزامهم بالقرآن الكريم والشريعة الإسلامية، وتوجههم الأخلاقي الذي يستند إلى تعاليم الدين، ومع ذلك، قد يواجه بعض المجتمعات الإسلامية تحديات تؤدي إلى انحراف عن الهوية الإسلامية الأصيلة والتمسك بها لا يليق بها.

في هذا السياق، تأتي المنظومة المعرفية للإمام زين العابدين في إعادة الأمة إلى الهوية الإسلامية الحقيقية، تعتبر النهضة المعرفية إحدى المؤثرات التي مرت على بناء الإنسان عقائدياً وأخلاقياً في التاريخ الإسلامي.

خلال فترة الحكم الأموي الظالم، قد تعرضت الأمة الإسلامية لتحولات وتغيرات مظلمة، وشهدت بعض الانحرافات عن الفقه والعقائد الإسلامية والسلوك الأخلاقي الصحيح، وفي هذا السياق قام الإمام السجاد (عليه السلام) بدور هام في استعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية الأصيلة.

بفضل نظرة المعصوم المعرفية التي بناها الإمام سلام الله عليه، تم تسليح المسلمين بالمعرفة اللازمة لفهم التعاليم الإسلامية بشكل صحيح وتطبيقها في حياتهم اليومية، كان الإمام السجاد (عليه السلام) يعلم بأن العودة إلى القرآن الكريم والشريعة والسلوك الأخلاقي الصحيح هو الكافل لوضع الإنسان في المسار الأصح وتغيير الوضع للأفضل هو الذي سيكون السبيل الوحيد في بناء الوعي الفكري ولأدراك المخاطر الثقافية الغربية التي نشرتها الدولة الأموية.

لذا، يمكن القول إن المنظومة المعرفية للإمام علي بن الحسين شكّلت أساساً قوياً لإعادة الأمة إلى الهوية الإسلامية بعد الانحراف والتخلي عن القرآن الكريم والشريعة والسلوك الأخلاقي الصحيح، فقد قدّم الإمام السجاد (عليه السلام) نهضة في التوجيه والتعليم الذي ساهم في إحياء الروح الإسلامية وتعزيز المعرفة الصحيحة بين المسلمين، وهذا بدوره ساهم في استعادة الهوية الإسلامية وتقوية الروابط الدينية والثقافية للأمة.

فيما يلي، سنناقش بعض الجوانب الرئيسية للمنظومة المعرفية للإمام
 السجاد عليه السلام التي ساهمت في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية الأصيلة،
 سنستكشف تأثيره في تعزيز العدل الاجتماعي وحقوق الإنسان، نشر
 السلام والتسامح، تنمية الذات والروحانية، والدفاع عن الحقوق
 والمساهمة في العدالة الاجتماعية.

من المهم أن نعيد التأكيد على أن المنظومة المعرفية للإمام علي بن الحسين
 لم تكن محدودة بالمفاهيم النظرية فحسب، بل تمثلت أيضاً في سلوكه العملي
 ومواقفه الحياتية، كان الإمام عليه السلام يعيش وفقاً لتعاليمه، وكان قدوة للمسلمين
 في تطبيق القيم الإسلامية في حياتهم اليومية.

من خلال هذا البحث، سنتعمق في فهم المنظومة المعرفية للإمام عليه السلام وكيف
 ساهمت في إعادة الأمة إلى الهوية الإسلامية بعد ترك القرآن الكريم والشرعة
 والسلوك الأخلاقي، سنستعرض أمثلة من تعاليمه وأفعاله التي تعكس تأثيره
 الإيجابي على المجتمع الإسلامي، وكيف ساهم في تحقيق التوازن والاستقامة في
 العبادة والسلوك اليومي للمسلمين.

ومن خلال هذا البحث، ستوضح أهمية كبرى لمنظومة الإمام عليه السلام في تعزيز الهوية
 الإسلامية الأصيلة وتعزيز القيم الدينية والأخلاقية بين المسلمين، سنسلط الضوء
 على أهمية استيعاب تعاليم الإمام السجاد عليه السلام وتطبيقها في حياتنا اليومية كمسلمين،
 وكيف يمكننا أن نستوحي منه في بناء مجتمع إسلامي قوي ومتوازن.

مع الاستمرار في هذا البحث، سنقدم نقاطاً أكثر تفصيلاً وأمثلة محدّدة
 لتوضيح تأثير المنظومة الالهية للإمام سلام الله عليه في إعادة الأمة إلى هويتها
 الإسلامية. ستتاح لنا الفرصة لاستكشاف العديد من الجوانب المهمة والقيم
 التي يمكننا أن نستفيد منها من تعاليمه وأفعاله.

عليه، فإن هذا البحث سيكون مفيداً لفهم التأثير الإيجابي الذي تركه الإمام (عليه السلام) في إعادة الأمة إلى الهوية الإسلامية الأصيلة وتعزيز القيم الإسلامية بين المسلمين، ستتعلم كيف يمكننا تطبيق هذه المبادئ في حياتنا اليومية لتحقيق التوازن والاستقامة في العبادة والسلوك اليومي، سنكتشف كيف يمكن للمنظومة المعرفية أن تكون مصدر إلهام لنا في بناء مجتمع إسلامي قوي ومزدهر.

مع تزايد التحديات التي تواجه المسلمين في الوقت الحاضر، مثل التأثيرات الثقافية الغربية والضغط الاجتماعية، يصبح من الضروري أن نستلهم الحكمة والتوجيه من أئمة السماء والأرض الهداة، ومن بين هؤلاء الأئمة العظام يبرز الإمام زين العابدين (عليه السلام) بدوره المهم في إعادة وتغيير مسار الأمة إلى التأصيل الإسلامي المحمدي.

سنتعامل مع هذا الموضوع من خلال تحليل تعاليم الإمام السجاد (عليه السلام) ومواقفه الحياتية التي تعكس رؤيته الشاملة للإسلام والقيم الأخلاقية المرتبطة به، سنلقي الضوء على جهوده في تعزيز العدل الاجتماعي وحقوق الإنسان، ونشر السلام والتسامح، وتنمية الذات والروحانية، والدفاع عن الحقوق والمساهمة في العدالة الاجتماعية.

بالنظر إلى الإرث العظيم الذي تركه الإمام علي بن الحسين، يمكننا أن نستوحي العديد من الدروس والمبادئ التي يمكننا تطبيقها في حياتنا اليومية. سيساعدنا هذا في استعادة الروح الإسلامية وتعزيز القيم الإسلامية بين المسلمين، وفي بناء مجتمع إسلامي قوي ومتوازن.

مع انتهاء هذه المقدمة، سنستكشف الآن المنظومة المعرفية للإمام زين العابدين بمزيد من التفصيل ونستعرض الأمثلة العملية لتطبيقها في الحياة اليومية. سندرس تأثيره الإيجابي في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية الأصيلة

وترسيخ القيم الإسلامية في نفوس المسلمين. سنسعى جاهدين لتوفير فهم شامل للمنظومة المعرفية للإمام السجاد (عليه السلام) وكيف أنها ألهمت وشكّلت المجتمع الإسلامي في الماضي وقادرة على أن تكون مصدر إلهام لنا في الحاضر. تتناول هذه الدراسة المنظومة المعرفية للإمام السجاد (عليه السلام)، والتي تتمحور حول جهوده في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية. تُعدّ منظومته المعرفية مصدراً هاماً للفهم العميق لمفاهيم الإسلام والإرث الثقافي الإسلامي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في إلقاء الضوء على إسهامات الإمام السجاد (عليه السلام) في تعزيز الهوية الإسلامية للأمة. يمكن لدراسة هذه المنظومة المعرفية أن تفتح آفاقاً جديدة لفهم الإسلام وتطبيقاته في المجتمعات المعاصرة.

أهداف البحث:

١. دراسة منظومة المعرفة للإمام السجاد (عليه السلام) وتحليل مفاهيمها الرئيسية.
٢. فهم دور الإمام السجاد (عليه السلام) في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية.
٣. تسليط الضوء على القيم والمبادئ الإسلامية التي دعمها الإمام السجاد (عليه السلام) ونشرها.
٤. استخلاص الدروس والتطبيقات العملية للمنظومة المعرفية للإمام السجاد (عليه السلام) في الحياة المعاصرة.

منهج البحث:

سيعتمد هذا البحث على منهجية تحليلية لدراسة منظومة المعرفة للإمام السجاد. ستتضمن الدراسة مراجعة وتحليل للأحاديث والأدعية والمؤلفات التي يُعتقد أنها تنسب إلى الإمام السجاد. سيتم أيضاً استخدام المنهج التاريخي والتحليل الثقافي لفهم السياق الزمني والثقافي الذي عاش فيه الإمام السجاد.

أسئلة البحث:

١. ما هي المفاهيم الرئيسية في منظومة المعرفة للإمام السجاد؟
٢. كيف ساهم الإمام السجاد (عليه السلام) في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية؟
٣. ما هي القيم والمبادئ الإسلامية التي دعمها الإمام السجاد (عليه السلام) ونشرها؟
٤. كيف يمكن تطبيق المنظومة المعرفية للإمام السجاد (عليه السلام) في الحياة المعاصرة؟

خطة البحث:

ستتبع هذه الدراسة البحثية الخطوات التالية:

١. مراجعة الأدبيات السابقة والدراسات الأكاديمية ذات الصلة بالموضوع.
٢. جمع المصادر التي تنسب إلى الإمام السجاد، بما في ذلك الأحاديث والأدعية والمؤلفات.
٣. تحليل المصادر وتحديد المفاهيم الرئيسية والقيم الإسلامية التي تحتوي عليها.
٤. دراسة دور الإمام السجاد (عليه السلام) في نشر هذه المفاهيم وتطبيقها في الحياة العملية.

٥. استخلاص الدروس والتطبيقات العملية للمنظومة المعرفية للإمام السجاد.

٦. كتابة التقرير النهائي للبحث وتلخيص النتائج والاستنتاجات.

السؤال الأصلي:

ما هي المنظومة المعرفية للإمام السجاد (عليه السلام) في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية؟

الأسئلة الفرعية:

١. ما هي المنظومة المعرفية للإمام السجاد؟
٢. ما هي هوية الأمة الإسلامية وكيف تم فقدانها؟
٣. كيف ساهم الإمام السجاد عليه السلام في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية؟
٤. ما هي الأدوار والأساليب التي استخدمها الإمام السجاد عليه السلام في هذا السياق؟
٥. ما هي القيم والمبادئ التي دعمها الإمام السجاد عليه السلام في عمله لإعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية؟
٦. كيف تأثرت الأمة بمنظومة الإمام السجاد عليه السلام في الفترة اللاحقة؟

فرضيات البحث:

١. فرضية أولى: يمكن أن تكون «منظومة الإمام السجاد عليه السلام المعرفية ساهمت في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية من خلال تعزيز الوعي الديني والقيم الإسلامية بين المسلمين».
٢. فرضية أخرى يمكن أن تكون «الأدوار والأساليب التي استخدمها الإمام السجاد عليه السلام كانت حاسمة في إعادة توجيه الأمة إلى القيم الإسلامية وتطبيق الواقع الفقهي والعقائدي في المجتمع».

السابقة الدراسية للبحث:

بالنسبة للسابقة الدراسية للبحث، يمكن البحث عن الدراسات والأبحاث السابقة التي تناولت - دور الإمام السجاد عليه السلام في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية - يمكنك الاطلاع على الكتب والمقالات الأكاديمية المنشورة في هذا الصدد واستخدامها كمراجع للدراسة.

خطة البحث:

١. مقدمة:

- * توضيح أهمية تحدي الهوية الإسلامية وأثرها على الأمة.
- * تعريف بالإمام السجاد عليه السلام وأهميته في تاريخ الإسلام.
- ٢. استعراض الأفكار والمفاهيم الرئيسية في منظومة الإمام السجاد عليه السلام لإعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية.
- ٣. تحليل كيفية معالجة الإمام السجاد عليه السلام لقضايا الهوية الإسلامية والتحويلات الاجتماعية والثقافية.
- ٤. دراسة دور العبادة والتأمل والتواصل مع الله في منظومة الإمام السجاد عليه السلام لإعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية.
- ٥. تحليل كيفية ترويج الإمام السجاد عليه السلام للقيم والأخلاق الإسلامية في إعادة الأمة إلى هويتها الإسلامية.
- ٦. بحث في دور الإمام السجاد عليه السلام في تعزيز وحفظ الهوية الإسلامية للأمة من خلال الأدعية والزيارات الدينية.
- ٧. استنتاجات وتوصيات نهائية:
- * تلخيص النتائج الرئيسية للبحث.
- * تقديم توصيات للاستفادة من منظومة الإمام السجاد عليه السلام في تعزيز هوية الأمة الإسلامية.

التمهيد:

تعدّ المنظومة المعرفية للإمام السجاد عليه السلام واحدة من الأدوات الهامة التي تسهم في إعادة الأمة إلى مسارها الإسلامي الحقيقي، إنها منهج شامل يجمع بين الفكر والواقع، وبين العمل والدعاء، ويركز على أهمية القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليه السلام في تحقيق الهدف النبيل لإرجاع الأمة إلى مبادئ الإسلام الأصيلة.

تقوم هذه المنظومة المعرفية على عدة أسس أساسية تتضمن التأكيد على العودة الفكرية والواقعية للقرآن الكريم. فالإمام السجاد عليه السلام يعلمنا أن الطريق إلى إصلاح الأمة يبدأ بالعودة إلى كتاب الله وفهمه بطريقة صحيحة وشاملة، يجب أن نعيد قراءة ودراسة القرآن الكريم بعمق وتفهم عميق، وأن نطبق معانيه وأحكامه في حياتنا اليومية، بناءً على هذا، يمكننا تحقيق التحول الفكري الذي يؤدي إلى تغيير إيجابي في الواقع.

بالإضافة إلى القرآن الكريم، يركز الإمام السجاد عليه السلام على أهمية آباءه وأجداده الطاهرين عليه السلام في إعادة الأمة إلى الإسلام الحقيقي، إن رواياتهم تشكل مصدراً قيماً للفهم العميق لتعاليم الإسلام وأخلاقه، وهي تساعدنا على فهم سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليه السلام، وتقدير قيم العدل والإنصاف والرحمة والتسامح التي يجب أن نتبعها في حياتنا.

ومن أهم الجوانب العملية في المنظومة المعرفية للإمام السجاد عليه السلام هو الدعاء والتضرع إلى الله. فالدعاء هو أداة قوية للتواصل مع الله والتوسل إليه بالإصلاح والهداية، يجب أن ندعو الله بصدق وإخلاص لتغيير حالتنا وحالة الأمة، وأن نطلب منه الهداية والقوة للعمل بمبادئ الإسلام في كل جانب من جوانب حياتنا.

علاوةً على ذلك، ينبغي أن نعمل بجدّ واجتهاد لتطبيق تعاليم الإسلام في حياتنا اليومية، وأن نكون أمةً عمليةً تعمل على تحقيق قوانين السماء، وتعمل على رفع مستوى التعليم والثقافة في المجتمع، وتسعى للقضاء على التخلف العلمي، وعلينا أن نكون قدوةً حسنةً للآخرين في كل ما نقوم به، وأن نتعامل بالأخلاق الحميدة والتسامح والرحمة مع الجميع.

المنظومة المعرفية للإمام السجاد (عليه السلام) تعتبر منهجاً شاملاً لإعادة الأمة إلى الإسلام الحقيقي. إنها تركز على العودة الفكرية والواقعية للقرآن الكريم، والاستفادة من روايات أهل البيت (عليهم السلام)، والدعاء والتضرع إلى الله، والعمل الجاد والاجتهاد في تطبيق تعاليم الإسلام في حياتنا، من خلال اعتماد هذا النهج الشامل، نستطيع أن نساهم في إعادة الأمة إلى سيرتها الحقيقية وتحقيق التقدم والازدهار بما يتماشى مع مبادئ الإسلام السمحة والمعتدلة.



المبحث الأول:

«المنهج القرآني للإمام زين العابدين في عودة الأمة بناءً على نصوص القرآنية»

المطلب الأول: «إعادة واقع المجتمع الإسلامي الى القرآن الكريم»:

إن دور الإمام زين العابدين (عليه السلام) في تحريك نفوس الأمة والعمل الواقعي مع القرآن الكريم كان مهماً جداً في إعادة واقع المجتمع إلى مبادئ الإسلام وتعاليم القرآن.

إن حركة الإمام (عليه السلام) كانت حاسمة في إعادة واقع المجتمع الإسلامي إلى التزامه بالقرآن الكريم وتعاليمه، وتحقيق التوازن الرسالي في المجتمع.

تقول الرواية (.. درج باب المسجد حيث يقام السبي. وإذا الشيخ قد أقبل حتى دنا منهم وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح الرجال من سطوتكم وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين: يا شيخ! هل قرأت القرآن؟ فقال: نعم قد قرأته، قال: فعرفت هذه الآية ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي بن الحسين (عليه السلام): فنحن القربى يا شيخ! قال: فهل قرأت في سورة بني إسرائيل: ﴿وأت ذا القربى حقه﴾؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال علي (عليه السلام): نحن القربى يا شيخ! ولكن هل قرأت هذه الآية ﴿واعلموا أنها غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾. [قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي]: فنحن ذو القربى يا شيخ! ولكن هل قرأت هذه الآية ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال علي: فنحن أهل البيت الذين خصصنا بأية الطهارة. قال: فبقي الشيخ ساعة ساكناً نادماً على ما تكلمه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم! إني تائب إليك مما تكلمته ومن بغض هؤلاء القوم، اللهم إني أبرأ إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والإنس...^١.

ثمرات التوجيه الواقعي للإمام عليه السلام لها دلالات الرواية:

١. تبرز الرواية قيمة القرآن الكريم وأهميته في توجيه وتأثير الأفراد والمجتمع بشكل عام.

٢. تسلط الضوء على قدرة القرآن الكريم على إحداث التأثير الإيجابي في نفوس الأفراد وتغيير سلوكياتهم وآرائهم.

٣. تظهر روح التواضع والحكمة لعلي بن الحسين في التعامل مع الشيخ، حيث يقدم له الآيات القرآنية كسبب للتوبة والعودة إلى الله.

٤. تسلط الضوء على أهمية القرابة وصلة الرحم، وهو ما يختص به أهل البيت، والتأثير الإيجابي الذي يمكن أن يحدثه القرآن في تعزيز هذه القيمة في المجتمع.

تأكيدات آيات القرآن الكريم على أن الإمام زين العابدين عليه السلام أحدث صياغة في عمق المجتمع لذلك نرى:

١. تؤكد الآيات التي استشهد بها الإمام علي بن الحسين على مدى تأثير القرآن في تعزيز القيم القرآنية بين المسلمين.

٢. تثبت الآيات القرآنية قداسة أهل البيت عليه السلام وهم المرجع المهم للأمة من خلال التأثير وعملية الإصلاح للضمان المتخلفة التي ابتعدت وهجرت القرآن الكريم.

٣. وضع الإمام عليه السلام الميزان العملي للمجتمع هو المنطلق القرآني. وهناك رواية أخرى:

(.. فضرِبَ يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت، ثم قال لعلي بن الحسين: يا أبا حسين، أبوك قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت. فقال علي بن الحسين: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ ٢).

أولاً: تظهر الرواية التصرفات غير الأخلاقية ليزيد بن معاوية وتؤسس تاريخياً أنه كرمز للظلم والاستبداد الذي كان يمارسه الحكم الأموي تجاه الأنصار وأسرة النبي ﷺ.

ثانياً: يظهر رد فعل علي بن الحسين الرادع والثابت في وجه الحكم الأموي، حيث يذكر بأن كل مصيبة تصيب الأمة هي بمشيئة الله وأنه لا يمكن أي حكم أو قوة أن تضرهم إلا بإذن من الله تعالى، ويعزز هذا الموقف فكرة أن مسار الحق والعدل سيتنصر في النهاية.

بالإضافة إلى ذلك، تعتبر الرواية من المساهمات في تحريك نفوس الأمة في عصرها ومستقبلاً وتوجيهها نحو السير في المسار الصحيح المتمثل في الاعتماد على القرآن الكريم كدليل ومعياري للقيم والأخلاق وتوجيه الحياة السياسية والاجتماعية.

وتكشف الرواية عن طبيعة الحزب الحاكم الأموي وكشف معدنهم في تعاملهم مع الأمة، وسياستهم العوجاء لكل مشروع إصلاحى يتحدى سلطتهم ويسعى إلى إصلاح الأمة.

المطلب الثاني: «تغيير النمط الثقافي للأمة عن طريق الأسلوب الدعائي»:

يعد الإمام السجاد عليه السلام من الشخصيات البارزة التي نجحت في تفعيل الرائد لاستخدام الأسلوب الدعائي لتغيير النمط الثقافي للأمة، استطاع أن يتواصل مع كافة الأفراد في المجتمع من خلال الانسجام مع تعدد الثقافات والأنماط غير الاعتيادية للمجتمع والعالم.

استخدم الأسلوب البلاغي والنفسي ليعزز الروابط المشتركة بين البشر ويؤثر في مشاعر المجتمع، تم تقديم الصحيفة السجادية كوسيلة لتذكير الأمة بتوحيد الله تعالى والارتباط العميق به، وحتى اليوم، تحتوي الصحيفة على

أسرار وألغاز ربانية تحيّر العقول، سواء للفلاسفة المبتكرين أو العباقرة، كل هذا بفضل الأسلوب البلاغي العميق الذي ابتكره ابن رسول الله تعالى.

يشهد العالم اليوم على أهمية الأسلوب الدعائي في تحويل النمط الثقافي للأمة. فبفضل هذا الأسلوب، نجح الإمام السجاد عليه السلام في إيصال رسالته العميقة وبصورة آسرة ومؤثرة لجميع فئات المجتمع. إن تعلمنا منه، سيكون بوسعنا تغيير وتحسين الوعي الثقافي للأمة.

إنها معجزة أخرى أن يحیی تراث الإمام السجاد عليه السلام حتى يومنا هذا وأن يستمرّ لتأثيره في استقامة المجتمع وتحويله نحو الخير والتعايش السلمي. لذا، يجب أن نستمر في تبني الأسلوب الدعائي الذي اتبعه الإمام السجاد عليه السلام وأن نعمل على تطويره وتعميق مفهومه البلاغي العميق لتحقيق تغيير ثقافي حقيقي في أمتنا.

وذات مرة الإمام عليه السلام استخدم الدعاء من ناحية الجهاد:

(.. ولم يزل، يقول: «أنا أنا» حتى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن: أن يؤذن، فقطع عليه الكلام وسكت، فلما قال المؤذن: الله أكبر! قال عليّ بن الحسين: «كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله»، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله! قال علي: «شهد بها شعري وبشري، ولحمي ودمي. ونحي وعظمي»، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله! التفت عليّ من أعلى المنبر إلى يزيد، وقال: «يا يزيد! محمد هذا جدّي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت: إنه جدّي، فلم قتلت عترته؟» (..)^٣.

دلالات الرواية وأثرها الفلسفي:

تُجسّد رواية جهاد الإمام علي بن الحسين مع الأذان ضد يزيد بن معاوية صراعاً فلسفياً عميقاً بين الحق والباطل، وترفض الظلم والاستبداد. أبرز الدلالات الفلسفية:

١. رفض الظلم: يعبر الإمام علي بن الحسين عن رفضه القاطع للظلم والاستبداد الذي تمثله حكومة يزيد بن معاوية، مؤكداً على قيم العدالة والحرية.

٢. قوة الإيمان: يستخدم الإمام الأذان للتعبير عن إيمانه الراسخ، ويواجه الظلم بقوة إيمانه وعزمه على التصدي للطغاة.

٣. الثبات على الحق: تُظهر الرواية أهمية الثبات على الحق والمبادئ العالية، حتى في مواجهة التهديدات، حيث يعرض الإمام حياته وحياة أسرته للخطر من أجل الاعتراض على الظلم.

٤. التضحية: تُبرز الرواية التضحية الكبيرة التي قد تتطلبها القيم والمبادئ الإنسانية، حيث يظل الإمام ملتزماً بالأخلاق والصدق والشجاعة، على الرغم من المعاناة والضغط الشديدة.

أثر الرواية الفلسفي:

ترك الرواية بصمتها في الوعي الفلسفي من خلال إبراز أهمية الصراع بين الخير والشر، وأثر التضحية والثبات على القيم الإنسانية. ومرة من خلال الناحية التثقيفية للمجتمع:

تأثير الإمام زين العابدين على تربية الأجيال الجديدة، تجاوز الإمام زين العابدين الحدود الزمانية والمكانية، حيث استمر تأثيره على تربية الأجيال الجديدة عبر العصور، ترسيخ مفهوم اللياقة الأدبية والمسؤولية الاجتماعية في تربية الأجيال الجديدة.

من خلال المقطوعة للدعاء الإمام (عليه السلام):

(اللهم صلّ على محمد وآل محمد، واحجّبني عن السرف والازدياد وقوّمني بالبذل والاقتصاد، وعلمّني حسن التقدير، واقبضني بلطفك عن التبذير، وأجر من أسباب الحلال أرزاقني، ووجّه في أبواب البرّ إنفاقي، وأوزعني من المال ما يحدث إليّ مخيلة، أو تأدياً إلى بغّي، أو ما أتعقب منه طغياناً، اللهم حبّب إليّ صحبة الفقراء، وأعني على صحبتهم بحسن الصبر، وما زويت عني من متاع الدنيا الفانية، فادخره لي في خزائنك الباقية، واجعل ما خوّلتنني من حطامها وعجّلت لي من متاعها بلغة إلى جوارك، ووصله إلى قربك، وذريعة إلى جنتك، إنك ذو الفصل العظيم وأنت الجواد الكريم)٤

تعزيز القيم الإنسانية العالمية مثل: إدارة الإنسان نفسه والاحترام والكلمة الطيبة والإحسان من خلال التعليم والتربية.

تطوير وهيكله نماذج قدوة إيجابية تستند إلى القيم والأخلاق الحميدة التي يحثّ عليها الإمام زين العابدين.

إعادة توجيه المجتمع نحو مسار الأخلاق الحميدة والتقوى من خلال تأثير قيم ومأثور الدعاء وتهذيب النفس.

باستخدام الدعاء كوسيلة تجديدية في التربية المجتمعية، نجح الإمام زين العابدين في تثقيف وإعادة بناء جيل كامل ومؤثّر من خلال تنمية ثقافة الدعاء وتهذيب النفس، ترك تأثيراً عميقاً على أطياف المجتمع وأسهم في تربية وهيكله نماذج واعدة تعكس القيم والأخلاق الحميدة، يستمر تأثيره في تنمية الأجيال الجديدة وتوجيههم نحو القيم الإنسانية العالمية والتقوى؛ لذا، يمكن القول إن الإمام زين العابدين أسس دوراً بارزاً في تطوير المجتمع وإعادته إلى مسار الأخلاق الحميدة.

المبحث الثاني:

«الامام السجاد (عليه السلام) وآلياته المبتكرة في توصيل رسالة الإسلام»

المطلب الأول: المبتكرات الفكرية والثقافية للإمام السجاد (عليه السلام) في نقل

رسالة الإسلام للعالم:

تعدّ المبتكرات الفكرية والثقافية التي قدّمها الإمام السجاد (عليه السلام) في نقل رسالة الإسلام للعالم إحدى الجوانب المهمّة والمميّزة لحياته وإرثه، لقد كان الإمام السجاد (عليه السلام) مبدعاً في تغيير النظرة العامة للإسلام وتوجيه الانتباه إلى جوانبه الروحية والثقافية.

«الأدب الديني والقصص الهادفة»

يروى الإمام الصادق (عليه السلام) ويقول: «كان علي بن الحسين (عليه السلام) لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدام الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم فرأه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟ فقالوا: لا.

قال: هذا علي بن الحسين (عليه السلام).

فوثبوا إليه فقبلوا يده ورجليه، وقالوا: يا ابن رسول الله أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت إليك منا يد أو لسان، أما كنا قد هلكنا إلى آخر الدهر، فما الذي يملكك على هذا.

فقال: إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله (صلى الله عليه وآله) ما لا أستحقّ فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك فصار كتمان أمري أحبّ إليّ»^١ على هذا النحو قدّم الإمام السجاد (عليه السلام) في سيرته الشريفة نوعاً فريداً من الأدب الديني الذي استطاع أن يلامس قلوب الناس ويوضح لهم المفاهيم العميقة للإسلام، كان يستخدم القصص الهادفة لشرح القيم النبيلة والحكمة والتعاليم الإسلامية بطريقة تربط بين الماضي والحاضر.

«المبادرة في التواصل مع الآخرين»

هناك عبارة لطيفة في كتاب الخصال حيث يقول الشيخ الصدوق رحمته الله (كان عليه السلام يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده ومن كان له منهم عيال حمله إلى عياله من طعامه. وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله)^٦

كان الإمام السجاد عليه السلام يحرص على التواصل مع الآخرين بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية والدينية، كان يقدم النصائح والإرشادات للناس بطريقة مبتكرة ومتجددة، مما أدى إلى تعزيز التفاهم والتعايش المشترك بين مختلف المجتمعات.

«الإصلاح الفكري»

في رواية رائعة للإمام (عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لشيعته: عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو أن قاتل أبي الحسين بن علي عليه السلام أئتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه)^٧

أثر الإمام السجاد عليه السلام دوراً بارزاً في التوعية والتحسيس بالمشكلات الاجتماعية والتعامل معها بشكل عادل، قدم حلولاً مبتكرة وثقافية لمشاكل مثل أداء الأمانة والظلم والتمييز، وسعى جاهداً لتحقيق إحداث تطور ونمو فكري مع الحركة العلمية التطبيقية في المجتمع.

لقد كانت المبتكرات الفكرية والثقافية التي قدمها الإمام السجاد عليه السلام في نقل رسالة الإسلام للعالم مؤثرة وصادمة في صميم النفوس.

المطلب الثاني: «منهج الإمام السجاد (عليه السلام) في توصيل رسالة الإسلام من خلال مبادئه وقيمه»:

عدّة اليات ملهمة للإمام (عليه السلام) قد استخدمها للتغيير الواقعي للثقافة الإنسانية التي لطراً عليها تغييرات بسبب حكم بني أمية الذي استعمل أساليب وأدوات لإبعاد المسلمين عن رسالة الإسلام منها:

« سر الهيمنة بكلام الإمام السجاد »

إن الإمام زين العابدين (عليه السلام) عرف عنه قدرته على هيمنة الالقاء من خلال طرح خطابه بأسلوبه الفريد في الحديث عن الله تعالى والإسلام والنبى محمد (صلى الله عليه وآله)، كان ينقل المفاهيم العميقة بأسلوب بسيط وملموس يمكن للناس من جميع الأعمار والثقافات فهمه وترك الأثر الوجداني مع التغيير الإيجابي.

وخير دليل كيف تكلم مع يزيد لعنة الله عليه عندما قال له (...يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات الله فيهن رضا، وهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب، قال: فأبى يزيد عليه ذلك فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئاً...) ^٨

تصرّف الإمام (عليه السلام) بحنكة حيث قلب الموازين على يزيد وجعل الناس تطالب بخطبة الامام.

وفي موقف آخر يشهد له التاريخ في الهجوم الأموي لمسرف بن عقبة عندما استباحته المدينة وقتل اعداداً ضخمة منها، ولم يسلم أحد من جرمه. تقول الرواية (...وقد كان علي بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشام أوى إليه ثقل مروان بن الحكم، وامراته عائشة بنت عثمان بن عفان، وهي أم أبان بن مروان. وقد حدثت عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، قال: لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة، كلم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيب أهله عنده، فأبى ابن عمر أن يفعل، وكلم علي بن الحسين،



وقال: يا أبا الحسن، إن لي رحماً، وحرمي تكون مع حرملك، فقال: افعل، فبعث بحرمة إلى علي بن الحسين..^٩

إلا الإمام زين العابدين فلم يتجرأ على الاساءة إليه وهذا دليل على الهيمنة للإمام علي بن الحسين في حياته الشريفة
«تعاليم الإنسانية والرحمة»

(.. وفي أحد الأيام مرَّ الإمام عليه السلام على بعض المجذومين وكان عليه السلام راكباً على حمار وهم يتغذون، فدعوه إلى الغذاء فقال عليه السلام: «إني صائم ولولا أي صائم لفعلت» فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع وأمر أن يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغذوا عنده وتغذى معهم..^{١٠}

يشهد التاريخ أن الإمام علي بن الحسين كان معروفاً بتعليمه قيم الرحمة والشفقة على البشرية، قدّم دروساً مؤثرة عن أهمية المحبة والإحسان والعدل في تعاملنا مع الآخرين وتعزيز السلام والتعايش المشترك بين مختلف الثقافات والأديان.

«اقتران عمل الخير مع الصبر والعبادة»

وروي أن الإمام السجاد عليه السلام كان يخرج بالليل متنكراً من دون أن يعرفه أحد ويترك أبواب بعض أقربائه ويساعده مالياً، وكان الشخص يأخذ المال ويقول: لكن علي بن الحسين لا يصلني لا جزاه الله عني خيراً، فيسمع الإمام ذلك ويصبر عليه ولم يعرفه بنفسه.

وبعد استشهاد الإمام السجاد عليه السلام انقطع الخير عن الرجل فعرف أن الشخص المحسن الذي لم يكن يعرفه كان هو الإمام السجاد عليه السلام، عندها جاء إلى قبره وبكى بحسرة وندم على ما فرطه في حق الإمام..^{١١}

كان عمل الإمام عليه السلام مقترناً مع الصبر والعبادة وهذه غاية اجتماعية مهمة، برغم ما تعرض له من مآسٍ وظروف صعبة في حياته من قبل الحكم

العباسي، ولم يترك الأذى يؤثر لا على إيمانه ولا حتى على تواصله مع المجتمع، بل كان يستخدم العبادة كطريقة للاقتراب من الله ولفت انتباه الأمة مع تعزيز رأس المال الروحي في الفرد والمجتمع.

منهج الإمام السجاد عليه السلام في توصيل رسالة الإسلام كان مميزاً وفريداً، حيث جعل الدين الإسلامي ملائماً لجميع الأفراد ومبادئه وقيمه قابلة للتطبيق في حياتهم اليومية، يمكن من خلال التحليل الاجتماعي من سيرة حياته وتعاليمه القيمة مثل التعاطف والتكاتف والتحسس للأفراد، نكون بذلك قد ترجمنا رسالته إلى أرض الواقع ونشرناها بين أرجاء المعمورة للارتقاء بالواقع الإنساني، هدفنا مساهمين بنشر رسالة الإسلام بطريقة فعّالة ومؤثرة.



الختامة:

الإمام السجاد عليه السلام كان له دور كبير في استعادة الأمة إلى ركب التطور الإسلامي من خلال اعتماده على استراتيجيات متعددة. واستراتيجياته تأتي في الخدمة العامة لترقية العدل والمساواة والتعايش السلمي في المجتمع.

إحدى استراتيجيات الإمام السجاد عليه السلام هي تعزيز التعليم والتثقيف الإسلامي، قام بتأليف الأدعية والأذكار الجميلة التي تعلّم الناس قيم الصبر والحمد والحقوق الإنسانية، كما نشر معارفه ومناهجه الدينية من خلال الكتابة والتدريس.

تطبيق القيم الإنسانية في المجتمع كان جزءاً آخر من استراتيجيات الإمام السجاد عليه السلام، ودعا المسلمين إلى التعاون والتسامح ومعاملة الآخرين بالإنصاف والعدل، بنى جسوراً بين الأطياف المختلفة للمجتمع لتعزيز روح التعاون والتفاهم.

كان للإمام السجاد عليه السلام علاقة قوية بالمظلومين والفقراء والمحتاجين. رعى من ناحية الفقراء والأيتام وكل طبقة، وتعايشه مع الفقراء، وأعطى المساعدات للمحتاجين.

إحدى أيضاً استراتيجيات الإمام السجاد عليه السلام كانت تفسير الأخلاق والقيم الأخلاقية الإسلامية للناس، قام بشرح أبعاد الأخلاق الإسلامية وأهميتها في تشكيل سلوك الناس وتعزيز وحدة المجتمع.

باستخدام هذه الاستراتيجيات، نجح الإمام السجاد عليه السلام في إعادة الأمة إلى ركب التطور الإسلامي وتعزيز قيمها العظيمة، علينا أن نأخذ بالتطبيق على أرض الواقع تلك المفاهيم من حياته الشريفة ونسعى جميعاً لتطبيق المنهج الانساني للاستراتيجيات في حياتنا اليومية لتحقيق التطور والتقدم في العالم الإسلامي.

النتيجة

- * المبتكرات الفكرية والثقافية للإمام السجاد (عليه السلام) في نقل رسالة الإسلام للعالم.
- * تغيير النمط الثقافي للأمة عن طريق الأسلوب الدعائي.
- * منهج الإمام السجاد (عليه السلام) في توصيل رسالة الإسلام من خلال مبادئه وقيمه.
- * الإمام السجاد (عليه السلام) وآلياته المبتكرة في توصيل رسالة الإسلام.
- * المنهج القرآني للإمام زين العابدين في عودة الأمة بناءً على النصوص القرآنية.
- * إعادة واقع المجتمع في نفوسه إلى القرآن الكريم.
- * تطوير الإعلام الإسلامي ليكون فعالاً في نشر رسالة الإسلام.
- * تحقيق التواصل العالمي لنشر قيم الإسلام والتعريف به.
- * تكوين شراكات دولية لتعزيز التبادل الثقافي الإسلامي.
- * تعزيز التعليم الإسلامي المبتكر والتدريب على القيم الإسلامية.
- * استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة في نشر الإسلام بشكل إبداعي وجذاب.
- * توظيف الفنون والثقافات المتنوعة في توصيل رسالة الإسلام للعالم.
- * تطوير مناهج تعليمية مبتكرة تعزز التفاهم والتسامح بين الثقافات المختلفة.
- * دعم الفرص للنماذج الواعية والثقافية التي تبذل في تعزيز تواصل الأمم والشعوب المختلفة.
- * حياة الإمام (عليه السلام) رسالة لتشجيع البحث العلمي والفكري في المجالات الإسلامية وتبادل النتائج والاكتشافات.

التوصيات

توجد عدة توصيات مهمة تم تبنيها من قبل الإمام السجاد (عليه السلام) لإعادة الأمة إلى ركب التطور الإسلامي. هنا بعض التوصيات الرئيسية:

١. تعزيز التعليم والثقافة الإسلامية: يجب تعزيز التعليم الإسلامي ونشر الأفكار والقيم الإسلامية الصحيحة بين الأفراد. يمكن القيام بذلك من خلال تطوير المناهج الدراسية التي تركز على التعاليم الإسلامية وتوفير فرص التعلم المستمر.

٢. تعزيز الوعي الديني: يجب زيادة الوعي الديني بين الأفراد وتشجيعهم على البحث والدراسة لفهم الإسلام بشكل أفضل. يمكن تحقيق ذلك من خلال توفير الموارد والمناسبات لتعزيز فهم وتطبيق القيم الإسلامية الحقيقية.

٣. التركيز على العدالة الاجتماعية والمشاركة السياسية: يجب أن يكون للأمة الإسلامية مشاركة فعالة في الحياة السياسية والاجتماعية للمجتمع. ينبغي أن تكون العدالة هدفاً رئيسياً للأمة، حيث يتم تشجيع توافر الحقوق والموارد لجميع أفراد المجتمع.

٤. تعزيز الوحدة والتعاون بين المسلمين: ينبغي تعزيز الوحدة بين المسلمين وتحقيق التعاون والتكاتف في جميع الأصعدة. يمكن تحقيق ذلك من خلال تنظيم الفعاليات والندوات التوعوية التي تسهم في تعزيز الروح الوجدانية والتواصل الإيجابي بين المسلمين.

٥. دراسة سيرة الإمام (عليه السلام) من الناحية الإنسانية ومحاولة دمجها واقعياً من حيث النهوض بها اجتماعياً.

الهوامش

- ١- أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح: ٥/ ١٣٠، سنة الطبع: ١٤١١، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: علي شيري (ماجستير في التاريخ الإسلامي)، الطبعة: الأولى.
- ٢- الشيخ المفيد، الإرشاد: ٢/ ١٢٠، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، الطبعة: الثانية.
- ٣- الموفق الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ٢/ ٧٨، سنة الطبع: ١٤٢٣ ق، الناشر: انوار الهدى - قم، الطبعة: الثانية.
- ٤- الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية: ١٣٨، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: دفتر نشر الهادي، الطبعة: الأولى.
- ٥- الحر العاملي، وسائل الشيعة (آل البيت): ١١/ ٤٣٠، سنة الطبع: ١٤١٤، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث بقم المشرفة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة: الثانية.
- ٦- الشيخ الصدوق، الخصال: ٥١٨، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري.
- ٧- الشيخ الصدوق، الأمالي: ٣١٩، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى.
- ٨- العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ١٣٧-١٣٨، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة.
- ٩- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) (دار المعارف): ٥/ ٤٨٥، سنة الطبع: ١٣٨٧ هـ. ق، الناشر: دار المعارف - بيروت، الطبعة: الثانية.
- ١٠- الشيخ الكليني، الكافي: ٢/ ١٢٣، سنة الطبع: ١٣٦٥ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الرابعة.
- ١١- علي بن أبي الفتح الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ٣١٨، الناشر: دار الأضواء - بيروت - لبنان.

المصادر والمراجع:

- * أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح، سنة الطبع: ١٤١١، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: علي شيري (ماجستير في التاريخ الإسلامي)، الطبعة: الأولى.
- * الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: دفتر نشر الهادي، الطبعة: الأولى.
- * الحر العاملي، وسائل الشيعة (آل البيت)، سنة الطبع: ١٤١٤، الناشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بقم المشرفة، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة: الثانية.
- * الشيخ الصدوق، الأمالي، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى.
- * الشيخ الصدوق، الخصال، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري.
- * الشيخ الكليني، الكافي، سنة الطبع: ١٣٦٥ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الرابعة.
- * الشيخ المفيد، الإرشاد، سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لتحقيق التراث، الطبعة: الثانية.
- * العلامة المجلسي، بحار الأنوار، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة.
- * علي بن أبي الفتح الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، الناشر: دار الأضواء - بيروت - لبنان.
- * محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) (دار المعارف)، سنة الطبع: ١٣٨٧ هـ. ق، الناشر: دار المعارف - بيروت، الطبعة: الثانية.
- * الموفق الخوارزمي، مقتل الحسين (عليه السلام)، سنة الطبع: ١٤٢٣ ق، الناشر: انوار الهدى - قم، الطبعة: الثانية.

التربية العقدية في سلوك الآل المحمدي (الامام زين العابدين السجاد عليه السلام) (إنموذجاً)

أ.د. تيسير أحمد عبل آل عايد
كلية القانون - جامعة البصرة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام محمد المصطفى
وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبة المنتجبين...
أولاً / أهمية الدراسة :

التربية هي عملية تنمية وظائف الإنسان الجسمية والخلقية والعقلية حتى
تتكمّل من خلال التثقيف والتدريب التي من أهم خصائصها أنها تكاملية.
تعتبر اجتماعية وفردية. تختلف باختلاف الأماكن والأزمان. تعدّ إنسانية
ودائمة التطور، أما أهم وظائفها في نقل أنماط السلوك من المجتمع إلى الأفراد
بعد تعديل الأخطاء أضف لذلك تغيير وتعديل التراث الثقافي من خلال
إضافة المهم وحذف غير المهم من خلال إكساب الأفراد الخبرات الاجتماعية
التي تنبع من القيم، والمعتقدات، والتقاليد وسلوك المجموعات التي يعيش
بينها، هذا من ضمن المنظور النفسي لمفهوم التربية، الذي تعد قاصراً عن
رؤى المنهج الإسلامي الذي كان مناره النبي الأكرم عليه السلام كما وصفه جل وعلا في
محكم كتابه العزيز ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾،
وعنوانه الآل المحمدي عليه السلام أعلام الهدى وسفينة النجاة في رسم منهج تربوي
قويم لا يعتريه الباطل في بناء الإنسان المسلم، والمتبع لأقوالهم الشريفة يجد



أنهم رسموا المنهج الصحيح فيما يخص التربية الدينية بصورة عامة والعقدية خاصة، من هنا كانت الحاجة ملحة إلى اتباع النهج التربوي المستنبط من فكر أهل البيت (عليه السلام) عامة وفكر الإمام السجاد (عليه السلام) خاصة.

ثانياً / اختيار الدراسة :

قد أثرى الإمام زين العابدين المجتمع الإسلامي، بل الفكر البشري، بكنوز العلم والحكمة عن طريق الدعاء، فحينما مُنِعَ من إلقاء توجيهاته ودروسه عن طريق المنبر، تحوّل إلى المحراب ليبيّث علومه ومبادئه في الصحيفة السجادية المعروفة بزبور آل محمد، ولم تكن تلك الأدعية للرهبانية والتصوف واعتزال المجتمع، بل هي كنوز معرفية ترسم للمجتمع الإسلامي البرامج العقائدية والأخلاقية.

وهذه الشخصية التربوية والقائد الإسلامي المحنك الذي جمع بين القابلية العلمية الراقية، والفضل والشرف السامق، والقدرة على جذب القلوب وامتلاكها، ومواجهة المشاكل والوقوف لصدّها بكلّ صبر وتؤدّة وهدوء، كل هذا تمحور في بناء الخلق التربوي العقدي في تركيز بناء الشخصية الإسلامية ذات الحصن العقائدي بهدف تحصين العقول والنفوس من الانحرافات التي يثيرها علماء السوء الذين كانوا يبعدون الناس عن الإسلام الحقّ، ويكذّرون ينابيعه وروافده بالشبه والأباطيل.

فكانت الجهود التي بذلها الإمام زين العابدين (عليه السلام) في تحركه التربوي في جمع صفوف المؤمنين، والتركيز على تربيتهم روحياً، وتعليمهم الإسلام، وإطلاعهم على أنقى المصادر الموثوقة للفكر الإسلامي، ومن خلال روافده الثروة الغنيّة، بهدف وصل الحلقات، كي لا تنقطع سلسلة عقد الإيمان، ولا تنفرط أسس العقيدة.

فرسم لنا المسار الصحيح للتربية وحدد معالمها بصورة عامة والتربية العقدية خاصة من خلال الإرث الأخلاقي الذي خلفه كي يقرر المفاهيم الصالحة والسامية في الواقع الإنساني، ومن هنا وقد اقتضت طبيعة البحث أنه ينقسم إلى مبحثين تناول الأول منها مفهوم العقيدة الإسلامية الصحيحة والمبحث الثاني منهج الإمام السجاد عليه السلام في خلق الأساس العقائدي في عقيدة الجبر والتشبيه والتجسيم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

ثالثاً/ مشكلة الدراسة :

تكمن مشكلة الدراسة في عدة تساؤلات وهي :

- * هل التشريع الإسلامي وضع اسساً تربوية، وهل الإسلام تناول موضوعات للتربية بتفرعاتها اليوم
- * هل التربية العقدية كانت سنة نبوية أم هي تشريع سماوي قرآني.
- * هل الإمام زين العابدين عليه السلام رسم منهجاً تربوياً عقائدياً.

رابعاً/ منهجية الدراسة:

اعتمدت بدراستي المنهج الموضوعي الذي يعتمد على طرح الموضوعات ومن ثم تناول مفرداتها ودراستها، اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى مبحثين تناول الأول منها مفهوم التربية عامة و التربية الإسلامية خاصة، والمبحث الثاني منهج الإمام السجاد عليه السلام في خلق الأساس العقائدي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم التربية عامة و التربية الإسلامية خاصة

للتربية مفهوم عام وخاص بما تناوله فقهاء الشريعة الإسلامية، وكذلك مفهوم لغوي واصطلاحي، وبعد ما تقدّم فقد اقتضت دراسة المبحث أن يكون بمطلبين وهما:

المطلب الأول

ماهية التربية بشكلها العام

يرى بعض الدارسين أن المنهج هو (نظام الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة ينبع من التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، ويهدف إلى تربية الإنسان وإيصاله إلى درجة كماله التي تمكن في القيام بواجبات الخلافة في الأرض عن طريق إعمارها وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله).

وعندما تتناول المفاهيم بشكلها العام، كان لا بد من التطرق إلى التعريف اللغوي والاصطلاحي وعليه وجب أن نضع فرعين كما يلي:

الفرع الأول مفهوم التربية: ومن خلال المفهوم يجب تناول التعريف:

أولاً تعريف التربية لغة: إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية، وجدنا لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاثة:

الأصل الأول: ربا يربو بمعنى زاد ونما، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى ﴿وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾.

الأصل الثاني: ربي يربي على وزن خفي يخفى، بمعنى نشأ وترعرع.

الأصل الثالث: ربّ يربّ على وزن مدّ يمدّ، بمعنى أصلحه وتولّى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه.

وخلاصة ذلك أن مفهوم التربية اللغوي انحصر في معاني النمو والنشأة والإصلاح. وهي معاني يكمل بعضها الآخر؛ مما يؤدي إلى المفهوم الشامل للتربية. ثانياً تعريف التربية اصطلاحاً: نلاحظ اختلاف تعريف التربية اصطلاحاً باختلاف المنطلقات الفلسفية، التي تسلكها الجماعات الإنسانية في تدريب أجيالها، وإرساء قيمها ومعتقداتها، وباختلاف الآراء حول مفهوم العملية التربوية وطرقها ووسائلها، فعرّفها بعض علماء الغرب مثل أفلاطون بأنها إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال.

فيرى أرسطو: أن التربية إعداد العقل لكسب العلم كما تعدّ الأرض للنبات والزرع.

ويرى المفكر البريطاني سبنسر أن التربية إعداد الإنسان ليحيى حياة كاملة. ويرى جون ديوي أن التربية هي الحياة نفسها وليس مجرد إعداد الحياة.

وعرفها بعض العلماء المسلمين مثل ابن سينا عادةً، أي: فعل الشيء الواحد مراراً.

يرى ابن خلدون أن التربية عملية تنشئة اجتماعية للفرد لتعويده بعض العادات والقيم السائدة في المجتمع وإكسابه المعلومات والمعارف الموجودة في المجتمع.

المطلب الثاني

مفهوم التربية الإسلامية

وفق ما تمّ تعريفه سابقاً نستنبط أن الأساس الذي توضع لبناته الأولى هي الأسرة، وفيما يتعلّق بالأسرة، فهي المحيط التربوي الأساسي المسؤول عن تربية الأبناء تربية صالحة حتى يصبحوا عناصر فعّالة في تطوّر الإنسانية وخدمة المجتمع، ونتيجة هذه الأهمية أبدى أهل البيت (عليه السلام) توجيهاً لهم بهذا الخصوص ومنها مقولة الإمام زين العابدين (عليه السلام): (وأما حقّ ولدك، فتعلم أنه منك ومضافٌ إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤولٌ عما وليّته من حسن الأدب والدلالة على ربه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه ولا قوة إلا بالله) .

وعليه تناول المطلب نهجاً مميزاً بتعريف التربية الإسلامية إذ تطرق للمرادفات في التراث الإسلامية، ومن ثم الخلاصة بتعريف التربية كما يلي:

الفرع الأول / مرادفات مصطلح التربية في تراثنا الإسلامي :

لم يرد مصطلح « التربية الإسلامية » بهذا اللفظ في القرآن الكريم، ولا في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكنه ورد بألفاظ أخرى تدلّ في معناها على ذلك . كما أن هذا المصطلح لم يُستعمل في تراثنا الإسلامي لاسيما القديم منه، إلا أننا نجد إشارات دالّة على المعنى على سبيل المثال لا الحصر، قول الإمام السجاد (عليه السلام): (جالسوا أهل الدين والمعرفة فإن لم تقدروا عليهم، فالوحدة أنس وأسلم، فإن أبيتم إلا مجالسة الناس، فجالسوا أهل المروّات، فإنهم لا يرفثون في مجالسهم)، فالحثّ هنا واضح على مجالسة الصالحين ومصاحبة أصحاب النصح والإرشاد، أما ما يتعلّق بالمجالس، فهي بيئة اجتماعية متكاملة لها أثرها في التربية؛ لأنها تخلق أجواء تربوية وفكرية وسلوكية

تؤثر على المشاركين فيها وتتنوع هذه المجالس بتنوع الظروف والأوضاع كمجالس العلماء ومجالس الصالحين ومجالس حفظ القرآن الكريم ومجالس العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) كذلك مجالس الاحتفال بولادة المعصومين (عليهم السلام) وغيرها، وقد نبه الإمام زين العابدين (عليه السلام) على أهمية هذه المجالس في التربية في قوله: (مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح)، وكذلك نجد إشاره بعض من كتب في المجال التربوي بألفاظٍ أو مصطلحاتٍ أخرى قد تؤدي المعنى المقصود؛ أو تكون قريبةً منه جميعها تتفق في أن « كلمة التربية بمفهومها الاصطلاحي من الكلمات الحديثة التي ظهرت في السنوات الأخيرة مرتبطة بحركة التجديد التربوي في البلاد العربية في الربع الثاني من القرن العشرين؛ ولذلك لا نجد لها استخداماً في المصادر العربية القديمة »، أما الألفاظ والمصطلحات التي كانت تُستخدم في كتابات السلف للدلالة على معنى التربية؛ فنورد بعضاً منها:

٤) **مصطلح التهذيب**: ويُقصد به تهذيب النفس البشرية وتنقيتها، وتسويتها بالتربية على فضائل الأعمال ومحاسن الأقوال. فقد ورد بهذا المفهوم عند كثير من العلماء نذكر بعضها:

* «رَجُلٌ مُهَذَّبٌ: مُطَهَّرُ الْأَخْلَاقِ».

* «وَهَذَّبَ الصَّبِيَّ رَبَّاهُ تَرْبِيَةً صَالِحَةً خَالِصَةً مِنَ الشَّوَابِ» .

٥) **مصطلح التطهير**: ويُقصد به تنزيه النفس عن الأدناس والدنيا؛ وهي كل قولٍ أو فعلٍ قبيح . وحيث إن للتطهير معنيين أحدهما حسيٌّ ماديٌّ والآخر معنوي؛ فإن المقصود به هنا المعنى المعنوي الذي يُقصد به تطهير سلوك الإنسان من كل فعلٍ أو قولٍ مشين .

٦) **مصطلح التزكية** : ويأتي بمعنى التطهير، ولعل المقصود بذلك تنمية وتطهير النفس البشرية بعامّةٍ من كل ما لا يليق بها من الصفات السيئة، والخصال القبيحة، ظاهرةً كانت أو باطنة . قال تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ . وقد جاء في تفسيرها أن المقصود بقوله تعالى : « ويزكيكم » في هذه الآية : « أي يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهاها عن الأخلاق الرذيلة » .

وقال تعالى : ﴿ قد أفلح من زكّاها ﴾ . وقد جاء في بيان معنى هذه الآية : « وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل » . ومعنى هذا أن تزكية النفس تعني تربيتها على الفضائل وتطهيرها من الرذائل .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مصطلح (التزكية) يُعد أكثر المصطلحات قرباً في معناه لمصطلح « التربية الإسلامية » لاسيما وأنه قد ورد في بعض آيات القرآن الكريم دالاً على معنى التربية ؛ ولكونه يدل على محاسبة النفس والعناية بها، والعمل على الارتقاء بجميع جوانبها (الروحية، والجسمية، والعقلية) إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات. وهو ما يؤكده (الغزالي) بقوله :

«..والتزكية، وهي أقرب الكلمات وأدناها على معنى التربية ؛ بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس، وتهذيب الطباع، وشد الإنسان إلى أعلى كلما حاولت المُثَبِّطات والهواجس أن تُسَفَّ به وتعوّج » .

١٠) **مصطلح الأخلاق** : وهو مصطلح يُقصد به إصلاح الأخلاق وتقويم ما انحرف من السلوك . وعلى الرغم من أن هذا المصطلح يهتم في الواقع بجانب من جوانب التربية ؛ إلا أنه قد يُستخدم للدلالة على التربية بعامّة . ومن استخدم هذا المصطلح أبو بكر الأَجْرِي (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) في كتابه (أخلاق العلماء) .

وهنا يجدر بنا أن نُشير إلى أن معظم الكتابات في التربية الإسلامية عند سلفنا كان مرتبطاً بمرحلة الطفولة عند الإنسان، وهو ما يؤكد البعض بقولهم :
« إن لفظ التربية في الكتابات الإسلامية يرتبط أولاً بمرحلة الطفولة، بينما لفظ التربية في الحقل التربوي يرتبط بجميع مراحل العمر التي يمر بها الإنسان » .
يضاف إلى ذلك ما يُلاحظ من اهتمام وعناية تلك الكتابات التراثية غالباً بالجانب الأخلاقي عند الإنسان، وهو ما يتضح في كثرة كتاباتهم عن الأدب والتأديب والأخلاق ونحو ذلك.

من ذلك كله يمكن القول : إن معنى كلمة التربية يدور ويتركز في العناية التامة، والرعاية الكاملة لمختلف جوانب شخصية الإنسان في مختلف مراحل حياته ؛ وفي كل شأنٍ من شؤونها . وهو ما يُشير إليه بقوله :
« من هذه التعريفات اللغوية يتضح أن التربية تدور حول الإصلاح، والقيام بأمر المتربي، وتعهده، ورعايته بما يُنميه . وأن المفهوم التربوي مرتبط بجميع تلك المعاني ».

والخلاصة : أن المرادفات التي استخدمها السلف الصالح للدلالة على معنى التربية تدور حول تنمية، وتنشئة، ورعاية النفس البشرية وسياستها، والعمل على إصلاحها، وتهذيبها، وتأديبها، وتركيتها، والحرص على تعليمها، ونصحها وإرشادها ؛ حتى يتحقق التكيف المطلوب، والتفاعل الإيجابي لجميع جوانبها المختلفة ؛ مع ما حولها، ومن حولها من كائنات ومكونات.

الفرع الثاني / تعريف التربية الإسلامية :

اختلف أيضاً التربويون المعاصرون في تعريف التربية، وأن تعريفات الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بالكتابة والبحث في ميدان التربية الإسلامية جاءت مختلفة رغم اتفاقهم في الإطار العام لها؛ إلا أنهم لم يصلوا إلى صيغة واحدة يتفقون عليها جميعاً لتعريف محدد وواضح لهذا المصطلح، ولعل ذلك راجع إلى اختلاف مشاربهم، وتباين تخصصاتهم، وتعدد وجهات نظرهم التفصيلية . وهو ما يُمكن أن نلاحظه في عرضنا التالي لبعض التعريفات التي اجتهد فيها أصحابها، نذكر منها :

« إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام » .
وعرّفت أيضاً : « النظام التربوي القائم على الإسلام بمعناه الشامل » .

وذهب البعض أن المقصود بالتربية الإسلامية : « ذلك النظام التربوي والتعليمي الذي يستهدف إيجاد إنسان القرآن والسنة أخلاقاً وسلوكاً مهما كانت حرفته أو مهنته » .

وأيضاً عرّفت أن « التربية الإسلامية هي التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام وتطبيقه كلياً في حياة الفرد والجماعة » .

وهنا يمكن القول بأن التعريفات السابقة تؤكد جميعاً على أن التربية الإسلامية نظامٌ تربويٌّ شاملٌ يهتم بإعداد الإنسان الصالح إعداداً متكاملًا دينياً ودنيوياً في ضوء مصادر الشريعة الإسلامية الرئيسة .

ما يخصّ منهج الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام التربوي، فعلى أن ننوّه إلى أن مرحلة الإمام السجاد كانت مرحلة عصيبة فهي مرحلة شهدت استشهاد الإمام الحسين عليه السلام على يد طاغية العصر يزيد بن معاوية، وما تلى ذلك من مجازر بحق محبّي أهل البيت عليه السلام، هذه الاحداث دفعت الإمام السجاد إلى

ابتكار طرق جديدة في الدعوة إلى الله ونشر تعاليم الدين الإسلامي بطريقة لا تلفت انتباه السلطة الحاكمة آنذاك ومن أساليب الإمام أنه ابتعد عن التدخل في الحياة السياسية بنحو مباشر وانتهاج أساليب الهدف منها تهيئة الأرضية المناسبة لقيام الثورة على الحكم الفاسد ومن تلك الأساليب ابتداعه للصحيفة السجادية التي يشير ظاهرها إلى أنها ادعية يتوجه بها المسلم إلى ربه طلباً للمغفرة والرحمة إلا أن باطنها ينطوي على شيء مهم جداً وهو كون الصحيفة السجادية تمثل برنامج عمل متكامل للحياة الإنسانية رسم فيها الإمام طريقة سير الإنسان في حياته وفق تعاليم السماء، أي أن هناك رمزية في الصحيفة السجادية تهدف إلى نبذ الظلم والتبعية لغير الله سبحانه وتعالى، ولعل كثرة بكاء الإمام السجاد على أبيه الحسين (عليه السلام) تمثل رسالة مهمة إلى الأمة التي فرطت بسيد الشهداء (عليه السلام) بأن عليهم أن يستنهضوا الهمم للأخذ بثأره من خلال عدم طاعة الظالم أو الخضوع لأوامره .

المبحث الثاني

منهج الإمام السجاد (عليه السلام) في خلق الأساس العقائدي

بنى الشيعة رؤاهم التربوية ومناهجهم التعليمية على أساس تصوّرهم العقائدي، حيث دمجوا ما بين الديني والدنيوي، لاعتبارهم أن التربية والتعليم الدينيين قادران على منع الانحراف عن المذهب والشرعية. فتربيتهم ومناهجهم عبارة عن «مجموعة من المفاهيم المترابطة في غطاء فكري واحد، مستندة في مبادئها وقيمها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة» وقد وضع الإمام علي (عليه السلام) اللبنة الأولى لركيزة الفكر التربوي عندهم، حيث تربي وتعلّم على يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي قال فيه «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»

وقد استطاع الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وهو في قيد المرض، ورهن الأسر الأموي والإقامة الجبرية، أن ينشر أهداف الثورة الكبرى التي فجرها أبوه سيد الشهداء (عليه السلام)، وذلك بالسعي إلى إصلاح المجتمع الإسلامي وفق التربية الإسلامية الرصينة، وبث روح التدين والأخلاق الفاضلة فيه؛ فتمكن أن ينشر الحياة في جسد الأمة الذي دبّت فيه أمارات الموت، بسبب ابتعاده عن قيم الإسلام، والاستسلام لسياسة التجهيل والتضليل الأموي لشل حركة المجتمع الإسلامي، وتعطيل تفكيره، وأخلد إلى الراحة وطلب العافية. وكانت الخطة التربوية الإصلاحية للإمام زين العابدين (عليه السلام) تعطي الأولوية لتدارك ما أصاب الأمة من ابتعادٍ عن القيم الروحية والعقائدية، وسلوك الاتجاه المادي البعيد عن كل ما يمتّ للآخرة بصلة. وذلك من خلال:

(١) انقطاعه إلى الله تعالى بالعبادة والمناجاة، حتى سمي لكثرة عبادته بـ(زين العابدين) و(سيد الساجدين) و(ذي الثنات)، ولم يعرف المسلمون في زمانه رجلاً أعبد منه ولا أزهّد. وظهرت آثار العبادة على جسده الشريف، وكان يطوي كثيراً من ليلائه في المسجد الحرام يؤدي نسكه وعباداته، وقد رويت مشاهد كثيرة لعبادة الإمام زين العابدين (عليه السلام) أدهشت من حوله، وأعادت إلى الناس صورة عبادة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجده أمير المؤمنين (عليه السلام).

وفي إحدى ليالي مناجاته مع ربه، كثر بكاءؤه، وعلا نحيبه، حتى خرّ مغشياً عليه؛ يقول طاووس اليماني الفقيه (فدنوت منه وثلّت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خدّه، فاستوى جالساً وقال: من ذا الذي أشغلني عن ذكر ربي؟ فقلت: أنا طاووس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفرع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون. أبوك الحسين بن علي، وأمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله؟ قال: والتفت إلي وقال: هيهات هيهات يا طاووس، دع عني حديث أبي وأمي وجدتي، خلق الله

الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلَفُحٌ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحِجُونَ﴾، والله لا ينفَعُ غداً إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح).

وما (المناجاة الخمسة عشر) إلا من رشحات نفسه القدسية، وفيها من فنون الدعوات، وآداب مخاطبة المعبود، ما لم يكن مألوفاً لدى عبّاد ذلك العصر، فضلاً عن اكتنازها لمطالب عالية في العقائد والأخلاق، وقد أثرى الإمام زين العابدين المجتمع الإسلامي، بل الفكر البشري، بكنوز العلم والحكمة عن طريق الدعاء، فحينما مُنِعَ من إلقاء توجيهاته ودروسه عن طريق المنبر، تحول إلى المحراب؛ ليث علمه ومبادئه في الصحيفة السجادية المعروفة بزبور آل محمد، ولم تكن تلك الأدعية للرهبانية والتصوف واعتزال المجتمع، بل هي كنوز معرفية ترسم للمجتمع الإسلامي البرامج العقائدية والأخلاقية.

٢) كثرة البرِّ والإحسان للمحتاجين وخصوصاً طبقة العبيد، فقد كان ﷺ يشفق عليهم كثيراً، وحفظت لنا النصوص التاريخية صوراً مشرقة في تعامله مع العبيد، وحرصه على تحريرهم من الرق والعبودية، حتى عدّ ذلك ظاهرة بارزة في حياة الإمام زين العابدين ﷺ. «وكان إذا دخل عليه شهر رمضان يكتب على غلمانه ذنوبهم، حتى إذا كان آخر ليلة دعاهم، ثم أظهر الكتاب وقال: يا فلان فعلت كذا ولم أؤذيك، فيقرون أجمع. فيقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين، ربك قد أحصى عليك ما عملت كما أحصيت علينا، ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، فاذكر ذل مقامك بين يدي ربك الذي لا يظلم مثقال ذرة وكفى بالله

شهيدا، فاعف واصفح عنيك المليك لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ويكي، ثم يقول: اذهبوا فقد عفوت عنكم واعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتني فاعتقهم، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً إلى أقل أو أكثر».

والحديث عن منهج الإمام التربوي يتوزع بين العقيدة والأخلاق والعبادات والدعاء والحقوق فكل هذه المسائل المهمة كان للإمام سهم فيها من خلال مواعظه ونصائحه التي نقلتها لنا كتب الرواية، وبعدما تقدم ستقسم دراسة المبحث للتربية العقدية عند الإمام السجاد عليه السلام إلى مطلبين :

المطلب الأول

التربية العقدية عند الإمام السجاد عليه السلام عقيدة الجبر .

المتواتر عن أهل البيت الذي تلتزم به الشيعة الإمامية هو لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين..

وكما يقول الإمام أن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً.. ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً.

وكان من أخطر ما روجوه بين الأمة وأكدوا على إشاعته هو فكرة « الجبر الإلهي » بهدف التمكن من السلطة التامة على مصير الناس، والهيمنة على الأفكار بعد الأجسام، فإن الأمة إذا اعتقدت بالجبر، فذلك يعني: أن كل ما يجري عليها فهو من الله وبإذنه، فما يقوم به الخليفة من فساد وظلم وجور

وقتل ونهب وغصب، فهو من الله - تعالى عن ذلك - استكانت الأمة للظالم ولتعدياته، ولم تحاول أن تتخلص من سيطرته، ولا دفع عدوانه، بل لم تفكر في الخلاص منه، لأن ذلك يكون مخالفة لإرادة الله ومشئته، فالخليفة والأمير والحاكم والوالي إنما ينفذون إرادة الله، وهم يد الله على عباده! فكيف يرجى من أمة كهذه أن تقوم بوجه سلطة الظالم واعتدائه وتجاوزاته. فقد أظهر معاوية أن ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه، ليجعله عذراً في ما يأتيه ويوهم أنه مصيب فيه، وأن الله جعله إماماً وولاه الأمر، وفشا ذلك في ملوك بني أمية. وكان الأمويون يقولون بالجبر، ولقد قاوم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فكرة الجبر بكل قوة ووضوح منذ زمان أمير المؤمنين (عليه السلام).

فكان معاوية يقول في خطبه: «لو لم يرني الله أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإياه ولو كره الله تعالى ما نحن فيه لغيره». وقال معاوية في بعض خطبه: «أنا عامل من عمال الله أعطي من أعطاه الله وأمنع من منعه الله ولو كره الله أمراً لغيره»، فأنكر عليه عبادة بن الصامت وغيره من الصحابة. نقله ابن المرتضى وقال: هذا صريح الجبر، وهذا هو الذي شدد قبضة الامويين على البلاد والعباد، ومكّنهم من قتل أبي عبد الله الحسين سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكل جرأة، ومن دون نكير! وقد أظهر يزيد، أن الحسين (عليه السلام) إنما قتله الله! فأعلن ذلك في مجلسه وأمام الناس، لكن الإمام السجاد (عليه السلام) لم يترك ذلك يمرّ بلا ردّ، فانبرى له وقال ليزيد: قتل أبي الناس، وقبل ذلك في الكوفة قال عبيد الله: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال الإمام (عليه السلام) (الله يتوفى الأنفس حين موتها)، فغضب عبيد الله وقال: وبك جرأة لجوابي، وفيك بقية للردّ عليّ، اذهبوا به فاضربوا عنقه، وكان الإمام السجاد (عليه السلام) وهو أسير، يعاني آلام الجرح والمرض، لم يتركه يلحد في دين الله، ويمرّر فكرة الجبر أمامه، على الناس البسطاء، الفارغين من المعارف، التي نصّ عليها القرآن بوضوح،

التذكير بالفرق بين الوفاة للأنفس واسترجاعها الذي نسب في القرآن إلى الله حين حلول الأجل والموت حتف الأنف، وبين القتل الذي هو إزهاق الروح من قِبَل القاتل قبل حلول الموت المذكور، إن تحدي الحكام وفي مجالسهم، وبهذه الصراحة ينبيء عن شجاعة وبطولة، وهو تحدٍّ للسلطة أكثر من أن يكون ردًّا على انحراف في العقيدة فقط، فكثير ما نرى الإمام السجاد (عليه السلام) يفند عقيدة الجبر ويرد عن أخطر سؤال في الجبر الذي حاول بنو أمية تشييته في عقول العامة، فكان السؤال: أيقدر يصيب الناس ما أصابهم، أم يعمل؟ فيجيب (عليه السلام) بقوله: إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد... والله فيه العون لعباده الصالحين. ثم قال (عليه السلام): ألا، من أجور الناس من رأى جوره عدلاً، وعدل المهتدي جوراً.

ومن الشواهد الأخرى على سلوكه التربوي الخاص بالعقيدة دعاؤه واستعاذته من سيء الاخلاق ومذام الأفعال ومكاره الأمور في قوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحَرَصِ، وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ وَغَلْبَةِ الْحَسَدِ وَضَعْفِ الصَّبْرِ وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ وَشَكَاكِسَةِ الْخُلُقِ، وَإِلْحَاحِ الشَّهْوَةِ، وَمَلَكََةِ الْحُمِيَّةِ، وَمُتَابَعَةِ الْهَوَى، وَمُخَالَفَةِ الْهُدَى، وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَتَعَاطِي الْكُلْفَةِ، وَإِثَارِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِضْرَارِ عَلَى الْمَأْتَمِ، وَاسْتِصْغَارِ الْمُعْصِيَةِ، وَاسْتِكْثَارِ الطَّاعَةِ ...).

المطلب الثاني

التربية العقدية عند الإمام السجاد (عليه السلام) عقيدة التشبيه والتجسيم

التجسيم: هو اعتقاد أن الله جسم، والجسم لغة: يدل على التجمّع، والتشخيص والتركيب، وإن الشيعة ينفون التشبيه والتجسيم والرؤية ونسبة القبح إلى الله كما ينفون الجهة والتكلم.. يقول الإمام علي عن الرؤية: «لم تره العيون بمشاهدة الأبصار. ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، وقال

الصادق: « إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون بل هو خالق الزمان . والمكان . والحركة والسكون والانتقال ، والأمامية ينكرون التجسيم أشد الإنكار ويؤولون اليد في الآيات بالقدرة والعرش بالاستيلاء والوجه بالذات ومجىء الله بمجىء أمره .

وقد تجرأ أعداء الإسلام - بعد سيطرتهم على الحكم على المساس بأساس العقيدة الإسلامية، وهو التوحيد الإلهي، وذلك بإدخال شبه التجسيم والتشبيه في أذهان العامة، لإبعادهم عن الحق، وجرّهم إلى صنمىة الجاهليّة، ولقد استغلّ الأعداء جهل الناس، وبعدهم عن المعارف، حتّى اللغة العربيّة! فموّهوا عليهم النصوص المحتوية على ألفاظ الأعضاء، كاليد والعين، مضافة في ظاهرها إلى الله تعالى، وتفسيرها بمعانيها المعروفة عند البشر، بينما هي مجازات مألوفة عند فصحاء العرب في شعرهم ونثرهم، يعبرون باليد عن القوّة والقدرة، وبالعين عن البصيرة والتدبير، وهكذا، وقد قاوم الإسلام منذ البداية هذه الأفكار المنافية للتوحيد والتنزيه، وقام الرسول ﷺ والأئمّة الأطهار بمقاومتها وإبطال شبهها، وفضح أغراض ناشريها ودعاتها.

وفي عهد الإمام السجاد عليه السلام، وبعد أن استشرى الوباء الأموي بالسيطرة التامة، كان أمر هؤلاء الملحدین قد استفحل، وتجاثروا على الإعلان عن هذه الأفكار بكل وقاحة، في المجالس العامة، حتى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت مهمّة الإمام السجاد عليه السلام حساسة جداً، لكونه ممثلاً لأهل البيت عليه السلام، بل الرجل الوحيد ذا الارتباط الوثيق بمصادر المعرفة الإسلامية بأقرب الطرق وأوثقها، وبأصح الأسانيد، مصحوباً بالإخلاص لهذا الدين وأهله، وعمق التفكير وقوّته، وبالشكل الذي ليس لأحد إنكار ذلك أو معارضته .

ومع ما كان عليه الإمام السَّجَّاد عليه السلام من قَلَّةِ الناصر، فقد وقف أمام هذا التيار الإلحادي الهدَّام، وأقام بأدلِّته وبياناته سدًّا منيعاً في وجه إحياء الوثنية

من جديد ! فقام الإمام بعرض النصوص الواضحة في التعبير عن الحق، والناصعة الدلالة على التوحيد والتنزيه، مدعومة بقوة الاستدلال العقلي، وكشف عن التصوّر الإسلامي الصحيح، وشهر سيف الحق والعلم والعقل على تلك الشبه الباطلة : منها ما جاء في الحديث أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان في مسجد الرسول ﷺ ذات يوم، إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقه، ففزع لذلك، وارتاع له، ونهض حتى أتى قبر رسول الله ﷺ، فوقف عنده، ورفع صوته يدعو ربّه، فقال في دعائه :

« إلهي بدت قدرتك، ولم تبد هيبة جلالك، فجهلوك، وقدرّوك بالتقدير على غير ما أنت به مشبّهوك، وأنا بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شيء يا إلهي ولن يدركوك، فظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك، لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي مندوحة عن أن يتأولوك، بل ساووك بخلقك، فمن ثمّ لم يعرفوك. واتخذوا بعض آياتك ربّاً، فبذلك وصفوك، فتعاليت يا إلهي عمّا به المشبّهون نعتوك » .

فوجود الإمام (عليه السلام) في المسجد النبوي، وإظهاره الفزع من ذلك التشبيه، وارتياحه لذلك الكفر المعلن، ونهوضه، والتجاؤه إلى القبر الشريف، ورفع صوته بالدعاء ... كلّ ذلك، الذي جلب انتباه الراوي، ولا بدّ أنه كان واضحاً للجميع، إعلان منه (عليه السلام) للاستنكار على ذلك القول، وأولئك القوم الذين تعمّدوا الحضور في المسجد والتجروء على إعلان ذلك الإلحاد والكفر، وهو تحدّ صارخ من الإمام (عليه السلام) للسياسة التي انتهجتها الدولة وكانت وراءها بلا ريب، وإلا، فمن يجرؤ على إعلان هذه الفكرة المنافية للتوحيد لولا دعم الحكومة، ولو بالسكوت !

إنّ قيام الإمام السجّاد (عليه السلام) بهذه المعارضة الصريحة وبهذا الوضوح يعطي للمواجهة بعداً آخر، أكثر من مجرد البحث العلمي، والنقاش العقيدي والفكري، إنّّه بعد التحدي للدولة التي كانت تروّج لفكرة التجسيم والتشبيه، وتفسح

المجال للإعلان بها في مكان مقدّس مثل الحرم النبوي الشريف، في قاعدة الإسلام وعاصمته العلميّة، المدينة المنورة .

جاء في الحديث أنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) ذات يوم، إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقه، ففزع لذلك، وارتاع له، ونهض حتّى أتى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فوقف عنده، ورفع صوته يدعور به، فقال في دعائه :

« إلهي بدت قدرتك، ولم تبدهيبة جلالك، فجهلوك، وقدرّوك بالتقدير على غير ما أنت به مشبّهوك، وأنا بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شيء يا إلهي ولن يدركوك، فظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك، لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي مندوحة عن أن يتأولوك، بل ساووك بخلقك، فمن ثمّ لم يعرفوك، واتّخذوا بعض آياتك ربّاً، فبذلك وصفوك. فتعاليت يا إلهي عمّا به المشبّهون نعتوك » .

فوجود الإمام (عليه السلام) في المسجد النبوي، وإظهاره الفزع من ذلك التشبيه، وارتياعه لذلك الكفر المعلن، ونهوضه، والتجاؤه إلى القبر الشريف، ورفع صوته بالدعاء.

وعليه فقد صار الوهايبة على عقيدة التشبيه والتجسيم، أما أهل السُنّة والجماعة فهم يُنزّهون الله تعالى عن صفات المخلوقين كالجلوس والاستقرار والتحيّز والمكان، نقل الإمام أبو منصور البغدادي.

«وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان»... وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنّ الله خلق العرش إظهاراً لقدرته ولم يتّخذ مكالاً لذاته» وقال أيضاً: «قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان».

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة البحث كانت هناك بعض النتائج أهمها:

* بنى الشيعة رؤاهم التربوية ومناهجهم التعليمية على أساس تصوّرهم العقائدي، حيث دمجوا ما بين الديني والديني، لاعتبارهم أن التربية والتعليم الدينيين قادران على منع الانحراف عن المذهب والشريعة. فتريتهم ومناهجهم عبارة عن «مجموعة من المفاهيم المترابطة في غطاء فكري واحد، مستندة في مبادئها وقيمها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة»

* وقد وضع الإمام علي عليه السلام البنية الأولى لركيزة الفكر التربوي عندهم، حيث تربي وتعلّم على يدي رسول الله ﷺ الذي قال فيه «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»

* الإمام زين العابدين عليه السلام، من خلال سيرته العطرة، ببناء المجتمع الإسلامي بناء عقائدياً وأخلاقياً عناية بالغة، سيما في الفترة التي أعقبت فاجعة الطف، بسبب ما وصل إليه حال المجتمع آنذاك من انهيار في الجانب العقائدي والأخلاقي، وابتعاد الناس عن دينهم من جراء سياسات الحكم الأموي التضليلية، التي حملت معول الهدم على القيم الأخلاقية والعقائد الحقة، فانبرى عليه السلام إلى إصلاح المجتمع وتثبيت العقائد الحقة وتهذيب الأخلاق بالقول والفعل.

* أخطر ما روجوه بين الأمة وأكدوا على إشاعته هو فكرة «الجبر الإلهي» بهدف التمكّن من السلطة التامة على مصير الناس، والهيمنة على الأفكار بعد الأجسام.

* للإمام زين العابدين السجاد الكثير والكثير من الأسس التربوية والعقائدية (كتعاليمه في دحر المرجئة، وفي التأكيد على الإمامة والولاية،

وفي إثارة حكم عمر وابو بكر، والصلاة مع المخالفين، إلا اننا اخترنا
منها ما يتعلّق بالجبر والتمثيل والتشبيه (لضييق المقام وانحسار الوقت .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا المختار
وعلى آله الاطهار، وأرجو من الله أن تكن هذه الوريقات في ميزان الحسنات
ولا يفوتني أن أشكر صاحب الفضل الأستاذ سرمد سالم في منحي الوقت
لإتمام البحث، ومن الله التوفيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهوامش

١. سورة القلم/ الآية ٤.
٢. سورة الاحزاب/ الآية ٢١.
٣. نظريات المناهج التربوية، ايناس عمر محمد ابو ختلة، دار صفاء للنشر والتوزيع الاردن، ٢٠٠٥، ص ١٨٨.
٤. مفهوم التربية الإسلامية، موزه زيد عبد الله المقهوي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم جامعة المنيا، مصر د.ت، ص ٧٢٨.
٥. أصول التربية الإسلامية، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، سوريا ١٩٧٢، ص ١٢.
٦. سورة الروم، آية ٣٩.
٧. مفهوم التربية الإسلامية، موزه زيد عبد الله المقهوي، المصدر السابق، ص ٧٢٨.
٨. المنهج التربوي الإسلامي للطفل، بهاء الدين الزهوري، حمص، مطبعة اليمامة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ١٦.
٩. تحف العقول، ابن شعبة الحراني، تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ ص ١٨٩.
١٠. مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، الطبعة: الأولى المحققة سنة ١٩٨٧ م ج ٨ ص ٣٢٨.
١١. من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر التابعة لجامعة المدرسي، الطبعة الثانية، قم المشرفة، ١٤١٣هـ. ج ٤ ص ٤٠٩.
١٢. التربية الإسلامية المصطلح والمفهوم، الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد مقال منشور في موقع صيد الفوائد، <http://saaaid.org>
١٣. التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي عالم الكتب القاهرة، عالم الكتب ١٤٢١هـ، ص ٤٨.
١٤. التربية الإسلامية المصطلح والمفهوم، الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد، <http://saaaid.org>
١٥. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق / يوسف الشيخ البقاعي، بيروت : دار الفكر، ١٤١٥هـ، ١٤١٥هـ، ص ١٣٢.
١٦. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ، بيروت : المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٤٠٠هـ، ص ٦٤٧.

١٧. التربية الإسلامية المصطلح والمفهوم، الدكتور صالح بن علي أبو عَرَاد،
<http://saaid.org>

١٨. سورة البقرة / الآية ١٥١

١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي،
مؤسسة الرسالة، ط ٣، بيروت ١٤١٧ هـ، ص ٥٧.

٢٠. سورة الشمس / الآية ٩

٢١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الخير للطباعة والنشر
والتوزيع ط ٢، بيروت: ١٤١٤ هـ، ج ٤ ص ٥٤٧.

٢٢. التربية الإسلامية المصطلح والمفهوم، د. صالح بن علي أبو عَرَاد، المصدر السابق.

٢٣. نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، محمد الغزالي، ضمن بحوث ندوة
خبراء أسس التربية الإسلامية المنعقدة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة خلال
الفترة من ١١ - ١٦ جمادى الثاني ١٤٠٠ هـ. مكة المكرمة: جامعة أم القرى،
مركز البحوث التربوية والنفسية، ١٤٠٠ هـ. ص ١.

٢٤. التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، فتحي علي يونس وآخرون،
عالم الكتب القاهرة: ١٩٩٩ م، ص ٤٢

٢٥. أصول التربية الإسلامية، خالد حامد الحازمي، المصدر السابق ص ١٨.

٢٦. التربية الإسلامية المصطلح والمفهوم، د. صالح بن علي أبو عَرَاد، المصدر السابق.

٢٧. أصول التربية، د. عبد الغني إسماعيل العمراني، دار الكتاب الجامعي - صنعاء،
٢٠١٤، ص ١٥٠.

٢٨. أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، مقداد يالجن، ط (٢)، دار الهدى للنشر
والتوزيع، الرياض: ١٤٠٩ هـ، ص ٢٠.

٢٩. أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، زغلول راغب النجار، ط (٢)،
الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي ١٤١٦ هـ، ص ٨٥.

٣٠. التربية الإسلامية المعاصرة في مواجهة النظام العالمي الجديد، عبد الرحمن النقيب،
(١٤١٧ هـ)، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧ هـ، ص ١٧.

٣١. أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلوي، ط ٢ دار الفكر،
دمشق، ١٤٠٣ هـ، ص ٢١.

٣٢. المنهج التربوي في فكر الامام علي بن الحسين (عليه السلام)، أ.د. حسين لفته حافظ، مركز
دراسات الكوفة / جامعة الكوفة، مقالة منشور في موقع العتبة الحسينية الالكتروني،

بتاريخ ١٠/١٢/٢٠١٨، على الرابط <https://imamhussain.org>

٣٣. التربية الإسلامية المصطلح والمفهوم، د. صالح بن علي أبو عَرَاد، المصدر السابق.
٣٤. دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين، محمد سعيد، بيروت: دار بيروت المحروسة، ص ١٢.
٣٥. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، القاهرة: مطبعة المدني ١٩٦٤، ص ١٧٠.
٣٦. سورة المؤمنون / الآيات ١٠١ إلى ١٠٣.
٣٧. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م، ج ٣ ص ٢٩٢.
٣٨. سورة النور / الآية ٢١.
٣٩. الإمام زين العابدين (عليه السلام) إمام المسلمين ورائد الحقوق، ساحة السيد مرتضى الشيرازي، مقال منشور في الموقع الإلكتروني مؤسسة التقى الثقافية لمحاضرات السيد مرتضى الشيرازي بتاريخ ٢٥ محرم ١٤٣٨هـ، <https://www.google.iq>
٤٠. الجبر هو إيجابار الله تعالى عباده على ما يفعلون، خيرا كان أو شرا، حسنا كان أو قبيحا، دون ان يكون للعبد إرادة واختيار الرفض والامتناع، ويرى الجبرية الجبر مذهبا يرى أصحابه كل ما يحدث للإنسان قدر عليه أزلا، فهو مسير لا مخير وهو قول الاشاعرة، ينظر عقائد الإسلام من القرآن الكريم، مرتضى العسكري ص ١٢
٤١. نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن حمد بن الحسين، مراجعة وتصحيح: لجنة أحياء الذخائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا. ت: ج ٢ ص ١٥٣
٤٢. جهاد الامام السجّاد، السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، الطبعة الاولى، مؤسسة دار الحديث، ١٤١٨هـ، ص ٨٨.
٤٣. رسائل العدل والتوحيد، د. محمد عمارة، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٨٥-٨٦.
٤٤. رسائل العدل والتوحيد، محمد عمارة، ج ٢- ص ٤٦.
٤٥. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، لأبي ريّان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٠، ص ١٤٨-١٥٠.
٤٦. جهاد الامام السجّاد، السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، ص ٨٩
٤٧. النية والأمل في شرح الملل والنحل المؤلف: الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى، دار الندى الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ، ص ٨٦.
٤٨. الإحتجاج على أهل اللّجاج، العلامة أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق ابراهيم البهادري، محمد هادي به؛ باشراف جعفر سبحاني، منظمه الاوقات و الشؤون الخيرية، نشر دار الاسوة للطباعة والنشر، ١٤٢٢، ص ٣١١.

٤٩. سورة الزمر / الآية ٣٩.
٥٠. جهاد الامام السجّاد، السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، ص ٩٢.
٥١. التوحيد، الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان ص ٣٦٦.
٥٢. الإمام زين العابدين g إمام المسلمين ورائد الحقوقيين، ساحة السيد مرتضى الشيرازي، محاضرة رقم ١٤٤.
٥٣. العقائد الإسلامية، محمد مهدي الشيرازي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ٢٠٠١، ص ٢٣.
٥٤. عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب و التباعد، صالح الورداني، مطبعة الغدير، بيروت، د.ت. ص ٦٩.
٥٥. التوحيد، الصدوق، ص ٣٦٦.
٥٦. جهاد الامام السجّاد، السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، ص ٩٢.
٥٧. كشف الغمة ٢ : ٨٩ وانظر بلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) ص ١٧ وقد رواه الصدوق في أماليه ص ٤٨٧ المجلس ٨٩ موقوفاً على الرضا (عليه السلام).
٥٨. جهاد الامام السجّاد، السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، ص ٩٥.
٥٩. كشف الغمة، علي بن عيسى الأربلي، بيروت، دار الاضواء، ١٤٠٥ هـ.ق. ج ٢ ص ٨٩.
٦٠. جهاد الامام السجّاد، السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، ص ٩٥.
٦١. عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور الأستاذ الكامل ذو الفنون، الفقيه الأصولي الأديب الشاعر النحوي، الماهر في علم الحساب، العارف بالعروض ورد نيسابور مع أبيه أبي عبد الله طاهر بن محمد البغدادي التاجر، وكان ذا مال وثروة، أنفق عبد القاهر ماله على أهل العلم. درس تسعة عشر نوعاً من العلوم، واستفاد منه الناس. خرج عن نيسابور في أيام التّركمانية إلى أسفرايين فمات بها سنة تسع وعشرين وأربعمئة، ودفن بها عند الأستاذ أبي إسحاق جمال الدين القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ٢، ص ١٨٥.
٦٢. الفرق بين الفرق، أبو منصور البغدادي، ص ٣٣٣.
٦٣. الفرق بين الفرق، أبو منصور البغدادي، ص ٣٣٤.

المصادر والمراجع القرآن الكريم

الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق / يوسف
الشيخ البقاعي، بيروت : دار الفكر،
١٤١٥هـ.

* المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية،
بيروت : المركز العربي للثقافة والعلوم،
١٤٠٠هـ.

* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام
المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي،
مؤسسة الرسالة، ط ٣، بيروت
١٤١٧هـ.

* تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء
إسماعيل بن كثير، دار الخير للطباعة
والنشر والتوزيع ط ٢، بيروت :،
١٤١٤هـ.

* نظرية التربية الإسلامية للفرد
والمجتمع، محمد الغزالي، ضمن
بحوث ندوة خبراء أسس التربية
الإسلامية المنعقدة بجامعة أم القرى في
مكة المكرمة خلال الفترة من ١١ - ١٦
جمادى الثاني ١٤٠٠هـ. مكة المكرمة:
جامعة أم القرى، مركز البحوث
التربوية والنفسية، ١٤٠٠هـ .

* أصول التربية، د. عبد الغني إسماعيل
العمrani، دار الكتاب الجامعي -
صنعاء، ٢٠١٤ .

* أهداف التربية الإسلامية وغاياتها،
مقداد يالجن، ط (٢)، دار الهدى
للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٠٩هـ.

* أزمة التعليم المعاصر وحلولها
الإسلامية، زغلول راغب النجار، ط

* نظريات المناهج التربوية، إناس عمر
محمد أبو ختلة، دار صفاء للنشر
والتوزيع الاردن، ٢٠٠٥.

* مفهوم التربية الإسلامية، موزه زيد
عبد الله المقهوي، مجلة الدراسات
العربية، كلية دار العلوم جامعة المنيا،
مصر د.ت.

* أصول التربية الإسلامية، عبد الرحمن
النحلاوي، دار الفكر، دمشق، سوريا
١٩٧٢ .

* المنهج التربوي الإسلامي للطفل، بهاء
الدين الزهوري، حمص، مطبعة اليمامة،
١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

* تحف العقول، ابن شعبة الحراني،
تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر
الغفاري، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ.

* مستدرك الوسائل، الميرزا النوري،
مؤسسة آل البيت للإحياء التراث،
الطبعة: الأولى المحققة ١٩٨٧ م.

* من لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد بن
علي بن بابويه القمي الصدوق، تحقيق
علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر
التابعة لجامعة المدرسين، الطبعة الثانية،
قم المشرفة، ١٤١٣هـ

* التربية الإسلامية أصولها وتطورها في
البلاد العربية، محمد منير مرسي عالم
الكتب القاهرة، عالم الكتب ١٤٢١هـ.

* القاموس المحيط، محمد بن يعقوب

(٢)، الرياض: الدار العالمية للكتاب
الإسلامي ١٤١٦هـ.

* التربية الإسلامية المعاصرة في مواجهة النظام العالمي الجديد، عبد الرحمن النقيب، القاهرة : دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ.

* أصول التربية الإسلامية وأساليبها،
عبد الرحمن النحلاوي، ط ٢ دار
الفكر، دمشق، ١٤٠٣ هـ .

* دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين،
محمد سعيد، بيروت: دار بيروت
المحرسة دت.

* تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي،
القاهرة: مطبعة المدنى ١٩٦٤م.

* مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب،
النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية،
١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.

* نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، مراجعة وتصحيح: لجنة أحياء الذخائر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا. ت.

* جهاد الإمام السجّاد، السيد محمد رضا الحسيني الجلالی، الطبعة الاولى، مؤسسة دار الحديث، ١٤١٨هـ.

* رسائل العدل والتوحيد، د. محمد
عمارة، دار الشروق، الطبعة الثانية،
القاهرة، ١٩٨٨م.

* تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام،
لأبي ريّان، دار المعرفة الجامعية،

الاسكندرية، ١٩٨٠ م.

* النية والأمل في شرح الملل والنحل
المؤلف: الإمام المهدي لدين الله أحمد
بن يحيى المرتضى، دار الندى الطبعة:
الثانية، ١٤١٠ هـ.

* الإحتجاج على أهل اللجاج، العلامة أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق إبراهيم البهادري، محمد هادي به؛ بإشراف جعفر سبحاني، منظمه الأوقاف و الشؤون الخيرية، نشر دار الاسوة للطباعة و النشر، ١٤٢٢.

* التوحيد، الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، د.ت.

* العقائد الإسلامية، محمد مهدي الشيرازي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

* عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب
والتباعد، صالح الورداني، مطبعة
الغدير، بيروت، د.ت.

* الفرق بين الفرق، أبو منصور
البغدادی، ص ۳۳۳.

* . الفرق بين الفرق وبيان الفرقه الناجية،
عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد

الله البغدادي التميمي الأسفرايني،
تحقيق، محمد زاهد الكوثري، دار
الكتب العلمية، د.ت.

ثانياً / المصادر الالكترونية:

* المنهج التربوي في فكر الإمام علي

الإلكتروني مؤسسة التقى الثقافية
لمحاضرات السيد مرتضى الشيرازي
بتاريخ ٢٥ محرم ١٤٣٨هـ، [https://
www.google.iq](https://www.google.iq)

* التربية الإسلامية المصطلح و المفهوم،
الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد مقال
منشور في موقع صيد الفوائد، [http://
saaid.org](http://saaid.org)

بن الحسين (عليه السلام)، أ.د. حسين لفته
حافظ، مركز دراسات الكوفة /
جامعة الكوفة، مقالة منشورة في
موقع العتبة الحسينية الإلكتروني،
بتاريخ ١٠/١٢/٢٠١٨، على الرابط
<https://imamhussain.org>
* الإمام زين العابدين (عليه السلام) إمام المسلمين
ورائد الحقوقين، سباحة السيد مرتضى
الشيرازي، مقال منشور في الموقع



الجودة والإتقان في منهج القرآن الكريم جودة الحياة في تراث أهل البيت عليه السلام الإمام علي بن الحسين السَّجَّاد أنموذجاً

الشيخ عقيل عبد الحرّ النصاروي
العتبة العباسية المقدسة

الهدف العام من البحث :

يهدف البحث إلى الوصول إلى حقيقة معنى الجودة بمختلف أبعادها ليتسنى لنا الخوض في معانيها والتعرف على أصولها في منظور القرآن الكريم، وما يتعلق بمفهوم (جودة الحياة)، وكيف أن الإنسان يصل من خلالها إلى نيل السعادة والرفعة والصحة، لا سيَّما الأمن والأمان في الدارين الدنيا والآخرة.. كل ذلك من خلال تسليط الضوء على أحاديث وتعاليم الإمام علي بن الحسين السَّجَّاد عليه السلام كنموذج في البحث. ثم استنباط ما يتعلق بـ(جودة الحياة) من طيات تراث الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام التي وردت في المصادر المختلفة، واستعراضها على شكل نموذج متكامل يراعي جميع جوانب الإنسان، للارتقاء بواقع الإنسانية وديمومتها، ولغرض معرفة طرق العيش بأسلوب أفضل للوصول إلى حياة سعيدة تنجي الإنسان من الهموم والغموم وآفات الدنيا ومهالك الآخرة .



الهدف الخاص من البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي :

- ١- تعريف الجودة والإتقان لغة واصطلاحاً، ومناقشة أوجهها في الإسلام.
- ٢- تحليل وذكر العناصر التي كانت موجودة في شخصية الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وبيان أهميتها في توافر عنصري الجودة والإتقان في أداء سائر الأعمال .
- ٣- الربط بين مفاهيم (الجودة والإتقان) بالشكل العام، ومفاهيم (جودة الحياة) على النحو الخاص، في ضوء تعاليم الإمام زين العابدين (عليه السلام) .
- ٤- مقارنة مفهوم جودة الحياة في فكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) مع المفاهيم المعاصرة.
- ٥- تقديم نموذج متكامل للحياة السعيدة، يُراعي جميع جوانب الأفراد والمجتمعات المادية والمعنوية والاجتماعية من خلال المنهج الذي خَلَفَهُ الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وهو المنهج الذي يسعى لتأسيس جوٍّ متكامل يشتمل على جميع مصاديق (الجودة) التي تجعل من الإنسان يعيش حياةً طيبة قدر الإمكان .
- ٦- استعراض لمفاهيم وأعمال كانت تجول في فكر الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وإظهار مدى حرص الإمام لتطبيقها، من أجل خلق حياة تتمتع بمصاديق الجودة والأمان .
- ٧- استخلاص الدروس والعبر من مفهوم (جودة الحياة) في فكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) .

الأسئلة البحثية أو مشكلة البحث :

- ١- ما هو مفهوم الجودة لغةً واصطلاحاً؟
- ٢- ما هو الإتقان في اللغة ؟
- ٣- ما الجودة والاتقان في المنظور القرآني؟
- ٤- ما الجودة الشاملة ومصاديقها في القرآن الكريم ؟
- ٥- ما مفهوم جودة الحياة في تراث أهل البيت وفكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) ؟
- ٦- ما هي المقارنة بين التعاريف السابقة لجودة الحياة ومنهجية الإمام زين العابدين (عليه السلام) ؟



منهجية البحث:

أولاً / المنهج الوصفي التحليلي: لوصف مفهوم جودة الحياة في فكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) وتحليله.

ثانياً / المنهج المقارن: لمقارنة مفهوم جودة الحياة في فكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) مع المفاهيم المعاصرة.

ثالثاً / المنهج الاستدلالي: لاستخلاص الدروس والعبر من مفهوم جودة الحياة في فكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) وتطبيقها في الحياة المعاصرة.

الجمهور المستهدف:

١- الباحثون والمهتمون بمفهوم جودة الحياة.

٢- الطلاب في مختلف التخصصات.

٣- العامة من الناس.

الفائدة المتوقعة:

١- بيان وطرح المنهج القرآني الذي كان يؤسس للجودة والإتقان، ويحث على توفير جودة للحياة الإنسانية على وجه الأرض .

٢- تقديم نموذج متكامل للحياة السعيدة يُراعي جميع جوانب الإنسان. من خلال إبراز دور الإمام زين العابدين (عليه السلام) في إفشائه لمفاهيم جودة الحياة في عصره .

٣- الارتقاء بمستوى جودة الحياة في المجتمع.

٤- تعزيز القيم الأخلاقية والإنسانية.

خطة البحث : يتكوّن البحث من مقدّمة ومباحث ثلاث، ثم خاتمة

ونتائج، ومصادر البحث، وهي كالآتي:

المقدمة .

- المبحث الأول : ويشتمل على ثلاثة من المطالب :
- المطلب الأول : تعريف الجودة والإتقان لغة واصطلاحاً .
- المطلب الثاني : تعريف الإتقان في اللغة .
- المطلب الثالث : نظرة الإسلام إلى الجودة والإتقان . ويشتمل على خمسة أبواب :
- الباب الأول : مفهوم الجودة والإتقان في المنظور القرآني .
- الباب الثاني : (الجودة والإحكام) في كلمات القرآن الكريم .
- الباب الثالث : الإتقان في القرآن الكريم .
- الباب الرابع : الإتقان في العبادة .
- الباب الخامس : الجودة الشاملة وروادها، ومصاديقها في القرآن الكريم .
- المبحث الثاني : جودة الحياة في تراث أهل البيت عليه السلام : ويشتمل على مطلبين :
- المطلب الأول : فصل في مفهوم جودة الحياة .
- المطلب الثاني : دور أهل البيت عليه السلام في بيان مصاديق (جودة الحياة) .
- المبحث الثالث : جودة الحياة في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام : وفيه أربعة من المطالب :
- المطلب الأول : التعريف بشخصية الإمام زين العابدين عليه السلام .
- المطلب الثاني : الصفات النفسية عند الإمام زين العابدين وأثرها على تطبيق معايير الجودة والإتقان .
- المطلب الثالث : جودة العمل وإتقانه في منهجية الإمام زين العابدين عليه السلام .
- المطلب الرابع : تعاريف الدراسات السابقة حول (جودة الحياة) ومقارنتها مع منهجية الإمام زين العابدين عليه السلام .
- خاتمة ونتائج .
- المصادر .

المقدمة :

الحمد لله تعالى الكريم الجواد.. والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته
خير العباد.. وبعد ..

لطالما اعتبرت الجودة مطلباً مهماً وهدفاً أساسياً للمجتمع البشري منذ القدم، ولذا فقد أولى الله تعالى من خلال كتابه الكريم والسنة النبوية الشريفة اهتماماً بالغاً بها، من خلال الحث على تجويد العمل وإتقانه لماله من أثر بالغ في استقرار وكمال وتطور جوانب الحياة الإنسانية المختلفة . فقال تعالى : ((لِيَلْوَكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلًا))^١، وهنا إشارة إلى جودة وصواب وكمال العمل . وقال تعالى : ((وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ))^٢، والعلاقة هنا متداخلة بين الجودة والإحسان والإتقان، فالإتقان : مهارة يكتسبها الفرد، والإحسان أعم من الإتقان وأشمل؛ لأنه قوة داخلية تتحول إلى مهارة عملية ويكون قوامها (حسن النية)، أمّا (الجودة) فهي أمر فرضته الطبيعة الإنسانية فمن المحال أن تسير الحياة سيراً سليماً صحيحاً دون الجودة والإتقان، فالجودة وكذلك الإبداع عاملان مهمان لحفظ التنمية المستدامة والمكتسبات، وأساسان للترقي والوصول للكمال الحضاري .



المبحث الأول : ويشتمل على ثلاثة من المطالب :

المطلب الأول : تعريف الجودة والإتقان لغة واصطلاحاً :

- ١- الجودة لغةً : من أجاد ((أي أتى بالجيد من قول أو عمل))، وأجاد الشيء : صَيَّرَهُ جيداً^٣، والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جودةً بمعنى صارَ جيِّداً^٤ .
- وأجاد أتى بالجيد، فالجودة مصدر من لفظ (جاد) مثل الكيفية مصدر من لفظ (كيف) وكيفية الشيء تعني حالته وصفته^٥ .
- ٢- الجودة اصطلاحاً : هي نتيجة الاهتمام أساساً بالكيف والنوع لا بالكم، وقد ذهب بعضهم إلى أنها (الكفاءة) لأنها تعبر عن (الفعالية) وعرفها البعض الآخر بأنها : تحقيق رغبات وتوقعات العميل، من خلال تعاون الأفراد في جوانب العمل بالمؤسسة^٦ .

المطلب الثاني : تعريف الإتقان في اللغة :

- أتقن كل شيء : أي : أحكمه . والإتقان : هو الضبط للشيء والإحكام له، وهو الإحسان وتكميل العمل، أي الأداء برفق ويصاحبه تأنٌ ودقة عالية، ((والإتقان الإحكام، يقال رجل تقن أي حاذق بالأشياء وقال الزهري : أصله من ابن تقن، وهو رجل من عاد لم يكن يسقط له سهم فُضرب به المثل، يقال : أرمى من ابن تقن، ثم يقال لكل حاذق بالأشياء تقن))^٧ .
- فالإتقان إحكامٌ للأشياء^٨، قال تعالى : ((كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ))^٩ والإتقان مظهر من مظاهر الحكمة ومؤشر من مؤشرات في العمل، (والحكيم : هو المتقن للأمور^{١٠})

المطلب الثالث : نظرة الإسلام إلى الجودة والإتقان :

ويشتمل على خمسة أبواب :

الباب الأول : مفهوم الجودة والإتقان في المنظور القرآني :

يعد مفهوم الجودة مفهوماً أصيلاً وحاضراً في جميع تعاليم الإسلام الحنيف ومضامينه، بحيث اعتبر الإسلام (الجودة والإتقان) جزءاً من عقيدة المسلم، لما تحمل من قيم مختلفة عالية. فقد أصبح العمل بمضامين الجودة والإتقان من صميم الدين والعقيدة والعبادة .

لقد حثَّ القرآن الكريم على العمل الصالح والمبادرة إلى العمل الأفضل وتطبيق ما يسمى عند علماء الجودة بمفهوم (الجودة الشاملة) لكافة الأعمال التي يقوم بها الإنسان، ونَبَّه الله تعالى المسلمين على أنَّ الأعمال التي يقومون بها مُراقَبة ومعرَّضة للثواب والعقاب؛ لكي يحذر المسلمون ويحرصوا على أن يكون العمل مفعماً بالجودة والإتقان والكمال . فقال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا))^{١١}، وقال تعالى : ((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ))^{١٢}، ولذا فقد اعتبرت (الجودة) مطلباً مهماً لإرضاء الله تعالى أولاً والآخرين ثانياً، ولم يترك الله تعالى مبدءاً التحذير لعباده حتى يُلقِي عليهم الحُجَّةَ البالغة لكي لا يتساهلوا في هذا الأمر فينجروا إلى التهاون وعدم إحكام الأعمال وإتقانها؛ فقال تعالى : ((وَلْتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))^{١٣} وهنا تأكيدٌ صريحٌ على وجوب العمل بمبدء (الجودة والإتقان) لأن الإنسان سيعرض للمساءلة عن جميع أعماله التي صدرت منه في دار الدنيا وهذه المسائلة قسم أشار إلى أنها ستجري في عالم البرزخ والمحشر معاً، ومنهم من قال إنها ستكون في يوم الحشر (القيامة) .

الباب الثاني : (الجودة والإحكام) في كلمات القرآن الكريم :

لم يتم العثور على مصطلح (الجودة) في كلمات القرآن الكريم.. فالذي يتأمل في كلمات الكتاب والسُّنَّة الشريفة سيكتشف أنَّ لفظ (الجودة) قد ورد في كلمة (الإتقان)؛ لأن مصطلح (الجودة) ارتبط بمفردات أخرى كما سيتضح في البحث، وبعد الفحص والبحث عن مصطلح (الجودة) في القرآن فقد تبين أنها وردت بمعانٍ أخرى، مثل : (الحياد) في قوله تعالى: ((وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُليمانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصِّفْنَاتُ الْحِيَادُ)). يقول ابن عاشور : ((الحيادُ : جمع جواد، بفتح الواو : وهو الفرسُ ذو الجُودة، أي : النَّفَاسة))^{١٤} .

وفي تفسير آخر ما نصّه : ((والحياد : جمع جواد أو جود، وهو الذي يسرع في جريه، وقيل : الذي يجمود بالركض، وقيل : جمع جيد))^{١٥}؛ فمعنى الجيد والجودة وردتا في هذا المعنى من القرآن الكريم .

أمّا صفة الجود فهي من صفات الله تعالى، فقد ورد في الجعفریات ١٩٦ - بإسناده عن علي عليه السلام قال : ((قال رسول الله ﷺ : إن الله جواد يحب الجود ومعالي الأمور ويكره سفاسفها...))^{١٦} .

الباب الثالث : الإتقان في القرآن الكريم :

أقوال الله تعالى وأفعاله لا تخلو من الإحكام والإتقان، وقد ورد الإتقان في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾^{١٧} .

الإصلاح والإتقان : يُعتبر الإصلاح المصطلح الذي يلي مصطلح (الإتقان)، قال تعالى : ((فَمَنْ أَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ))^{١٨}، وقال تعالى : ((فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ))^{١٩}، وقال تعالى : ((..إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَالْيَهُ أُتِيْبُ))^{٢٠} . واعتُبر الإصلاح غاية في الأهمية؛ فله الدور البالغ في إصلاح المجتمع الإنساني وتقويمه، والإصلاح الثقافي هو الذي يفوق كل إصلاح، أما ((الصَّلاح)) : ((استقامة الحال فالإصلاح : جعل الحال على الاستقامة والاصطلاح والاجتماع، والتصالح: التماسي على الصلاح ومنه المصالحة والاستصلاح، والصالح : المستقيم الحال، والمصلح : المستقيم الحال، والمصلح: المقوم للشيء على الاستقامة))^{٢١} وهذا تأكيد على الاهتمام بجعل الأعمال في إطار الاستقامة والكمال لكي تُصان من الانحرافات والأخطاء والغش وما شابه ذلك، فالمصلح هو المستقيم الذي تكون أعماله مستقيمة ومتقنة، وهو الذي يسعى لمنع الفساد ويساعد الآخرين ولا يغشهم أو يؤذيهم ودائماً ما يسعى إلى توجيه الآخرين إلى أجود الطرق للوصول إلى الأهداف التي تخلوا من العيوب والأخطاء .

الباب الرابع : الإتقان في العبادة : يعتبر الإتقان في العبادات شرطاً من شروط قبولها، كما أشار النبي وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) في جملة من أحاديثهم الشريفة، والتي تمثلت في:

١- **إتقان الوضوء:** الذي هو شرط من شروط صحة الصلاة كما أشار السيد السيستاني (دام ظله) بقوله : .. وتتوقف عليه صحة الصلاة واجبة كانت أو مندوبة..^{٢٢}

٢- **اتقان الصلاة :** وقد اشترط قبول الأعمال بقبولها، فإن لم تُؤدَّ على الوجه الصحيح والمقبول فإنها تُرفض ولا تُقبل، فقد روي أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فصلى ثم جاء فسلم عليه، فقال ﷺ : ارجع فصل فإنك لم تصل، فرجع فصلى ثم جاء وقال له مثل ذلك، فقال : علمني يا رسول الله، فقال : ((إذا قمت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً^{٢٣})).

فبعد الخوض في تفاصيل البحث والاطلاع على بعض هذه الدراسات التي تضمنت الخوض في تفاصيل (الجودة الشاملة) تبين أن مصطلح (الجودة) ظهر في زماننا هذا، حيث لم يكن زمن ظهوره بالبعيد... وأن الهدف هنا هو إثبات أمر مهم جداً، وهو: أن المصاديق التي ذكرها علماء رواد (الجودة الشاملة) قد نصَّ عليها الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأحاديث أهل البيت (عليه السلام) كما مرَّ آنفاً في البحث، فالحديث عن (الجودة والإتقان) هو حديثٌ من صُلب العقيدة الإسلامية، لكن هناك من تأخر عن معرفة هذا المضمون المهم من المسلمين أو غيرهم فاعتقد أن (الجودة الشاملة) ومضامينها هي مبتكرات أوجدها الغرب واستحدثها وقام بتطويرها.. حيث لم يسبقهم أحد في ذلك، وقد غفل عن أن قضية تجويد العمل وإتقانه وتطويره والإحسان فيه قضية من صميم الشارع المقدس. فالأسس الفلسفية التي وضعها (ديمنج) خلال فترة عمله في اليابان حول الجودة والتي تبلورت في (١٤) نقطة واعتنقتها الشركات في معظم دول العالم^{٣٢}، والتي لسنا بصدد استعراضها جميعاً.. إلا أن أبرزها هو: (إيجاد هدف دائم وثابت يتمثل في تحسين المنتجات والخدمات وذلك من أجل المنافسة والبقاء في مجال الأعمال..) ألم يرد قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^{٣٣}، وهو الهدف الذي وضعه الله تعالى لعباده في نيل هذا الرحيق، فبينَ جَلِّ جلاله أن هذا الرحيق لا يُنال إلا من خلال المنافسة، فكيف يكون التنافس إذا لم يكن العمل مفعماً بالإتقان والإحكام والجودة؟ وقد تمت الإشارة مسبقاً أن الله تعالى وسَّم آياته بالإحكام بقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ...﴾^{٣٤}. والمراد بإحكامه: إتقانه وعدم تطرُّق النقض والاختلال إليه^{٣٥}. فالإحكام هو الميزان الذي يحدد جودة الأعمال والمعياري الذي يظهر جودة الاداء

والإتقان، وقد ورد معنى الإحكام في القرآن الكريم واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾^{٣٦}، وتفسير: ((وأنت أحكم الحاكمين)) : « يعني في قولك وفعلك، لأنه حق تدعو إليه الحكمة^{٣٧}، فقال نوح ذلك على وجه الاعتراف تعظيماً لله تعالى . فالذي أحببنا إثباته في هذا الباب هو أن عقيدتنا في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هي أول من رَسَخَتْ مفهومي (الجودة والإتقان) ودعت إلى تطبيقهما وعدم الإهمال بترك المعايير الموجبة لتحقيقهما . فمن أهم فوائد الجودة والإتقان: هو نيل رضا الله تعالى، وتحقيق النجاح في الحياة، وإتقان العمل، وخدمة المجتمع بصورة صحيحة.

المبحث الثاني: جودة الحياة في تراث أهل البيت (عليه السلام) ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : فصل في مفهوم جودة الحياة :

قد أشرنا آنفاً لمعنى (الجودة) لغةً وهنا لا بد لنا من التطرّق لمفهوم مصطلح (الحياة) الذي تطرق إليه المختصون من جوانب عدة لمعرفة وتحليله؛ لأنه يحمل بين طياته معاني متعددة وله سياقات مختلفة، فالدراسات النفسية الحديثة أبدت اهتماماً بالغاً وملحوظاً بمفهوم (الجودة) بشكل عام، و (جودة الحياة) لدى الأفراد بشكل خاص، أمّا الباحثون فقد زاد اهتمامهم بمفهوم (جودة الحياة) في بداية النصف الثاني من القرن العشرين كمفهوم ارتبط بما يسمى (علم النفس الإيجابي)^{٣٨} . والذي ركز رواد هذا العلم على أن معرفة مفهوم (جودة الحياة) بشكل أفضل يتم من خلال مجالات بحثية ثلاث، وهي :

المجال الأول : (الحياة الممتعة أو السارة) .

المجال الثاني : الحياة الطيبة أو حياة الاندماج .

المجال الثالث : الحياة الهادفة ذات المعنى^{٣٩} .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أمر مهم، وهو أن حياة الإنسان إذا لم تكن طيبة ولم تكن هادفةً وقد خلت من المتعة والسرور والانتفاء إلى الآخرين فقد سُلِبَتْ منها أبرز مصاديق (الجودة) التي لا بد من توفرها كي تصل الحياة لمستوى جيد من الجودة .

والسؤال هنا : كيف تكون الحياة طيبة ؟ هل إنَّ الهناء والسعادة والطيبة والرخاء الخ هي التي تأتي للإنسان ؟ أم أنَّ الإنسان هو من يسعى لإيجادها والحصول عليها ؟ والجواب هنا ينطوي تحت عنوان التزام العبد بواجباته الشرعية واتباع أهل البيت عليه السلام، فهم الذين أوصلوا لنا طرق العيش السليمة والاستمتاع بها من خلال علومهم الزاخرة ومفاهيم القرآن الكريم الذي لم يفتروا عنه أبداً لقول رسول الله ﷺ : (إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)^{٤٠} فهم الثقل الثاني بعد القرآن الكريم، فهل من يقع في الضلال هو من يعيش عيشة طيبة ملؤها الفرح والسرور؟ أو ستكون آخرته طيبة وآمنة؟ فإن كانت كذلك فلم يحذرنا نبينا من أن نقع في الضلال بتخلفنا عن القرآن وأهل بيته عليه السلام؟ والمراد هنا في هذا الباب هو إثبات دور أهل البيت عليه السلام وأهمية أحاديثهم ومواعظهم التي كشفت لنا أبرز مصاديق السعادة والجودة والمتعة وكيف يصل الإنسان إلى نيل الحياة الطيبة وذلك من خلال اتباع (الدين الحق)، وفي هذا المعنى أشار الشيخ وحيد الخراساني (دام ظله) بقوله: ((ولأجل هذا احتاج الإنسان إلى نظام وقوانين تحقق له الحياة الطيبة، الفردية والاجتماعية، وتحقق له السعادة المادية والمعنوية . وهذا النظام والقوانين هو الدين الحق الذي يكون الاحتياج إليه ضرورة فطرة الإنسان ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٤١})).

فالدين الحق هو الكتاب والعتره، الحبلان اللذان أوصانا بالتمسك بهما رسول الله ﷺ وذلك لنيل الاستمتاع بـ (جودة الحياة) والأمان من أسقام الأجساد والنفوس ولنجاة العباد في الدنيا والآخرة . فالدين الذي لم يفترق عنه أهل البيت ﷺ أتى ليحيي الإنسان حياة طيبة، يقول تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، ويعقب الشيخ الخراساني في هذا ليقول: (..ماء الحياة الطيبة للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح، وهما يشكلان مجموعة الدين . وعين الحياة التي ينفجر منها هذا الماء وجود النبي، فلو كانت متلوثة لتلوث الماء، ولم يصلح لسقي عقول الناس وقلوبهم، ولا يحصل منه ثمر الحياة الطيبة)^{٤٣}.

المطلب الثاني : دور أهل البيت ﷺ في بيان مصاديق (جودة الحياة) :

بعد الدلائل التي أشرنا إليها في الفصل السابق من أن طرق السعادة، والراحة، والطمأنينة، والسرور، والوصول إلى نيل (جودة الحياة) والاستمتاع بها قد انحصرت بتطبيق تعاليم الدين الحق المتمثل بكتاب الله تعالى وعتره نبينا محمد ﷺ نأتي هنا لتسليط الضوء على أبرز ما وردنا من أحاديث لنبيننا وأهل بيته المعصومين ﷺ لتتضح سبل مصاديق نيل (جودة الحياة)، فنقول:

يعتبر مصطلح (جودة الحياة) هو لضمان سلامة العيش واستقرار حياة المجتمع الإنساني ككل، وكل هذا من أجل الوصول بالحياة الإنسانية إلى مرتبة الجودة، وفيما يتعلق بـ (جودة الحياة) فقد تحدث النبي وأهل بيته الطيبين الطاهرين حول إتقان العمل والاهتمام به وبوجودته كثيراً، كقوله ﷺ: (اتقنوا العمل وتقربوا به إلى الله، واتركوا إليه أمر الثواب على أعمالكم ولا تجزموا أن عملكم هذا يدخلكم الجنة لا محالة، بل ارجوا رحمة الله وفضله)^{٤٤}، ناهيك إلى أن أحد مفاتيح (جودة الحياة) هو الحفاظ على الصحة العامة للإنسان للوقاية

من الأمراض المختلفة، فكم من عمل خاطئ وغير متقن أو عمل متعمد فاسد أودى بحياة الآلاف من الناس الأبرياء وتسبب بقتلهم وسلبهم متعة (جودة الحياة) التي كانوا يعيشونها، في حين أن الإنسان لا يشعر بمتعة الحياة إلا عند امتلاكه (الصحة والعافية)، فالصحة من أفضل النعم التي أنعم الله تعالى بها على الإنسان، كما يقول الأمدى رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((الصحة أفضل النعم))^{٥٠}، وعلى الإنسان ألا يفرط في صحته ويكدر معيشته بسبب إهمال ما، وهذا الإهمال عادة ما يكون بسبب أعمال بعيدة عن الصحة أو الكمال أو الإتيان التي تعتبر من مصاديق (الجودة) فغياب هذه المصاديق هي التي تتسبب في وقوع الإنسان في المرض ولا تتعلق فقط بأذية الآخرين وإضرارهم . كما أن الأعمال التي تخلو من (الجودة والإتيان) تجعل الإنسان يفقد الكثير من السعادة والمتعة والطمأنينة والراحة له ولغيره، أما بالنسبة لغيره فقد تحدثنا مسبقاً في البحث عن أن الله تعالى يحاسب الإنسان على أعماله التي تخلو من الجودة، ولكن الكلام هنا في أن التقصير المقصود يرجع أيضاً على الإنسان نفسه فيتسبب له بعدم راحة البال وغياب السعادة والعافية والأمان وغيرها.. فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ((النعيم في الدنيا الأمن، وصحة الجسم، وتمام النعمة في الآخرة دخول الجنة . وماتت النعمة على عبدٍ قط لم يدخل الجنة))^{٥١}. ومن الأعمال التي أراد أهل البيت عليه السلام منا أن نؤديها بجودة وإتيان هي الأعمال التي توصلنا إلى نيل العافية والحفاظ على الصحة للتمتع بجودة الحياة كما أشرنا، ومنها :

١- تنظيف البيت : وهو عمل لا بد أن يكون مفعماً بالجودة والإتيان من أجل طرد الكثير من الأوبئة والأمراض، فالمنزل من الأماكن المهمة التي يجب أن تنال قسطاً كبيراً من النظافة والتنظيف المستمر، ومن توجيهات الإمام الصادق عليه السلام في هذا المعنى وما روي عنه أنه قال : ((غسل الإناء وكنس الفناء مجلبة للرزق))^{٥٢}.

٢ - تغطية الطعام : تعتبر المحافظة على الطعام من الملوثات أمراً في غاية الأهمية للحفاظ على الصحة والعافية التي توصل الإنسان إلى الاستشعار بلذّة العيش، بل إن دوام العافية سببٌ في قدرة الإنسان على اداء الفرائض جميعاً، وفي وصيّة النبي ﷺ لعليّ عليه السلام : ((بادر بأربع قبل أربع : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك))^{٤٨} . فالصحة هنا فرصة لأداء العبادات ودوامه واجبٌ على الإنسان من خلال اهتمامه بالأمر التي تحافظ على ديمومتها، وهنا يشير الإمام الصادق عليه السلام فيقول : ((لا تدعوا آيتكم بغير غطاء، فإن الشيطان إذا لم تغطّ الآنية بزق فيها، وأخذ مما فيها ما شاء))^{٤٩} . وهناك أمور أخرى تتعلّق بالحفاظ على الصحة والعافية مثل (تجنب الاختلاط بأصحاب الأمراض المعدية)، وغيرها .. كل ذلك يتم من خلال الالتفات إلى الأعمال الصادرة من الإنسان نفسه. عسى أن يكون هذا الجانب قد أوضح سبل التمتع بـ (جودة الحياة) من خلال ما استعرضناه من القرآن وحديث نبينا وما تم ذكره عن الإمام الصادق عليه السلام وهناك جوانب أخرى ذكرها باقي أئمتنا عليهم السلام هي ذات نفس الأهمية والقيمة وتلعب نفس الدور الذي يدل الإنسان على مصاديق جودة الحياة والتي تمثلت بالجوانب الروحية، والعبادية والاخلاقية، والتوصية بالصبر والرضا والحلم وغيرها، ولعدم الإطالة في البحث تم الاكتفاء بالإشارة المسبقة ليكون البيان محصوراً في دور الإمام السّجّاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في البحث التالي والذي يعدّ أحد الركائز الأساسية في هذا البحث .

المبحث الثالث : جودة الحياة في فكر الإمام زين العابدين (عليه السلام) : وفيه أربعة من المطالب :

المطلب الأول : التعريف بشخصية الإمام زين العابدين (عليه السلام) :

إنَّ الشخصية التي يتحلَّى بها الإمام زين العابدين (عليه السلام) شخصية مرموقة قد أسهب في مدحها ووصفها الخاص والعام، لِمَا سَطَّرَهُ التاريخ من فضائل لهذا الإمام الزاهد العابد... فقد ذكر ابن إدريس الحلي ما نصَّه : ((..الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) رابع أئمة الشيعة الإمامية، الذي اتفق مؤرخو الإسلام على أنّه من أشهر رجال التقوى والزهد والعبادة))^{٥٠}. كما ذكر الزركلي في ترجمته مختصراً لها، فقال : ((علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين : رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع . يقال له : « علي الأصغر » للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر^{٥١}))، وهنا نقف في باب التعريف بشخصيته الشريفة ليتسنى لنا الشروع في ما تبقى من مجالات البحث المتعلقة بهذا الإمام الهام وإيضاح دوره السامي في تطبيق مضامين (جودة الحياة) ونشرها في صفوف أفراد مجتمعه آنذاك .

المطلب الثاني : الصفات النفسية عند الإمام زين العابدين وأثرها على تطبيق معايير الجودة والإتقان :

لم يكن الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) منفرداً بامتلاكه صفاتٍ وخصالاً نفسية وتربوية وعبادية وغيرها، بل إنَّ ديدن أهل البيت (عليهم السلام) كان مشتملاً على حيازة هذه العناصر والصفات الحميدة، بدءاً من النبي وانتهاءً بالحجة المهدي من آل محمد (عليهم السلام)، ولكن الله تعالى تفضَّلَ على كل إمام وحجة منهم بأن مَيَّزَهُ عن غيره بصفة يُعرَفُ بها، فإن قلنا إن الإمام علي بن الحسين عُرِفَ



بالعبادة وكثرة السُّجود فقد كان جده النبي كذلك لا سيَّما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان فيما يُروى أنه كان يشابهه في الملبس والتفقه في الدين، فيقول الإمام الصادق (عليه السلام): ((ما أشبههُ (أمير المؤمنين علياً) من ولده ولا أهل بيته أحدٌ أقربَ شَبَهًا به في لباسه وفِقهه من عليّ بن الحسين (عليه السلام) ٥٢)).

بل إن العبادة التي عُرِفَ واشتَهَرَ بها الإمام علي بن الحسين السجاد لم تكن بذاك المستوى من وجهة نظره (عليه السلام) وذلك عندما قاسها بعبادة جده الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كما ورد في الرواية التي مفادها...: ((ودخل أبو جعفر (عليه السلام) على أبيه (عليه السلام) فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، وقد اصفر لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود، وورم ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، قال أبو جعفر (عليه السلام): فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة له، وإذا هو يفكر، فالتفت إلي بعد هنيئة بعد دخولي، وقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب، فأعطيته فقرأ منها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده تضجراً، وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب؟)) ٥٣، لذا فإن صفات آل محمد (عليهم السلام) قد توفرت جميعاً في شخصية الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومن لطف الله تعالى وأفضاله عليه وهو حجته على خلقه فقد وهبه ميزة إطعام الفقراء وتكريمه لهم على الدوام، فعن شيبه بن نعام: ((أنه كان يقوت مائة أهل بيت بالمدينة، وقيل: كان في كل بيت جماعةً من الناس ٥٤)). وكان الإطعام هذا ممزوجاً بحبهم والعطف عليهم فلطالما كان ينهى عن ردِّ سؤلهم وحرمانهم من العطاء ويشير إلى أنه يضاعف في سيئاتهم ويحرمهم من كرم الله تعالى وغفرانه ولطفه، ناهيك عن أفعاله التي تميزت بالحلم والصبر والشجاعة والعزة والإباء والإحسان إلى جميع من حوله بما فيهم أعداؤه ومبغضوه، فسخاؤه



سورة الفاتحة

وطيبة نفسه وبليغ جوده وكرمه حملة على ذلك الإحسان الذي كان ممتدّاً لأعدائه ومُحبّيه على حدّ سواء، مبتغياً بذلك مرضاة الله تعالى، حاثّاً ومؤدّباً ومعلماً مجتمعه على الاتصاف بهذه الصفات الكريمة، فحسن الاتباع لأهل البيت (عليه السلام) هو الاقتداء بأفعالهم وأقوالهم، وعلى الرغم من أنّ الصفات الكريمة والخصال الحميدة التي استحوز عليها الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلا أن الغالب على طباعه آنذاك هو حُبُّ الفقراء والحنو عليهم وتفقد أحوالهم في الليل والنهار والسر والعلانية، قال الطائي: ((إن علي بن الحسين (عليه السلام) كان إذا ناول الصدقة السائل قبله ثم ناوله))^{٥٥}. بل إن المؤرّخين بما فيهم بعض المستشرقين والعلماء الأفاضل ممن تعرضوا لسيرته العطرة وتأريخه الحافل بالعتاء والإنسانية قد تأثروا كثيراً وتوغلوا عميقاً في إيصال ما كان يبذله الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) من معاناة عظيمة وصعوبة بالغة في إيصال الحقوق لمستحقيها والتي كان معظمها يؤدّي ليلاً ويُعطى سرّاً، فعن أبي جعفر (عليه السلام): ((إنه كان يخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب على ظهره حتى يأتي باباً باباً، فيقرعه ثم يناول من كان يخرج إليه، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه، الخبر. وفي خبر: أنه كان إذا جنه الليل، وهدأت العيون قام إلى منزله، فجمع ما يبقى فيه عن قوت أهله، وجعله في جراب ورمى به على عاتقه وخرج إلى دور الفقراء وهو متلثم، ويفرق عليهم، وكثيراً ما كانوا قياماً على أبوابهم ينتظرونه فإذا رأوه تباشروا به، وقالوا: جاء صاحب الجراب))^{٥٦}.

والسؤال هنا: هل كان انشغال الإمام السجاد بهذه الأعمال وتفقدته لهؤلاء الفقراء وغيرهم حاجباً له عن أداء بقية أعماله وواجباته؟ وهل إن هذا الانشغال كان يعوقه عن اكتساب عيشه وجلب رزقه على أتم وأكمل وجه؟ والجواب هنا: هو أنّها لم تكن كذلك، وأنه كان يؤدّي ما عليه على أتم وجه.

فالإمام هنا لمّا كان يحرص على أداء هذه الأفعال وتطبيق مثل هكذا أعمال هو لتوطين النفس على مخافة الله تعالى ولنيل رضاه، وإنَّ مخافة الله تعالى هي التي توصل العبد إلى تطبيق ما يريده الباري عز وجل، فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((رأس الحكمة مخافة الله تعالى))^{٥٧}، فلا تؤدى الأعمال على نحوٍ من (الجودة والإتقان) إلّا إذا كان مؤدّيها خائفاً لله تعالى مطبقاً لأوامره ونواهيه، فالصلاة والصيام والحج وغيرها من الأعمال التي فرضها الله تعالى تحتاج إلى أداء مفعم بـ (الجودة والإتقان) حتى تكون مقبولة، فهل إن من تركها أو أداها بغير الصورة التي أرادها الله تعالى وفصلها النبي وأهل بيته المعصومين ﷺ هو خائف لله تعالى؟ أو يتمتع بصفة الحكمة؟

والمحصلة هنا : هي أن الإمام زين العابدين ﷺ قد أسس منذ ذلك الوقت إلى تهذيب النفوس وتوطينها على مخافة الله تعالى من خلال حكمته وورعه وكثرة عبادته وإطعامه واهتمامه بشريحة الفقراء والمحتاجين، وكل هذه الأعمال هي أسسٌ لتدريب الأفراد على مخافة الله تعالى الذي يوصل الناس إلى أداء أعمالهم بـ (جودة وإتقان)، فالله تعالى أتقن كل شيء صنع؛ فيقول عز من قائل : ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^{٥٨}، وأراد من عباده الذين يخافونه إتقان كل أعمالهم إن كانت عبادية، أو اجتماعية أو غيرها.. والتي من محاسنها مراعاة حقوق الناس وعدم غشهم الخ، أي : أن تشتمل أعمالهم على مصاديق (الجودة والإتقان)، اللذين لا يتوافران إلا عند من يخاف ربه وينتهج بنهج آل محمد الذي كان أحد ورثته الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ .

المطلب الثالث : جودة العمل وإتقانه في منهجية الإمام زين العابدين (عليه السلام) :

تميّزت شخصية الإمام علي بن الحسين السّجّاد (عليه السلام) بمزايا متعدّدة، ومنها: الحرص على أداء العمل بجودة وإتقان مع مراعاته لجميع التفاصيل والجزئيات، ديدنه كديدن باقي أهل البيت (عليهم السلام)، فلطالما كان يحث على بذل الجهد في مختلف سائر الأعمال، وكان (عليه السلام) يشدد على أهمية إتقانها وإنجازها على أكمل وجه . وعند التبحر في سيرته المباركة نرى أن الإمام (عليه السلام) قد خلّف لنا أسساً متعدّدة أكّد من خلال تلك الأسس على أهمية جودة العمل وإتقانه، ومن جملة تلك الأسس على سبيل المثال:

أولاً / وجوب شكر المنعم: والمنعم المتفضّل دائماً هو الله تعالى، إذ إنه (عليه السلام) إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه فيقول في أحد أدعيته المباركة: ((الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده.. إلى أن يقول : حمداً تقر به عيوننا إذا برقت الأبصار وتبيضّ به وجوهنا إذا اسودّت الأبصار، حمداً نعتق به من أليم نار الله إلى كريم جوار الله، حمداً نزاحم به ملائكته المقربين، ونضام به أنبيائه المرسلين في دار المقامة التي لا تزول، و محل كرامته التي لا تحول، والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق وأجرى علينا طيبات الرزق، وجعل لنا الفضيلة بالملكة على جميع الخلق))^{٩٠}، فالإمام السجّاد (عليه السلام) هنا يشير إلى وجوب شكر الله تعالى الذي أنعم وتفضل ومنّ على الإنسان بالقدرة على أداء الأعمال بمختلفها، والتي يجب عليه أيضاً إتقان تلك الأعمال بصورة ترضي الله تعالى.

ثانياً / الصبر : وهو من الخصال الواجب توفرها في شخصية كل مؤمن، إذ إنه يوصل العبد إلى نيل الفرج وهو رأس الإيمان كما أشار الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: ((الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان))^{٩١} . فدفع المصائب لا يكون

إلا بالصبر وهذا يجري على سائر أمور الدنيا إذ إنَّ معظمها لا تتم إلا بصفة الصبر ومنها أداء الأعمال على أتم صورها، وقد أولى الإمام زين العابدين (عليه السلام) للصبر اهتماماً غير خافٍ لأهميته، فقال (عليه السلام): ((ما من جرعة أحبَّ إلى الله من جرعتين، جرعة غيظ ردها مؤمن بحلم، وجرعة مصيبة ردها مؤمن بصبر))^{٦١} فإتقان وحسن الإنجاز ومراعاة جودة الإنتاج كل ذلك يحتاج إلى أن تتوافر فضيلة الصبر؛ لأنه رأس الإيثار عند الإنسان وأنَّ التزام الإنسان بإيمانه والحرص على المحافظة عليه هو الذي يوصل العمل المنتج إلى مراحل الجودة والإتقان .

ثالثاً / الصدق والوفاء : الديلمي رفعه إلى علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال : ((خير مفاتيح الأمور الصدق، وخير خواتيمها الوفاء))^{٦٢} وهنا نرى أنَّ الجودة والإتقان لا تتوافر في الأعمال التي يفتقد أصحابها إلى الصدق والوفاء؛ لأنهم أصحاب كذب وغش وخيانة، ولذا أراد الإمام زين العابدين (عليه السلام) منا أن نتحلى بهاتين الخصلتين لأنهما من الأسس التي تجعل من العمل ذا جودة وإتقان .

المطلب الرابع : تعاريف الدراسات السابقة حول (جودة الحياة) ومقارنتها

مع منهجية الإمام زين العابدين (عليه السلام) :

اهتمَّ بعض المختصِّين بمفهوم (جودة الحياة) اهتماماً بالغاً وأولوا له أولوية كبيرة، حيث وصفت (المالكي)^{٦٣} هذا الاهتمام بأنه لن يتوقَّف بل سيزداد بصورة ملحوظة، وبحسب الدراسات فقد انتقل هذا المفهوم من العمومية إلى دراسات واسعة علمية ودقيقة، وكذلك انتقل من كونه مرتبطاً ارتباطاً كبيراً بالتكامل والرفاهية وتكامل الظروف المعيشية في حياة الإنسان إلى مفهوم يعبر عن التكامل الحادث في حياة الفرد المادي والمعنوي الذي يوصل الفرد والمجتمعات إلى الرضا والسعادة في هذه الحياة الدنيا . وقد ذكر بعض أصحاب الدراسات المتعلقة بهذا المفهوم تعاريف ركَّزت على ماهية (جودة الحياة) ومنها:

١- جودة الحياة، هي : ((رقي مستوى الخدمات المادية والاجتماعية التي تُقدَّم لأفراد المجتمع، والنزوع نحو نمط الحياة التي تتميز بالترف، وهذا النمط من الحياة لا يستطيع تحقيقه سوى مجتمع الوفرة، ذلك المجتمع الذي استطاع أن يحل كافة المشكلات المعيشية لغالبية سُكَّانه))^{٦٤}.

٢- جودة الحياة : ((تتمثل في الإحساس الإيجابي بحسن الحال، كما يتم رصده بالمؤشرات السلوكية التي تدل على ارتفاع مستويات رضا الفرد عن ذاته وحياته بشكل عام، كذلك سعيه المتواصل لتحقيق أهداف شخصية مقدرة وذات قيمة ومعنى بالنسبة له لتحقيق استقلاليته في تحديد وجهة ومسار حياته وإقامته لعلاقات اجتماعية إيجابية متبادلة مع الآخرين واستمراره فيها، كما ترتبط بكل من الإحساس العام والاستمتاع بالحياة والسَّكينة والطَّمَأينة النفسية))^{٦٥}.

٣- جودة الحياة : (هي علاقة تبادلية ملائمة بين متطلبات البيئة والخصائص الشخصية، وبين إدراك الفرد لاحتياجاته الشخصية والمصادر الاجتماعية في البيئة))^{٦٦}.

٤- جودة الحياة : ((شعور الفرد بالرضا والسعادة، وقدرته على إشباع حاجاته من خلال ثراء البيئة ورقي الخدمات التي تقدم له الصحية والاجتماعية والتعليمية والنفسية مع حسن إرادته للوقت والاستفادة منه))^{٦٧}.

٥- جودة الحياة : ((هي إدراك الفرد لوضعه في الحياة في سياق الثقافة وأنساق القيم التي يعيش فيها ومدى تطابق أو عدم تطابق ذلك مع أهدافه وتوقعاته وقيمه واهتماماته المتعلقة بصحته البدنية وحالته النفسية ومستوى استقلاليته وعلاقاته الاجتماعية واعتقاداته الشخصية وعلاقته بالبيئة بصفة عامة))^{٦٨}.

وهناك تعريفات أخرى كثيرة إلا أنها تشابه إلى حد كبير في المضامين والمعاني والمفهوم، ولذا اخترنا لبحثنا هذه التعريفات الخمس لأبرز الدراسات التي أجريت على مفهوم (جودة الحياة).

وهنا لا بد من ملاحظة المصطلحات البارزة في التعريفات السابقة، والتي تتعلق بالخدمات المادية والاجتماعية للفرد، والرضا والسعادة، والمشكلات المعيشية وتحسينها أو القضاء عليها، والخدمات الصحية والاجتماعية والنفسية، وعلاقة الفرد بالبيئة، وغيرها من المصطلحات المشابهة أو المقاربة لمعانيها، وعندما نستعرض سيرة وحياة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام نجده قد عمل بجهد كبير في تحقيق هذه الأمور التي أشير إليها في التعريفات السابقة، والظاهر من سيرته الشريفة أن هذا الجهد هو موروثٌ عنده من أبيه سيد الشهداء وجديه أمير المؤمنين عليٍّ ورسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فعندما يتوصل البعض من الباحثين إلى أن الرضا الذاتي عن أسلوب الحياة يكون معياراً لقياس وتعريف (جودة الحياة)، حيث يقول : (تيلور وبوجدان) أن مفهوم جودة الحياة لا يعطي معنى واضحاً من غير أن يشمل مشاعر الفرد^{٦٩}. نرى أن الإمام زين العابدين عليه السلام بذل جهداً في سبيل تحسين تلك المشاعر التي غلب عليها طابع العوز والحرمان لكي يوصلهم إلى مرحلة طيبة من العيش الآمن من خلال توفير بعض مستلزماتهم المعيشية والضرورية من الأموال والطعام. وهنا تجدر الإشارة إلى اهتمامات خاصة كان الإمام السجاد عليه السلام يولي لها أهمية عظيمة لغرض تحقيق وتوفير الخدمات والمضامين التي أشار إليها الباحثون بتعريفاتهم عن جودة الحياة، ونلخصها بالآتي :

الاهتمام الأول / شراء العبيد وإطلاقهم :

لطالما اعتبر الإسلام مسألة عتق العبيد من أهم العبادات وقد تصدّى أهل البيت عليهم السلام فبذلوا جُلَّ ما عندهم لتتأل هذه الشريحة حريتها التي أرادها الله تعالى لهم، فلم يكن هذا المنهج مقتصراً على الإمام زين العابدين عليه السلام وحده، بل أسسه الله تعالى في قوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ

عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ السَّبِيلَ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٠﴾، وهو المورد الخامس بعد الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم، وقد أشار إليه السيد الحكيم رحمته في منهاجه بقوله : ((الرقاب : والمراد به عتق العبيد . إما لكونهم مكاتبين عاجزين عن أداء مال الكتابة فيعطون من الزكاة ليؤدّوا ما عليهم ويتحرروا، أو لكونهم عبيداً تحت الشدة، فيشترون ويعتقون . وأما لو لم يكونوا تحت الشدة فاللازم الاقتصاد على ما إذا لم يجد مصرفاً للزكاة غيرهم، حتى لو كان المملوك مؤمناً على الأحوط وجوباً))^{٧١}، وتصدى لتطبيق هذا الأساس النبي وأهل بيته الكرام، ومنهم الإمام الصادق عليه السلام حيث قال : ((من كان مؤمناً فقد عتق بعد سبع سنين أعتقه صاحبه أم لم يعتقه، ولا تحل خدمة من كان مؤمناً بعد سبع سنين))^{٧٢} بعد أن كان منهجاً لأبائه وأجداده الطاهرين، فالكثير من الصحابة في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله كانوا رقيقاً أو عبيداً جعلهم النبي أحراراً في دُنياهم، كأمثال سلمان وعمار بن ياسر وبلال مؤذن النبي وقنبر، وقد كان صلّى الله عليه وآله يأمر بإطعامهم وإكساءهم وإعانتهم، بقوله : ((إخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس))^{٧٣}، ومما يروى أنه صلّى الله عليه وآله بعد نهاية غزوة بني المصطلق تزوج من (جويرية بنت الحارث) ((فلما بلغ الناس أن رسول الله صلّى الله عليه وآله تزوج جويرية بنت الحارث قالوا: أصهار رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأرسلوا [الناس] ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فما علم امرأة أعظم بركة على قومها منها))^{٧٤} . لأنها كانت سبباً في عتق كل أسير في تلك القبيلة .

أما في منهجية الإمام الباقر عليه السلام، فقد روى الصدوق في الفقيه مرسلًا قال: ((دخل أبو جعفر الباقر الخلاء فوجد لقمة خبز في القدر فأخذها وغسلها ودفعها إلى مملوك معه فقال يكون معك كلها إذا خرجت فلما خرج عليه السلام قال

أين اللقمة؟ قال أكلتها يا ابن رسول الله فقال إنها ما استقرت في جوف أحد الا وجبت له الجنة فاذهب فأنت حرّ فإني أكره أن أستخدم رجلاً من أهل الجنة))^{٧٥}، وقد يعتقد البعض أن الأئمة كانوا يعتقدون العبيد لأسباب قد تكون غير معقولة.. والحقيقة أنهم ﷺ كانوا يتحिनون الحوادث والفرص لجعلها أسباباً لعنتق ما عندهم من العبيد، وهكذا كان الإمام علي بن الحسين السّجّاد ﷺ معروفاً بهذا الجانب، ومما ذكره العلماء والرواة ((أن جارية لعلي ابن الحسين ﷺ جعلت: تسكب عليه الماء ليتيهياً للصلاة، فسقط الإبريق من يدها فشجّه فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية إن الله عز وجل يقول: «والكاظمين الغيظ» فقال لها قد كظمت غيظي، قالت «والعافين عن الناس» قال قد عفا الله عنك، قال: «والله يحب المحسنين» قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله))^{٧٦}.

الإمام السّجّاد وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (منهج واحد): شرع الإمام زين العابدين ﷺ بمشروع شراء العبيد ومن ثم إطلاق سراحهم كما كان يفعل جده النبي وعلي ﷺ، فيقول الدّيلمّي: ((كان أمير المؤمنين إذا قال وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَتَغَيَّرُ وَجْهَهُ وَيَصْفَرُ لَوْنُهُ فَيَعْرِفُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ مِنْ خِيفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَعْتَقَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِنْ كَدِّ يَمِينِهِ، وَكَانَ يَغْرِسُ النُّخْلَ، وَيَبِيعُهَا وَيَشْتَرِي بِثَمْنِهَا الْعَبِيدَ وَيَعْتَقُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ مَعَ ذَلِكَ مَا يَغْنِيهِمْ عَنِ النَّاسِ))^{٧٧}، ولم يكن مشروع الإمام السجّاد ﷺ هذا هو لنيل الأجر والثوبة فقط، بل كان لأهدافٍ متعددة أسهب المختصون من العلماء والمؤرخين بتحليلها وتفصيلها، ومنها:

أولاً: إيصال رسالة سامية لمن يمتلك العبيد أن يعاملهم بالرفق واللين والمسامحة، لأنّه اشتهر بهذه الفعال مع عبيده.

ثانياً: كان يعلمهم الحرف كي لا يكونوا عالة على المجتمع، ويعلمهم أحكام الدين لمعرفة الحلال من الحرام.

فلم يكن الإمام السجاد (عليه السلام) بحاجة للخدمة بل كان هو من يقدمها للحجاج في مواسم الحج وغيرها، ولذا قيل إنه: ((..كان يشتري العبيد والإماء، ولكن لا يبقى أحدهم عنده أكثر من مدة سنة واحدة فقط، وأنه كان مستغنياً عن خدمتهم، فكان يعتقدهم بحجج متعددة، وبالمناسبات المختلفة))^{٧٨}.

كل هذا الجهد المبذول منه (عليه السلام) هو لإيصال هذه الشريحة الضعيفة من المجتمع إلى مستوى معين من الرضا والسعادة والأمان التي تأخذ بيد الفرد إلى الاستشعار بنسبة ما من عيش حياة طيبة تشتمل على صبغة من الجودة، فجودة الحياة هنا لا تعني أنها تخلوا من المشاكل الجمة ولكن إيصال الحقوق الإنسانية لمستحقّيها هي التي تشعر الأفراد بجودة الحياة التي يعيشونها وإن كانت تعترضهم مشاكل عرضية فهذا هو ديدن الدنيا .. وهكذا كان نهج الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) هذا نهجاً قرآنياً محمدياً لوضع أسس (جودة الحياة) في مجتمعه والتي كان أحدها شراء العبيد وعقدهم آنذاك .

الإهتمام الثاني / صدقة السر :

ذكر القرآن الكريم الصدقة في أكثر من موضع، فقال تعالى في إحداها: ((إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))^{٧٩}، وكذلك كان النبي ﷺ يحث المسلمين عليها، ومما روي أنه أوصى الناس قبيل قدوم شهر رمضان بقوله: ((وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم...))^{٨٠} ولكن عرفت سيرة الإمام السّجّاد (عليه السلام) بأنه صاحب (صدقة السر) التي ذكرها الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) بقوله: ((صدقة السر تطفئ غضب الرب))، وقال (عليه السلام): ((صدقة الليل تطفئ غضب الرب، وتمحو الذنب العظيم، وتهون الحساب، وصدقة النهار تزيد في العمر، وتثمر المال))^{٨١}، فاهتم الإمام بتوزيعها على المستحقين ويخرج لأدائها وإيصالها لبيوتهم ليلاً وسراً لئلا يراه أحد من الناس، فيقول الزرкли: ((أحصى بعد موته عدد من كان

يقوتهم سرّاً، فكانوا نحو مائة بيت . قال بعض أهل المدينة : ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت زين العابدين . وقال محمد بن إسحاق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين معاشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم))^{٨٢} . ويقول الشيخ القرشي (رضوان الله تعالى عليه): ((ومن كرمه وسخائه أنه كان يُطْعِمُ النَّاسَ إطعاماً عاماً في كل يوم في يثرب، وذلك في وقت الظهر في داره))^{٨٣} .

وهذا هو مفهوم (جودة الحياة) الذي كان يجول في فكره ﷺ والذي كان يستعمله من باب (صدقة السر) والإطعام المتوالي لطبقة الفقراء والمعوّزين، ليكون هذا المفهوم عنده ﷺ أنموذجاً متكاملًا للحياة السعيدة يراعي فيه جميع الجوانب الإنسانية لهذه الطبقة، وينقلهم نقلة نوعية من الروحية إلى الأخلاقية إلى الاجتماعية والنفسية والمادية.

الإهتمام الثالث / التعاليم والوصايا :

اتَّسَمَت تعاليم الإمام السجاد ﷺ وأحاديثه الشريفة بمنزلة كبيرة، حيث تميّزت بالجانب الروحي، ومشيرة لطريق التقوى والعبادة، ولطالما اعتُبرت مصباحاً للصلة بالله تعالى، منها ما كان يدل على الصبر والرضا، ومنها ما كان يُشير إلى الجوانب الأخلاقية والاجتماعية والتعاون والتكافل وحقوق الجار، بل كافة الحقوق من خلال رسالته المعروفة بـ ((رسالة الحقوق))، ومنها ما كان يصبّ في تهذيب النفوس وإصلاحها، ومنها ما كان سبباً لنيل الصحة النفسية وإبعاد النزعات الفاسدة عنها.. والسعادة والرضا والتغلب على الشدائد وتحصيل الرزق.. كل ذلك من خلال مجموعة ادعيته المباركة المجموعة في (الصحيفة السّجّادية) التي عُرفت بـ (زبور آل محمد) وبـ (إنجيل أهل البيت ﷺ)^{٨٤}، وللإشارة إلى هذا الجانب وبيانه تجدر الإشارة هنا إلى قوله المروي عن أبي جعفر ﷺ فيقول: ((قال علي بن الحسين ﷺ إن الدنيا

قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، وقرضوا (أي قطعوا) من الدنيا تقريضاً، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا (أي صبر) عن الشهوات، ومن أشفق (أي خاف) من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إن الله عبادا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين . شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة أما الليل فصافقون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون (أي يصيحون بالبكاء) إلى ربهم يسعون في فكاك رقابهم وأما النهار فحكما، علماء، بررة، أنقياء، كأنهم القداح قد برأهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا (أي جنوا) فقد خالط القوم أمرٌ عظيم من ذكر النار وما فيها))^{٨٥}، فعندما يوجه الإمام كلامه هذا إلى أفراد مجتمعه ويحثهم على التخصّل بالتقوى والصبر والزهد والورع والعِفَّة والخوف من النار والإعراض عن ملذات الدنيا ومُغرياتِها، ما هو إلا رسالة منه ﷺ لهم في لتذكيرهم بسيرة العُباد الزاهدين الذين سبقوهم كيف أنهم جابهوا ابتلاءات الدنيا بهذه الخصال فظفروا بالعيش الطيب، ولم تخرجهم اللذائذ والشهوات عن طاعة الله تعالى وراحة البال التي سقط فيها الكثير من أبناء الدنيا فسلبهم الله تعالى العيش الآمن وكدّر معيشتهم وأساء في عاقبة أمرهم في الدارين، أمثال النمرود وفرعون، فالعيش الجيد يكون لمن اتبع هذه التعاليم وطبقها .. والخسران الممين لمن تخلف عنها، بحيث صار واضحا لجميع المسلمين أن يتعلموا كيف يُحسّنوا من جودة حياتهم من خلال اتباع هذه التعاليم والوصايا، والسعي إلى تحقيق التوازن بين جوانب الحياة المختلفة .

الاهتمام الرابع / رسالة الحقوق وعلاقتها بجودة الحياة :

لا شك في أن أمانة كل عبدٍ مسلم هي أن يحيى حياةً طيبة وأن يدرء الله تعالى عنه وعن عياله شر فتن وبلايا الدنيا والآخرة، ولم يجعل الله تعالى تحقيق هاتين الأمتين من المُحال، بل إن العبد يستطيع الوصول لهما من خلال العمل الصالح فهو الذي يدفع عنه مشاكل الدنيا وهمومها وغمومها التي تقضي على معالم جودة الحياة فالله تعالى أراد لعبده العيش الطيب والنعيم الأخروي، فأمره بالعمل الصالح والفعل الحسن واجتناب القبيح، وأخبر عباده أنه مطلع على أعمالهم من خلال قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^{٨٦}، أما في الآخرة كيف تكون حياة العباد طيبة وذات جودة ورقي وأمان وسرور إذا كان مردُّهم على الله تعالى بوجه أسود؟، حيث يقول تعالى: ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))^{٨٧} والمحصلة النهائية هي أن الوصول لعيش الحياة الطيبة تكون بالعمل الصالح وحسن علاقة العبد بربه، بدليل قوله تعالى: ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))^{٨٨}، ولكي يعيش العبد حياةً طيبة وينعم بجودة الحياة وإن كانت تشوبها بعض المنغصات والبليات التي يتعرض لها المؤمنون للاختبار.. شرع الإمام زين العابدين (عليه السلام) بتأليف رسالة الحقوق والتي اعتُبرت بشارَةً حقوقية للمجتمعات كافة، اشتملت على خمسين حقاً في جميع مافي سلوكيات الإنسان بكافة أوضاعه وحالاته، ابتدأها (عليه السلام) بحق الله تعالى ثم حقوق النفس والجوارح والأفعال وحق الوالدين وأهل الملة والملل الأخرى، فكان مليئةً بالأسباب التي توصل الإنسان لجودة الحياة والاستمتاع بها دون

منغص، ومثال على ذلك أمران :

الأمر الأول : (حق الصدقة) : حيث يقول ﷺ : ((وحق الصدقة، أن تعلم أنها ذخرك عند ربك عز وجل ووديعتك التي لا يحتاج إلى الإشهاد عليها بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانيةً وتعلم أنها تدفع البلايا والأسقام في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة))^{٨٩}، فكيف تكون هناك جودةٌ للحياة إذا كانت مفعمةً بالبلايا والأسقام الدنيوية ونار جحيمٍ أخروية؟ فالحقوق التي وضعها الإمام السجاد ﷺ في رسالته هي أسبابٌ توصل الإنسان لما يسمى بـ (جودة الحياة) والصدقة بعنوانها العام هنا هي إحدى تلك الأسباب.

الأمر الثاني : هو أن الإمام زين العابدين ﷺ من خلال رسالة حقوقه هذه أراد أن يجعل من المؤمن قوياً، ففي الحديث : ((المؤمن القوي خير وأحبّ عند الله من المؤمن الضعيف))^{٩٠}، وذلك من خلال قوة ارتباطه بالله تعالى وطاعته له ليعرف كيف يجتاز أعباء الحياة التي تعترضه ويعالجها بالصبر والدعاء والتوكل، وإلا صار ضعيفاً ومهموماً وفقيراً وتائهاً وفاقداً لمصاديق السعادة والعيش الرغيد الآمن بسبب ابتعاده عن ربه وأوامره ونواهيه جلّ وعلا، فالنهج الذي انتهجه الإمام السجاد ﷺ هنا نهجٌ سام، الهدف منه إيصال العباد إلى ما يعرف بـ (جودة الحياة) من خلال تقوية ارتباطهم بالله تعالى والدعوة إلى التمسك بنهجهم المبارك (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) .



خاتمة ونتائج :

استطاع الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أن يُقدِّم مفهومًا شاملاً لجودة الحياة، يجمع بين الجانب الروحي والأخلاقي والاجتماعي والصحي والعلمي. بعد الجنبه التي أبرزها البحث في كيفية دعوته لتطبيق معالم الجودة والإتقان بشكل عام، فقد كان حريصاً على نشر مفاهيم الجودة بمختلف جوانبها لتحقيق السعادة والرضا والانسجام بين مختلف طبقات المجتمع آنذاك. فكانت أعماله وتعاليمه أدلةً غنيّةً لتحقيق سعادة الدارين، وأدواتاً تخلق جوّاً من الجودة والاستقرار لحياة الناس والفقراء منهم على وجه الخصوص، فـ(جودة الحياة) تعني الشعور بالسعادة والأمان والرضا، والسعادة هي شعور داخلي بالرضا والفرح والبهجة، وهي غاية يسعى إليها جميع الناس، وقد أدخلها الإمام زين العابدين على نفوس الناس بنشر مصاديقها من خلال تعاليمه وأحكامه وأعماله .



الهوامش:

- ١- هود: ٧.
- ٢- البقرة: ١٩٥.
- ٣- المعجم الوسيط: ١٤٥ / ١.
- ٤- لسان العرب، ابن منظور: ٤١١ / ٢.
- ٥- القاموس المحيط، الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٧ بيروت: ٣٥٠.
- ٦- إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية (التطبيق ومقترحات التطوير)، صالح ناصر علييات: عمان، دار الشروق، ٢٠٠٤م: ١٦.
- ٧- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي: ج ١٣، ص ٢٤٤.
- ٨- لسان العرب، ابن منظور: ج ٣ / ص ٧٣.
- ٩- سورة هود: الآية ١.
- ١٠- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي: ٢٠٠٢ / ٣٩٢.
- دار الحديث، القاهرة.
- ١١- سورة الكهف: الآية ٣٠.
- ١٢- سورة الملك: الآية ٢.
- ١٣- سورة النحل: الآية ٩٣.
- ١٤- التحرير والتنوير ((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد))، محمد طاهر ابن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤: ٢٥٥ / ٢٣.
- ١٥- التفسير الأصفي، الفيض الكاشاني: ج ٢، ص ١٠٦٨.
- ١٦- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ج ١٣، ص ٦٠٤.
- ١٧- سورة النمل: الآية ٨٨.
- ١٨- سورة الأنعام: الآية ٤٨.
- ١٩- سورة الشورى: الآية ٤٠.
- ٢٠- سورة هود: الآية ٨٨.
- ٢١- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ج ١، ص ٧٦.
- ٢٢- منهج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني: ج ١ / ص ٧٣.
- ٢٣- نهاية الأحكام، العلامة الحلي: ج ١ / ص ٤٨١.
- ٢٤- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٦٧ / ص ٢٨٣.
- ٢٥- مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني: ج ٥ / ص ٥١.

- ٢٦- العمل وحقوق العامل في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي : ص ٣٠٦ .
- ٢٧- كوهيت، ستيفن وآخرون (١٩٩٧)، ادارة الجودة الكلية في الحكومة دليل علمي لواقع حقيقي، معهد الادارة العامة، الرياض .
- ٢٨- أرماند فيخبوم ١٩٥٦ .
- ٢٩- كروسي ١٩٧٩ .
- ٣٠- جوزيف جوران ١٩٨٩ .
- ٣١- ديمنج ١٩٨٦ .
- ٣٢- ادارة الجودة الشاملة، العزاوي، محمد عبد الوهاب: ص ٤٧، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥ .
- ٣٣- سورة المطففين : الآية ٢٥، ٢٦ .
- ٣٤- سورة هود : الآية ١ .
- ٣٥- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (عليه السلام)، السيد علي خان المدني الشيرازي : ج ٤ / شرح ص ٤٢٦ .
- ٣٦- سورة هود : الآية ٤٥ .
- ٣٧- البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي : ج ٥، ص ٤٩٣ .
- ٣٨- جودة الحياة لدى طلبة جامعتي دمشق وتشرين، نعيمة، رغداء علي (٢٠١٢) . مجلة جامعة دمشق. ٢٨ (١). ١٤٥ - ١٨١ .
- ٣٩- جودة الحياة، المفهوم والأبعاد، أبو حلاوة، محمد السعيد : كلية التربية بدمنهور، جامعة الإسكندرية، ضمن إطار فعاليات المؤتمر العلمي السنوي لكلية التربية، جامعة كفر الشيخ .
- ٤٠- الانتصار، الشريف المرتضى : ص ٨٠ .
- ٤١- سورة الروم : الآية ٣٠ .
- ٤٢- منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخراساني : ج ١ / ص ٨ .
- ٤٣- منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخراساني : ج ١ / ص ٦٢ .
- ٤٤- التفسير المبين، محمد جواد مغنية : ص ٧٦٦ .
- ٤٥- موسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام)، الشيخ هادي النجفي : ج ٦، ص ٣٦ .
- ٤٦- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق : ص ٤٠٨ .
- ٤٧- مذهب الأحكام في بيان الحلال والحرام، السيد عبد الأعلى السبزواري : ج ٥، ص ٤٨٦ .
- ٤٨- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليهم السلام)، الحر العاملي : ج ٥، ص ٥٦٤ .
- ٤٩- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي : ج ٢، ص ٥٨٤ .
- ٥٠- حاشية ابن ادریس علی الصحیفة السجادية (موسوعة ابن ادریس الحلي)، ابن ادریس

الحلي: ص ٣٥-٣٦.

٥١- الأعلام، خير الدين الزركلي: ج ٤ / ص ٢٧٧.

٥٢- الصلاة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري: ص ٢٠٣.

٥٣- منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخراساني: ج ١ / ص ٢٥٨.

٥٤- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٦ / ص ٨٨.

٥٥- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٦ / ص ٨٩.

٥٦- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٦ / ص ٨٩.

٥٧- الوافي، الفيض الكاشاني: ج ٢٦ / ص ١٦٢.

٥٨- سورة النمل: الآية ٨٨.

٥٩- الصحيفة السجادية الكاملة، الامام زين العابدين (عليه السلام): ص ٢٢، ٢٥-٢٦.

٦٠- شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني: ج ٨ / ص ٢٨١.

٦١- منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخراساني: ج ١ / ص ٥١٤.

٦٢- موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، الشيخ هادي النجفي: ج ١٢ / ص ٢٠٧.

٦٣- الإكتساب، والمعنى الشخصي وجودة الحياة النفسية لدى عينة من طالبات كلية التربية جامعة أم القرى في ضوء بعض المتغيرات، المالكي، حنان عبد الرحيم عبد الله (٢٠١١):

مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر / ج ٣ (١٤٥). ٢٤٤-٢٤٨.

٦٤- فعالية برنامج تدريبي مقترح لتحسين جودة الحياة...، ابو راسين، محمد بن حسن

(٢٠١٢)، مجلة الارشاد النفسي. (٣٠). ١٣٧-٢٣٤.

٦٥- الاستمتاع بالحياة في علاقته ببعض متغيرات الشخصية الإيجابية، دراسة في علم النفس الإيجابي، عبد العال، تحية محمد أحمد، ومظلوم، مصطفى علي رمضان (٢٠١٣): مجلة كلية التربية بينها. ٢ (٩٣) / ٧٨-١٦٣.

٦٦- السلوك التكيفي وعلاقته بجودة الحياة...، الشيراوي، مريم عيسى، (٢٠١٣): مجلة الطفولة العربية. (٥٤).

٦٧- تطوير وتقنين مقياس جودة الحياة لدى طلبة الجامعة في سلطنة عمان، منسي، محمد عبد الحليم، وكاظم، علي مهدي، (٢٠١٠): أماراباك، ١ (١) / ٤١-٦٠.

٦٨- التلكؤ الأكاديمي وعلاقته بجودة الحياة المدركة عند طلبة الجامعة. دراسات عربية في التربية وعلم النفس. (ASEP)، العبيدي، عفراء ابراهيم خليل، (٢٠١٣): ج ٢. (٣٥) / ١٤٧-١٧١.

٦٩- السلوك التكيفي وعلاقته بجودة الحياة...، الشيراوي، مريم عيسى، (٢٠١٣): مجلة الطفولة العربية. (٥٤). ٦٧-٩٦.

- ٧٠- سورة التوبة : الآية ٦٠ .
- ٧١- منهاج الصالحين، السيد محمد سعيد الحكيم : ج ١ / ص ٣٨١ .
- ٧٢- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني : ج ٦ / ص ٢٦٠ .
- ٧٣- الحدائق الناضرة، المحقق البحراني : ج ٢٥ / ص ١٤٠ .
- ٧٤- بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ج ٢٠ / ص ٢٩٠ .
- ٧٥- ذخيرة المعاد، المحقق السبزواري : ج ١ ق ١ / ص ٢٢ .
- ٧٦- زبدة البيان في أحكام القرآن، المحقق الأردبيلي : ص ٣٢٧-٣٢٨ .
- ٧٧- إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الديلمي : ج ١ / ص ١٠٥ .
- ٧٨- جهاد الإمام السجاد عليه السلام، السيد محمد رضا الجلالي : ص ١٤٥ .
- ٧٩- سورة البقرة : الآية ٢٧١ .
- ٨٠- الوافي، الفيض الكاشاني : ج ١١ / ص ٣٦٧ .
- ٨١- المقنعة، الشيخ المفيد : ص ٢٦١ .
- ٨٢- الأعلام، خير الدين الزركلي : ج ٤ / ص ٢٧٧ .
- ٨٣- حياة الامام زين العابدين، الشيخ باقر شريف القرشي : ج ١ / ص ٨٤ .
- ٨٤- حاشية ابن ادریس علی الصحیفة السجادیة (موسوعة ابن ادریس الحلي)، ابن ادریس الحلي : ص ٣٥-٣٦ .
- ٨٥- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (الأول) : ج ١٢ / ص ١٧٥-١٧٦ .
- ٨٦- سورة التوبة : الآية ١٠٥ .
- ٨٧- سورة آل عمران : الآية ١٠٦-١٠٧ .
- ٨٨- سورة النحل : الآية ٩٧ .
- ٨٩- الجامع للشرائع، يحيى بن سعيد الحلي : ص ٦٢٦ .
- ٩٠- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية : ج ١ / هامش ص ٣١٥ .

المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم .
- * المعجم الوسيط : ١ / ١٤٥ .
- * لسان العرب، ابن منظور : ٢ / ٤١١ .
- * القاموس المحيط، الفيروز آبادي محمد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٧ بيروت : ٣٥٠ .
- * إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية (التطبيق ومقترحات التطوير)، صالح ناصر عليما : عمان، دار الشروق، ٢٠٠٤ م : ١٦ .
- * الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي : ج ١٣، ص ٢٤٤ .
- * لسان العرب، ابن منظور : ج ٣ / ص ٧٣ .
- * تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي : ٢٠٠٢ / ٣٩٢ . دار الحديث، القاهرة .
- * التحرير والتنوير ((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد))، محمد طاهر ابن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ : ٢٥٥ / ٢٣ .
- * التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني : ج ٢، ص ١٠٦٨ .
- * جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي : ج ١٣، ص ٦٠٤ .
- * التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي : ج ١، ص ٧٦ .
- * منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني : ج ١ / ص ٧٣ .
- * نهاية الأحكام، العلامة الحلي : ج ١ / ص ٤٨١ .
- * بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ج ٦٧ / ص ٢٨٣ .
- * مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني : ج ٥ / ص ٥١ .
- * العمل وحقوق العامل في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي : ص ٣٠٦ .
- * كوهيت، ستيفن وآخرون (١٩٩٧)، إدارة الجودة الكلية في الحكومة دليل علمي لواقع حقيقي، معهد الإدارة العامة، الرياض .
- * أرماند فيخوم ١٩٥٦ .
- * كروسي ١٩٧٩ .
- * جوزيف جوران ١٩٨٩ .
- * ديمغ ١٩٨٦ .
- * إدارة الجودة الشاملة، العزاوي، محمد عبد الوهاب : ص ٤٧، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥ .
- * رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ﷺ، السيد علي خان المدني الشيرازي : ج ٤ / شرح ص ٤٢٦ .
- * البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي : ج ٥، ص ٤٩٣ .
- * جودة الحياة لدى طلبة جامعتي دمشق وتشرين، نعيسة، رغداء علي (٢٠١٢) .
- * مجلة جامعة دمشق ٢٨ (١) ١٤٥ - ١٨١ .
- * جودة الحياة، المفهوم والأبعاد، أبو

- * علم النفس الإيجابي، عبد العال، تحية محمد أحمد، ومظلوم، مصطفى علي رمضان (٢٠١٣) : مجلة كلية التربية بنها. ٢ (٩٣) / ٧٨ - ١٦٣ .
- * السلوك التكيفي وعلاقته بجودة الحياة..، الشيراوي، مريم عيسى، (٢٠١٣) : مجلة الطفولة العربية. (٥٤) .
- * تطوير وتقنين مقياس جودة الحياة لدى طلبة الجامعة في سلطنة عمان، منسي، محمد عبد الحليم، وكاظم، علي مهدي، (٢٠١٠) : أماراباك، ١١ (١) / ٤١ - ٦٠ .
- * التلكؤ الأكاديمي وعلاقته بجودة الحياة المدركة عند طلبة الجامعة. دراسات عربية في التربية وعلم النفس. (ASEP)، العبيدي، عفراء ابراهيم خليل، (٢٠١٣) : ج ٢. (٣٥) / ١٤٧ - ١٧١ .
- * السلوك التكيفي وعلاقته بجودة الحياة..، الشيراوي، مريم عيسى، (٢٠١٣) : مجلة الطفولة العربية. (٥٤) . ٦٧ - ٩٦ .
- * منهاج الصالحين، السيد محمد سعيد الحكيم : ج ١ / ص ٣٨١ .
- * الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني : ج ٦ / ص ٢٦٠ .
- * الحقائق الناضرة، المحقق البحراني : ج ٢٥ / ص ١٤٠ .
- * بحار الأنوار، العلامة المجلسي : ج ٢٠ / ص ٢٩٠ .
- * ذخيرة المعاد، المحقق السبزواري : ج ١ ق ١ / ص ٢٢ .
- * زبدة البيان في أحكام القرآن، المحقق الأردبيلي : ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .
- * إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الديلمي : ج ١ / ص ١٠٥ .
- * جهاد الإمام السجاد (عليه السلام)، السيد محمد رضا الجلاي : ص ١٤٥ .
- * الوافي، الفيض الكاشاني : ج ١١ / ص ٣٦٧ .
- * المقنعة، الشيخ المفيد : ص ٢٦١ .
- * الأعلام، خير الدين الزركلي : ج ٤ / ص ٢٧٧ .
- * حياة الإمام زين العابدين، الشيخ باقر شريف القرشي : ج ١ / ٨٤
- * حاشية ابن ادريس على الصحيفة السجادية (موسوعة ابن ادريس الحلي)، ابن إدريس الحلي : ص ٣٥ - ٣٦ .
- * روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (الأول) : ج ١٢ / ص ١٧٥ - ١٧٦ .
- * الجامع للشرايع، يحيى بن سعيد الحلي : ص ٦٢٦ .
- * التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية : ج ١ / هامش ص ٣١٥ .

التقابل الدلالي في أقوال الإمام السجاد (عليه السلام) وأثره الفكري والتربوي

أ.د. هادي نهر

مقدمة :

الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) شأنه شأن أئمة آل البيت الأطهار باب من أبواب الفصاحة، والبلاغة والبيان، مثلما هو ضمير للحق، وشعار للورع، و دثار للزهد، وقائد للبر والمروءة والرحمة والمكرمات، وسنة تحتذى قولاً وعملاً زماناً ومكاناً، فعلى الرغم من تراحم الأحداث القاسية، وقوارع الزمان ونوائبه فما مرّ عليه - سلام الله عليه - لم تنحن له هامة، ولم يهو له لواء، بل كان بارع الورد، حميد الخلق، ثابت الجنان، فصيح اللسان، شهاب الخطوب وكان متسامياً، مترفعاً، وسموه وترفعه (عليه السلام) تسبق أي محاولة لوصفه وللإحاطة بترائه الفكري، والمعرفي، والديني، والسياسي والأدبي، ولذلك وجدتهني أدخل عوالمه الرحبة ومن خلال مآثرة بيانية وتربوية، وأخلاقية من مآثره التي لا تحدد ولا تحيّر، فكنت مع ظاهرة لغوية بلاغية ودلالية أصيلة ورصينة أولاهها اللغويون القدامى العرب اهتماماً بالغاً من الدرس والتتبع مقبلين إياها على وجوه متكاثرة، وهي ظاهرة (التقابل الدلالي) الكامنة في النماذج العليا من النصوص اللغوية عند البلغاء من الحكماء، والمصلحين، والأدباء، والشعراء، والفلاسفة التي تؤكد أن الحكم على النصوص اللغوية لا يعتمد على النظر في الألفاظ المفردة ودلالاتها المعجمية، وإنما يقوم على النظر

في التراكيب والجميل التي تشكل النص، فالمزية ليست واجبة للألفاظ في أنفسها، بل في تأليفها ونظمها بعضها مع بعض، فكل لفظ مفرد من ألفاظ اللغة إنما يكتسب دلالة ووظيفته وقيمه من السياق.

وبعد طواف وسعي في رحاب ما قام به الإمام السجاد (عليه السلام) في تفسير الآي من القرآن الكريم، وخطبه، وأدعيته الصادقة، وصحيفته الخالدة، ورسائله، وأشعاره وغيرها من المآثر البلاغية التي تعد نموذجاً للوحدة الموضوعية والتماسك اللغوي بين الألفاظ داخل التراكيب ضمن تعالقاتها وتربطها النصي، وأنظمتها البلاغية وسياقاتها، ومرجعياتها وإطارها المعرفي، والفكري، والتربوي، والثقافي الذي أنجزت في ضوءه، أقول: بعد هذا الطواف والسعي الدؤوبين وقعت على كثير من الشواهد التي تشتمل على ضروب التقابل الدلالي وأنواعه فيما خلفه الإمام السجاد (عليه السلام) من نتاج (فكري وفقهي، وعقائدي، ومصرفي، وسياسي، وأخلاقي، وأدبي، وجمالي) بما يؤكد أن ثمة مجالاً رحباً للتباين بين بلاغة البلاء، وفصاحة الفصحاء، وإن كانوا يستندون في ما ينجزون إلى لغة واحدة، وأنظمة واحدة، ولكن التمايز يظل قائماً بينهم بما يمكننا من أن نميز الموضوعات، والبنيات البلاغية الكبرى من غيرها، وكيفية تشكيلها، وإنجازها حواراً ونصوصاً لا تبيد، ولا يأتي عليها الزمان من جهة، ومن جهة أخرى يمكننا أيضاً أن نتبين الأثر التربوي، والتعليمي، والأخلاقي، والروحي لهذا النص أو ذاك، وقد وجدنا فيما عرضناه من نصوص دروساً رصينة للإمام السجاد (عليه السلام) في الوجود، والإنسان وخالق الوجود والإنسان وفي القيم الانسانية العليا، وفي التربية، والأخلاق، والعلاقات المتسامية، وفي الحقوق، والآداب، وإنسانية الإنسان.

(التقابل : المفهوم والمصطلحات المصاحبة)

التقابل الدلالي ((Semantic Contrast, Opposition) ركن اساس من أركان نظرية المجالات اللغوية التي تتحكم في حركة المترادفات، والمشتركات، والمتضادات، والمتقابلات اللفظية خارج إطار السياق اللغوي وداخله، وهذا التقابل الدلالي ظاهرة لغوية بلاغية، وقرينة من القرائن الدلالية التي تكشف عن العلاقات المعنوية بين الألفاظ، أو التراكيب اللغوية.

والتقابل والمقابلة في اللغة : الطاقة، يقال : لا قبل لهم بكذا أي : لا طاقة . وتقول : لقيته قبلاً أي مواجهة، وهو قبالك وقبالتك أي : اتجاهاً^١.

وقد اختلفوا في مفهوم التقابل في الاصطلاح على أوجه، فمنهم من رآه (تضاداً) ومطابقة وتطابقاً، ومنهم من رآه : مواجهةً وتناقضاً وتخالفاً، وآخر رأى أن التقابل عكس التماثل^٢.

ونرى أن التقابل أعمّ من التضادّ والتخالف لكونه أكثر دلالة على الضدية والخلاف زيادة، وما التضاد أو التناقض أو التعاكس أو التخالف إلا مصاحبات له، أو فروع منه .

ومن المحدثين من خلط بين التقابل والتضادّ فجعلها واحداً، وليس الأمر كذلك، فالتضاد أو المتضاد أن يكون اللفظ الواحد على معنيين أحدهما عكس الآخر في المعنى كالصارخ للمستغيث والمغيث، والجلل : للعظيم اليسير والتقابل بين : الحق والباطل مثلاً تقابل بالضد والنقيض، على حين أن التقابل بين (الكثير والقليل) تقابل بالخلاف . ومن القدماء العرب من ساوى بين (المقابلة) و (المطابقة) فهما مترادفان عنده يدلان على الجمع بين الشيء وضده في الكلام كالجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، بشرط تقابل الاسم مع الاسم، والفعل مع الفعل^٣. وليس هذا الشرط بمانع عندنا من أن يكون التقابل شائعاً في الأسماء بعضها مع بعض وكذا في الأفعال،

والتركيب الاسمية والفعلية على أنواعها الفرعية المتكاثرة من جمل وصفية، أو حالية، أو شرطية، أو ظرفية، يزداد على هذا ما يستتقرق إليه في مواضعه من البحث من أنماط التقابلات .

وقد استوفى بعض القدماء أيضا النظر إلى التقابل من خلال حديثه عن (المطابقة) كما فعل ابن الأثير^٦ وعكف آخرون على التفريق بينهما من خلال تفريقهم بين الجنس والمطابقة من جهة، وبينها وبين التقابل من جهة أخرى، فالمطابقة في المعاني ضدّ (التجنيس) في الألفاظ؛ لكون التجنيس اتحاد اللفظين مع الاختلاف في المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَجُودُهُ يُؤَمِّدُ نَاصِرَةً﴾ * إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةً ﴿ (القيامة، ٢٢-٢٣).^٧

ومما زاد المصطلحات المصاحبة للتقابل ضروب الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية فمن المترجمين العرب من يطلق مصطلح (التباين) ترجمة لـ (Complementarity) أو (التتام) و(المتّم) و(التضاد الحادّ) و(التنافر) و(التضارب) مقابل لـ (Ncompatibility)^٨

(أنواع التقابل)

ومثلما اختلف في مفهوم التقابل والتنوّع في تقسيماته، ومصطلحاته المتكاثرة، اختلفوا في بيان أنواعه المتكاثرة أيضاً، والاصطلاح على كل نوع منها بمصطلح يدلّ عليه، ولا يمكن للباحث أن يقف على أنواع التقابل الا من خلال نصوص لغوية ذات قيم موضوعية، وبلاغية، وجمالية تمد الباحث بشواهد عليها لما يريد بيانه والكشف عن أبعاده، وصفاته وشيائه، وما أجدرنا بما خلفه الإمام السجاد (عليه السلام) من آثار لغوية بيانية ذات قيم فكرية وتربوية وأخلاقية متسامية يمكن أن تتخذ ميداناً للبحث في شتى الموضوعات الخاصة بعلوم القرآن، والحديث، والعقائد، والفقه، والتربية، والأخلاق، وحقوق الإنسان والسياسة، والتاريخ، وغيرها مما كان عليه الإمام السجاد (عليه السلام) وآل البيت النبوي الأطهار من أئمتنا المعصومين (عليهم السلام).



لقد كمن في آثار الإمام السجاد عليه السلام فكر نقى، وبصيرة نافذة، وضمير عفّ، وسريرة زكية، ولغة متفجرة بضروب الفصاحة والبيان والبلاغة، والدلالات الممتدة الضاربة في العقول العاقلة، والضائير الحية، والنفوس النقية.

ومن الثابت عند أولي المعرفة بدقائق اللغة وأسرارها، وسماتها البلاغية أن الحكم على طبيعة النصوص اللغوية لا يعتمد على النظر في الألفاظ المفردة حيث دلالاتها المعجمية، وإنما يقوم على النظر في التراكيب والجمل التي تشكّل النصّ اللغوي كله، فالمزية ليست واجبة للألفاظ في أنفسها، وإنما قيمتها وحسنها في تأليفها ونظمها بعضها مع بعض؛ إذ (تعرض بسبب من المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها مع بعض، فالتأخير لا يروق في كل مقام، والتقديم لا يروق في كل مقام، وليست من فضل أو مزية لشيء من ذلك إلا بحسب الموضع، وبحسب المعنى)^٩.

والألفاظ عند الجرجاني (ت. ٤٧١ هـ) التراكيب، لأن الحكم على طبيعة الخطاب عنده (لا يعتمد على النظر في الألفاظ المفردة، فالألفاظ المفردة موقعها المعجم، وإنما يقوم على النظر في الجمل التي تسرد ليعرف موضع الفصل منها من الوصل، ثم يعرف ما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع (ثم)، وموضع (أو) من موضع (أم) وموضع (لكن) من موضع (بل) ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير، وفي الحذف، والتكرار، والإضمار، والإظهار، فيضع كلا من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وما ينبغي له)^{١٠}.

وسواءً أكان السياق مقالياً لغوياً أو حالياً مقامياً، فهو - أعني السياق - العنصر الرئيس في تماسك عناصر النص اللغوي وآليات هذا التماسك ووسائله، والعلاقات التي تضام بين مكوناته. وهذا التفاعل بين السياق واللغة المستعملة هو الذي (يؤدّي إلى ملء الفجوات التي تخلخل أجزاء النص، وتهيئ له حضوره الكلي، وهذا بطبيعة الحال شيء يتجاوز السلوك اللغوي)^{١١}.



السياق اللغوي

وليس من شك أن التقابلات الدلالية تعمل مع تقنيات وظواهر لغوية أخرى على منح النص دفعات تعبيرية جاذبة ومؤثرة في المتلقي ومرسخة المعنى المراد، وكاشفة عن مدياته التعبيرية، وقد وجدنا في آثار الإمام السجاد ثراءً وتنوعاً منها، وعلى النحو الآتي :

أولاً: التقابلات الضدية (Upgradable) :

اصطلح القدماء العرب على التقابل الحاد بمصطلح (النقيض)، وهو أقرب إلى المفهوم المراد من اللفظين المتقابلين تقابلاً تضادياً لا يسمح بأي تنويع أو توصيف غير كون كل من اللفظين المتقابلين يمثل حالة، أو حدثاً، أو وصفاً يناقض ما يقابله مناقضة متباينة لا تسمح بأي مساحة دلالية بينهما، ولا تسمح بأي احتمالات ملائمة يمكن في ضوءها التقريب بينهما .

يقول الإمام السجاد (عليه السلام) في أحد أدعيته التي يناجي بها ربه وخالفه مما تتجلى من خلاله محبته لسمو الإيمان بالرفيق الأعلى المطلق، وسمو النفس المقبلة على خالفها القدير البديع : (الحمد لله الذي أذهب الليل مظلماً بقدرته، وجاء بالنهار مبصراً برحمته وكساني ضياءه، وآتاني نعمته)^{١٢} .

فالتقابل بين المتصّلين بالبعد الزماني (الليل والنهار) الأول مظلم بقدره الله تعالى وحسابه، والثاني مبصر برحمته جل شأنه تقابل الإيجاب والسلب على الرغم من أن كلا من الليل والنهار نعمة من نعم الله .

الأول : سبات وراحة وسكينة، والثاني : معاش، وسعي، وحياة . ولا تقابل بين عديمين، فإما أن يكون أحد طرفي المتقابلين وجوداً والآخر عديمياً، وإما أن يكون كلُّ منهما وجودياً، ولا يعقل وجود أحدهما إلا بوجود الآخر، على الرغم من كونهما ضدين، وذلك آية من آيات الله المحمود على ما قدّر وأبدع . ومن هذا التقابل قول الإمام (عليه السلام) متوجّهاً بالدعاء إلى الله سبحانه : (اللهم أنت الواحد بلا شريك، والملك بلا تمليك، لا تضادّ في حكمك، ولا تنازع في ملكك)^{١٣} .

ففي هذا الدعاء تقابل يجمع بين وحدانية الله جل شأنه، والتشريك معه، بين الموجود الذي لا واجد له، والمالك الذي لم يملكه أحد. إنه تقابلٌ يحدّد وجهة المطلق الذي يغمر الكون بإشراقة البديع ووحدانية المطلقة التي يلوذ بها الكون كله .

ويقول الإمام السجاد (عليه السلام): (اللهم إني أتوب إليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي وصغارها، وبواطن سيئاتي وظواهرها، وسوالف زلاتي وحوادثها) ^{١٤}

فالذنوب ← كبائر / وصغائر

والسيئات ← بواطن / وظواهر

والزلات ← قديمة / وآنية

مع التنبيه على التدرّج المدهش الحاصل في دلالة المتقابلات : الذنوب ← السيئات ← الزلات، كل ودلالته المشخصة، ومما تقابل تقابلاً حاداً على المستوى المفرداتي في شعر الإمام (عليه السلام) قوله من الوافر مؤكداً حق أهل البيت بالإمامة والزعامة، والقيادة التي جحد بها الجاهدون، وأخذ استحقاقها الطغاة والفاسدون :

إذا ميز الصحاح من المراض

كما عرف السواد من البياض

فقاضينا الإله ونعم قاض ^{١٥}

لكم ما تدعون بغير حق

عرفتم حقنا فجحدتمونا

كتاب الله شاهدنا عليكم

وفي هذا تقابل وتناقض لا تجتمع فيه دلالة المتقابلين، ولا تتقاربان أبداً فلا تقارب بين : الصحاح والمراض، والحق والجحود.



وقد يبنى التقابل بين تركيبين مفيدتين دلالة معينة قائمة على الاخبار أو الإنشاء، أو الشرط، إثباتاً ونفيّاً كقوله ﷺ^{١٦}:

فمن حسنت أفعاله فهو فائز ومن قبحت أفعاله فهو زاهق
والزاهق : المنهزم، والباطل إذا زال واضمحل فهو زاهق وزهوق . وفي البيت
تقابل تحكمه علاقات حدوث ونتائج قائمة في جملتي الشرط والجواب ف :

من حسنت أفعاله ← هو الفائز

ومن قبحت أفعاله ← هو الزاهق

كينونتان متضادتان ينتج عنهما كينونتان متضادتان أيضاً، فحسن الأفعال
يقابله الفوز في الدنيا والآخرة، وقبح الأفعال يقابله الباطل والخسارة
والزوال. وهذا كما في قوله تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾^{١٧}
وقد يبنى التقابل الحادّ بين إثبات ونفي في جملتين كقوله ﷺ^{١٨} : - (يا من يرغب إليه
ولا يرغب عنه)^{١٨} أو يبنى بجمل تّمازج بين الإنشاء القائم على الطلب المحض
المعبر عنه بالدعاء والتذرع والتوسل، والقائم على تقابلات حادة منها ما هو
مكاني كما في (الخلاء والملاء) أو زماني كما هو في (الليل والنهار) أو حداثي حركي
كما في (الاعلان والاسرار) و (السراء والضراء) كقوله ﷺ^{١٩} (الهي فاهمنا ذكرك
في الخلاء والملاء، والليل والنهار، والإعلان والاسرار، وفي السراء والضراء)^{١٩}.

ثانيا :التقابل المتدرّج (Gradable)

أدرج القدماء العرب هذا التقابل ضمن (التضاد) حيناً، والتقابل حيناً
آخر، واستوفوه تمثيلاً واستشهاداً في بعض أبواب (الحقول الدلالية) التي
ضمّنها بعض مصنفاتهم منطلقين من الدرجة الأعلى أو الأدنى التي يدل
عليها اللفظ المعين، موزعين إياها توزيعاً غير ثنائي كما هو الحال في التقابل
الحاد، بحيث يمكن الوقوف على الخاصية المتغيرة التي يتصف بها اللفظ المفرد

مقابلة بالخاصية النسبية المتغيرة للفظ الثاني أو الثالث وهكذا صعوداً أو نزولاً في درجة هذه الخاصية أو القيمة فهناك عندهم تفصيل متدرج صعوداً في أوصاف (الطول) أو (الحزن) أو (ترتيب السواد) على القياس والتقريب، و (أوائل الأشياء وأواخرها) و (صفاء الأشياء وكبارها وعظامها وضخامتها) وغير ذلك كثير^{٢٠}.

يقول الإمام عليه السلام مناجياً ربه تعالى :

(اللهم أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك)^{٢١} فالمحبة عند الإمام عليه السلام درجات ومراتب، أسماها وأعظمها مرتبة محبة الذات القدسية، فهي المقدمة على ما سواها شرط الإيمان المطلق الذي لا مندوحة منه، ولا يستغنى عنه بالمحبوب الأول والآخر: الله تعالى، فمن أحبه أحبه الناس وتعلو بكل شيء جميل وباهر منعكس عن المحبة الخالصة من غير مواراة، ولا منة، أو منفعة بل صدق، ونقاء، ووفاء، فمنتهى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة أن يحبه الله تعالى بوصفه عبداً محباً لربه، مؤمناً به، شكوراً له وأن يهديه تعالى إلى محبته وحده لا شريك له . قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ﴾^{٢٢}.

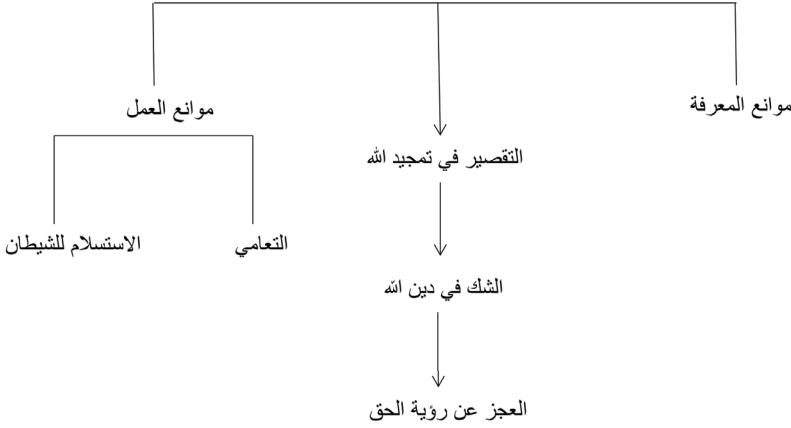
وقال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترَبَّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾^{٢٣}.

وموانع معرفة الحق عند الإمام عليه السلام متعددة منها ما هو مانع وحاجب للمعرفة، ومنها ما هو مانع للعمل، وهي على تعددها نجد أن منطلقها الأساس، ومتضمنها الأعلى هو: الالحاد في وحدانية الله سبحانه والتشريك به،

فكل شيء من منكرات الإنسان، وانسحاقه، وضياعه يبدأ من هذا الاحاد، ينطلق منه ويعود عليه سواء أكان هذا العمى وانطفاء البصيرة مانعاً من موانع المعرفة، أو كان مانعاً من موانع العمل . هكذا يلقي الإمام درساً من دروسه على المبصرين من الناس إذ يقول : (اللهم صل على محمد وآله، وجنبنا الاحاد في توحيدك والتقصير في تمجيدك، والشك في دينك، والعمى عن سبيلك، والإغفال لحرمتك، والانخداع لعدوك الشيطان الرجيم)^{٢٤} .

كل شيء عند الإمام عليه السلام يبدأ من موقف الإنسان من خالقه مؤمناً بذاته القدسية، أو ملحداً بها . فمعرفة الله تعالى هي القائد، والهادي، والمرشد إلى السبيل الذي يوصل الإنسان إلى شرف إنسانيته، وأهليته للمحبة والتضحية والعمل المبدع، والعطاء الكريم، وأي شرود أو غفلة عن هذه المعرفة ستقود الإنسان إلى مهاوي الضلال والخسران . هكذا هو الإيمان هداية لأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق، وأجل الأعمال والأفعال . وهكذا هو الاحاد بالله والإشراك به طريقاً إلى منكرات الأخلاق، ورذائل الاعمال، وشرور الأهواء، كل شيء ينتج عنه ما يساويه ويعادله إيماناً أو ضلالاً .

الاحاد في توحيد الله



وكيف يمكن للمخلوق أن يشرك، بخالقه إن لم يكن عمي البصيرة والبصير
عن أن الله تعالى خالق بلا شريك، ومبدع بلا معين أو وزير . يقول الإمام عليه السلام:
(وأنت الذي لم يعنك على خلقك شريك، ولم يؤازرك في أمرك الوزير)^{٢٥} .

والإمام السجاد عليه السلام شأنه شأن أئمتنا الأطهار مستنير بضياء الله تعالى، هو
منارة لهداية الآخرين نحو الحق، والعدالة، والنقاء، وسمو القول والفعل
والرأي والفكر فهو (ابن خير من انتعل واحتفى)^{٢٦}

هو ابن البطولة حين تهب ركاب متدربة بالحق، وهو ابن الخالع نعليه في
محراب الله وبيته المطهر، و(ابن خير من حج ولبي، وطاف وسعى)^{٢٧} .

وهكذا نمضي مع المتقابلات بتدرج بياني بلاغي مدهش الأنساق،
مرصوف العبارات، متوالد الدلالات، قائم على العام والخاص حيناً، أو قائم
على المتوازيات اللفظية المتخالفة دلالة حيناً، أو التراكيب المثيرة للدلالات أو
المشكلة للصور المتقابلة حيناً آخر. وما أرق وأدل على أصالة النسيج اللغوي
المدهش بلاغة وفصاحة الإمام السجاد عليه السلام ووعيه الثاقب بدقائق اللغة
ودلالاتها، وأسرارها دقة التدرج لمتقابلات قد تبدو لكثيرين منا مترادفات،
وليس الأمر كذلك كما في قوله عليه السلام داعياً :

(اللهم إني أتوب إليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي وصغائرها، وبواطن سيئاتي وظواهرها، وسوالف زلاتي وحوادثها، توبة من لا يحدث نفسه بمعصية، ولا يضمّر أن يعود في خطيئة)^{٢٨} .

وما بين الذنوب، والسيئات، والزلات، والخطايا دلالات متقابلة مندرجة، فالذنوب هي المعاصي والخطايا التي يقتربها الإنسان . بحق ربّه لعدم القيام بالفرائض المقررة، وعدم الالتزام بأوامر الله ونواهيه وكل ذلك مما يضر الإنسان به نفسه، وأما السيئات والخطايا التي لها تعلق بحقوق الناس بعضهم مع بعض كالظلم، والسرقه، والغيبه، والغدر، والقتل، وبهذه السيئات يضر الإنسان نفسه، ويغضب خالقه الذي يأمر بالعدل، والاحسان، والمعروف، والامانة، والصدق والسلام والمحبة . أما الزلات فهي السقطات والعثرات، والغفلات والفلتات، وكل ما لم يقصد التفوه أو القيام به . وقد تقصد الزلات قصداً وحينئذٍ تصبح ذنوباً تضرّ بصاحبها وبغيره من الناس .

ولم يسأل الإمام عليه السلام شأنه شأن آل البيت الكرام ربّه ملكاً، أو جاهاً، أو رئاسة، فهو غني بإيمانه، وانتباهه، وكرمه، وعلمه وأصاله نسبه، ولكنه يسأله تعالى الصلاح والفلاح والتفوّق على شهوات النفس .

ثالثاً : التقابل الاتجاهي (Directional Opposition)

هذا التقابل رابط بين وحدتين دالتين على اتجاهين متقابلين يشيران إلى مسارين ممكنين تنتج عن اقتفائهما حركة في خطين متعاكسين^{٢٩} نحو:

يمين - يسار / فوق - تحت / أعلى - أسفل / أمام - خلف . وهذا التقابل فرع عن التقابل الحاد، أو النقيض . يقول الإمام عليه السلام (إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا)^{٣٠}

فكل إنسان يتعقب بإرادته راحلة، هذا يتعقب الدنيا مع أنها راحلة بإدبار، وذاك يتعقب الآخرة وهي مقبلة على من يتعقبها من تدبروا وعقلوا الدنيا والآخرة، الحياة والموت، والبعث والحساب، فكان من أبنائها تاركاً الدنيا ببهرجتها وزمانها الخاطف، ومكانها الحبيس متوجهاً إلى رحاب مكان لا يحيز ولا يحد حيث الصفوف الأعلى والأسمى.

رابعاً: التقابل (الأحادي) الدال :

يعقل من اللفظ ما يراد، ثم يقضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر متسع^{٣٣} و
باهر وصادم لمن يعقلون القول، ويبحثون عمّا وراء سور الكلمات .

إن معرفتنا بمدلول الكلمة المعجمي والأحادي، وبنائها الصوتي الصرفي لا
يكفي لاستعمالها استعمالاً صائباً، ودالاً، ومؤثراً في تركيب لغوي مفيد من غير
الوعي بطبيعة موقعها، وتعلقها بالكلمات التي تنتظم معها في ذلك التركيب
سابقة لها أو لاحقة . ان التمكن من استعمال الكلمة في السياق ركن أساس من
أركان البناء اللغوي الرصين، وجانب مهم في عمليه الاستعمال والتواصل، (لأن
استعمال الكلمة في سياق غير مناسب قد يؤدي إلى سوء فهم الرسالة المقصودة)^{٣٤}

وقد يسلبها كثيراً من عناصرها التبليغية والتشخيصية الفاعلة. وترات
السجاد عليه السلام مترعٌ بأساليب التلطف، وكريم العبارات، ونبيل الألفاظ، وحسن
التعبير، والصدق الباهر، وكل ما يدل على أناقة الكلمة، والنفس، والبدن،
والسلوك، والاعراض عن ذكر أي لفظ يثير حياء، أو حرجاً، لا يستساغ ذكره
لكونه ينبو عن الطباع السليمة والسامية. ولما كان لكل قوم -أفراداً وجماعاتٍ -
أخلاقهم وأذواقهم كان (لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها، ولا
يقترّب منها اهل الصلاح فيتحاشون عنها، ويكونون ويدلون عليها باستعمال
لغوي لا تأثيم فيه، ولا حرج، ولا تطبر، ويقابل هذا أحياناً أن يكنى عن دال
معين بدال آخر، ينبئ عن رفض، أو نقد، أو تنزيه، وبذلك يمارس البليغ
مصلحاً، أو مفكراً، أو سياسياً، أو أدبياً، أو خطيباً سلطة القول وإحكام العلاقة
بينه وبين مخاطبهم بوساطة بنية لغوية خاصة، فالمخاطبون عادة (لا يعتمدون
في فهم النص على مجرد ما يقدمه لهم من معرفة ومعلومات، بل يعتمدون - وربما
بدرجة أكبر - على ما تحتزنه ذاكرتهم من معلومات ومعارف وخبرات ... حيث
تلتقي هذه المعرفة والمعرفة التي يقدمها النصّ، فيكون المحتوى المدرك ناتجاً عن
هاتين المعرفتتين، معرفة العالم ومعرفة النصّ)^{٣٥} .



لقد كبر على الإمام عليه السلام أن يذكر الشيء بالدال الذي يدل عليه، مادام هذا الشيء قد صغر الحرف عن وصفه، وغايته، وهدفه، فتحول إلى دال آخر يثير الانتباه، ويُشرك المتلقي في التفكير في المعنى المراد، وليقف على مفارقة من مفارقات الحياة وتناقضاتها، وكيف أنها تجري مع الأخس ثم الأخس أحياناً، وكيف تنقلب المفاهيم، والقيم، وشرف الكلمة إلى لغو، ومداجاة، ومراء.

لقد تحولت أكثر (المنابر) في زمن الإمام عليه السلام إلى أماكن تنبع بالنفاق، والسب، والتفريع، والاعتداء على الحرمات، وقلب الحقائق، وقول الزور، والمداجاة، وإشاعة الكراهية وضروب الرذائل والمفاسد، فهان على الإمام السجاد عليه السلام أن يصعد المنبر أحد زبانية يزيد - عليه اللعنة - ممن اشتروا رضا يزيد واتباعه بسخط الخالق وانتقامه، وهو يطنب في تقريظ يزيد، ومعاوية، ويسف في ذكر مساوئ الحسين وأبيه عليه السلام، فإذا بالإمام السجاد يصيح بذلك المتكلم الوغد: (ويلك أيها الخاطب، اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق) فتبوءاً مقعدك من النار، ثم قال عليه السلام: يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا، وهؤلاء الجلساء أجر وثواب، فأبى يزيد، فقال الناس يا أمير المؤمنين، ائذن له ليصعد فلعلنا نسمع منه شيئاً...^{٣٦}

وأي معنى أصاب الإمام عليه السلام حين أبت نفسه الآية وفكره الوقاد، أن يسمى الأشياء بأسمائها بعد أن فقدت قيمتها، وشان وصفها، وتحولت من منابر تنادي لله، وللعادل، والقيم العليا، ونبذ الظلم، والهمز واللمز إلى مجرد (أعواد خشب)، وابواق للزيف والباطل صاحبة. !! إنها كلمة واحدة (الأعواد) اختصرت زماناً رديئاً، جاحداً، أثماً، جائراً... !!

حقاً إن الكلمات كالأوراق النقدية، وكالأسلحة، أو كالخاتم السحري في يد الإنسان البليغ الذي يحسن القول ويكفيه أن ينطق ليحدث شيئاً في شعوره، ورد فعل شعور الآخرين، ومن هذا التجاوب الشعوري ينتج

صدى يحرك الطبيعة الخارجية، فالكلام خلاق، والكلمة الواحدة إذا ما استثمرت إيجاباً أحدثت دلالات ودلالات كلها حقائق وخير ﴿ ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾^{٣٧}

لقد تعجب الناس من مقولة هذا الفتى الحسيني الفذّ، فهم لم يسمعوا بمثل كلامه من قبل و لظالما سمعوا على المنبر كلاماً فيه نفاق وسبّ و شتم وغير ذلك من سفاسف القول وجهالة العقول وصدأ الضمائر وغشاوة البصر وضلال البصيرة، فمالت قلوبهم إليه، ولذا قال يزيد - عليه اللعنة - إن سعد هذا المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان لقد تحول بال أبي سفيان وأعوانهم كل شيء نقي، وكريم، وباهر وصادق إلى ضده و نقيضه، بما في ذلك المنبر وهو المحل الشريف والمكان الرفيع، لا يعتليه إلا أولياء الله وعباده الصالحون إذ صار منطلقاً لبث العدوان، والباطل، وتمكين السطوة والظلم والطغيان

خامساً: تقابل المواقف :

في هذا التقابل تتضاد المواقف والأحداث وتتناقض فتتشكل دالتان أو صورتان تدل أو توحي إحداهما بنقيض ما تدل عليه أو تفي به الأخرى. يقول الإمام (عليه السلام) مناجياً الله تعالى: (إلهي هديتني فلهوت، ووعظت فقسوت، وابتليت الجميل فعصيت)^{٣٨}، (اللهم إنك أمرتني فتركت ونهيتني فركبت)^{٣٩} ويقول (عليه السلام) في موقف بعض البشر من خالقهم تعالى: (ثم أمرته فلم يأمر، وزجرته فلم ينزجر، ونهيته عن معصيتك محالف أمرك إلى نهيك)^{٤٠}

هكذا تتقاطع وتتقابل تقابلاً حاداً المواقف، خالق و مخلوق، الأول تعالى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والثاني مخالف فلا ائتمار ولا انزجار، بل اعراض، و صدود، وركوب للمعاصي، والتكبر، والترك والقسوة وغيرها

من حصائد الأفعال والاقوال التي تلقي على الإنسان غشاوة الفهم والتفكير والتدبر فيتخذ موقفاً متضاداً من الإيمان والحق والعدل وكل معاني المبادئ السامية التي أرادها الله سبحانه في الإنسان .

والإمام عليه السلام يمازج بين الولاء لله تعالى والبراءة من أعدائه وأولهم الشيطان، فليس هناك عنده أدنى إمكانية لتفكيك هذه العلاقة الجدلية بين الموقفين، وكثيراً ما تضرع عليه السلام إلى الله مستعيذاً، من شرور الشيطان ونوازعه، و مكائده . فيقول :
(اللهم اخسأه - أي الشيطان - عنا بعبادتك، واكتبه بدؤوبنا في محبتك ...
واجعلنا في نظم أعدائه، اعزلنا عن عداد أوليائه)^{٤١}

وإذا ما تتبعنا أدعية الإمام عليه السلام تكشف لنا مديات تأسيه بربه، واستجابته له، وطلب الإعانة منه تعالى في أن يعينه على اتخاذ الموقف الصائب في إيمانه وخضوعه مفككا بذلك أي علاقة بين الولاء لله، والبراءة من أعدائه . يقول عليه السلام :
(اللهم أن لا تبتلني بالكسل عن عبادتك، ولا العمى عن سبيلك، ولا بالتعرض لخلاف محبتك، ولا مجامعة من تفرق عنك، ولا مفارقة من اجتمع إليك)^{٤٢}

إنه عليه السلام إنما يدعو الله تعالى بأن يعينه على اتخاذ المواقف التي تقربه من خالقه ليعيش معه خضوعاً، ورفقة تحكمها القيم السامية العليا بحيث تنشد كل أفعال الإنسان ومواقفه الأكمل والأفضل مما يرضي الله تعالى، ويرضي من يجتمع مع الله في سره وإعلانه، طالباً معالي الأمور، تاركاً سفاسفها، مستجيباً لفطرة الله التي فطر الناس عليها .

ويصوغ الإمام عليه السلام إحدى رسائله التربوية راسماً أصلاً من أصولها وكمالاتها، فالموقف من الوالدين موقف مسؤولية المحبة التي فطر الله عليها قلوب الأبناء الأبرار والرحماء الذين تكتسي كل مواقفهم وتصرفاتهم إزاء آبائهم بطابع الجلال والسمو والإكرام فلا (أف) ولا عبوس ولا وجه مكفهر ولا يد مغلولة شاحبة، بل محبة وحنان وتضحية وإيثار وأناقة في المشاعر والسلوك والكلمة الطيبة والاشارة الجميلة.

يقول الإمام (عليه السلام) في حقِّ الوالد : (فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه ، معاقب على الإساءة إليه)^{٤٣}

ويحدّد الإمام (عليه السلام) لكل إنسان الموقف الذي يجب عليه اتخاذه من أهل البيت - (عليه السلام) - فيقول من (المتقارب) :^{٤٤}

نَحْنُ عَلَى الْحَوْضِ ذُوَاهُ	نَذُودُ وَيُسَعَدُ وُزَّاهُ
وَمَا فَازَ مَنْ فَازَ إِلَّا بِنَا	وَمَا خَابَ مِنْ حُبِّنَا زَاهُ
وَمَنْ سَرَّ نَالَ مِنْ السُّرُورِ	وَمَنْ سَاءَنَا سَاءَ مِيلَاهُ
وَمَنْ كَانَ غَاصِبَنَا حَقًّا	فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مِيعَاهُ

وهكذا الأمر مواقف ومبادئ فلا ينال سروراً من أحزن آل البيت، وما خاب من كان زاده حباً لهم . ومن اتخذ موقف المعادة والجحود والإنكار لهم ولحقوقهم المشروعة فموقفه يوم الميعاد عسير وبئس المصير .

ويقول (عليه السلام) مشيراً إلى استحقاق آل البيت بالخلافة والرئاسة والقيادة من البحر الوافر :^{٤٥}

لَكُمْ مَا تَدْعُونَ بغيرِ حَقٍّ	إِذَا مِيزَ الصَّحَّاحُ مِنَ الْمَرَضِ
عَرَفْتُمْ حَقَّنَا فَجَدْتُمُونَا	كَمَا عُرِفَ السَّوَادُ مِنَ الْبَيَاضِ
كِتَابَ اللَّهِ شَاهِدُنَا عَلَيْكُمْ	فَقَاضِينَا إِلَهَ فَنَعَمَ قَاضِ

وأنى لأصحاب الضمائر الخاملة، والعقول الشاردة، والمقاصد الدنيوية الزائلة أن يتخذوا موقفاً من آل البيت، فلا جحود ولا ظلم ولا بخس ولا اغتصاب لحق معروف كما يعرف الصحيح من المريض، وكما يعرف السواد من البياض !!

سادساً : التقابل المثار :

حيث تنداعى الألفاظ والتراكيب بدلالات متقابلة مثيرة في النفس صورة الشيء ونقيضه، وتغري المتلقي بأن يبسط ما شاء من المعاني والصور التي

يتقاطع بعضها مع بعض كاشفا كيف أن الألفاظ داخل التركيب قد يكون لها دلالة محددة وفي النفس ممتدة ومتقابلة كما في نحو قوله تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يفعلون﴾^{٤٦}

فدرجات المؤمنين غير أمكنة الكافرين، والله هو العليم بما نعمل من خير، وما نعمل من شرٍّ، وجزاء العاملين بالمعروف غير جزاء الأشرار، وهكذا تتداعى المعاني في الذهن تداعياً مثاراً متقابلاً.

يقول الإمام عليه السلام (سبحانك خضع لك كل ما جرى في علمك)^{٤٧} (فحيثية التعلق المحض بذات الحق القدسية ليس خاصاً بالموجودات بالفعل، وإنما هو تام التمام في دائرة إمكان الموجود، فكل ممكن بالذات استقر في عالم العلم الإلهي إنه ويمكن وجوده، فهو في واقعيته عين التعلق بذات الحق تعالى سواء كان موجوداً بالفعل أم غير موجود)^{٤٨} وهنا يكمن التقابل المثار.

ويقول الإمام عليه السلام: (وأما حقّ بصرك : فغضه عما لا يحل لك وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصرأ أو تستفيد بها علماً، فإن البصر باب الاعتبار)^{٤٩} فالبصر (وسيلة من وسائل العلاقة بين الإنسان والبيئة، وهو إحدى آليات النفوذ إلى العقل والضمير والإرادة، وهو إحدى سبل التمتع بالحياة الإنسانية، والنظر إلى عظمة الله تعالى في مخلوقاته، ولذا يجب أن يكون كما أراده الله تعالى في مخلوقاته وسيلة للعبرة والعلم والاعتبار، وباباً للخير والصلاح، لا باباً للفق والانحراف)^{٥٠}

وغيرهما من المفاصد التي تسيء إلى هذه الهبة الربانية العظمية. ويقول الإمام عليه السلام في حقوق الأبناء: (وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب،



فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا المعذر إلى ربّه
 فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والأخذ له منه، ولا قوة إلا بالله^{٥١}
 فأَيّ درس يقدمه الإمام (عليه السلام) في التربية والتنشئة التي يمتلك زمامها
 ويتحمل مسؤوليتها الآباء، فأَيّ سلوك يصدر عن الأبناء يكون مثابه وفخره
 للوالدين؛ ذلك إن كان سلوكاً مقبولاً عند الله والمجتمع، وعلى النقيض من
 ذلك يقع على الوالدين عقاب ما يجري على الأبناء حين لا يحسن الآباء تربيتهم
 على الفضائل، وتعليمهم بما يكونوا كباراً به على أنفسهم وأهليهم ومجتمعهم،
 حائزين على رضا الله وتوفيقه، إنها معادلة تربوية فذة تلقي بالمسؤولية على
 الآباء في تربية الأبناء، فكل ما يترتب على سلوك الأبناء من خير الثواب أو
 شرّ يقتضي العقاب تقع نتائجه إيجاباً أو سلباً على الآباء .

وأيّ تقابلات مثارة في غرر حكم الإمام السجاد (عليه السلام) وهو القائل :

(من كرمته عليه نفسه هانت عليه الدنيا)^{٥٢}

(من قنع بما قسم الله له، فهو أغنى الناس)

(اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جدّ وهزل، فإن الرجل إذا

كذب في الصغير اجتراً على الكبير)

(وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه)

سابعاً: التقابل الإيقاعي :

وفي هذا التقابل، تقع على إيقاع بين الجمل التي تشكل النصّ، بحيث
 تصف على إيقاع شطر من النصّ يتقابل أو يتناقض مع شطر آخر من النص
 نفسه، الأول قد يكون على إيقاع عنيف، والثاني هادئ في إيقاعه ومضمونه،
 وفقاً للحالة الشعورية التي عليها منشئ النصّ، ومضمون خطابه، وسياقاته
 التي يجري فيها .

ولقد جاشت نفس الإمام السجاد (عليه السلام) بأسمى آيات البيان والفصاحة في كل ما قاله، لاسيما في صحيفته السجادية المتسامية الخالدة حيث كان فيها - كما شأنه دائماً - رافعاً بصره إلى العلياء حيث محبوبه ومعشوقه وخالقه وأوله وآخره (الله تعالى)، قد دعا بأبهى صور للدعاء والمناجاة وأرقى ما في النداء من نداء، وكانت كل كلمة من كلماته (عليه السلام) تعبيراً صادقاً عن مطويات نفسه الزكية، وبواطن عقله، ونقاء وجدانه، وصفاء سريرته، وسمو توجهه، لا لغو فيها ولا تأثيم ولا تحيلات ولا تهويمات ولا أوهام، بل محبة الله صادقة وضراعة إليه تعالى نادرة واقتراب من أرقى المثل الانسانية وأشرفها، وأسماها قيمياً زماناً ومكاناً.

وكان النداء نابضاً بإيقاع جاذب ومحبب ذي طابع نفسي له أحواله ودلالاته وسياقاته وفيه شحنات نفسية تشتد أحياناً لتفصح عن مكامن الإمام (عليه السلام) ومشاعره وخلجاته، وكانت (يا) النداء منطلقاً لأكثر الأدعية والمناجاة: (يا حنان يا منان، يا رحيم يا رحمان، يا جبار، يا قهار، يا غفار، يا ستار نجني برحمتك من عذاب النار)^{٥٣}

(يا من لا يرحم من لا يرحمه العباد، ويا من لا يغيّر النعمة ولا يباد بالنقمة، ويا من يثمر الحسنه حتى ينمّيها، ويتجاوز عن السيئة)^{٥٤}

ويعمل التكرار أيضاً على تشكيل إيقاع يزيد على مضامين النصّ توازناً هندسياً إيقاعياً ما بين الكلمة، أو العبارة، أو التركيب ودلالة كل منها^{٥٥} ففي التكرار المتضمن (قيمة نغمية تؤدّي إلى زيادة ربط الأداء بالمضمون)^{٥٦}

مولاي مولاي: أنت المولى وأنا العبد، وهل يرحم العبد إلا المولى؟
مولاي مولاي: أنت العزيز وأنا الذليل، وهل يرحم الذليل إلا العزيز؟
مولاي مولاي: أنت الخالق وأنا المخلوق، وهل يرحم المخلوق إلا الخالق؟

مولاي مولاي: أنت المعطي وأنا السائل، وهل يرحم السائل إلا المعطي؟

مولاي مولاي: أنت المغيث وأنا المستغيث، وهل يرحم المستغيث إلا المغيث؟

مولاي مولاي: أنت الباقي وأنا الفاني، وهل يرحم الفاني إلا الباقي؟

مولاي مولاي: أنت الدائم وأنا الزائل، وهل يرحم الزائل إلا الباقي؟

مولاي مولاي: أنت الحي وأنا الميت، وهل يرحم الميت إلا الحي؟

مولاي مولاي: أنت القوي وأنا الضعيف، وهل يرحم الضعيف إلا الفقير؟

مولاي مولاي: أنت الغني وأنا الضعيف، وهل يرحم الضعيف إلا الغني؟

مولاي مولاي: أنت الكبير وأنا الصغير، وهل يرحم الصغير إلا الكبير؟

مولاي مولاي: أنت المالك وأنا المملوك، وهل يرحم المملوك إلا المالك؟

أي مناجاة هذه تختصر علاقة الإنسان بالله، وترسم صوراً ودلالات
متسامية وأوصافاً حسنى للخالق، وتمنح الإنسان موقعه الحق من ربه،
وتتوجه به إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء من غير تقنيط أو تثبيط من هذه
الرحمة، كل ذلك في تقابلات دلالية مذهشة وإيقاعات آخذة .



الهوامش

- ١- الراغب الاصفهاني : مفردات : ص ٦٥٤ (قبل) وابن فارس : معجم مقاييس اللغة :
٥١ / ٥٢ . وابن منظور : اللسان : (قبل)
- ٢- الراغب : ٦٥٤ .
- ٣- الجوهرى : الصحاح : (قابل) .
- ٤- ينظر : القرعان ، د. فايز : التقابل والتماثل في القرآن الكريم
- ٥- ينظر : العسكري ، أبو هلال : الصناعتين : ص ٣٣٩ - ٣٤٠
- ٦- ينظر : ابن الأثير : المثل السائر : ٢ / ٢٥٠
- ٧- ينظر : نهر ، د. هادي : علم الدلالة التطبيقي : ص ٤١٨
- ٨- ينظر : نفسه : ٤١٢
- ٩- الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الاعجاز : ص ٦٩ .
- ١٠- نفسه : ص ٦٤ - ٦٥ (بتصرف) .
- ١١- خليل إبراهيم محمود : في اللسانيات ونحو النص : ص ١٩٢
- ١٢- الامام السجاد : الصحيفة السجادية : دعاء يوم الخميس .
- ١٣- نفسه : دعاء يوم السبت .
- ١٤- الإمام السجاد : الدعاء (٣١) .
- ١٥- ديوان الإمام السجاد ، وينظر : ابن شهر آشوب : المناقب : ٤ / ١٧٤ .
- ١٦- ديوان الإمام السجاد : ص ٥٣ .
- ١٧- (المؤمنون ، ١٠٢ - ١٠٣)
- ١٨- الإمام : دعاء ١٣ .
- ١٩- الامام : مناجاة الذاكرين
- ٢٠- ينظر : نهر ، د. هادي : علم الدلالة التطبيقي : ص ٤٢٠ وما بعدها .
- ٢١- الإمام : مناجاة المحبين .
- ٢٢- سورة البقرة : ١٦٥ .
- ٢٣- سورة التوبة / ٢٤
- ٢٤- الإمام : دعاء ٤٤ لدخول شهر رمضان
- ٢٥- الإمام : دعاء ٥٠
- ٢٦- الإمام : ينظر : الاصفهاني ابو الفرج : مقاتل الطالبين
- ٢٧- ينظر : نفسه :
- ٢٨- الامام : دعاء (٣١) .

- ٢٩- ينظر: أبو خضر، وسعيد جبر: التقابلات الدلالية في العربية والانجليزية - ص. ٢٢.
- ٣٠- ينظر: الحراني، ابن شعبة: من تحف العقول: ص ٢٨١.
- ٣١- الإمام: الصحيفة: دعاء (٣١).
- ٣٢- حنفي، د. حسن: الهوية والاغتراب: ص ١٠.
- ٣٣- ينظر: الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز: ص ١٤٥.
- ٣٤- شحادة، د. فارح: مقدمة في اللغويات المعاصرة: ص ١١٠.
- ٣٥- عبد المجيد حسين جميل: علم النص: ص ١٤٩ - ١٥٠.
- ٣٦- الأصفهاني، ابو الفرج: مرجع سابق: ص. ٤٦.
- ٣٧- من سورة ابراهيم/ ٢٤. وينظر: د. عثمان امين: الفلسفة الرواقية: ص ١٢٠.
- ٣٨- الإمام: دعاء (٤٩).
- ٣٩- الإمام: صلاة الليل (٣٢).
- ٤٠- الامام دعاء يوم عرفة (٤٧).
- ٤١- الإمام: دعاء (١٧).
- ٤٢- نفسه: دعاء (٢٠).
- ٤٣- نفسه: رسالة الحقوق.
- ٤٤- ابن شهر اشوب: المناقب ٤/ ١١٣.
- ٤٥- نفسه: ٤/ ١٧٤.
- ٤٦- من سورة الأنعام / ١٣٢.
- ٤٧- الأمام: دعاه ٥٠.
- ٤٨- الأراكي، الشيخ محسن: العرفان الإسلامي الأصيل. ص ٩٦.
- ٤٩- الإمام: رسالة الحقوق (٥) ص ٣٠٢.
- ٥٠- العذاري، السيد سعيد كاظم: حقوق الجوارح والأرحام في رسالة الحقوق: ص ٣٢٤.
- ٥١- الإمام: رسالة الحقوق (٢٢) ص ٣١٠.
- ٥٢- ينظر فيها: الحراني: تحف العقول: ص ٢٠٣ - ٢٠٤.
- ٥٣- الإمام: (٤٦) عيد الفطر والجمعة.
- ٥٤- نفسه: (٧١) مناجاة الخائفين (٣).
- ٥٥- ممدوح، عبد الرحمن: المؤثرات الايقاعية: ص ٩٤.
- ٥٦- الإمام: (٦١) في التذلل.

المصادر والمراجع:

- * الأراكي، آية الله الشيخ محسن: العرفان الإسلامي الأصيل في ضوء المعارف السجادية (دراسة) المؤتمر العالمي للإمام السجاد - طهران / ١٤٣٦ هـ.
- * الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد: معجم مفردات ألفاظ القرآن - تحقيق: صفوان عدنان داوود - ط ٤ - دار القلم - دمشق - بيروت / ١٤٢٥ - ١٩٧٢
- * الأصفهاني، أبو الفرغ: مقاتل الطالبين - منشورات الشريف الرضي - قم - إيران (د. ت.).
- * التهانوي، محمد علي: كشف اصطلاحات الفنون - لي - لطفی عبد البديع - مكتبة النهضة المصرية القاهرة / ١٩٦٢
- * الجرجاني، الشريف علي بن محمد: التعريفات - ودراسة: محمد صديق المنشاوي - دار الفضيلة - القاهرة / ٢٠٠٤
- * الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز - ت. د. ياسين الأيوبي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠
- * الجوهري، أبو نصر اسماعيل: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - تى. أحمد عبد الغفور عطار - دار الكتاب العربي - مصر (د. ت.)
- * الحرائي، ابن شعبة: تحف العقول - المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف / ١٣٨٠ هـ
- * حنفي، د. حسن: الهوية والاغتراب في الوعي العربي - (دراسة) - مجلة تبين - ١٤١٢ م بيروت - صيف ٢٠١٢.
- * أبو خضر، د. سعيد جبر: التقابلات الدلالية في العربية والانجليزية: تحليل لغوي تقابلي - عالم الكتب الحديث - إربد - الأردن / ٢٠٠٤
- * خليل، د. إبراهيم محمود: في اللسانيات ونحو النص - ط ٢ - دار المسيرة - عمان - الأردن / ٢٠٠٩.
- * السجاد، الإمام زين العابدين: ديوانه: تو ماجد أحمد العطية - مؤسسة النور - لبنان - بيروت / ٢٠٠٢
- * السجاد: الصحيفة السجادية الكاملة - وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران - إيران (د. ت.).
- * شحدة، د. فارغ وأصحابه: مقدمة في اللغويات المعاصرة - دار وائل - عمان - الأردن / ٢٠٠٠.
- * عبد المجيد حسين جميل: علم النص أسسه المعرفية وتحليلاته النقدية - (دراسة) - مجلة عالم الفكر - ٢٤ / ٢٠٠٣.
- * عثمان، د. أمين: الفلسفة الرواقية - ط ٢ - القاهرة / ١٩٥٩.
- * العسكري، أبو هلال الحسن بن علي الصنائعين - تو. علي محمد البجاوي - و محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى الباني الحلبي - القاهرة / ١٩٧١.

- * ابن فارس : مقاييس اللغة - تي . عبد السلام محمد هارون - م . عيسى الباني الحلبي - مصر / ١٣٦٦ هـ - ١٣٧١ هـ .
- * القرعان، د. فايز متعارف : التقابل والتماثل في القرآن الكريم - المركز الجامعي للنشر - عمان - الأردن / ١٤١٨ - ١٩٩٤ .
- * الكليني، محمد يعقوب - الكافي - دار صادر - بيروت / ١٤٠١ هـ
- * ابن منظور : لسان العرب - دار صادر - بيروت (د . ت)
- * نهر، د. هادي : علم الدلالة التطبيقي عند العرب ط ٢ عالم الكتب الحديث - إربد - الأردن / ٢٠١٠ .



القواعد الأخلاقية المستوحاة من مواقف الإمام زين العابدين عليه السلام الاجتماعية ومناجاته في الصحيفة السجادية

الشيخ نبيل سرحان كاظم الحسناوي
العتبة العباسية المقدسة

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم .
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين، المصطفى
الأبجد المحمود الأحمَد أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، اللهم
صلّ على محمد وآل محمد .

وبعد :

لاشك ولا ريب أن الأدعية لا تقتصر كلماتها على المناجاة فقط، بل تحتوي
في مضامينها على حقائق وقواعد وقوانين ودساتير كاملة في شتى المجالات
الإنسانية أو الدينية أو العقائدية أو الأخلاقية أو التاريخية وغيرها .
فدعاء الندبة مثلاً ليس هو مجرد دعاء بل هو سرد تأريخي للأحداث
السابقة وأسبابها وفيه أيضاً بيان للفرقة الحقة عن الفرق الباطلة من الناحية
الاعتقادية وجوانب أخرى .

والصحيفة السجادية من هذا القبيل، فليست هي ورقات لأدعية سطحية
مجمّعة ومرتبّة ومبوبة فقط، بل هي دستور حي ينبض بالقواعد الأخلاقية
للسلوك الإنساني التي من أخذ بها كان سعيداً في الدنيا وسعيداً في الآخرة،
ومنزهاً عن مستوى البهيمية والحيوانية، ومرتقياً لدرجات السمو والكمال،
ولهذه العلة اهتمّ الدين الإسلامي الحنيف بالجانب الأخلاقي أياً اهتمام .



ولا يتوهم أن مؤلف (زبور آل محمد) أعني به الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قد ابتعد عن الحياة الاجتماعية وانزوى منفرداً عن الناس، وأنه قد اعتكف لوحده في بيته للدعاء والمناجاة بمعزل عن الناس .

بل على العكس من ذلك، فلو تأملنا معاً في أدعية (انجيل أهل البيت) لتيقننا بأن هذا الكتاب هو خير دليل على مخاطبة الإمام زين العابدين عليه السلام للناس، والشعور بالارتباط معهم، وعدم الانعزال عنهم، ومسؤوليته تجاههم، كما أن المواقف الاجتماعية للإمام السَّجَّاد عليه السلام مع الناس هي الأخرى تشهد بذلك أيضاً .

ومما تقدم يتبين أهمية بحثي هذا الموسوم بـ (القواعد الأخلاقية المستوحاة من

مواقف الإمام زين العابدين عليه السلام الاجتماعية ومناجاته في الصحيفة السَّجَّادية) .
ولا أدعي بأنني أول من كتب في هذا الموضوع، ولكنني أرى بأن لي الأسلوب الخاص في كتابة هذا الموضوع كما سيتضح ذلك في طيات البحث للقارئ الكريم .

وقد استعنتُ بالمنهج التحليلي لمواقف الإمام السَّجَّاد عليه السلام وأدعيته ومناجاته المباركة في الصحيفة السَّجَّادية للذين استنتجت واستخرجت منهما القواعد الأخلاقية .

علماً أن هيكليّة البحث تتكون من مبحثين :

المبحث الأول : الكلمات الافتتاحية أو التعاريف اللغوية والإجرائية الواردة

في عنوان البحث. والمبحث الثاني: ويتضمن على مطلبين :

المطلب الأول : مواقف الإمام علي بن الحسين السَّجَّاد عليه السلام وارتباطها بالقواعد الأخلاقية .

المطلب الثاني : أدعية ومناجاة الإمام علي بن الحسين السَّجَّاد عليه السلام في الصحيفة السَّجَّادية وارتباطها بالقواعد الأخلاقية .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن أوفق في طيات هذا البحث لبيان القواعد الأخلاقية من مواقف وأدعية ومناجاة الإمام علي بن الحسين السَّجَّاد (عليه السلام)، والله وليّ التوفيق والتسديد .

المبحث الأول :

الكلمات الافتتاحية أو التعاريف اللغوية والإجرائية الواردة في عنوان البحث.

١ - القواعد : معنى القاعدة في اللغة والاصطلاح : القاعدة في اللغة : الأساس وهي تجمع على قواعد، وهي : أسس الشيء وأصوله، حسيّاً كان ذلك الشيء، كقواعد البيت، أو معنوياً : كقواعد الدين أي دعائمه ... أما من الناحية الاصطلاحية : فهي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها، وعرفها أبو البقاء الكفوي، بقوله : القاعدة اصطلاحاً : قضية كلية من حيث اشتغالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها .^١

٢ - الأخلاقية : الأخلاق : قال العلامة المجلسي : (والأخلاق جمع خلق بالضم وبضمّتين، وهو السجية والطبع، والمروءة والدين ويحتمل أن يكون المراد بالخلق ما هو بمنزلة الأصل والمُشخص للذات وبالأخلاق الفروع والشعب ...) .^٢

وعرّفها الحاج حسين الشاكري بقوله : (وهو العلم الذي يبحث عن خصائص السلوك وآداب السيرة، من تهذيب النفس وصقلها شخصياً، والتزامات العشرة اجتماعياً) .^٣

وعرّفها البعض بأنها : قيم راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال، التي قد تكون محمودة فيكون الخُلُق حسناً أو مذمومة فيكون الخُلُق سيئاً . من هنا تأتي أهمية الأخلاق في بناء المجتمعات، فتحديد القيم والقواعد الأخلاقية

التي يتشارك الأفراد فيها في المجتمعات والعالم تحافظ على حقوق الإنسان.^٤ والآداب العامة هي اللفظة المرادفة للقواعد الأخلاقية، فقال البعض: (الآداب العامة: مجموعة من القواعد الأخلاقية التي يعتبرها المجتمع أساساً لا يجوز الخروج عليه).^٥

ومن خلال التعاريف المقدمة للقاعدة وللأخلاق نستنتج أن القواعد المعنوية تلتقي مع الأخلاق، كما أن الأخلاق كما تكون مع الآخرين، كذلك تكون مع النفس الواحدة، وهذا الاستنتاج سيصب لصالح البحث كما سنلمس ذلك جلياً في المبحث الثاني.

٣ - المستوحاة: لغةً بمعنى: استمدَّ وحيًا، استلَّهم: (استوحى فكرةً من قراءته)^٦. استوحى زيدُ العالمُ المسألة: استفهمه^٧. مُستوحى من: مُستلَّهم من، مأخوذ من^٨. أوحى إليه: ألقاه إليه^٩. أوحى إلى قومه: أي أشار إليهم.^{١٠} أوحى إليه ب: أشار وأومأ، أوعز: (أوحى إليه بحل).^{١١}

وأما معنى استوحى اصطلاحاً: فهي إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة^{١٢}. أو هي اقتراح إدخال أفكار وإحساسات معينة إلى عقل شخص، بحيث يتأثر بها بأعماله وخبراته. هذه الإحساسات غريبة عنه تم له الإيحاء بها.^{١٣} وقال بعضهم: ((... ويعتبر الإيحاء نوعاً من التصرف يستخدم للتأثير في تفكير الشخص وسلوكه من دون اللجوء إلى أساليب الإقناع، كأن يوحى إليه بالقيام بعمل ما)).^{١٤}

٤ - مواقف: واحدها موقف، أصل الكلمة: (الواو، والقاف، والفاء) أصل واحد يدل على تمكَّث في الشيء^{١٥}. ومن معاني الموقف لغةً: وقف فلان على الشيء: أي عاينه، وفهمه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾. والمراد أنه وقف على الحكم.

وقولهم ما موقف فلان من كذا؟ أي ما رأيه في كذا؟. وموقف الطائفة
 الفلانية من مسألة كذا: أي مذهبهم فيها. وموقف الإسلام من كذا: أي حكمه
 فيه. وإذا رأيت فلاناً فما يكون موقفك؟: أي ماذا يكون رد فعلك تجاهه؟. ١٦
٥ - الإمام زين العابدين (عليه السلام): من منا لا يعرف الإمام علي بن الحسين
 السّجّاد (عليه السلام)، فالجميع يعرف من هو ابن الخيرتين، وقد أجاد الشاعر الفرزدق

في رد هشام بن عبد الملك عندما سأل عن الإمام بمن هذا فقال :
 هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائَتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ .
 هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ .
 هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتُ جَاهِلُهُ بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خْتَمُوا .
 وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرِهِ الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ ...
 الخ القصيدة .

فالحقيقة أن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) لا يسأل عنه بمن هو أو من هذا،
 لأنه غني عن التعريف، ولكن نقل شيئاً عن سيرته العطرة من باب التبرك
 بذكره وذكر آبائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فهو الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) رابع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وجدّه الإمام
 أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأوّل من أسلم وآمن
 برسالته، وكان منه بمنزلة هارون من موسى، كما صحّ في الحديث عنه .
 وجدّته فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبضعته، وفلذة كبده، وسيّدة
 نساء العالمين كما كان أبوها يصفها .

وأبوه : الإمام الحسين (عليه السلام) أحد سيّدَيْ شباب أهل الجنّة، سبط الرسول
 وريحانته ...

وأمه : اسمها (شهربانو) أو (شهر بانويه) أو (شاه زنان) بنت يزدجرد
 آخر ملوك الفرس، وذكر البعض أن أمه قد أجابت نداء ربّها أيّام نفاسها

فلم تلد سواه .

وهو أحد الأئمة الاثني عشر عليه السلام الذين نصّ عليهم النبي صلى الله عليه وآله كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، إذ قال: (الخلفاء بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش) .

ولد عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين للهجرة - وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين - في المدينة في اليوم الخامس من شعبان سنة (٣٦ هـ)، ... وتوفي بالمدينة سنة (٩٤ أو ٩٥ هـ) .

وعاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضى ما يقارب سنتين أو أربعة منها في كنف جدّه الإمام علي عليه السلام، ثمّ ترعرع في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليه السلام سبطي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فارتوى من ندير العلوم النبوية، واستقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين . نشأ الإمام في أرفع بيت وأسماه ألاً وهو بيت النبوة والإمامة الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، ومنذ الأيام الأولى من حياته كان جدّه الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يتعهده بالرعاية ويشعّ عليه من أنوار روحه التي طبّق شذاها العالم بأسره، فكان الحفيد - بحق - صورة صادقة عن جدّه، يحاكيه ويضاهيه في شخصيّته ومكوّناته النفسية .

برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيتّه .

كان للمسلمين عموماً تعلّق عاطفي شديد بهذا الإمام، وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدّة في كلّ مكان من العالم الإسلامي، كما يشير إلى ذلك موقف الحجاج الأعظم منه، حينما حجّ هشام بن عبد الملك .

لم تكن ثقة الأمة بالإمام زين العابدين عليه السلام على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها مقتصرة على الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً ومفزعاً في كل مشاكل الحياة وقضاياها، بوصفه امتداداً لأبائه الطاهرين. ومن هنا نجد أن عبد الملك بن مروان قد استنجد بالإمام زين العابدين عليه السلام لحل مشكلة التعامل بالنقود الرومية إبان تهديد الملك الروماني له بإذلال المسلمين.

وقد قدر للإمام زين العابدين عليه السلام أن يتسلم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه عليه السلام فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأول، في مرحلة من أدق المراحل التي مرّت بها الأمة وقتئذٍ، وهي المرحلة التي أعقبت موجة الفتوح الأولى، فقد امتدّت هذه الموجة بزخمها الروحي وحماسها العسكري والعقائدي، فرلزلت عروش الأكاسرة والقيصرة، وضمّت شعوباً مختلفة وبلاداً واسعة إلى الدعوة الجديدة، وأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدّن وقتئذٍ خلال نصف قرن.

تعرّضت الأمة الإسلامية في عصره عليه السلام لخطرين كبيرين :

الخطر الأول : هو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعة، والذي قد ينتهي بالأمة إلى التميّع والذوبان وفقدان أصالتها، فكان لابدّ من عمل علمي يؤكّد للمسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيّتهم التشريعية المتميّزة المستمدة من الكتاب والسنة، وكان لابدّ من تأصيل للشخصية الإسلامية، وذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد، وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين عليه السلام؛ فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وأخذ يحدث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه وتربية وعرفان، وراح يفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين. وهكذا تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة المباركة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسلامي وكانت الأساس لحركة الفقه الناشطة.

الخطر الثاني : هو الخطر الناجم عن موجة الرخاء والانسياق مع ملذّات الحياة الدنيا والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وبالتالي ضمور الشعور بالقيم الخلقية، وقد اتّخذ الإمام زين العابدين (عليه السلام) من الدعاء أساساً لدفع هذا الخطر الكبير الذي ينخر في الشخصية الإسلامية ويهزّها من داخلها هزّاً عنيفاً ويحول بينها وبين الاستمرار في أداء رسالتها . ومن هنا كانت (الصحيفة السجادية) تعبيراً صادقاً عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام (عليه السلام)، إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد إليه الحاجة كلّما ازداد الشيطان للإنسانية إغراءً والدنيا فتنةً له .^{١٧}

٦ - الاجتماعية : مفهوم الاجتماع . أولاً : المعنى اللغوي : (جمع) الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعاً، وجمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً، وجمعه وأجمعه فاجتمع . واجتمع القوم واستجمعوا بمعنى: تجمعوا، وانضم بعضهم إلى بعض، واتحدوا واتفقوا . و(الجماعة) العدد الكثير من الناس، والشجر والنبات، وطائفة من الناس يجمعها غرض واحد . و(الاجتماع) علم الاجتماع، علم يبحث في نشوء الجماعات الإنسانية ونموها وطبيعتها وقوانينها ونظمها، ويقال: رجل اجتماعي مزاوِل للحياة الاجتماعية، كثير المخالطة للناس . و(المجتمع) موضع الاجتماع . و(المجمع) موضع الاجتماع والملتقى، ومنه: مجمع البحرين، ومؤسسة للنهوض باللغة أو العلوم أو الفنون ونحوها (محدثة) .

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي: عرف الجرجاني الاجتماع بأنه: تقارب أجسام بعضها من بعض .

وعرفه السيوطي بقوله: الاجتماع: وجود أشياء كثيرة يعمها معنى واحد. وقال المناوي: الاجتماع: مجاورة جوهرين في حيزين، ليس بينهما ثالث، وضده الافتراق، وهو وقوع جوهرين بينهما حيز .

ولا يختلف معنى الاجتماع في الاصطلاح عن المعنى الذي يفيد في أصل اللغة، وإن كان مقصود الشرع من الاجتماع هو ما يحمد شرعًا، وهو أن يلتقي المسلمون، وينضم بعضهم إلى بعض، ولا يتفرقوا.^{١٨}

٧ - المناجاة: لغةً: نَجَى: سَارَّ بما في قلبه من الأسرار أو المشاعر: «ناجى حبيبته»، «ناجى ربّه»^{١٩}. والنَّجْوُ: السُّرُّ بين اثنين، يقال: نَجَوْتُهُ نَجْوًا أَي سَارَرْتُهُ، وكذلك نَاجَيْتُهُ، والاسم النَّجْوَى.^{٢٠} نَاجَيْتُ اللَّهَ أَنْ يَفَرِّجَ عَنِ الْمَظْلُومِينَ: دَعَوْتُهُ بِخَفْتِ.^{٢١}

وتعني المناجاة اصطلاحاً عند المسلمين: الدعاء والتحدث مع الله.^{٢٢}

٨ - الصحيفة السَّجَّادِيَّة: تحدثنا فيما سبق أعلاه بشيء يسير عن سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) وبيننا المنزلة العظيمة للإمام بين الناس وتعرُّضنا للحديث إجمالاً عن الصحيفة السجادية المباركة، والآن نبين دورها وقيمتها المعنوية عند الناس المؤالفين منهم والمخالفين، ورأي الشيعة وغيرهم فيها - والفضل ما شهدت به الغرباء - وهذا ما سيصب في خدمة البحث في بعض جوانبه، فقالوا عنها:

أ - قال عنها السيد محمد باقر الصدر قدس في مقدّمته للصحيفة: (إن الصحيفة السجادية تعبر عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام إضافة إلى كونها تراثاً ربانياً فريداً يظل على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب وتظل الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمدي العلوي).^{٢٣}



ب - واعتبر الباحث والمحلل المصري محمد زكي مبارك في كتابه التصوّف الإسلامي والأدب والأخلاق، أن الصحيفة السجادية تشبه الإنجيل المنزل على النبي عيسى (ليس الإنجيل المتداول بين المسيحيين)، وكتب أن المناجاة هي من فيض الله وقد جرت على لسان الإمام زين العابدين (٢٤).

ج - ويعتقد ابن الجوزي صاحب كتاب تذكرة الخواص أن للإمام السجّاد الحقّ في تعليم المسلمين كيفية الكلام والتعبير عن حاجتهم أمام الله؛ لأنه علّم الناس أدب استغفار ربّهم من الذنوب، وطلب استسقاء المطر عند الحاجة، واللجوء إلى الله مع الخوف من العدو (٢٥).

د - وأما سليمان بن إبراهيم القندوزي وهو أحد علماء أهل السنة، ذكر الصحيفة السجادية في كتابه ينابيع المودة، ونقل مقاطع من أدعيّتها (٢٦). هـ - كما مدح الطنطاوي الجوهري صاحب الجواهر في تفسير القرآن الصحيفة بعد حصوله على نسخة منها من قبل المرعشي النجفي سنة ١٣٥٨ هـ، وأثنى عليها بعبارة (أنها فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق) (٢٧).

و - ونختم بكلام عالم الإسلام الأمريكي ويليام چيتيك الذي قال: (فإن معظم الناس في الغرب ينظرون للإسلام نظرة ركود وسطحية وصرامة؛ لكن الصحيفة السجادية يمكنها أن تظهر للناس وجهة نظر جديدة تماماً، وتعبّر عن تلك الرؤى الإنسانية التي تعتبر شرطاً لتحقيق المثل الإسلامية) (٢٨).

المبحث الثاني :

ويتضمّن مطلبين :

المطلب الأول : مواقف الإمام علي بن الحسين السّجاد عليه السلام وارتباطها بالقواعد الأخلاقية .

لاشك أن قول المعصوم عليه السلام أو فعله أو تقريره هي من الأدلة التي يمكن لباقي المكلفين الاحتجاج بها والاستناد والاعتماد عليها لأنها تعتبر من السنة، وهذه القاعدة تجري بصورة عامة ومطلقة وفي جميع الأمور ومنها الأمور الأخلاقية .

ومواقف المعصوم عليه السلام حجة في جميع الأحوال وعلى كل تقدير، لأنها قد تدخل تحت عنوان قول المعصوم عليه السلام إن كانت قولاً، وقد تدخل تحت عنوان فعله عليه السلام إن كانت فعلاً، وقد تدخل بلحاظ آخر في تقريره عليه السلام إن كان سكوتاً وإمضاءً .

إذا تبينت هذه المقدمة للقارئ الكريم، نعرّج على سرد بعض مواقف الإمام زين العابدين عليه السلام التي تعتبر درساً من دروس القواعد الأخلاقية للناس والمجتمع الإسلامي والتي يجب أن يتحلّى ويقتدي بها الناس ومنها :

١ - قاعدة عدم ردّ الإساءة بالإساءة :

وكان يقول لمن يشتمه : إن كنت كما قلت، فأسأل الله أن يغفر لي، وإن لم أكن كما قلت فأسأل الله أن يغفر لك .^{٢٩}

وافترى رجل عليه فقال له : إن كنت كما قلت فأستغفر الله تعالى، وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك .

فقام الرجل وقبّل رأسه وقال : يا ابن رسول الله، لست كما قلت، فاستغفر لي .

قال : غفر الله لك .^{٣٠}

٢ - قاعدة (الإحسان للمسيء):

من ذلك أن هشام بن إسماعيل كان أميراً على المدينة، وكان يتعمد الإساءة إلى الإمام وأهل بيته، ولما عزله الوليد، أمر أن يوقف للناس في الطريق العام، ليققتصوا منه، وكان لا يخاف أحداً كخوفه من الإمام السجّاد، ولكن الإمام أوصى أهله وأصحابه أن لا يسيئوا إليه، وذهب إليه بنفسه، وقال له: لا بأس عليك منا، وأية حاجة تعرض لك فعلينا قضاؤها .

وكان للإمام ابن عم يؤذيه، وينال منه، فكان يأتيه ليلاً، ويعطيه الدنانير - وهو ملثم الوجه - فيقول: لكن علي بن الحسين لا يصلني بشيء فلا جزاه الله خيراً، فيسمع ويغفر (ويصبر). فلما مات - الإمام - انقطعت الدنانير عنه، فعلم أنه هو الذي كان يصله .^{٣١}

وكان يوماً خارجاً فلقى رجل فسبه، فثار إليه العبيد والموالي، فقال لهم علي عليه السلام: مهلاً كفوا، ثم أقبل على ذلك الرجل فقال له: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى إليه عليه السلام خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل .^{٣٢}

٣ - قاعدة (ولا تزر وزرة وزر أخرى):

وهذه القاعدة من القواعد الأخلاقية التي أكد عليها الدستور الإسلامي (القرآن الكريم)، وقد تكررت في المصحف الشريف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .^{٣٣}

ولم يلتزم بنو أمية (لعنهم الله) بهذه القاعدة، فلما حاربوا الإمام الحسين عليه السلام وقتلوه مع أهل بيته وأصحابه، قتلوا الطفل الرضيع أيضاً، وسبوا نساءه وبقية أطفاله، وروّعوا الأطفال والنساء، وضربوهم بالسياط، وقادوهم مكبلين كالأسرى، مع أن النساء والأطفال لا ذنب لهم في عرف الجيوش والحروب في جميع الأزمنة والعصور القديمة والحديثة .

وقد عبّر الإمام السجّاد (عليه السلام) عن هذه الحالة المأساوية لما سأله المنهال عن حاله، فروي عن المنهال بن عمرو قال : دخلت على علي بن الحسين فقلت: كيف أصبحت جعلت فداك؟ قال : فرفع رأسه إلي فقال : ما كنت أرى أن شيخاً مثلك من أهل مصر لا يدري كيف أصبحت؟! فإن كنت لا تدري فاجلس حتى أخبرك، أصبحنا بمنزلة بني إسرائيل من آل فرعون إذ كانوا يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم!!!^{٣٤}

ولكننا نجد أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) عمل بروح القاعدة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وطبقها في واقعه الخارجي، ولم يقابل بني أمية بالمثل، فروي أنه لما طرد أهل المدينة بني أمية في وقعة الحرّة، أراد مروان بن الحكم أن يستودع أهله، فلم يأوهم أحد، وتنكر الناس له إلا الإمام زين العابدين رَحِبَ بهم، وجعلهم من جملة عياله، وقد عال الإمام في هذه الوقعة أربعمئة امرأة.^{٣٥}

٤ - قاعدة (السماح والعفو عن المخطئين) :

وروي أنه كان عنده (عليه السلام) أضياف فاستعجل خادماً له بشواء كان في التّنّور فأقبل الخادم مسرعاً، فسقط السفود من يده على رأس بني لعلي بن الحسين تحت الدرجة، فأصاب رأسه فقتله. فقال علي للغلام وقد تحير الغلام واضطرب: (أنت حرٌّ، فإنك لم تتعمّده) وأخذ في جهاز ابنه ودفنه.^{٣٦}

٥ - قاعدة (الأدب والأخلاق مع الناس في السفر) :

وروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال : (كان علي بن الحسين (عليه السلام) لا يسافر إلا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه، فقال لهم: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا، قال : هذا علي بن الحسين (عليه السلام) فوثبوا فقبلوا يده ورجله وقالوا: يا ابن رسول الله أردت أن تصلينا نار جهنم لو بدرت منا إليك يدٌ أو لسان أما كنا قد هلكنا آخر الدهر، فما الذي يحملك

على هذا فقال : إني كنت قد سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله ﷺ ما لا أستحق فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمري أحب إلي . ٣٧

٦ - قاعدة (البر بالوالدين) :

وقد علم الإمام زين العابدين عليه السلام الناس دروساً مختلفة في البر بالوالدين، منها : أنه قال عليه السلام : (... ألا وإن الله تعالى أكرم أقواماً بأبائهم، فحفظ الأبناء بالآباء لقوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ...﴾ ٣٨ فأكرمهما، ...) . ٣٩ ومنها ما روي أنه قيل له عليه السلام : (إنك أبر الناس ولا تأكل مع أمك في قصعة، وهي تريد ذلك ؟ قال : أكره أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقلاً لها) . ٤٠

٧ - قاعدة (حسن الجوار) :

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال : (أما حق جارك فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقبل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة) . ٤١ ولم يقف الأمر على وصية الإمام عليه السلام بالجوار، بل طبق عليه السلام الأخلاق الإسلامية مع الجار تطبيقاً عملياً، فروى الزهري أنه قال : (لما مات زين العابدين فغسلوه وجد على ظهره محل فبلغني انه كان يستقي لضغفة جيرانه بالليل ... وقال عمرو بن ثابت : لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره وقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطي فقراء أهل المدينة . وفي روايات أصحابنا : أنه لما وُضع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء . وكان عليه السلام إذا انقضى الشتاء تصدق بكسوته، وإذا

انقضى الصيف تصدق بكسوته، وكان يلبس من خَزَّ اللباس، فقيل له: تعطيها من لا يعرف قيمتها ولا يليق به لباسها فلو بعثها فتصدقت بثمانها، فقال: إني أكره أن أبيع ثوباً صليت فيه .

... وروي عن أبي عبد الله عليه السلام إنه كان علي ابن الحسين إذا كان اليوم الذي يصوم فيه يأمر بشاة فتذبح وتقطع أعضاؤها وتطبخ فإذا كان عند المساء أكبَّ على القدور حتى يجد ريح المرقة وهو صائم ثم يقول : هاتوا القصاع اغرفوا لآل فلان، حتى يأتي إلى آخر القدور، ثم يؤتى بخبز وتمر فيكون بذلك عشاؤه).^{٤٢}

٨ - قاعدة (كيفية الأدب مع الله سبحانه وتعالى، وتعليم الناس عليه) :

كان عليه السلام إذا أذنب عبداً من عبيده: أو أمة من إماءه، يكتب اسم المذنب ونوع الذنب، والوقت الذي حصل فيه، ولم يعاقب المذنب أو يعاتبه، حتى إذا انتهى شهر رمضان المبارك جمعهم حوله، ونشر الكتاب، وسأل كل واحد منهم عن ذنبه، فيقر ويعترف، فإذا انتهى من عملية الحساب وقف في وسطهم، وقال لهم قولوا معي:

يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كما أحصيت علينا، وإن لديه كتاباً ينطق بالحق، كما نطق كتابك هذا، فاعفُ واصفح كما تحبُّ أن يعفو عنك المليك ويصفح، واذكر وقوفك بين يدي الله ذليلاً كما نحن وقوف بين يديك. فينوح الإمام ويبكي، ثم يعفو عنهم ويقول: اللهم إنك أمرتنا بالعفو عمن ظلمنا، وقد عفونا كما أمرت، فاعف عنا، ثم يقبل على عبيده، ويقول: أنتم أحرار لوجه الله، ويناجي ربّه قائلاً: اللهم إني عفوت عنهم وأعتقت رقابهم كما أمرت، فاعف عني وأعتق رقبتني من النار، ويأمر العبيد أن يقولوا: اللهم آمين رب العالمين، فيرفعون أصواتهم بالابتهاال والدعاء لسيدهم المحسن، ثم يذهبون إلى سبيلهم بعد أن يجيزهم بما يغنيهم عما في أيدي الناس .

ولو مثلت هذه الرواية كما هي على مسرح عام لأحدثت ثورة في العقول، ولفعلت فعل السحر في النفوس، واتجهت بها إلى الله وعمل الخير، وكانت أجدى من ألف كتاب وكتاب في المواعظ والأخلاق. ولو أن الذين يهتمون بالأخلاق ومشكلات المجتمع اطلعوا عليها وعلى أمثالها من سيرة الإمام السَّجَّاد، وتنبهوا إلى ما تحويه من الأسس والقوانين لبلغوا الغاية المنشودة من أقصر الطرق وأيسرها. ^{٤٣}

وجاء في أخبار الدول (للقرماني): إنه عليه السلام سقط ابنٌ له في البئر، ففزع أهل المدينة لذلك حتى أخرجوه، وهو قائم يصلي في محرابه فما زال عن مكانه، ولما قيل له في ذلك، قال: ما شعرت لأنني كنت أناجي رباً عظيماً. ^{٤٤}

٩ - قاعدة (حسن الظن بالله سبحانه وتعالى):

ذكرنا فيما سبق أن القواعد الأخلاقية منها ما تكون قواعد اجتماعية بين شخصين، ومنها ما تكون قواعد نفسية تحلّى بها الذات الإنسانية المنفردة، وحسن الظن بالله عز وجل هو مصداق من مصاديق القواعد الأخلاقية النفسية. روي أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام سمع في يوم عرفة سائلاً يسأل الناس، فقال له: ويحك أغير الله تسأل في هذا اليوم؟ إنه ليرجى لما في بطون الجبال في هذا اليوم أن يكون سعيداً). ^{٤٥}

١٠ - قاعدة (الشكر لنعم الله تبارك وتعالى):

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (إن أبي علي بن الحسين عليه السلام ما ذكر نعمة الله عليه إلا سجد، ...). ^{٤٦}

وروي عن الزهري أنه قال: (دخلت مع علي بن الحسين على عبد الملك بن مروان، قال فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين، فقال: يا أبا محمد لقد بان عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعة من رسول الله ﷺ وقريب النسب وكيد السبب،

وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من العلم والفضل والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك، وأقبل يشني عليه ويطريه قال فقال علي بن الحسين: كل ما ذكرته ووصفته من فضل الله وتأيبده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم؟ إلى أن قال: والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتي على صدري لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون ولا يبلغ حد نعمة منها علي جميع حمد الحامدين لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سر ولا علانية. لولا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصهم علي حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم، لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله، ثم لم أردهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين! وبكى، وبكى عبد الملك).^{٤٧}

المطلب الثاني :

أدعية ومناجاة الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) في الصحيفة السجادية وارتباطها بالقواعد الأخلاقية .

وهذه نبذة من أدعية الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في الصحيفة السجادية التي لها الدور الكثير والارتباط الكبير في تعليم الدروس الأخلاقية للمجتمع الإسلامي وترسيخ القواعد الأخلاقية في سلوك المجتمع والأفراد .

١ - دَعَاؤُهُ (عليه السلام) لِأَبَوِيهِ :

لأشك بأن الدعاء للوالدين هو نوع من أنواع البرّ بهما، وقد حث القرآن الكريم على الدعاء لهما، قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾^{٤٨} .
وأنبياء الله (عليهم السلام) هم من الذين تقرّبوا إلى الله عز وجل بالدعاء للوالدين .

فقد دعا نبي الله نوح (عليه السلام) لأبويه، كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ .^{٤٩}، وقد دعا نبي الله إبراهيم (عليه السلام) لوالديه أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ .^{٥٠}

ولقد أوصى الإمام زين العابدين (عليه السلام) ببرّ الوالدين، فروي أنه قال لبعض بنيّه: (يا بني إن الله رضىني لك، ولم يرضك لي فأوصاك بي ولم يوصني بك، عليك بالبرّ فإنه تحفة كبيرة) .^{٥١}

ومن دعائه (عليه السلام) لوالديه هو: (... اللهم اجعلني أهابها هيبة السلطان العسوف وأبرهما برّ الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالدي، وبري بهما أقر لعيني من رقدة الوسنان وأثلج لصدري من شربة الظمان حتى أوتر على هواي هواهما، وأقدم على رضاي رضاهما، وأستكثر برهما بي وإن قل، وأستقل بري بهما وإن كثر ... واغفر لي بدعائي لهما، واغفر لهما ببرهما بي مغفرة حتما ... اللهم وإن سبقت مغفرتك لهما فشفعهما في، وإن سبقت مغفرتك لي فشفعني فيهما، ...) .^{٥٢}

٢ - دعاؤه (عليه السلام) لولده :

الدعوات المستجابة، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (ثلاث دعوات لا يجبن عن الله تعالى : دعاء الوالد لولده إذا برّه، ودعوته عليه إذا عقه، ودعاء المظلوم على ظالم، ودعاؤه لمن انتصر له منه، ورجل مؤمن دعا لأخ له مؤمن واساه فينا، ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه واضطرار أخيه إليه) .^{٥٣} وكان من دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) لأولاده: (... وأصح لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم، وعافهم في أنفسهم وفي جوارحهم وفي كل ما عنيت به من أمرهم، وأدرر لي وعلى يديّ أرزاقهم، واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء سامعين مطيعين لك، ولأوليائك محبين مناصحين، ولجميع أعدائك معاندين ومبغضين، آمين ...) .^{٥٤}

٣ - دعاؤه ﷺ لإخوانه :

روي عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: (أسرع الدعاء نجاحاً للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب، يبدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكل به: آمين ولك مثلاه) .

وروي أن فاطمة ؓ إذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، فقيل لها: يا بنت رسول الله إنك تدعين للناس ولا تدعين لنفسك، فقالت: الجار ثم الدار) .^{٥٥}

وروي ... عن ابن أبي عمير قال : كان عيسى بن أعين إذا حجّ فصار إلى الموقف أقبل على الدعاء لإخوانه حتى يفيض الناس، قال: فقيل له: تنفق مالك وتتعبد بدنك حتى إذا صرت إلى الموضع الذي تبث فيه الحوائج إلى الله عز وجل أقبلت على الدعاء لإخوانك وتركت نفسك؟! فقال: اني على ثقة من دعوة الملك لي وفي شك من الدعاء لنفسي .^{٥٦}

ومن جملة دعاء الإمام زين العابدين ﷺ لإخوانه: (... واغفر للمؤمنين والمؤمنات مع الآباء والأمهات، والأخوة والأخوات، وألحقنا وإياهم بالأبرار، وأبحننا وإياهم جناتك مع النجباء الأخيار. اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني وجميع إخواني بك مؤمنين، وعلى الإسلام ثابتين، ولفرائضك مؤدّين، وعلى الصلوات محافظين، وللزكاة فاعلين، ولمرضاتك مبتغين، وللإخلاص مخلصين، ولك ذاكرين، ولسنة نبيك صلواتك عليه وعلى آله متبعين، ومن عذابك مشفقين، ومن عدلك خائفين، ولفضلك راجين، ومن الفرع الأكبر آمين، وفي خلق السماوات والأرض متفكرين، ومن الذنوب والخطايا تائبين...).^{٥٧}

٤ - دعاؤه ﷺ لجيرانه :

لم يقتصر الإمام زين العابدين ﷺ بالبرِّ والاحسان العملي لجيرانه، بل تعدَّى ذلك ليشملهم بمناجاته ويخصهم بدعائه، ومن جملة دعائه لهم قوله ﷺ: (اللهم صلِّ على محمد وآله وتولني في جبراني وموالي العارفين بحقنا والمنابذين لأعدائنا بأفضل ولايتك و وفقهم لإقامة سنتك والأخذ بمحاسن أدبك في إرفاق ضعيفهم وسد خلتهم و عيادة مريضهم وهداية مسترشدهم ومناصحة مستشيرهم وتعهد قادمهم وكتمان أسرارهم وستر عوراتهم ونصرة مظلومهم وحسن مواساتهم بالماعون والعود عليهم بالجنة والافضال وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال ...)^{٥٨} . ولم تكن هذه الكلمات هي مجرد دعاء، بل هي نقاط أخلاقية ينبغي على الجار أن يلتزم بها ويراعي بها جيرانه ثمَّ يحيطون به من الجهات الأربع .

٥ - دعاؤه ﷺ لأهل الثغور :

قال السيّد الجلالی : (إن هذا الدعاء بنفسه دليل مقنع على أن الإمام زين العابدين ﷺ لم يكن - كما شاء أن يصوره الكتَّابُ الجدد - متخلياً عن مركزه القيادي والسياسي، كإمام يرعى مصلحة الإسلام، والأمة الإسلامية. فمن خلال أوسع جبهاتها، وهي الحدود الإسلامية، المهدة دائماً، بلا شك، من قبل الدول المجاورة الحاقدة على الإسلام الذي قهرها، واستولى على مساحات من أراضيها، فرض الإمام ﷺ رعايته واهتمامه، وبشكل الدعاء الذي لا يثير الحكَّام)^{٥٩} .

وقال البعض : (الدعاء السابع والعشرون من أدعية الصحيفة السجادية للإمام السجَّاد ﷺ، وعنوانه (وكان من دعائه ﷺ لأهل الثغور)، يمضي في دعائه البليغ - وهو من أطول أدعيته - في توجيه الجيوش المسلمة إلى ما ينبغي لها من مكارم الأخلاق وأخذ العدة للأعداء، وهو يجمع إلى التعاليم الحربية

للهجاء الإسلامي بيان الغاية منه وفائدته، كما ينبه المسلمين إلى نوع الحذر من أعدائهم وما يجب أن يتخذوه في معاملتهم ومكافحتهم، وما يجب عليهم من الانقطاع إلى الله تعالى والانتفاء عن محارمه، والإخلاص لوجهه الكريم في جهادهم ويدعو على أعداء الإسلام بدعاء شديد اللهجة). ٦٠

وهذا الكلام هو ردُّ على ما ذكرناه في المقدمة من توهم اعتكاف وانعزال الإمام السجَّاد عليه السلام عن الناس.

ومن جملة دعائه عليه السلام لأهل الثغور: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَآيِدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَّتِكَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَأَشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَاحْرُسْ حَوَازِيَهُمْ، وَامْنَعْ حَوَمَتَهُمْ، وَأَلْفِ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَاتَرَبِّينَ مِيرَهُمْ، وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤْنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعْنِهِمْ بِالصَّبْرِ، وَالْطُّفَّ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ...). ٦١

٥ - من دعائه عليه السلام في الظلمات :

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (ثلاث دعوات لا يجيبن عن الله عز وجل: دعاء الوالد لولده، إذا برَّه، وعليه إذا عقَّه، ودعاء المظلوم على ظالمه، ودعاؤه لمن انتصر له منه، ورجل مؤمن دعا لأخيه المؤمن إذا واساه فينا، ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه، واضطرار أخيه إليه). ٦٢

ومن جملة دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في الظلمات: (يا من لا يخفى عليه أنباء المتظلمين، ويا من لا يحتاج في قصصهم إلى شهادات الشاهدين، ويا من قربت نصرته من المظلومين، ويا من بعد عونه عن الظالمين، قد علمت يا إلهي ما نالني من «فلان بن فلان» مما حظرت وانتهكه مني مما حجزت عليه، بطراً في نعمتك عنده، واغتراراً بنكيرك عليه. اللهم فصل على محمد وآله، وخذ ظالمي وعدوي عن ظلمي بقوتك، وافلل حدَّه عني

بقدرتك، واجعل له شغلاً فيما يليه، وعجزاً عما يناويه، اللهم وصل على محمد وآله، ولا تسوغ له ظلمي، وأحسن عليه عوفي، واعصمني من مثل أفعاله، ولا تجعلني في مثل حاله . اللهم صل على محمد وآله، وأعدني عليه عدوي حاضرة، تكون من غيظي به شفاء، ومن حنقي عليه وفاء . اللهم صل على محمد وآله، وعوضني من ظلمه لي عفوك، وأبدلني بسوء صنيعه بي رحمتك، فكل مكروه جلل دون سخطك، وكل مرزئة سواء مع موجودتك . اللهم فكما كرهت إلي أن أظلم، فقني من أن أظلم . اللهم لا أشكو إلى أحد سواك، ولا أستعين بحاكم غيرك، حاشاك، فصل على محمد وآله، وصل دعائي بالإجابة، واقرن شكايتي بالتغيير ...^{٦٣} .

خلاصة البحث - النتائج :

وأما النتائج التي ظهرت من خلال البحث هي :

١ - أن الدين المعاملة، والمعاملة مع الناس تبتني على القواعد الأخلاقية.^{٦٤}
٢ - أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام لم يكن منعزلاً عن المجتمع والناس - كما يتوهم البعض - بل كان مختلطاً معهم بروحه، يحمل مسؤوليتهم بإحساسه، مهتماً بهم بتفكيره، والدليل على ذلك هو المواقف وكلمات الدعاء والمناجاة كالدعاء لأهل الثغور .

٣ - إن الإمام زين العابدين عليه السلام سار على نهج المنظومة الأخلاقية الإسلامية لجده المصطفى صلى الله عليه وآله وكان له الدور الكبير في الحفاظ عليها عن طريق مواقفه وكذلك أدعيته ومناجاته في الصحيفة السجادية، في الوقت الذي كانت فيه الهوية الإسلامية والمنظومة الأخلاقية في خطر كبير نحو الانحراف .

٤ - إن الإمام السجاد عليه السلام كما علّم الناس الأخلاق والآداب العامة بينهم كالدعاء للوالدين، والجيران، والإخوان، كذلك علمهم الأخلاق والآداب الخاصة مع الله سبحانه وتعالى، كما يظهر ذلك في الكثير من الأدعية والمناجاة في

الصحيفة السجادية كالدعاء في التحميد لله عز وجل، ودعاؤه في اللجوء إلى الله تعالى، ودعاؤه بالتوبة، وكمناجاة الخائفين، والمتوسلين، والطائعين، وغيرها. والحمد لله أولاً وأخيراً وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

التوصيات والمقترحات :

أوصي وأقترح على إخواني الباحثين بالأمور التالية :

١ - تعديل النقص والخطأ إن وجد في بحثي هذا، لأنني معرض للسهو والنسيان والخطأ وواحدنا يكمل الآخر، ف (المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً) .^{٦٥}

٢ - تسليط الضوء على استخراج القواعد الأخلاقية من مواقف وكلمات وأدعية ومناجاة أهل البيت عليه السلام بصورة عامة، والإمام زين العابدين عليه السلام بصورة خاصة .

٣ - جمع ما سلط عليه الضوء وجعله كموسوعة أخلاقية مطبوعة تثري المكتبات الإسلامية، وتتحف أنظار الباحثين والمثقفين وجميع المؤمنين للاعتراف من القواعد الأخلاقية لأهل البيت عليه السلام .



الهوامش:

- ١- من الانترنت، موقع: (جامع الكتب الاسلامية).
- ٢- المجلسي العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٣١٤.
- ٣- الشاكري الحاج حسين، موسوعة المصطفى والعترة (عليه السلام)، ج ٩، ص ٢٠٠.
- ٤- من الانترنت، موقع التربية الأخلاقية: (moral education).
- ٥- قلعه جي محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، ج ١، ص ٣٦.
- ٦- الأزدي أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ١٥١٤.
- ٧- الحيدري محمد، معجم الأفعال المتداولة ومواطن استعمالها، ج ١، ص ٨١٤.
- ٨- الأزدي أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ١٥١٤.
- ٩- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ١٠١٩.
- ١٠- الفراهيدي الخليل، العين، ج ٣، ص ٣٢٠.
- ١١- الأزدي أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ١٥١٣.
- ١٢- الجرجاني الشريف، التعريفات، ج ١، ص ١٨.
- ١٣- القاموس الطبي العربي، ج ١، ص ١٥٣.
- ١٤- جرجس جرجس، معجم المصطلحات الفقهية والقانونية، ج ١، ص ٧٦.
- ١٥- ابن فارس، المقاييس في اللغة، ص ١١٠١.
- ١٦- من الانترنت، موقع: (منتدى السعادتين).
- ١٧- من الانترنت، منقول من موقع: (العتبة الحسينية المقدسة)، قسم نفحات إسلامية، أهل البيت، مقالة تحت عنوان: (الإمام زين العابدين (عليه السلام) في سطور).
- ١٨- من الانترنت، منقول من موقع: (موسوعة التفسير الموضوعي)، مقالة تحت عنوان: (الاجتماع).
- ١٩- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص ١٣٨٧.
- ٢٠- ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٠٨.
- ٢١- معجم الأفعال المتداولة ومواطن استعمالها، ص ٧٣٣.
- ٢٢- من الانترنت، موقع: (ويكيبيديا)، مقالة تحت عنوان: (مناجاة - بلاغة).
- ٢٣- الصحيفة السجادية، ص ١٥.
- ٢٤- زكي مبارك، التصوف الإسلامي والأدب والأخلاق، ج ٢، ص ٦٥.
- ٢٥- منقول من مقدمة المرعشي في الصحيفة، ص ٤٣ - ٤٥.
- ٢٦- راجع: القندوزي، ينابيع المودة، ١٤٢٢ هـ، ج ٣، ص ٤١١-٤٣٠.

٢٧- من الانترنت، موقع: (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، مقالة تحت عنوان: (الصحيفة السجادية) .

- ٢٨- چيتيك، مقدمة الصحيفة السجادية، ص ٨٥ - ٨٦ .
- ٢٩- مغنية العلامة الشيخ محمد جواد، الشيعة في الميزان، ص ٢٢٥ .
- ٣٠- القندوزي الحنفي، ينابيع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ١٥٤ .
- ٣١- مغنية العلامة الشيخ محمد جواد، الشيعة في الميزان، ص ٢٥٢ .
- ٣٢- السبحاني العلامة الشيخ جعفر، الأئمة الإثني عشر، ص ٩٤ .
- ٣٣- سورة الأنعام، الآية ١٦٤ .
- ٣٤- المغربي القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج ٢، ص ٤٨٥ .
- ٣٥- مغنية محمد جواد، الشيعة في الميزان، ص ٢٢٥ .
- ٣٦- الشافعي محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ﷺ، ص ٤٢١ .
- ٣٧- الصدوق، عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ١٥٦ .
- ٣٨- سورة الكهف، الآية ٨٢ .
- ٣٩- الحائري جعفر عباس، بلاغة الإمام علي بن الحسين ﷺ، ص ٩٢ .
- ٤٠- القمي الشيخ عباس، الأنوار البهية، ص ١١٦ .
- ٤١- الريشهري العلامة الشيخ محمد (رضوان الله عليه)، ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٨٨ .
- ٤٢- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٢٩٤ .
- ٤٣- مغنية محمد جواد، الشيعة في الميزان، ص ٢٢٦ .
- ٤٤- زين العابدين الإمام علي بن الحسين ﷺ، شرح رسالة الحقوق، ص ٣٠٠ .
- ٤٥- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢١١ .
- ٤٦- الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص ٢٣٣ .
- ٤٧- الكوراني الشيخ علي العاملي، جواهر التاريخ، ج ٣، ص ٤٧٦ .
- ٤٨- سورة الإسراء، الآية ٢٤ .
- ٤٩- سورة نوح، الآية ٢٨ .
- ٥٠- سورة إبراهيم، الآية ٤١ .
- ٥١- زين العابدين الإمام علي بن الحسين ﷺ، شرح رسالة الحقوق، ص ١٤ .
- ٥٢- زين العابدين الإمام علي بن الحسين ﷺ، الصحيفة السجادية (ابطحي)، ص ١٢٥ .
- ٥٣- الريشهري العلامة الشيخ محمد (رضوان الله عليه)، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٨٨٣ .
- ٥٤- زين العابدين الإمام علي بن الحسين ﷺ، الصحيفة السجادية (ابطحي)، ص ١٢٨ .
- ٥٥- النيسابوري القتال، روضة الواعظين، ص ٣٢٩ .

- ٥٦- الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ١٨٥ .
- ٥٧- زين العابدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية (ابطحي)، ص ٤٩١ .
- ٥٨- زين العابدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية (ابطحي)، ص ١٣١ .
- ٥٩- الجلالى السيد محمد رضا، جهاد الإمام السجاد (عليه السلام)، ص ١٩٥ .
- ٦٠- من الانترنت، موقع : (شبكة السراج فى الطريق إلى الله)، مقالة تحت عنوان :
(الصحيفة السجادية، الدعاء السابع والعشرون) .
- ٦١- زين العابدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية الكاملة، ص ١٤١ .
- ٦٢- المجلسى العلامة الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣٦١ .
- ٦٣- زين العابدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية (ابطحي)، الصفحة ٩٤ .
- ٦٤- انظر : الشبلى الدكتور أحمد، مقارنة الأديان، الإسلام، ص ١٧٦ .
- ٦٥- حديث نبوي شريف، راجع : الريشهري العلامة الشيخ محمد (رضوان الله عليه)،
ميزان الحكمة، ج ١، ص ٢٠٨ .



المصادر والمراجع :

- المصادر والمراجع :**

 - * القرآن الكريم .
 - * ابن شهر آشوب الإمام الحافظ مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبشي السروي المازندراني، مناقب آل أبي طالب، تحقيق : تصحيح وشرح ومقابلة : لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .
 - * ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، المطبعة : مكتب الاعلام الاسلامي، تاريخ النشر : جمادي الآخرة ١٤٠٤ هـ .
 - * الأزدي أبو الحسن علي بن الحسن الهنائي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، الناشر : عالم الكتب، القاهرة، الطبعة : الثانية، سنة الطبع : ١٩٨٨ م .
 - * الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الشريف، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع : ١٤٠٥ هـ .
 - * جرجس جرجس، معجم المصطلحات الفقهية والقانونية، مراجعة: أنطوان، الناشر : الشركة العالمية للكتاب - بيروت، تأريخ الاصدار : ١٩٩٦ م .
 - * الجلالى السيد محمد رضا الحسينى، جهاد الإمام السجّاد عليه السلام، الطبعة : الأولى، الناشر : دار الحديث، المطبعة : شمصاد، سنة الطبع : ١٤١٨ هـ .
 - * الحائري جعفر عباس، بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، جمع وتحقيق: جعفر عباس الحائري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع : ١٤٢٥ هـ - ١٣٨٣ ش .
 - * الحيدري محمد، معجم الأفعال المتداولة ومواطن استعمالها، الناشر : المركز العالمي للدراسات الإسلامية، المطبعة : توحيد، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤٢٣ هـ .
 - * الريشهري العلامة الشيخ محمد (رضوان الله عليه)، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر : دار الحديث، الطبعة : الأولى، سنة الطبع : ١٤١٦ هـ . ق .
 - * زكي مبارك، التصوف الإسلامى والأدب والأخلاق، الناشر : مطبعة الرسالة - مصر، سنة النشر : ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .
 - * زين العابدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام، الصحيفة السجادية (أبطحى)، بإشراف : سماحة السيد محمد باقر نجل السيد المرتضى الموحد الأبطحى الأصفهاني، تحقيق ونشر : مؤسسة الإمام المهدي

- * الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ٢٥ / محرم الحرام / ١٤١١ هـ. ق.
- * زين العابدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية الكاملة، تحقيق وخط: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني، سنة الطبع: ١٤٠٤ هـ - ١٣٦٣ ش.
- * زين العابدين الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، شرح رسالة الحقوق، تحقيق وشرح: حسن السيد علي القبانجي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٦ هـ.
- * السبحاني الفقيه المحقق العلامة الشيخ جعفر، الأئمة الإثني عشر دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم (عليهم السلام)، المطبعة: دار جواد الأئمة (عليهم السلام)، سنة الطبع: ٢٠١٥ م - ١٤٣٦ هـ.
- * الشاكري الحاج حسين، موسوعة المصطفى والعترة (عليهم السلام)، نشر: مطبعة الهادي - قم - خيابان صفائي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧ هـ.
- * الشلبي الدكتور أحمد دكتوراه في الفلسفة من جامعة كمبودج أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، مقارنة الأديان - الإسلام، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٩٧٣ م.

- * الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، علل الشرائع، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات: المكتبة الحيدرية ومطبعها في النجف، سنة الطبع: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
- * الصدوق الشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، حققه وصححه وقدم له وعلّق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، سنة الطبع: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- * الصدوق الشيخ الجليل الأقدم أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة: الثانية.
- * الطوسي شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، حققه وعلّق عليه: الحجة السيد حسن الموسوي الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية تهران بازار سلطاني.

المراجع :

- * من الإنترنت، موقع : (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، مقالة تحت عنوان : (مناجاة - بلاغة -) .
- * من الإنترنت، موقع : (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)، مقالة تحت عنوان : (الصحيفة السجادية) .
- * من الإنترنت، موقع : (موسوعة التفسير الموضوعي)، مقالة تحت عنوان : (الاجتماع) .
- * من الإنترنت، موقع : (التربية الأخلاقية : **moraleducation**) .
- * من الإنترنت، موقع : (العتبة الحسينية المقدسة)، قسم نفحات إسلامية، أهل البيت، مقالة تحت عنوان : (الإمام زين العابدين عليه السلام في سطور) .
- * من الإنترنت، موقع : (جامع الكتب الاسلامية) .
- * من الإنترنت، موقع : (شبكة السراج في الطريق إلى الله)، مقالة تحت عنوان : (الصحيفة السجادية، الدعاء السابع والعشرون) .
- * من الإنترنت، موقع : (منتدى السعادين) .



القيم الأخلاقية والفكرية في قصائد مديح الإمام السَّجَاد عليه السلام

أ.م. د. إحسان محمد التميمي

جامعة بغداد / كلية التربية - ابن رشد

م. م. رحاب حسين العريفاوي

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

الملخص:

يُعَدُّ الاهتمام بالقيم الأخلاقية والفكرية من أهم العوامل التي سعى الإسلام إلى ترسيخها في نفس المسلم، لحفظ الأمة الإسلامية من التدهور والانحلال الأخلاقي الذي عانت وما زالت تعاني منه الكثير من الأمم؛ ونظراً لما تحتويه القيم الأخلاقية والفكرية من أثر بالغ الأهمية في المجتمع العربي، وفي مجمل مجالات الحياة؛ إذ بها تتماصك طبقات المجتمع وتترابط الشعوب، وبهذه القيم يتم الاعتزاز والفخر وتعظم قيمة الهوية؛ ولأنها تمثلت في أعلى مظاهرها عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار، وفق ما نصّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ الْقَلَمِ﴾، وقول النبي صلى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وبما تشهده الساحة العربية من انحراف في منظومة القيم الأخلاقية والفكرية اليوم، سعى هذا البحث للوقوف على مظاهر القيم الأخلاقية في شخصية الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وأثرها في الشعر العربي، ولا سيما قصائد المديح التي توجّهت نحو هذه الشخصية العظيمة كمثال للتأسي بأخلاق النبي وآله الكرام، وقد اشتملت الدراسة على محورين أساسيين: القيم الأخلاقية، والقيم الفكرية في قصائد مديح الإمام السَّجَاد عليه السلام.



Abstract:

Attention to moral and intellectual values is one of the most important factors that Islam sought to establish in the Muslim soul, to preserve the Islamic nation from the decline and moral decay from which many nations have suffered and are still suffering, and in view of the extremely important impact that moral and intellectual values contain on Arab society, and in general. Areas of life, because through them the classes of society are cohesive and the peoples are interconnected, and with these values pride and honor are achieved and the value of identity is magnified, and because they were represented in their highest manifestation in the Prophet Muhammad (may God bless him and his family and grant them peace) and his pure family, according to what the Holy Qur'an stipulates in the Almighty's saying: {Indeed, you I may have great character}, and the Prophet said, "I was sent only to perfect good morals, and in view of the deviation that the Arab arena is witnessing in the system of moral and intellectual values, this research seeks to find out the manifestations of moral values in the personality of Imam Ali bin Al-Hussein, peace be upon him, and their impact on Arabic poetry, especially the praise poems that I turned to this great personality as an example to follow the morals of the Prophet and his honorable family. The study included two main axes Moral values Intellectual values.

أهداف البحث:

- ١- ترسيخ القيم الأخلاقية والفكرية في الشخصية العربية، وأهميتها في تماسك المجتمع والحفاظ على وحدة المسلمين .
- ٢- الوقوف على القيم الأخلاقية والفكرية لشخصية الإمام السجاد عليه السلام ودورها الفاعل في بناء الإنسان.
- ٣- حاجة الإنسان المعاصر إلى معرفة القيم الإسلامية والأخلاقية والفكرية ودورها في إصلاح الأفراد واستقرار المجتمعات.
- ٤- تتبع الأساليب الأدبية لتجسيد القيم الأخلاقية والفكرية في القصائد التي توجهت نحو مديح الإمام السجاد عليه السلام وأثرها في المتلقي.

أهمية البحث:

- ١ - تقديس شخصية المعصوم بعدها المثل الأعلى والسير على نهجها في الحياة العلمية والعملية.
- ٢- التأسّي بالقيم الأخلاقية والفكرية عند الإمام السجاد عليه السلام التي طالما تغنى بها الشعراء على مرّ العصور.

المُقدِّمة:

تُعَدُّ الأخلاق الفاضلة الدَّعامة الأساسيّة القويّة التي تستند عليها الأمم، وهي علامة للاستقرار والاستمرار، وما من أمة سادت وذاع صيتها إلا وكان للقيم الأخلاقيّة والفكريّة فيها أثر عظيم؛ فهي الدّليل القاطع لقيام العقيدة الصّحيحة، الدّالة على نقاء المسلم المهذب الهادفة إلى بناء مجتمع إسلامي مختلف متميّز تسود فيه المكارم كافة، فرقيّ المجتمعات وتقدّمها لا يرتبط بتطوّراتها التّقنيّة وما حققته من اختراعات وإنجازات، بل بما يسود فيها من قيم خلقية ومبادئ ومساواة في مختلف أنواع المعاملات والعلاقات؛ ولأهميّة هذه القيم وأثرها في تحسين سلوك الفرد والمجتمع اتجه البحث لدراسة القيم الأخلاقيّة والفكريّة في قصائد مديح الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) الشخصية التي عرفت بكونها جامعة لكلّ أنواع المكارم والفضائل.

وقد قُسم البحث على تمهيد ومبحثين، تضمّن التّمهيد سيرة الإمام السّجاد (عليه السلام) العطرة، والقيم الأخلاقيّة والفكريّة في اللّغة والاصطلاح.

أمّا المباحث فقد توزّعت على شقين: الأول القيم الأخلاقيّة في قصائد مدح سيد السّاجدين (عليه السلام) وتشمل: (التّقوى، الكرم، الإحسان، الشّجاعة، الفضل، الحلم... وغيرها)

والمبحث الثّاني: القيم الفكريّة ونعني: (العلم، المعرفة، الحكمة).

علماً أنّ هذه الدّراسة استندت على المنهج التّكاملي الذي يجمع بين المعطيات المتنوّعة، العقديّة والتّاريخيّة والأدبيّة والاجتماعيّة.

التّمهيد:

الإمام السّجاد (عليه السلام):

تعدّ شخصيّة الإمام السّجاد (عليه السلام) مثلاً للكلمات العالية والقيم الأخلاقيّة والفكريّة والإنسانيّة الرّفيعة، فقد عرف الإمام السّجاد (عليه السلام) بأنّه زينة عباد الله المخلصين وابن خير الصّالحين، العاشق لعبادة الله المخلصة، فضلاً عن الحضور الفعّال الدّائم لهذه الشّخصية الكريمة وتأثيرها في مختلف ميادين الإسلام السّياسيّة والاجتماعيّة، إذ استطاع (عليه السلام) بنشاطاته الفاعلة المستمرّة أن يؤدّي مسؤوليّة الإمامة بأمان وإخلاص وحملها إلى الأئمة المعصومين من ولده بعده^(١).

اسمه ونسبه: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) الملقب بالسّجاد وزين العابدين، أمه شهربانو وقيل (شاه زنان) ابنة (يزدجر الثالث)، ولد الإمام السّجاد (عليه السلام) في يوم الخامس من شعبان سنة ٣٣٨هـ، أو ١٥ جمادي الأولى عام ٣٦هـ، في المدينة المنورة،^(٢) تولى الإمام السّجاد (عليه السلام) بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) منصب الإمامة، فعاش ٣٥ سنة بعد أبيه إلى سنة ٩٥هـ، وكان قد واجهته في هذه المدة باستمرار الحوادث المؤلمة والصّعبة بسبب خلفاء عصره وهم: (يزيد بن معاوية، معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان، وليد بن عبد الملك)، فقد كان للإمام السّجاد (عليه السلام) مواجهات خاصة مع كلّ واحد من هؤلاء الخلفاء، لكنّه استطاع أن يتغلّب على تلك الحوادث بالتدبير والكياسة والسّياسة الخاصة من دراسة لنفسية ذلك الخليفة، مع متابعة الخط الشّيعي في تبليغ وترويج فضائل أهل بيت النّبوة لتوسعة هذه المدرسة الإلهية مستقبلاً للتزود من فكر ثورة عاشوراء وعياً و يقيناً.^(٣)

الإمام السّجاد (عليه السلام)

صفاته:

تَمَنَّعَ الإمام السَّجَاد (عليه السلام) بشخصية عظيمة جامعة لمكارم الأخلاق فضلاً عن الهيبة والوقار، فقد كان «معظماً مهيباً عند القريب والبعيد والولي والعدو، حتّى إنَّ يزيد بن معاوية لما أمر أن يبايعه أهل المدينة بعد وقعة الحرة على أيّهم عبيد رق له لم يستثن من ذلك إلا علي بن الحسين، وكان من صفاته (عليه السلام) أنّه يحسن إلى من يسيء إليه، كان هشام بن اسماعيل أمير المدينة يسيء إليه ويؤذيه أذى شديداً فلما عَزَلَ أمر به الوليد أن يشهر للناس فكان الناس يمرون به فيشتمونه، فمر به علي وسلم عليه وأمر خاصته أن لا يعرض له أحد، وكان له ابن عم يؤذيه فكان يحيئه ويعطيه الدنانير ليلاً وهو متستر فيقول لكن علي بن الحسين لا يصلني لا جزاه الله خيراً، فيسمع ويصبر فلما مات انقطع عنه فعلم أنّه هو الذي كان يصله»^(٤).

كما روي أنّه (عليه السلام) كان من أفضل أهل زمانه علماً وفقهاً وعبادة وورعاً وصبراً وكرماً وحلماً، وفصاحة وأحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم وأشهرهم صدقاً وأرفقهم بحال الفقراء والمساكين، وأنصحهم للمسلمين، وكان مثلاً لعظيم العفو والتجاوز والصفح^(٥).

ألقابه:

لقّب علي بن الحسين (عليه السلام) ألقاباً عديدة:

السَّجَاد، زين العابدين، ذو الثَّنَات، الزَّكِي، الأمين، سيد العابدين.^(٦)

ومما قيل في هذه الألقاب شعراً: (من الطَّويل)

«نعم أنت زين العابدين إمامهم وأنت إلى قلب الشَّغوف قريب»^(٧)

وقول آخر:

«ومن ثَنَاتٍ في جبينك لوح تسميك بالسَّجَاد تلك الوسائم»^(٨)

ففي الأبيات السابقة نجد تجسيد الشعراء ألقاب الإمام السَّجَّاد عليه السلام في الشعر، ولا بد من الإشارة إلى أنَّ هذه الألقاب اتجهت لبيان سمة التقوى عند الإمام عليه السلام بطريقة تصويرية، ف(زين العابدين) دلالة على أنَّه عليه السلام أحسن من عبدوا الله صدق العبادة، والثَّقات وصف لأعضاء السَّجود التي غلظت وجمدت وبانت بها الآثار من طول السَّجود وكثرته، والسَّجاد صيغة مبالغة على وزن (فَعَّال) تدلُّ على أنَّ الإمام عليه السلام كان كثير السَّجود، بمعنى أنَّ سجوده لم يكن مختصاً بالصلاة الواجبة وإنما بالنوافل أيضاً، ممَّا تتطلب من الشاعر استعمال صيغة المبالغة، وبذلك فقد عمَّد الشعراء وصف الإمام السَّجَّاد عليه السلام بطريقة تصويرية متجاوزين الزَّمن في رسم صورته وكأنَّه ماثلٌ أمامهم بهيأته التي كان فيها في عصره .

تاريخ ومحل استشهاد:

روي أنَّ الإمام السَّجَّاد عليه السلام استشهد مسموماً في يوم ١٢ أو ١٨ وعلى المشهور ٢٥ من شهر محرم سنة ٩٥هـ، في المدينة المنورة، ودسَّ له السَّم جلاوزة هشام بن عبد الملك بأمر منه، وقد ناهز عمره الشريف ٥٧ أو ٥٩ عاماً تقريباً، عاش منها مع جدِّه أمير المؤمنين عليه السلام سنتين أو أكثر ومع عمه الحسن ١٢ سنة أو ١٠ سنين، ومع أبيه الحسين ٢٣ أو ٢٤ سنة، ومع أبيه بعد عمه الحسن ١٠ سنين وبعد أبيه ٣٤ أو ٣٣ أو ٣٥ سنة وهي مدة إمامته، وقيل كان له من الأولاد خمسة عشر، أحد عشر ذكراً وأربعة بنات^(٩).

مرقده الشريف: في مقبرة البقيع في المدينة المنورة^(١٠).

علمه:

عُرف الإمام السَّجَّاد عليه السلام بعلمه وفضله، وقد أخذ عنه علماء الحجاز ومن كان يأتي من البلاد البعيدة والقريبة في مواسم الحج، حيث كان طَّالِب المعرفة يدوِّنون منه فيأخذون عنه ويروون للناس، فممن روى عنه: الزَّهري،

وسفيان بن عيينه، ونافع والأوزاعي ومقاتل ومحمد ابن اسحاق^(١١)، وقيل «كان عليه السلام يجلس في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة للفتيا وتعليم الناس وغير خفي أن إمامته في زمن أبيه كانت محجوبة لكنّه لم يكن بالذي يتوانى عن اداء دوره ورسالته اللذين أناطتهما السماء به»^(١٢).

آثاره:

للإمام السّجاد عليه السلام آثار تعدّ من أوائل التّأليف في صدر الإسلام وهي:^(١٣)

١- الصّحيفة السّجادية: وهي مجموعة أدعية تُعدّ من أعلى درجات البيان العربي بأسلوبها ومعانيها .

٢- رسالة الحقوق: وهي من الأعمال الفكرية السّامية في الإسلام تحتوي على توجيهات وتعليمات وقواعد في السلوك العام والخاص، وتعدّ من أدقّ ما يعرفه الفكر الإنساني في مجال المعاملات والعلاقات.

القيم الأخلاقية والفكرية في اللغة والاصطلاح:
القيم:

تعرّف القيم على أنّها «اسم لما يقوم به الشيء، أي يثبت كالعماد والسّناد، لما يعتمد ويسند إليه، والإقامة في المكان الثّبات. وإقامة الشيء: تقويمه حقه وتقويم الشيء تقينه، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ وذلك إشارة إلى ما خصّ به الإنسان دون الحيوان، من العقل والفهم، وانتصاب القامة الدّالة على استيلائه على كلّ ما في العالم ليجعله خليفة في الأرض ويكرمه أيّما تكريم»^(١٤).

أمّا في الاصطلاح فالقيم مستوى أو مقياس أو قواعد نحكم بمقتضاها ونقيس بها ونحدد على أساسها المرغوب فيه أو المرغوب عنه مما يصدر عن الذات الإنسانية^(١٥).

ورأى بعض الباحثين أنّها: «حكم يصدره الإنسان على شيء ما، مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشّرع، محدّداً المرغوب فيه، والمرغوب عنه من السلوك»^(١٦).

أما الأخلاق، ففي اللغة: هي جمع خلق، والخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، ذكر ابن منظور الخلق بقوله: «هو الدين والطبع والسجية وهو مأخوذ من خلق، الدالة على تقدير الشيء»^(١٧).

وفي الاصطلاح عرّفها (الرجاني) بأنها «عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. وإنما قلنا: (إنه هيئة راسخة) لأن من يصدر منه بذل المال على التدور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خلقه الحليم، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء، ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء»^(١٨).

ومما تقدّم نستنتج أن القيم مجموعة من القواعد التي يتم في ضوءها معرفة شخصية الإنسان، وتحليلها، وتمييز طباعها الجيدة من غيرها وبالتالي الحكم عليه وفقاً لتلك القيم.

المبحث الأول:

القيم الأخلاقية في قصائد مديح الإمام السجاد عليه السلام:

ولد الإسلام في بيئة معروفة بموروثها الأخلاقي العربي الجاهلي فجاء مكملًا لها وموجهًا إياها وجهة إسلامية، مع ما أوجبه من تعديل في مضامينها حيث صار المقصد هو رضا الله عز وجل في كل تفاصيل الحياة؛ وذلك لما للأخلاق من أثر في بناء المجتمع المتناسك الذي تحدّه تعاليم الإسلام الحنيف وترشده، ولأنّ «الحياة الأخلاقية هي الحياة الخيرة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، فكلما انتشرت هذه الحياة انتشر الخير والأمن والأمان الفردي

والاجتماعي، وانتشرت أيضاً الثقة المتبادلة، والألفة والمحبة بين الناس، وكلما غابت هذه الحياة انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء»^(١٩).

وتتمثل القيم الأخلاقية بمجموعة من الصفات يعددها (ابن الجوزي) بقوله: «الصبر، والشجاعة، والعدل، والمرؤة، والعفة، والصيانة، والجود، والحلم، والعفو، والصّفح، والاحتمال، والإيثار، وعزة النفس عن الدّناءات، والتّواضع، والقناعة، والصّدق، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتّغافل عن زلات الناس، وترك الانشغال بما لا يعنيه، وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة ونحو ذلك»^(٢٠).

كما تمثّل القيم الأخلاقية والفكرية «الجانب المعنوي أو الرّوحي في الحضارة الإسلامية وأيضاً الجوهر والأساس الذي تقوم عليه أي حضارة، وفي ذات الوقت تضمن سر بقائها وصمودها عبر التّاريخ والأجيال، وهو الجانب الذي إذا اختفى يوماً فإنّه يؤذّن بزوال الدّفء المعنوي للإنسان، الذي هو روح الحياة والوجود، فيصير وقد غادرت الرّحمة قلبه وضعف وجدانه وضميره عن أداء دوره، ولم يعد يعرف حقيقة وجوده فضلاً عن حقيقة نفسه، وقد بات مكبلاً بقيود، مادية لا يعرف منها فكاً ولا خلاصاً»^(٢١).

وبما أنّ شخصيّة المعصوم تتميّز بأفضليّة شاملة، وكمالات خاصة متمثلة بالأقوال والأفعال، سعى الشعراء إلى إظهار هذه الصفات والتّغني بها ولا سيّما شخصيّة الإمام السّجاد (عليه السلام)، لذا سيتناول البحث القيم الأخلاقية والفكرية في قصائد مديحه (عليه السلام) بحسب ما ورد في القصائد المختارة:

١- التّقوى: تعرّف التّقوى لغة على أنّها: «أنّ التّقاة والتّقية، والتّقوى، والأتقاء بمعنى واحد، وبين ابن منظور أنّ معنى وقاه الله وقياً ووقاية: صانه، تقول: وقيت الشّيء أقيه إذا صنته وسترته من الأذى، وتوقّى، واتّقى بمعنى. ووقاك الله شر فلان وقاية، أي حفظك»^(٢٢)، فالمعنى اللغوي لكلمة التقوى يدل على الصيانة والوقاية والستر وحفظ الشيء مما يحدق به من الأذى.

أما اصطلاحاً، فالتقوى «اتخاذ الوقاية، وعند أهل الحقيقة: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك»^(٢٣).

وقيل التقوى «هي جعل النفس في وقاية مما يخاف وهذا تحقيقه، ثم يسمّى الخوف تارة تقوى، والتّقوى خوفاً، بحسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه، والمقتضى بمقتضاه»^(٢٤)، وقد وردت لفظة التقوى مرات عديدة في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢٥). إن كلمة التقوى من كلمات المبادئ ذات الدلالة النفسية، فهي تشير إلى المبادئ النفسية التي يجب أن تصدر منها الأفعال الاختيارية للإنسان، وتلتزم تلك المبادئ بالاعتقاد بالله والقيامة، والنبوة والإمامة والمعاد؛ لأن من يخاف الله ويتقيه يعمل على رضاه بكل تلك المبادئ من غير شك ولا ارتياب ويتجنب كل ما يسخطه من دون شك وارتياب أيضاً.

وقد مدح الشعراء الإمام السّجاد عليه السلام بهذه الصّفة الكريمة ومنهم الفرزدق في قوله: (من البسيط)

«هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التّقي النّقي الطّاهر العلم»^(٢٦)

يعمد الفرزدق على إيضاح صفة مهمّة من الصّفات الأخلاقيّة عند الإمام السّجاد عليه السلام، (هذا التّقي) والتّقوى حجة واضحة أثبت الشاعر عن طريقها نسبة هذه الصّفة إلى المعصوم، كونها من أهم القيم الأخلاقيّة الدّينية، وفي استعمال اسم الإشارة (هذا) المخصص للقريب تعريض بـ(هشام بن عبد الملك) الذي سأل عن شخصيّة الإمام السّجاد عليه السلام وكأنّه لا يعرفه، حيث أراد الفرزدق من ذلك أن هذا الذي تسأل عنه هو خير خلق الله نسباً وتقوى وسجيّة، فالتّقوى التي هي أعلى مرتبة من القيم الأخلاقيّة جعلها الشاعر تصدير كلامه؛ لأهميتها إذ تشكّل قمة هرم القيم؛ لأنّها تقوم على تجنّب كلّ

ما يعصي به الله؛ إذ تتحوّل هذه الصّفة إلى قيمة خلقية ملاصقة للمتّصف بها وهو الإمام السّجاد (عليه السلام) لذلك جعلها الشّاعر مقدّمةً على غيرها.

أمّا الدّكتور أحمد الوائلي، فقد جسّد هذه الصّفة في قصيدة بعنوان (في مدرسة الإمام السّجاد (عليه السلام) يقول فيها: (من الطّويل)

«تزاوله من خشية الله رعدةً إذا خطرت بالوعي منه العزائمُ
وتنعشه من رحمة الله هبةً تمرُّ بها للمتقين نسائمُ»^(٢٧)

يصف الشّاعر في هذه الأبيات العلامات الروحانية التي تتاب الإمام السّجاد (عليه السلام) في حالات العبادة، ويعمد الشّاعر إلى الجانب التّصويري لإيضاح حالة الإمام في خوفه من الله عز وجل، وقد استعمل لفظة (ردة) لبيان حالة الاضطراب والخشية التي تصيب الإمام، فقد ورد أنّه عبد الله «حتّى اصفر لونه من السّهر ورمضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصّلاة»^(٢٨) وهذه الحالة من أعلى الدّرجات الدّالة على التقوى، وما يخفّف حالته تلك ما مثله الشّاعر بهبوب نسائم الرّحمة إذ يستشعرها (عليه السلام) فتحياه لذة العبادة والرّضا، وفي هذا البيت يشبّه الشّاعر بهبوب (هبوب) النسائم عن طريق التّشبيه البليغ، وفي ذلك دلالة لعناية الله ولطفه بالمتّقين حيث ينعمون بلذة العبادة والقبول بطريقة مستمرة أدّت دلالتها الأفعال المضارعة (تزاوله، تنعشه، تمرُّ) التي تدلّ على تكرار الأمر وديمومته، أي أنّ الحالة تلك في وضع تكرار دائم.

وقد مدح الشعراء في مختلف العصور زين العابدين (عليه السلام) بهذه الصفة، بطريقة مباشرة وغير مباشرة منها:

«إذا رآته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم»^(٣٢)

يصفُ الفرزدق كرم الإمام السَّجاد (عليه السلام) مستعملاً أسلوب الموازنة بين كرمه وكرم قريش، وهي قبيلة عربية معروفة بهذه الصفة، وتعد من أكرم قبائل العرب فإذا رأت كرم الإمام السَّجاد (عليه السلام) تعجَّبت من كرمه وشهدت له بالفضل الكبير وغلبه لهم بهذه الصفة، واللافت في هذه الموازنة أنَّ الشاعر وازن بين قبيلة قريش كاملة وهم جدود الإمام السَّجاد (عليه السلام) وبين شخصية واحدة هي شخصية الإمام (عليه السلام) وجعل هذه الشخصية غالبية للمجموعة، ونلاحظ في قصيدة الشيخ (أحمد الوائلي) أيضاً المعنى نفسه في قوله:

«حريُّ لو استعلى بمجدك هاشم فثمَّ جدود بالحفيد أعظم»^(٣٣)

فالشاعران يتفقان على أنَّ الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) قد فاق قريشاً وآل هاشم الذين ينحدرون من هذه القبيلة بكرمه وقيمه العالية حتَّى إنهم صاروا عطاء نتيجة هذا الحفيد الجامع لكلِّ مكارم الأخلاق. ولأهمية هذه الصفة نرى تأكيد الفرزدق عليه بقوله:

«كلتا يديه غياث عم نفعهما يستوكفان ولا يعرفهما العدم»^(٣٤)

يصفُ الشاعر أيدي الإمام (عليه السلام) بأنَّها غياث لمن طلب منها الرِّجا وهما لا ينفدان ولا يعرفهما النَّقص والشَّح، وقد استعمل الأيدي؛ لأنَّ العطاء المادي مقترن بها، وقد شبَّه الشاعر في هذا البيت أيدي الإمام بالمطر على سبيل التشبيه البليغ، ولكنَّه جعل هناك فرقاً بين المشبه والمشبه به، إذ إنَّ كرم أيدي الإمام دائم لا يتناوبه النَّقص ولا الشَّح ولا الفراغ بعكس المطر، كما نلاحظ في هذه الأبيات تأكيد الشاعر على هذه الصفة ولعلَّه يحاول جمع القيم الأخلاقية الموجودة في شخصية الإمام (عليه السلام) كلها في قصيدته هذه، فنراه تارة مشيداً بكرم الإمام

المادي وتارة مشيداً بالكرم المعنوي، وهذا دليل على رقي الدرجة العظيمة التي حبا الله الإمام بها، فالنفس إذا استقامت لها «معاني العطاء والبذل وتحقق منها هذا السلوك كانت في أرقى درجات إنسانيتها؛ لأنها تخلّصت من الأثرة إلى الإيثار، ومن الاحتجان إلى العطاء، ومن حب الذات فقط إلى حب الآخرين مع الذات؛ ولأنها حينئذ تسعد بالعطاء وتحقق وجودها الأسمى به» (٣٥).

ومنه أيضاً قول الشيخ الوائلي:

«فذلك من يدعى لدى الفخر سيداً تنافس فيه في القراع المكارم
وإن وليداً بين بني كسرى وهاشم لأكرم من نيّط عليه التّائم» (٣٦)

يصف الدكتور الوائلي الإمام السّجاد عليه السلام بطريقة مقاربة لما استند عليها الفرزدق، في عظمة صفة الكرم المقترنة بشرف النسب، كونه عليه السلام سيداً من آل هاشم، وفضلاً عن شرف النسب يؤكد الشاعر أن هذا السيد تتصارع فيه المكارم بشدة وقوة حتى إنّ إحداها تطغى على الأخرى، وفي البيت الثاني يضمّن الشاعر قول أبي الأسود الدؤلي في الإمام السّجاد عليه السلام، حيث إنّّه عليه السلام جمع بين الملك و النبوة من ناحية أجداده ونسبه فضلاً عن القيم الأخلاقية السّامية التي تمثّلت بأبهى حللها في شخصيته العظيمة.

وهذا الأمر ليس غريباً، فكلّما اتّسعت الإحساسات الإنسانيّة لدى النّفس، اتّسعت فيها اتجاهات الخير، وبانت معالمها واتضحّت غاياتها لا سيّما عند أولياء الله الصّالحين الذين خصّهم الله برحمته وخيره أن جعل منظارهم للحياة مغايراً تماماً لما عند غيرهم؛ إذ يتمتّعون بنظر ثاقب لكشف ما يكمن خلف الأمور؛ كونهم يربطون كل شيء بعالم أرفع.

ومنه قول الشاعر:

«فأنت الذي عمّ العفاة عطاؤه وللشعر والشعراء منك نصيب» (٣٧)



يصف الشاعر كرم الإمام عليه السلام عن طريق توظيف لفظة العطاء، إذ إن كرم الإمام عليه السلام عمّ الفقراء والمساكين وتجاوز ذلك إلى الشعر والشعراء، بمعنى أن كرمه لم يكن كرمًا ماديًا فقط، بل معنويًا تجسد عن طريق إمداد الشعر والشعراء بما يزيد قيمتهم، فحاز كل شيء منه نصيباً، فعطاؤه عليه السلام ليس محدوداً، ولم يكن منصّباً على جانب واحد دون غيره.

وقول آخر: (من البسيط)

«من آل بيت براهيم ربهم كرمًا مرفعين عن الأرجاس تصعيدا
جُمّ المحاسن عفّ النفس ذو كرم كالسحب تهطل من فيض النداء جوداً»^(٣٨)

يشارك الشعراء على صفات القيم الأخلاقية ولا سيّما الكرم فضلاً عن الإحسان والفضل عند الإمام عليه السلام وأجداده العظماء، الذين رفعهم الله عن الناس صعوداً إلى مراتب لا ينافسهم عليها أحد، إذ يعدّ الإمام السّجاد عليه السلام جامعاً للمحاسن بعفة النفس والكرم، التي تبدو عليه وكأنّه سحابٌ ماطر من فيض جوده ونداه، هذه الصورة التي رسمها الشاعر مستنداً على التشبيه التمثيلي حيث يجمع بين صورتين: صورته عليه السلام في حالة الكرم والعطاء، بصورة السحب الهاطلة، فكلاهما ينتج منهما الخير وسبب الحياة.

وبذلك فالكرم اسم شامل لمختلف أنواع الفضائل، ولفظ جامع لمعاني القيم الأخلاقية النبيلة، وشيعة من شيم الأخلاق الفضيلة، وسجية تنسب وتضاف إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الطباع فهو واقع على كلّ الفعال المرضية ولازم لحال كلّ صفة جليّة^(٣٩).

وبذلك تكون صفات التقوى والكرم من المقاييس الأخلاقية المهمة التي يتفاضل بها الناس، وفقاً لقوله تعالى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٤٠)، وقد تجسّدت بأعلى مراتبها وأجلها عند الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

٣-الحلم: يُعدّ الحلم أحد القيم الخلقية النبيلة، ويعرّف على أنّه الطمأنينة عند اشتعال الغضب، وقيل هو تأخير الردّ أو تأخير مكافأة الظالم^(٤١).

وقد وظّف الشعراء هذه الصّفة لمدح الإمام السّجاد عليه السلام كقول الفرزدق:

«سهل الخليفة لا تخشى بواده
يزينه اثنان : حسن الخلق والشّيم»^(٤٢)

يصف الفرزدق في هذا البيت صفة من الصّفات الخلقية التي عرف بها سيد السّاجدين، وهي السّهولة واللين، كونه عليه السلام بعيداً عن الحدة ولا تخاف ردود أفعاله في كلّ المواقف، لما عرف به من سماحة وحلم، كما استند الشاعر على أسلوب بلاغي وهو التّقسيم، ففضلاً عن السّهولة واللين وسمة القبول في شخصيته عليه السلام قسّم الشاعر ما يزيّنه من صفات خلقية وخلقية أخرى دالة على حسن الهیأة والمظهر في قوله: (حسن الخلق) و(الشّيم) التي تعني الصّفات الخلقية الثّابتة التي لا تتغيّر فيه، فأخلاقه وحلمه وهیأته الحسنة ثابتة على صورة واحدة لا تتغيّر بتغيّر المواقف، وقد أدّى أسلوب التّقسيم دلالة مهمة في كونه يقطع حركة الكلام قليلاً ليتهيأ المتلقّي لاستقبال الشّيء المُقسّم، ولعلّ الفرزدق عمد توظيف هذا الأسلوب لجذب انتباه المتلقّي للصفات العديدة المتوالية في البيت الشعري ولينبهه للانتقال التي حدثت ونعني بها الانتقال من المدح المعنوي عن طريق صفات التقوى والكرم إلى المدح المادي عن طريق وصف هیأة وجمال الإمام السّجاد عليه السلام، لترسم في ذهن المتلقّي الصّورة المتكاملة لشخصيته العظيمة بكلّ تفاصيلها.

٤-السّماحة: تعدّ السّماحة من القيم الخلقية المتميّزة وتقترن بالسّهولة والقبول والبساطة، وتعرف في أبسط صورها على أنّها «بذل ما لا يجب تفضلاً»^(٤٣).

وقد وظّف الشعراء هذه الصّفة لمدح زين العابدين عليه السلام كقول الفرزدق:

«حَمَلْ أَثْقَالَ أَقْوَامٍ إِذَا افْتَدَحُوا
حَلَوُ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ النَّعَمُ
مَا قَالَ قَطْ لَا إِلَّا فِي تَشْهَدِهِ
لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاؤُهُ نَعَمُ»^(٤٤)

يجمع الشاعر في هذا البيت بين أكثر من قيمة أخلاقية في شخصية الإمام السَّجَّاد (عليه السلام)، كقوله (حَمَالُ أَثْقَال) فكلمة حَمَال على وزن (فَعَال) تدلُّ على المبالغة والكثرة، في حمل الإمام لأثقال من استثقلوا بالنوازل والهموم، كما يركِّز الفرزدق على صفة القبول والسَّماحة عنده (عليه السلام) بأنَّه معروف بكلمة (نعم)، كناية عن سعة صدره وعلوِّ همِّته وقضائه حوائج من يطلبه قاصداً، فهو لا يعرف الرِّفْض واستجابته مباشرة دائماً لأصحاب الحوائج والمقاصد، الاستجابة الممزوجة بالسَّماحة والمحبة، الصِّفَات التي تعدُّ «أنجح وسيلة إلى تهذيب الأخلاق وتكميل النَّفوس، وهي سر الله المخزون الذي تشفى به الأدواء، والتَّرياق الذي تذهب به سموم الأمراض الاجتماعية، وهي أنجح وسيلة لاقتلاع شجرة الشَّر من النَّفوس»^(٤٥).

٥- الحياء:

يعرّف الحياء على أنَّه «انقباض النَّفس من شيء وتركه حذراً عن اللُّوم فيه، وهو نوعان: نفساني: وهو الذي خلقه الله تعالى في النَّفوس كلّها، كالحياء من كشف العورة والجماع بين يدي النَّاس، وإياني: وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفاً من الله تعالى»^(٤٦)، وتعدّ صفة الحياء من أهم القيم الأخلاقية، وفيه قال النَّبي ﷺ: «الحياء خير كلّ»^(٤٧).

وقد جسّد الشعراء هذه الصِّفة في قصائدهم كقول الفرزدق:

«يغضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يتسم»^(٤٨)

كعادة الفرزدق في مدح زين العابدين (عليه السلام) يجمع بين القيم الخلقية المتنوعة في بيت واحد، وفي هذا البيت يصف الشاعر القيم المتمثلة بالسَّماحة والعظمة، فيغضي حياء كناية عن الخجل والتَّواضع للنَّاس، فهو (عليه السلام) يطرق للنَّاس تواضعاً ويطرق له النَّاس هيبة فهو متواضع مهاب تزينه الابتسامة سماحة، ولعلَّ الابتسامة ملمح دال على قبول الإمام للآخرين، ويمكن عدّها إيذاناً لهم بالكلام معه كسراً للحواجز التي تصنعها الهياة المهيبة له في نفوسهم.

٦- الإحسان:

الإحسان «فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير، وفي الشريعة: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٤٩)، وهو من المعاني الشاملة التي تضمّ أفعال الخير جميعها، فهو يتضمّن معاني عديدة منها العطاء للآخرين وتكريمهم وتدخل ضمنه الأعمال الحسنة كلّها.

وقد جسّد الشعراء هذه الصفة، ومنها قول الشاعر:

«عمّ البرية بالإحسان فانقشعت عنها الغياهب والإملاق والعدم»^(٥٠)

يستعمل الشاعر ألفاظ المديح الدالة على الإحسان الذي غمر به الإمام البرية فأزاح عنها الظلام والفقر والفراغ، فالخيرات اقترنت كلّها ببركته عليه السلام، وبذلك يؤكد الشاعر على أهميّة هذه الشخصية العظيمة وحجم عطائها غير المحدود.

٧- الفضل:

يُعَدّ الفضل من القيم الأخلاقيّة المهمّة ويعرّف على أنّه «ابتداء إحسان بلا علّة»^(٥١)

ومنه قول الشاعر في الإمام عليه السلام

«حوى من الفضل ما لم يحوه أحد إلا الأئمة صناديداً فصنديداً»^(٥٢)

يصف السيد «محمد الحسيني الشيرازي» صفة الفضل عند الإمام السّجاد عليه السلام وتعني الزيادة بالإحسان وجمع المكارم، المتوارثة التي جمعت بأعلى مراتبها عنده عليه السلام من أجداده الكرماء عليهم السّلام سيّداً شجاعاً بعد سيد شجاع، فالشاعر جمع بين أكثر من قيمة خلقية في هذا البيت، وهما الفضل والشّجاعة وهي الصفات التي لم يتمكّن من جمعها إلا محمد وآل محمد.

٨- الشجاعة:

تُعد الشجاعة من أبرز وأهم القيم الأخلاقية كونها المحرك لبقية السجايا، والشجاعة لا تقتصر بالحرب فقط، بل هي سمة نفسية أخلاقية تمثل الدائرة الأوسع الشاملة الضامة لبقية القيم، فالإنسان لا يمكن أن يكون كريماً ما لم يكن شجاعاً ولا يمكن أن يكون تقياً ما لم يملك الشجاعة في مخالفة هواه، وبذلك تكون الشجاعة هي القوة الدافعة أو الصفة المولدة لبقية القيم والصفات الأخلاقية، وعُرفت على أنها «هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجن، بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها كالقتال مع الكفار ما لم يزيدوا على ضعف المسلمين»^(٥٣).

ومنها قول الشاعر:

«هم الغيوث إذا ما أزمة أزمّت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم»^(٥٤)

يجمع الفرزدق بين صفتين من صفات الإمام السجاد عليه السلام، وهي الكرم والشجاعة؛ فالأئمة عليهم السلام كالغيث في الأزمان من ناحية العطاء سواء أكان مادياً أم معنوياً، فالكرم عندهم تميّز بأعلى رتبة فهم على استعداد دائم للتضحية والعطاء، وهذا دليل تشبيههم بالغيث، فلم يقتصر الكرم عندهم بالعطاء فحسب بل الشجاعة بالبذل والشهادة، والدفاع عن دين الله، وقد وصفهم بأسد الشرى، وقيل الشرى موضع تنسب إليه الأسد يقال للشجعان ما هم إلا أسود الشرى، وقيل هو موضع تأويه الأسود، ولعله أراد بذلك أنهم عليهم السلام أسود الأزمان وأشجع من يرتجى للشدائد بمختلف أنواعها.

القيم الفكرية:

تُعد القيم الفكرية من المميّزات التي تكتمل بها صفات الإنسان الخلقية الأخرى، ونعني بالقيم الفكرية الأمور المتعلقة بالعقل والتفكير، كالعلم والمعرفة والحكمة، وكل ما ينتجه عقل الإنسان من جانب علمي بغض النظر

عن نوعه، وتعدّ هذه القيم العامل المهم في بناء المجتمعات الإسلامية، فالأمم تتباهى بعد أخلاقها ومبادئها بعلومها ورفقها المعرفي والثقافي، وقد تميّزت شخصيّة الإمام السّجاد (عليه السلام) بكونه أحد سلسلة الرّسالة النبوية المحمدية الممتدة، فقد كان للإمام السّجاد (عليه السلام) الدّور الفاعل في إكمال خطى الإمام الحسين (عليه السلام) بعد استشهادِهِ، إذ كان للإمام السّجاد دور فاعل في إحياء ضمير الأمة الإسلامية عن طريق إنشاء مدرسة آل البيت ونشر التّشيع ومحاربة الفسوق، ولم يغفل الشّعراء عن إظهار دور الإمام الفكري، فقد تغنوا بمبادئه الفكرية في أشعارهم، ووفقاً لذلك يمكننا تقسيم القيم الفكرية بحسب الآتي: العلم، الحكمة، المعرفة.

العلم: العلم «نقيض الجهل، وهو إدراك الشّيء على حقيقته»^(٥٥):

ومنه قول: الدّكتور أحمد الوائلي:

«وما قلّ عن ليلٍ نهارك رتبةً فأنت على الحالين حبرٌ وعالم»^(٥٦)

يصف الشّاعر ثبات صفات الإمام السّجاد (عليه السلام) في اللّيل والنّهار إذ يتساوى الاثنان في أهميتهما وقيمتها، فالإمام (عليه السلام) بكلّ الحالات نبع عطاء من جميع الجوانب، وقد وظّف الشّاعر لفظتي حبر وعالم وفقاً للأساليب البلاغية (الجمع والتّقسيم)، والمراد بالخبر العالم العارف بتحرير الكلام وتحسينه وما يبقى لعلومه من أثر في قلوب النّاس، والعالم المدرك للأشياء على مستوى اليقين، فتوظيف هذه الكلمات والجمع بينها وتقسيمها وظّفه الشّاعر لبيان القيم الفكرية عند الإمام السّجاد (عليه السلام)، والتي توضح أنّه كان مدركاً للأشياء بيقين وبصر عميق، وكذلك فهو مدرك لمعرفة أثر تلك العلوم في قلوب الآخرين المستقبلين لها.

وقول آخر: (من البسيط)

«منه الصّحيفة تجلو الوريّ أبداً كالشمس تعطي على الآفاق تجديداً»^(٥٧)

يعمد الشاعر على توظيف كلمة الصّحيفة، كناية عن الصّحيفة السّجادية التي هي مجموعة أدعية للإمام السّجاد (عليه السلام)، مشبّهاً إياها بالشمس، فكما تجلو الشمس الظّلام بتجددها، كذلك تجلو الصّحيفة ظلام القلوب، وقد وظّف كلمة تجديد على وزن (تفعيل)، وهي صيغة مبالغة، دلالةً على أنّ الصّحيفة السّجادية تتميز بكونها متلائمة مع كلّ زمان ومكان، أي أنّها حيّة متجدّدة فاعلة في كلّ وقت وحين وهي مصدرٌ للحياة الروحانية، كما الشمس مصدر للحياة وقد استند على التشبيه كونه يتلاءم مع التّصوير.

أما الفرزدق فقد أشار إلى القيم الفكرية عند الإمام السّجاد (عليه السلام) بقوله:

«من يشكر الله يشكر أولوية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأُم»^(٥٨)

يقف الفرزدق على القيم الفكرية عند الإمام السّجاد (عليه السلام) فيرى أنّ وجوب الشّكر بعد الله عز وجل أنّ يكون لمحمد وآل محمد، معللاً أنّ الدّين انبعث من بيوتهم فنالتهم الأُمم، وهذا دليل على تفانيهم في نشر العلم والدّين في كلّ مكان وزمان، وربّما عمد الشاعر إلى جمع كلمة أمة للدلالة على الشمولية فعلمهم وقيمهم الفكرية غير مقتصرة لإفادة أمة واحدة أو زمن ومكان واحد، لذلك وسع الشاعر الدلالة عن طريق إطلاق الجمع لكلمة أمة.

الخاتمة:

١- تعد القيم الأخلاقية والفكرية الأساس الفاعل الذي تقوم عليه الأمة العربية الإسلامية، وتعدّ التقوى الصفة الأهم في هذه القيم، فالخوف من الله هو العامل المحفز لنمو القيم الأخلاقية الأخرى.

٢- تعدّ شخصيّة الإمام السّجاد عليه السلام جامعة لكلّ مكارم الأخلاق بأعلى مستوياتها، وقد تميّزت شخصيّة بالقيم الأخلاقية والفكرية، كونه امتداداً للرسالة المحمدية، المتمثلة بأجداده وأبيه الحسين بن علي عليه السلام الذي يعدّ محور الرسالة المحمدية وقطبها.

٣- عمد الشعراء إلى استعمال أسلوب التصوير لوصف شخصيّة الإمام عليه السلام وكأنّه ماثّل أمامهم، بكلّ حالاته، وقد تمثّل التصوير بأسلوب التشبيه في أغلب الأبيات الشعرية؛ لأنّه يتلاءم مع التصوير.

٤- استعمل الشعراء صيغ المبالغة في مواطن عديدة للدلالة على عظم الصفات الخلقية المتمثلة عند الإمام زين العابدين عليه السلام.

٥- جاءت القصائد الأربع المختارة في البحث على أوزان البحور الشعرية المركّبة وهما: (الطويل والبسيط) وذلك لتنوّع تفعيلات هذه البحور وفسحها المساحة للكلام بتنوّع، وقد أسهمت أساليبهم في زيادة الجذب والتأثير في المتلقّي، ولا سيّما في استعمال الأساليب البلاغية المتمثلة بالتقسيم والجمع.

٦- إن العلاقة بين الأخلاق والشعر قريبة جداً، فالشعر لا يخلو من الدعوى إلى الأخلاق السامية؛ فهو مشترك معها في الغايات والأهداف المبتغاة، فغاية الأخلاق الرقي بالإنسان والمجتمع، وغاية الشعر الرقي بالأخلاق والمشاعر الإنسانية، وبذلك حرص الشعراء على التغني بمكارم الأخلاق على مرّ العصور.

٧- حرص الشعراء على مختلف عصورهم تجسيد صفات الإمام السجاد عليه السلام، وهذا التجسيد نابعٌ من رغبة إصلاحهم مجتمعهم، فتوظيفهم بمختلف القيم الأخلاقية في الشعر دليل على مناداتهم لهذه القيم وضرورة الحذو على منوالها والتحذير من أضدادها للمحافظة على سلامة المجتمع العربي الإسلامي من العلل التي تسهم في انهياره.

٨- اتسعت قصائد الشعراء لجميع القيم الأخلاقية التي وصفوا بها الإمام السجاد عليه السلام، والتي حث القرآن الكريم عليها، ولذلك ارتكز الشعراء على اقتباس ألفاظ الدين الإسلامي، فضلاً عن استعمال ألفاظ القيم الأخلاقية والفكرية، واستندوا عليها في أساليبهم وبناء صورهم منها (الدين، الصيام، التشهد، النافلة).



الهوامش

- ١- ينظر: منتقى الدرر، هاشم الصالحي، ١١.
- ٢- ينظر: م. ن: ١٣.
- ٣- ينظر: م. ن: ٤٧.
- ٤- ينظر: قبسات مشرقة من سيرة الرسول وبضعته البتول وحياة الأئمة العدول، عبد المطلب جاسم البكاء: ٢٠٤.
- ٥- ينظر: م. ن: ٢١٤.
- ٦- ينظر: سير المعصومين، أحمد الوائلي: ٣٧٣.
- ٧- في حب أهل البيت، سيد سليم: ٩.
- ٨- ديوان الوائلي: ١٥٤.
- ٩- ينظر: منتقى الدرر، ١٣، قبسات مشرقة: ٢٠٣،
- ١٠- ينظر: منتقى الدرر، ١٣، سير المعصومين: ٣٧٤.
- ١١- ينظر: قبسات مشرقة: ٢٠٥، ٢٠٦،
- ١٢- ينظر: سير المعصومين: ٣٨١.
- ١٣- ينظر: سير المعصومين: ٣٧٤، ٢٠٦.
- ١٤- مفردات الراغب الاصفهاني: ٦٩.
- ١٥- ينظر: التطور القيمي، محمد إبراهيم: ١١١.
- ١٦- علم النفس الاجتماعي، حامد زهران: ١٣٢.
- ١٧- لسان العرب: ١٤٠ / ٥.
- ١٨- التعريفات: ١٠٥.
- ١٩- علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن: ٨.
- ٢٠- الفوائد، لابن القيم الجوزية: ٢٠٣.
- ٢١- الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني: ١.
- ٢٢- لسان العرب: ٩٧١ / ٣ - ٩٧٣.
- ٢٣- التعريفات، الجرجاني: ٦٩.
- ٢٤- مفردات الراغب الأصفهاني: ٨٣٣.
- ٢٥- التغاين: ١٦.
- ٢٦- ديوان الفرزدق: ٣٦٣.
- ٢٧- ديوان الوائلي: ١٥٤.
- ٢٨- قبسات مشرقة: ٢١٤.
- ٢٩- المدايح والمراثي للمعصومين الأربعة عشر، محمد الحسيني الشيرازي: ٩.
- ٣٠- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، أبو الحسن علي بن عبد الرحمان: ١٠٥، ١٠٦.

- ٣١- القيم الأخلاقية من خلال الشعر الجاهلي، صالح مفقود: ١٨٧.
- ٣٢- ديوان الفرزدق: ٣٦٣.
- ٣٣- ديوان الوائلي: ١٥٤.
- ٣٤- ديوان الفرزدق: ٣٦٣.
- ٣٥- مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، محمد شحادة: ٢٨-٢٩.
- ٣٦- ديوان الوائلي: ١٥٤.
- ٣٧- في حب أهل البيت: ٢٦.
- ٣٨- المدائح والمرثي للمعصومين الأربعة عشر: ٩.
- ٣٩- ينظر: عين الآداب والسياسة وزين الحسب والرياسة: ١٠٥.
- ٤٠- الحجرات: ١٣.
- ٤١- ينظر: التعريفات: ٩٧.
- ٤٢- ديوان الفرزدق: ٣٦٣.
- ٤٣- التعريفات: ١٢٤.
- ٤٤- ديوان الفرزدق: ٣٦٣.
- ٤٥- القيم الخلقية وتحقيقها لمصلحة الفرد والجماعة، عائشة بنت محمد سعد القرني: ٣٨١.
- ٤٦- التعريفات: ٩٩.
- ٤٧- مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا: ٧٦.
- ٤٨- ديوان الفرزدق: ٣٦٣.
- ٤٩- التعريفات: ١٦.
- ٥٠- ديوان الفرزدق: ٣٦٣.
- ٥١- التعريفات: ١٦٩.
- ٥٢- المدائح والمرثي للمعصومين الأربعة عشر: ٩.
- ٥٣- التعريفات: ١٢٨.
- ٥٤- الفرزدق: ٣٦٣.
- ٥٥- القيم الفكرية، عبد الرحمن سنان وجيه الدين، ٢٠٣.
- ٥٦- ديوان الوائلي: ١٥٤.
- ٥٧- المدائح والمرثي للمعصومين الأربعة عشر: ٩.
- ٥٨- ديوان الفرزدق: ٣٦٣.

المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم
- * الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، كتاب إلكتروني، تصميم موقع نصرة رسول الله.
- * التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية، محمد إبراهيم كاظم، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة ١٩٩٧م.
- * التعريفات، الجرجاني، ٨١٦هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣.
- * ديوان الفرزدق، كرم البستاني، ط ١، دار صادر بيروت، ٢٠٠٦م.
- * ديوان الوائلي، الشيخ أحمد الوائلي، شرح وتحقيق: سمير شيخ الارض، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١١م.
- * سير المعصومين من مجالس ومحاضرات الوائلي، دار المرتضى بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣٠، ٢٠٠٩م.
- * علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن، دار عالم الكتب الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- * عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- * علم النفس الاجتماعي، حامد وهران، عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٨٤م.
- * عن الآداب والسياسة وزين الحسب والرياسة، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٩٨١م، ١٤٠١هـ.
- * الفوائد الجوزية، ابن الجوزي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٨م.
- * في حب أهل البيت، سيد سليم، ٢٠١٩ م، ط ٢، دار الوعد للنشر والتوزيع .
- * قبسات مشرقة من سيرة الرسول وبضعته البتول وحياة الأئمة العدول، عبد المطلب السيد جاسم البكاء، ط ١، ٢٠٠٩م، ١٤٣٠.
- * القيم الأخلاقية من خلال الشعر الجاهلي، صالح مفقود، مجلة العلوم الانسانية، ٢٠٠١م.
- * القيم الخلقية وتحقيقها مصلحة الفرد والجماعة، عائشة بنت محمد سعد القرني، بحث منشور، مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات، بدمنهور.
- * القيم الفكرية، عبد الرحمان وجيه الدين، ١٤٤٢هـ، ٢٠٢٣م، ط ١، ٢٠٢٣م، اليمن .
- * لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.

- * المدائح والمراثي للمعصومين
الأربعة عشر، ط ١، ١٤٤١هـ، مكتبة
الزنجاني، قم المقدسة. محمد محمدي
الشيرازي.
- * مفردات الراغب الأصفهاني، تحقيق:
صفوان عدنان، دار العلم، بيروت،
ط ٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- * مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في
العصر العباسي الأول، رسالة مقدّمة
لنيل درجة الدكتوراه في الأدب
العربي، محمد شحادة، ١٤١٥هـ،
١٩٩٤م.

- * مكارم الأخلاق، أبو بكر عبد الله
بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا،
٢٨١هـ، تحقيق مجدي ابراهيم،
الناشر مكتبة القران، القاهرة .
- * منتقى الدرر، تحقيق هاشم الصالحى،
٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ، مؤسسة البلاغة.



المَوعِظُ القُرْآنِيَّةُ فِي حِكْمِ الإِمَامِ زَيْنِ العَابِدِينَ ﷺ

أ.م.د. محمد خضير عباس الجيلاوي

كلية الشيخ الطوسي (قدس) الجامعة

أ.م.د. خالد يونس النعماني

كلية الشيخ الطوسي (قدس) الجامعة

المقدمة:

الإمام زين العابدين ﷺ (ت ٩٥هـ)، ويُعرف أيضاً باسم علي السَّجَّاد. نشأ في أرفع بيت وأسماء وهو بيت النبوة والإمامة الذي أذن الله تعالى أن يرفع ويذكر فيه اسمه. وقد أولاه والده الإمام الحسين ﷺ الذي رأى في ولده امتداداً ذاتياً ومشرقاً لروحانيّة النبوة ومُثل الإمامة، فأولاه المزيد من رعايته وعنايته، وقَدَّمه على بقية أبنائه، وصاحبه في أكثر أوقاته. فتوافرت للإمام ﷺ جميع المكوّنات التربوية الرفيعة التي لم يظفر بها أحد سواه، وقد عملت على تكوينه وبناء شخصيّته بصورة متميّزة، جعلته في الرعيل الأول من أئمّة المسلمين. فكان الإمام ﷺ من أوسع الناس علماً وعملاً وفكراً، ومن أكثرهم دراسة في جميع العلوم والفنون. وقد عُرف عنه كذلك بين الخاصة والعامة بغزارة العلم، وسعة المعرفة والفكر، وقوة الدليل والحجة، ولا غرابة في ذلك؛ فهو معدن العلم، ووارث الحكمة، وينبوع المعرفة، فشاع صيته في الآفاق، وأصبح ملء السمع والبصر، ومقصد العلماء والفقهاء والرواة والمحدثين الذين أخذوا منه صنوف المعرفة الإسلامية من تفسير، وحديث، وفقه، وعقائد وأخلاق، ويفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين ويمرّ الناهيين منهم على التفقه والاستنباط. وقد ورث هذه العلوم عن آبائه الطاهرين الذين ورثوا علوم

النبي ﷺ ونشروها في جميع أنحاء الأرض فكانت نوراً يهتدى بها جميع الناس من قريب وبعيد. فعلوم الإمام عليه السلام تعد امتداداً طبيعياً لعلوم آبائه. وحكم الإمام عليه السلام التي سوف نتطرق لها فإنها تمثل الإبداع، وتطور الفكر، وأصالة الرأي، وتحكي خلاصة التجارب التي ظفر بها الإمام عليه السلام في حياته، وهي لا تقتصر على جانب خاص من جوانب الحياة، وإنما كانت شاملة لجميع مناحيها. ولقد نظر الإمام عليه السلام بحكمه بعمق وشمول إلى شؤون الإنسان جميعها، فوضع الحلول الحاسمة لتلك الشؤون ولتلك القضايا. وهذه الدراسة عن قبس من نور الله تعالى، ونفحة من رحمته، وكنز من كنوز حكمته. وقد تمّ اختياري لهذا الموضوع لما له من أهمية في حياة المسلمين.

واشتملت محاور البحث على الموضوعات الآتية:

ابتدأت فيه أولاً بالتمهيد، وتعرضت فيه لمعنى: (المَوْعِظَةُ وَالْحِكْمَةُ) في اللغة والاصطلاح، ليكون مدخلاً للبحث الذي خاض في حكم الإمام عليه السلام. وبعد ذلك اخترت عشرًا من هذه الحكم في مختلف المجالات، وقمت بتحليلها، ثم ذكرت الآيات القرآنية المتعلقة بتلك الحكم.

وخلص البحث إلى خاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

التمهيد: المَوْعِظَةُ وَالْحِكْمَةُ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً

المَوْعِظَةُ فِي اللُّغَةِ: مصدر الفعل وَعَظَ. جاء في كتاب العين للخليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ): وعظ: العظة: الموعظة. وعظت الرجل أعظه عظة وموعظة: واتعظ: تقبل العظة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه^(١). وقال الجوهرى (ت ٣٩٣هـ): الوَعِظ: النصيح والتذكير بالعواقب. تقول: وعظته وعظاً وعظة فاعظ، أي قبل الموعظة. يقال: السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره^(٢). وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): الوَعِظ: الواو والعين والطاء كلمة واحدة. فالوعظ: التخويف والعظة الاسم منه^(٣).

يديه^(١٣). وعن الراغب الاصفهاني: الْحِكْمَةُ: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالْحِكْمَةُ من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات^(١٣). وجاء عن ابن منظور (ت ٧١١هـ): قيل: الْحَكِيمُ ذو الْحِكْمَةِ، وَالْحِكْمَةُ عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لِمَنْ يُحَسِّنُ دَقَائِقَ الصَّنَاعَاتِ وَيُتْقِنُهَا: حَكِيمٌ^(١٤). وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في تاج العروس: الْحِكْمَةُ، بالكسر: الْعَدْلُ فِي الْقَضَاءِ كَالْحُكْمِ. وَالْحِكْمَةُ: الْعِلْمُ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا، ولهذا انقسمت على عِلْمِيَّةٍ وَعَمَلِيَّةٍ. ويقال: هِيَ هَيْئَةُ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ. وقيل: الْحِكْمَةُ: إِصَابَةُ الْحَقِّ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ^(١٥).

هذه أهم المعاني اللغوية التي وردت في الْحِكْمَةِ وأصلها. وكلها تدور حول المنع؛ لأنها تمنع صاحبها من الوقوع فيما يذم فيه، أو ما قد يندم عليه، وتمنعه من اختيار المفضول دون الفاضل، أو المهم قبل الأهم. وقد ورد لفظ (الْحِكْمَةُ) في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، وقد ورد لمعانٍ عدّة. وإنَّ لفظ (الْحَكِيمُ) ورد في القرآن الكريم عشرات المرات. وَالْحَكِيمُ اسم من أسماء الله تعالى. ونسب سبحانه وتعالى الْحِكْمَةَ إلى نفسه، وجعل إيتاءها من عنده. وقد ورد لفظ (حَكِيم) في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة، و(حَكِيمًا) ست عشرة مرة.

الْحِكْمَةُ اصطلاحاً: وردت كلمة (الْحِكْمَةُ) في نصوص الشرع مراداً بها: الكتب السماوية من القرآن الكريم والإنجيل وغيرها. ومراداً بها أيضاً: النبوة، والهدى، والرشاد، والعدل، والعلم، والحلم والتفقه. وتطلق الْحِكْمَةُ على معان: منها المصلحة، كقولك: الْحِكْمَةُ من هذا الشيء كذا. ومنها الموعظة، مثل الْحِكْمَةُ ضالة المؤمن، ومنها العلم والفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾^(١٦). ومنها النبوة، كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾^(١٧). وتطلق الْحِكْمَةُ على

الفلسفة. وقال قائل: الحِكْمَةُ هي علم الفقه. وقال آخر: هي جميع العلوم الدينية. وقال ثالث: هي طاعة الله تعالى فقط. ومهما قيل أو يقال فإنَّ الحِكْمَةَ لا تخرج أبداً عن معنى السداد والصواب، ووضع الشيء في موضعه قولاً وعملاً، فالْحَكِيمُ هو الذي يحكم الشيء، ويأتي به على مقتضى العقل والواقع، لا بحسب الميول والرغبات، ولا يستعجله قبل أوانه، أو يمسك عنه في زمانه، أو ينحرف به عن حدوده وقيوده. وعلى هذا فالْحِكْمَةُ لا تختص بالأنبياء والأولياء، ولا بالفلاسفة والعلماء، فكل من اتقن عملاً وأحكمه فهو حَكِيمٌ فيه، سواء أكان فلاحاً، أم صانعاً، أم تاجراً، أم موظفاً، أم واعظاً، أم أديباً، أم خطيباً، أم حاكماً، أم جندياً، أم غيره^(١٨). وقال الإمام علي عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام في باب الموعظة والحكمة: (أَخِي قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ، وَأَمْنَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقُوَّةً بِالْيَقِينِ، وَنُورَهُ بِالْحِكْمَةِ)^(١٩).

المواعظ القرآنية في حَكَم الإمام زين العابدين عليه السلام:

فَمَا يَأْتِي بَعْضُ مَا أَثَرُ عَنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ وَالسَّاجِدِينَ عليه السلام مِنْ
غَيْرِ الْحُكْمِ وَالْفِكْرِ وَالْأَدَابِ:

* قال الإمام عليه السلام في باب ثواب المرض: (إِنَّ الْجَسَدَ إِذَا لَمْ يَمْرُضْ أَشْرٌ، وَلَا خَيْرٌ فِي جَسَدٍ يَأْشُرُ) (٢٠).

المرض سجن الجسد، وأحد البلايا الشديدة، والناس جميعاً يُمنون بهذا السجن، ويذوقون مرارة بلاء المرض نوعاً ما على مرّ حياتهم. والإنسان إذا كان في جميع مدة حياته يحظى بصحة جيدة، ولم تلمسه الأمراض، فإنه من الطبيعي يكون في بطر وكفران للنعمة، ولا خير في جسد يكون كذلك. ونظراً إلى الآثار التربويّة للمرض في حياة الإنسان، فإنّ بقاء المرء سالماً لا يمرض مذموم من منظور الأحاديث المأثورة. والإمام (عليه السلام) في حديثه يذكرنا بذلك؛ لأنّ الجسد الذي لا يمرض يصيب صاحبه غالباً الأشر، والأشر هو البطر،

والكبر. فالإنسان كما قال: الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ (٢١). فإذا غفل الإنسان مع العافية، ولم يصبه المرض فإنه لربما يسترسل به الحال حتى يحصل له شيء من التعاضم، أو التعالي، والأشر، والبطر، وهذا مشاهد، فإذا انكسرت أنفسه بالمرض؛ عاد، وراجع نفسه، وعرف ضعفه، وعجزه، ونظر إلى الأصحاء، فرأى عالماً آخر، فيكون ذلك سبباً لتراجعته، وعودته إلى صوابه غالباً، ومن الناس من لا تنكسر نفسه حتى في المرض، فيه من التيه، والكبر، والتعالي ما لا يقادر قدره، ولكن الغالب أن الإنسان تنكسر نفسه، إما بمرض عارض يحصل له، وإما إذا تابعت عليه الأمراض، وأسباب الضعف مع تقادم العمر غالباً، فينكسر أيام الشباب وأيام النشاط والقوة لربما يكون فيه شيء من الاندفاع، والغرور، فيتتابع عليه الوهن، والضعف حتى تنكسر نفسه، فتلين عريكته بعض الشيء، وليس كل الناس هكذا. بعض الناس تتابع أيضاً عليه الأمراض، وكذا، ولكنه يبقى في هذا التيه، والكبر، ولا يرى الناس شيئاً، ولذلك قد تجد أحياناً بعض من يحتاج إلى حمل العصا مثلاً من كبار السن، بعضهم يحمل ذلك، ولا يرى في ذلك غضاظة، وبعضهم لا، لا يمكن، ولربما تجد من يمشي حوله، وخلفه، وبجانبه بعض ولده، أو نحو ذلك لضعفه يخشون أن يسقط في أي لحظة، ومع ذلك لا يمكن أن يحمل العصا، وبعضهم لا يمكن أن يصلي على كرسي؛ لئلا يرى به شيء من الضعف، ما زالت النفس شابة، وما زال فيها شيء من صورة وغرور الشباب والعافية (٢٢). وكان الإمام عليه السلام يشعر بتجربة المرض، فقد كان مريضاً عليلًا جسدياً يوم كربلاء، وجاء ذلك في مصادر الكتب المختلفة. ولم تتعرض معظم مصادر الكتب التاريخية إلى طبيعة هذا المرض الذي كان عليه ونوعه، وتحدثت بعض الروايات أنه عليه السلام كان مبطوناً - شديد الإسهال -



وتحسن بعدها عند ذهابه إلى الشام، ومن ثمَّ ذهابه إلى المدينة المنورة فقد كان معافى، والله تعالى في مرض الإمام عليه السلام حكمة. وقال الإمام عليه السلام: (مرضت مرضاً شديداً، فقال لي أبي عليه السلام ما تشتهي؟ فقلت: أشتهي أن أكون ممن لا أقترح على الله ربي ما يدبره لي، قال لي: أحسنت ضاهيت إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، حيث قال جبرائيل عليه السلام: هل من حاجة؟ فقال: لا أقترح على ربي؛ بل حسبي الله ونعم الوكيل) ^(٢٣). وكان من دعائه عليه السلام إذا مرض أو نزل به كرب أو بليّة: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلَامَةٍ بَدَنِي وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْدَثْتَ بِي مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي) ^(٢٤).

الْمَرَضُ لُغَةً: الْمَرَضُ: السَّقَمُ نَقِيضُ الصَّحَّةِ، يكون للإنسان والحيوان، وهو اسم للجنس. وَمَرِضٌ فلان مَرَضاً وَمَرَضاً، فهو مَارِضٌ وَمَرِضٌ وَمَرِيضٌ، والأنثى مَرِيضَةٌ. ويقال: أَتَيْتُ فلاناً فَأَمَرَضْتُهُ أَيَّ وجَدته مريضاً. والمَمْرَاضُ: الرَّجُلُ الْمُسْقَامُ، والتَّمَارُضُ: أَنْ يُرِيَ مِنْ نَفْسِهِ الْمَرَضَ وليس به. يقال الْمَرَضُ والسَّقَمُ فِي الْبَدَنِ وَالَّذِينَ جَمِيعاً كَمَا يُقَالُ الصَّحَّةُ فِي الْبَدَنِ وَالَّذِينَ جَمِيعاً، وَالْمَرَضُ فِي الْقَلْبِ يَصْلُحُ لِكُلِّ مَا خَرَجَ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنِ الصَّحَّةِ فِي الدِّينِ. ويقال: قَلْبٌ مَرِيضٌ مِنَ الْعَدَاوَةِ، وَهُوَ النِّفَاقُ ^(٢٥). وَمِنْ أَسْمَاءِ الْمَرَضِ: الدَّاءُ وَالْعِلَّةُ. وَيَأْتِي بِمَعْنَى النُّقْصَانِ وَالضَّعْفِ، فَيُقَالُ: بَدَنٌ مَرِيضٌ، أَي: ضَعِيفٌ نَاقِصُ الْقُوَّةِ.

الْمَرَضُ اصطلاحاً: قال ابن فارس: المرض كل ما خرج بالإنسان عن حد الصحة، من علة، ونفاق، وشك، وفتور، وظلمة، ونقصان وتقصير في أمر. والمرض: أصل صحيح يدل على ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان ^(٢٦). وَالْمَرَضُ نَوْعَانِ: جِسْمِيٌّ، وَرُوحَانِيٌّ. فَالْجِسْمِيُّ مَا يَصِيبُ الْبَدَنَ مِنَ الْعِلَلِ. وَالرُّوحَانِيُّ يُطْلَقُ عَلَى مَا يَصِيبُ الْإِنْسَانَ فِي الدِّينِ كَالْكَذِبِ، وَالْجَهْلِ، وَالنِّفَاقِ، وَالْبَخْلِ، وَالْجَبْنِ، وَالْخُدَاعِ وَالْخِيَانَةِ، وَغَيْرَهَا. وَيُقَالُ:

شمس مريضة: إذا لم تكن مضيئة لعارض عرض لها، وأمراض فلان في قوله: إذا عَرَضَ، والتمريض القيام على المريض، وتحقيقه: إزالة المرض عن المريض كالنقدية في إزالة القذى عن العين^(٢٧).

المَرَضُ في القرآن الكريم: وردت مادة (مرض) في القرآن الكريم أربعة وعشرين مرة. والمَرَضُ الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، وذلك ضربان: الأول: مَرَضٌ جَسْمِيٌّ، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾^(٢٨)، ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾^(٢٩).

والثاني: عبارة عن الرذائل الخلقية. نحو قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(٣٠)، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا﴾^(٣١)، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾^(٣٢)، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(٣٣). ويشبه التفاف والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض، إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل، وإما لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٣٤)، وإما لميل النفس بها إلى الاعتقادات الرديئة ميل البدن المريض إلى الأشياء المضرة، ولكون هذه الأشياء متصورة بصورة المرض^(٣٥).

الحِكْمَةُ مِنَ الْمَرَضِ: لا ريب في أَنَّ كُلَّ ظاهرة في نظام الوجود لا تخلو من الحِكْمَةِ، وإن كانت حِكْمَتُهَا خافية علينا. فمثلما كانت هناك حِكْمَةٌ في مرض الإمام زين العابدين عليه السلام في كربلاء من أجل حفظ نسل أهل البيت عليه السلام، أيضاً هناك حِكْمَةٌ لا يعلمها إلا الله جلَّ وعلا في أمراض الآخرين. يقول الإمام الصادق عليه السلام في الحِكْمَةِ مِنَ الْمَرَضِ: (إِنَّ الْمَرَضَ عَلَى وَجْهِ شَتَّى: مَرَضٌ بَلَوَى، وَمَرَضٌ عَقُوبَةٌ، وَمَرَضٌ جُعِلَ عَلَةً لِلْفَنَاءِ)^(٣٦). لقد ذكر الإمام عليه السلام ثلاث حِكْمٍ للأمراض وهي مجهولة على علم الطب، وفيما يأتي موجز لحِكْمَةِ المرض من منظار الروايات الماثورة:

١- التَّربِيَّة: إِنَّ أَهَمَّ حِكْمَةٍ للمرض هي دوره التربويّ البناء في حياة الإنسان، فقد رُوي عن النبيّ أنّه قال في هذا المجال: ((الْمَرَضُ سَوَاطِلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يُؤَدِّبُ بِهِ عِبَادَهُ))^(٣٧). وما جاء في كلام الإمام الصادق عليه السلام في تبيان الوجه الأوّل من وجوه المرض (مرض البلوى) إشارة إلى هذه الحكمة أيضاً؛ لأنّ البلوى هي الاختبار، وفلسفة الاختبارات الإلهيّة تربية الإنسان وتنمية قابليّاته الكامنة وتفتّحها. وحكمة المرض ليست وحدها اختباراً إلهياً؛ بل الاختبار فلسفة الصّحّة أيضاً، أي: لكلّ من الصّحّة والمرض آثاره التربويّة الإيجابيّة، وكلّ منهما ضروريّ لتكامل الإنسان، وفي هذا الموضوع حكاية طريفة نقلها الإمام الصادق عليه السلام عن مرض ألمّ بأمير المؤمنين عليه السلام، فعاده جماعة، فسألوه عن حاله قائلين: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فأجاب خلافاً للمألوف: (أَصْبَحْتُ بِشَرٍّ). فعجبوا من كلامه، وقالوا: سبحان الله! هذا كلام مثلك؟! فقال عليه السلام: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾)^(٣٨)، فَالْخَيْرُ: الصّحّة وَالْغِنَى؛ وَالشَّرُّ: الْمَرَضُ وَالْفَقْرُ ابْتِلَاءً وَاخْتِبَاراً)^(٣٩).

٢- تزكية النفس: يتمثل الدور التربويّ للمرض على الخاطئين في تمزيق حجب الغفلة، وتبصيرهم، وتزكية نفوسهم من الأدناس والأرجاس، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ عَبْدًا أَسْقَطَ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ بِقَدْرِ عِلَّتِهِ)^(٤٠). ونظراً إلى الآثار التربويّة للمرض في حياة الإنسان، فإنّ بقاء المرء سالماً لا يمرض مدموم من منظور الأحاديث المأثورة. قال رسول الله ٣: ((كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً))^(٤١). من الطبيعيّ أنّنا ينبغي أن نلتفت إلى أنّ مطلق المرض كمطلق الصّحّة ليس له أثر تربويّ إيجابيّ في الإنسان. لذا كان نبي الله موسى عليه السلام يقول في دعائه: ((يَا رَبِّ لَا مَرَضٌ يُضْنِينِي، وَلَا صِحَّةٌ تُنْسِينِي، وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ، أَمْرٌ تَارَةً فَأَشْكُرُكَ، وَأَصِحُّ تَارَةً فَأَشْكُرُكَ)). ونُقل عن نبي الله داود عليه السلام أنّه كان يقول: ((اللَّهُمَّ لَا صِحَّةً تُطْغِينِي، وَلَا مَرَضاً يُضْنِينِي وَلَكِنْ بَيْنَ ذَيْنِكَ))^(٤٢).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ ... مِنْ سُقْمٍ يُشْغِلُنِي، وَمِنْ صِحَّةٍ تُلهِينِي) (٤٣).

٣- العقوبة: نلاحظ في نظام الوجود الحكيم أنَّ المرض بالنسبة إلى الذين لم يفسدوا الأرضية التربويّة في نفوسهم يؤدّي إلى إزاحة حجاب الغفلة، ويفضي إلى التبصير والبناء، أمّا الذين بلغ عندهم الدّنس الروحي مبلغاً تأنف فيه أنفسهم الإصلاح، فإنّ المرض يعدّ نوعاً من العقوبة الإلهيّة لهم، كما عبّر عنه الإمام الصادق عليه السلام بأنّه: (مَرَضُ الْعُقُوبَةِ).

٤- الباعث على الموت: ليس للمرض أحياناً حكمة تربويّة ولا فلسفة جزائيّة؛ بل يؤدّي إلى الموت، والموت في نظام الخلق لا يخلو من حكمة، فالجميع يجب أن يموتوا: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) (٤٤). وترى الأحاديث والروايات أنّ لجميع الأمراض علاجاً، والمرض الوحيد الذي لا علاج له هو الموت. وفي ضوء ذلك لا يبلغ علم الطبّ قمّة الكمال إلّا إذا اكتشف لجميع الأمراض دواءً، بيدّ أنّه لا يستطيع أن يصنع للموت دواءً بلا شكّ. من هنا أكّد الإمام الصادق عليه السلام في حوارهِ مع ذلك الشخص الذي كان يزعم القدرة على الحؤول دون الموت عن طريق المراعاة الصحيحة للجسد، وتناول الطعام المناسب أنّه لا يمكن علاج المرض الذي يؤدّي إلى الموت، وأشار عليه إلى استسلام ثلاثة من كبار الأطباء والحكماء للموت (٤٥)، وقال: (قَدْ مَاتَ أَرْسَطُ طَالِسٍ مُعَلِّمُ الْأَطْبَاءِ، وَأَفْلَاطُونُ رَئِيسُ الْحُكَمَاءِ، وَجَالِينُوسُ شَاخٍ وَدَقَّ بَصَرُهُ، وَمَا دَفَعَ الْمَوْتَ حِينَ نَزَلَ بِسَاحَتِهِ، وَلَمْ يَأْلُوا حِفْظَ أَنْفُسِهِمْ، وَالنَّظَرَ لِمَا يُؤَافِقُهَا) (٤٦).

* وقال الإمام عليه السلام في باب الْعِصْمَةِ: (الطَّاعَةُ لِلَّهِ هِيَ الْعِصْمَةُ) (٤٧).

إنّ طاعة الله تعالى، واجتناب معاصيه هما العصمة من الشيطان والطمارة من الدنس والرجس. وهذا ما أراد الإمام عليه السلام أن يوصله لنا في حكمته. فاستشعار العبد بعظمة الخالق وحبّه وتفانيه في معرفته وعشقه له، يصدّه

عن سلوك ما يخالف رضاه سبحانه. وإذا عرف الإنسان خالقه كمال المعرفة الميسورة، وتعرف على معدن الكمال المطلق وجماله وجلاله، وجد في نفسه انجذاباً نحو الحق، وتعلقاً خاصاً به فلا يستبدل برضاه شيئاً، فهذا الكمال المطلق إذا تعرف عليه الإنسان العارف، يوجج في نفسه نيران الشوق والمحبة، ويدفعه إلى أن لا يبتغي سواه، ولا يطلب سوى إطاعة أمره وامتنال نبيه، ويصبح كل ما يخالف أمره ورضاه منفوراً لديه، مقبوحاً في نظره أشد القبح. وعندئذ يصبح الإنسان مصوناً عن المخالفة، بعيداً عن المعصية فلا يؤثر على رضاه شيئاً. والعصمة ترجع إلى التقوى؛ بل هي درجة عليا منها، فما توصف به التقوى وتعرف به تعرف وتوصف به العصمة. ولا شك في أن التقوى حالة نفسانية تعصم الإنسان عن اقتراف كثير من القبائح والمعاصي، فإذا بلغت تلك الحالة إلى نهايتها تعصم الإنسان عن اقتراف جميع قبائح الأعمال، وذميم الفعال على وجه الإطلاق؛ بل تعصم الإنسان حتى عن التفكير في المعصية، فالمعصوم ليس خصوص من لا يرتكب المعاصي ويقترفها؛ بل هو من لا يحوم حولها بفكره.

والعصمة ملكة نفسانية راسخة في النفس لها آثار خاصة كسائر الملكات النفسانية من الشجاعة والعفة والسخاء، فإذا كان الإنسان شجاعاً وجسوراً، سخيّاً وباذلاً، وعفيفاً ونزيهاً، يطلب في حياته معالي الأمور، ويتجنب الأمور التافهة فيطرد ما يخالفه من الآثار، كالخوف والجبن والبخل والإمساك، والقبح والسوء، ولا يرى في حياته أثراً منها، وبلغ الدرجة القصوى من التقوى، صارت تلك الحالة راسخة في نفسه فيصل الإنسان إلى حد لا يرى في حياته أثراً من العصيان والطغيان، والتمرد والتجري، وتصير ساحته نقية عن المعصية^(٤٨).

الْعَصْمَةُ لُغَةً: قال ابن منظور: عَصَمَ: الْعَصْمَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمَنْعُ. وَعَصِمَهُ اللَّهُ عَبْدَهُ: أَنْ يَعْصِمَهُ مِمَّا يُؤْبِقُهُ. وَعَصَمَهُ يَعْصِمُهُ عَصْماً: مَنَعَهُ وَوَقَاهُ. وَالْعَصْمَةُ الْمَنْعَةُ وَالْعَاصِمُ الْمَانِعُ الْحَامِي وَالْاِعْتِصَامُ الْاِمْتِسَاكُ بِالشَّيْءِ^(٤٩). وعن ابن فارس: عَصَمَ: أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِمْسَاكِ وَمَنْعٍ وَمُلَازِمَةٍ، وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَاحِدٌ، مِنْ ذَلِكَ: (العصمة) أَنْ يَعِصِمَ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدَهُ مِنْ سُوءٍ يَقَعُ فِيهِ، (وَاعْتَصِمَ الْعَبْدُ بِاللَّهِ تَعَالَى): إِذَا امْتَنَعَ، وَ(اسْتَعَصِمَ): التَّجَأَ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ: (أَعَصِمْتَ فَلَاناً) أَيِ هَيَّأْتَ لَهُ شَيْئاً يَعْتَصِمُ بِمَا نَالَتْهُ يَدُهُ. أَيِ يَلْتَجِئُ وَيَتَمَسَّكُ بِهِ^(٥٠). وَقَالَ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ (ت ١٣٤٠ هـ): إِنَّ الْعَصْمَةَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ هِيَ مَا اعْتَصَمَ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الشَّيْءِ، مُمْتَنِعٌ بِهَا عَنِ الْوُقُوعِ فِيهَا يَكْرَهُ، وَلَيْسَ هِيَ جِنْساً مِنْ أَجْنَاسِ الْفِعْلِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: (اعْتَصَمَ فَلَانٌ بِالْجَبَلِ) إِذَا امْتَنَعَ بِهِ، وَمِنْهُ سَمِيَّتِ (العصم) وَهِيَ وَعُولُ الْجِبَالِ لَا مُمْتَنَاعَهَا بِهَا. وَالْعَصْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، هِيَ التَّوْفِيقُ الَّذِي يَسْلُمُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَكْرَهُ إِذَا أَتَى بِالطَّاعَةِ، وَذَلِكَ مِثْلُ إِعْطَانِنَا رَجُلًا غَرِيقاً حَبلاً لِيَتَشَبَّثَ بِهِ فَيَسْلُمَ، فَهُوَ إِذَا أَمْسَكَ وَاعْتَصَمَ بِهِ، سَمِيَ ذَلِكَ الشَّيْءُ عَصْمَةً لَهُ، لَمَّا تَشَبَّثَ بِهِ فَسْلِمَ بِهِ مِنَ الْغَرَقِ، وَلَوْ لَمْ يَعْتَصِمَ بِهِ لَمْ يَسَمَّ عَصْمَةً. وَكَذَلِكَ سَبِيلُ اللَّطْفِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَطَاعَ، سَمِيَ تَوْفِيقاً وَعَصْمَةً، وَإِنْ لَمْ يَطْعَ لَمْ يَسَمَّ تَوْفِيقاً وَلَا عَصْمَةً^(٥١).

الْعَصْمَةُ اصْطِلَاحاً: الْعَصْمَةُ: بِمَعْنَى الْمَصُونِيَّةِ عَنِ الذَّنْبِ وَعَنِ الْوُقُوعِ فِيهَا يَخَالِفُ اللَّهُ تَعَالَى؛ إِذْ يَعْتَقِدُ الشَّيْعَةُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئِمَّةَ مَعْصُومِينَ مِنَ الذَّنُوبِ عَمداً وَسَهواً. وَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي عَصْمَتِهِمْ مِنَ السَّهْوِ وَالْخَطَأِ فِي الْقَضَايَا الشَّخْصِيَّةِ. وَذَكَرَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَعْنَى الْعَصْمَةِ، وَأَشْهَرُهُمْ: قَالَ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ فِي الْعَصْمَةِ: تَفَضَّلَ مِنَ اللَّهِ عَلَى مَنْ عِلْمُ أَنَّ يَتَمَسَّكُ بِعَصْمَتِهِ^(٥٢). وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ تَشْعُرُ بِأَنَّ إِفَاضَةَ الْعَصْمَةِ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ إِطَارِ الْاِخْتِيَارِ، غَيْرَ أَنَّ إِعْمَالَهَا وَالْإِفَادَةَ مِنْهَا يَرْجِعُ إِلَى الْعَبْدِ وَدَاخِلَ فِي إِطَارِ إِرَادَتِهِ،

فله أن يتمسك بها فيبقى معصوماً من المعصية، كما له أن لا يتمسك بتلك العصمة. وقال أيضاً: والعصمة من الله تعالى هي التوفيق الذي يسلم به الإنسان مما يكره إذا أتى بالطاعة^(٥٣). ونقل العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) عن بعض المتكلمين بأنه فسر العصمة بالأمر الذي يفعله الله بالعبد من الألفاظ المقربة إلى الطاعات التي يعلم معها أنه لا يقدم على المعصية بشرط أن لا ينتهي ذلك إلى الإلجاء. ونقل عن بعضهم: العصمة لطف يفعله الله تعالى بصاحبها لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية^(٥٤). وقال الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ): إن العصمة هي اللطف الذي يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح، فيقال على هذا: إن الله عصمه، بأن فعل له ما أختار عنده العدول عن القبيح، ويقال: إن العبد معتصم؛ لأنه أختار عند هذا الداعي الذي فعل الامتناع عن القبيح^(٥٥).

إن العصمة سواء أفسرت بكونها هي الدرجة العليا من التقوى، أم بكونها العلم القطعي بعواقب المآثم والمعاصي، أم فسرت بالاستشعار بعظمة الرب وجماله وجلاله، وعلى أي تقدير فهي كمال نفساني له أثره الخاص، وعندئذ يسأل عن أن هذا الكمال هل هو موهوب من الله لعباده المخلصين؟ أو هو أمر حاصل للشخص بالاكْتِسَاب؟ فالظاهر من كلمات المتكلمين أنها موهبة من مواهب الله سبحانه يتفضل بها على من يشاء من عباده بعد وجود أراضيات صالحة وقابليات مصححة لإفاضتها عليهم^(٥٦).

العصمة عند المسلمين: عصمة الأنبياء: اتفق المسلمون على عصمة الأنبياء والرسل في تحمّل الرسالة والتبليغ عنها. فهم لا يخطئون في تبليغ دين الله تعالى وشريعته في شيء البتة لا كبير ولا قليل. فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم ولا يكتُمون منها شيئاً، ولا يزيدون عليه من عند أنفسهم وبذلك لا يضيع شيء من الوحي.

وتعتقد الشيعة الإمامية على عصمة الأنبياء من جميع المعاصي، صغيرها وكبيرها، طيلة حياتهم، وهم لا يرتكبون الذنوب حتى سهواً ونسياناً، في حين يذهب أهل السنة والجماعة إلى عصمة الأنبياء من الكبائر فحسب، وبعضهم من حين البلوغ، وبعضهم من حين النبوة. لكن اختلفوا في جواز الصغائر عليهم فأطبقت بعض الفرق على أنه لا يجوز وقوعها منهم، وأنهم معصومون من ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يقع منهم ما ينفر الناس عنهم. وذهب بعضهم الآخر إلى جواز صدور الذنب الصغير عنهم وزعموا أن الرسل غير معصومين من صغائر الذنوب، وربما تقع منهم أو من بعضهم فيبادرون بالتوبة منها.

أما بما يتعلق بالأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام فيرى معظم علماء الشيعة عدم جواز السهو والخطأ على المعصومين ويعلل العلامة الحلي ذلك بأنه: لو جاز عليه السهو والخطأ، لجاز ذلك في جميع أقواله وأفعاله، فلم يبق وثوق باخباراته عن الله، ولا بالشرائع والأديان، لجواز أن يزيد فيها وينقص سهواً، فتنتفي فائدة البعثة. ومن المعلوم بالضرورة: أن وصف النبي بالعصمة، أكمل وأحسن من وصفه بضدها، فيجب المصير إليه، لما فيه من دفع الضرر المظنون؛ بل المعلوم^(٥٧). وقال الفاضل المقداد (ت ٨٢٦هـ): وأصحابنا حكموا بعصمتهم مطلقاً قبل النبوة وبعدها عن الصغائر والكبائر عمداً وسهواً؛ بل وعن السهو مطلقاً، ولو في القسم الرابع، ونقصده به الأفعال المتعلقة بأحوال معاشهم في الدنيا مما ليس دينياً^(٥٨).

وورد الاستدلال على عصمة الأئمة عليهم السلام بأدلة متعددة نقلية وعقلية، والنقلية نصاً وظاهراً وإفادة، فأما الأدلة القرآنية: منها: آية التطهير: إِنَّ مَنْ أَوْضَحَ مَعَانِيَ الْعَصْمَةِ تَمَثَّلَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آيَةِ التَّطْهِيرِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٥٩). فإذهاب الرجس وإرادته التطهير معنى جليٌّ عن العصمة.

ومنها: آية ولاية الأمر: وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٦٠). فهنا يمكن القول بلزوم عصمة أولي الأمر لمحل الطاعة المطلقة لهم المقترنة بالطاعة المطلقة لله تعالى ورسوله ﷺ، وهذا الإطلاق في الطاعة لازمه ثبوت العصمة؛ لأن افتراض عدم العصمة معناه احتمال وقوع المعصية، ومع هذا الاحتمال لا يصح الإيجاب المذكور في الآية الكريمة بالإطاعة المطلقة لأولي الأمر؛ لأنه ترخيص في اتباع الباطل - أي عند فرض عدم العصمة واحتمال صدور الخطأ - وهو باطل جزماً، وبهذا تثبت عصمة أولي الأمر.

العصمة في القرآن الكريم: الدكتور مجدي وهبة الشافعي، خطيب ودكتور محاضر في جامع الأزهر متقاعد^(٦١)، يكتشف أرقاماً جديدة من القرآن الكريم أصبحت حديث كل قارئ. فمجلة روز اليوسف المصرية تنفرد بنشر الخبر وتنشره. كالاتي: لا شك في أن الأعداد في القرآن الكريم لها مدلولاتها ولا توجد عبثاً إطلاقاً... إن كلمة الإمامة وردت في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة وهو عدد أئمة أهل البيت نفسه من النبي العظيم، ثم الإمام علي ثم سيدي شباب أهل الجنة الحسن الحسين، ثم وأولاد الحسين التسعة رضي الله عنهم أجمعين، المعترف بهم لدى المسلمين. والآيات هي كالاتي^(٦٢). وهذه النتيجة المذهلة شجعتني أن أقوم وأحسب عدد ورود كلمة العصمة في القرآن بكافة ألفاظها؛ لأن الشيعة تدعي بعصمة أئمتهم، ولأن عدد المعصومين عندهم ثلاثة عشر، وهم الأئمة الاثني عشر بالإضافة إلى فاطمة الزهراء. وكانت المفاجأة هنا فعلاً أن كلمة العصمة قد وردت في القرآن على عدد المعصومين ثلاثة عشر وهي^(٦٣). ثم بعد ذلك قمت أحسب كلمة الكساء في القرآن الكريم بكافة ألفاظها؛ لأن أصحاب الكساء عددهم خمسة وهم: النبي محمد والإمام علي

وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، فوجدت الكلمة وردت في القرآن الكريم خمس مرات أيضاً سبحانه الله وهي كالتالي ^(٦٤). فهل هناك من يتدبر أو يعقل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ^(٦٥).

* وقال الإمام عليه السلام في فاكهة السَّمْعِ: (لِكُلِّ شَيْءٍ فَاكِهَةٌ، وَفَاكِهَةُ السَّمْعِ الْكَلَامُ الْحَسَنُ) ^(٦٦).

الفاكهة: معروفة وأجناسها الفواكه، وقد اختلف فيها فقال بعض العلماء: كل شيء قد سُمِّيَ من الثَّمار في القرآن الكريم نحو العِنَبِ والرَّمَّانِ فإننا لا نُسَمِّيهِ فاكهةً، وقال آخرون: كلُّ الثَّمار فاكهةً، وإنما كرر في القرآن الكريم في قوله تعالى: فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ؛ لتفضيل النخل والرَّمَّانِ على سائر الفواكه دُونَهُمَا، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ^(٦٧)؛ فكرر هؤلاء للتفضيل على النَّبِيِّينَ ولم يُخْرِجُوا مِنْهُمْ. ونظراً لأهمية الفاكهة فقد ذكرها الإمام عليه السلام في حِكْمَتِهِ مع السَّمْعِ الحسن؛ لأنه بداية طريق الهداية وبلوغ سعادة الدارين من حسن السَّمْعِ، فالمبشرون من ربهم هم أهل العقول الراجحة والقلوب الزاكية والمهديون وسط هذه الضلالات هم الذين يحسنون الاستماع لما ينفعهم، ويميزون بين الحسن والأحسن، ثم يتبعون الأحسن، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ^(٦٨). ومما لا شك فيه أن الله قد خلق للإنسان لساناً واحداً وأذنين، وقد ذكر بعض العلماء أن ذلك ليستمع العبد أكثر مما يتكلم. ومن وصايا الإمام عليه السلام الأخرى في هذا الجانب، فقد قال لابنه: (يا بني تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الحديث، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع من أن تقول) ^(٦٩).

السَّمْعُ لغةً: بفتح أوله وسكون ثانيه، مصدر سمع، جمع أَسْمَاعٌ. والسَّمْعُ: حِسُّ الأُذُن. وَسَمَعَهُ الصوت وأَسَمَعَهُ: اسْتَمَعَ له. وَتَسَمَّعَ إليه: أَصْغَى، فإذا أَذْغَمْتَ قلت اسْتَمَعَ إليه، وقرئ: لا يَسْمَعُونَ إلى المَلَأِ الأعلى. والسميع: من صفاته عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٧٠) وأسبائه، لا يَعَزُّبُ عن إِذْراكه مسموع، وإن خفي، فهو يسمع بغير جارحة. والسميع: الْمَسْمُوعُ أيضاً. والسَّمْعُ: ما وَقَرَّ في الأُذُن من شيء تسمعه. ويقال: ساءَ سَمْعاً فأساءَ إجابةً أي لم يَسْمَعْ حسناً. ورجل سَمَاعٌ إذا كان كثير الاستماع لما يُقال ويُنطق به. وَتَسَامَعَ به الناسُ وأَسَمَعَهُ الحديثُ وأَسَمَعَهُ أي شتمه. وَسَمَعَ بالرجل: أَذَاعَ عنه عَيْباً وَنَدَّدَ به وشَهَّرَه وَفَضَّحَه^(٧١).

السَّمْعُ اصطلاحاً: قوَّة في الأُذُن بها تُدرك الأصوات، وفعله يقال له السَّمْعُ أيضاً^(٧٢). وإنَّ الأصل الواحد في هذه المادَّة: هو إدراك الأصوات سواء أكان بوساطة عضو الأُذُن الجسَمانيِّ أم بوسيلة قوَّة روحانيَّة ونور باطنيٍّ، أم بسبب إحاطة وجوديَّة وقيوميَّة مطلقة^(٧٣). فالأوَّل كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾^(٧٤). والثاني كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٧٥). والثالث كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾^(٧٦).

السَّمْعُ في القرآن الكريم: لم يأت السمع في القرآن الكريم مجموعاً، وإنما يأتي فيه بصيغة الإفراد دائماً، مع أنه يجمع ما يذكر معه كالأفئدة والأبصار^(٧٧). وقد وردت مادة (سمع) ومشتقاتها في القرآن الكريم مائة وخمسة وثمانين مرة. وذكرت ما يقارب عشرين آية قرآنية حاستي السمع والبصر، وجاء السمع مقدماً على البصر، مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٧٨).

ويعبر في القرآن الكريم تارة بالسمَّع عن الأذن نحو: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾^(٧٩)، وتارة عن فعله كَالسَّمَاعِ نحو: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ

لَمَعَزُوْلُونَ ﴿٨٠﴾. وتارةً عن الفهم، وتارةً عن الطاعة، تقول: اسْمَعْ ما أقول لك، ولم تسمع ما قلت، وتعني لم تفهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا﴾ ﴿٨١﴾. وقوله: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ ﴿٨٢﴾، أي: فهمنا قولك ولم نأتمر لك، وكذلك قوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ﴿٨٣﴾، أي: فهمنا وارتسمنا. وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٨٤﴾، يجوز أن يكون معناه: فهمنا وهم لا يفهمون، وأن يكون معناه: فهمنا وهم لا يعملون بموجبه، وإذا لم يعمل بموجبه فهو في حكم من لم يسمع. ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ ﴿٨٥﴾، أي: أفهمهم بأن جعل لهم قوّة يفهمون بها، وقوله: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ ﴿٨٦﴾، يقال على وجهين: أحدهما: دعاء على الإنسان بالصّمم. والثاني: دعاء له ﴿٨٧﴾. ويتضمن السمع ثلاث درجات معروفة في علم وظائف الأعضاء، وهي المذكورة في كتاب الله تعالى، فأول ذلك: الإحساس بالصوت دون فهم، وذلك مثل: الطفل الوليد الذي لا يفقه معنى الكلام وهو يحس بالصوت لكنه لا يفقه معناه، أو كالدواب السارحة التي إذا نعت بها راعيها، أي دعاها إلى ما يرشدها فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، فلا تفهم ما يقول؛ بل إنما تسمع صوته فقط، وهذا مذكور في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ ﴿٨٨﴾.

والثاني: هي الإحساس بالصوت مع الفهم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾. والثالث: هي الإحساس بالصوت مع الفهم فضلاً عن الاقتناع والإيمان والطاعة وهي أعلى درجات السمع التي تُمنح للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٩٠﴾.

هذه المعاني الثلاثة تتوافق مع ما هو معروف في علم وظائف الأعضاء من الإحساس بالصوت والتمييز والفهم والوظائف العليا الأخرى للمخ التي تتضمن العواطف والإرادة والتصرفات. والقرآن الكريم فرّق بين السماع والاستماع والإصغاء والإنصات بطريقة بليغة ودقيقة ومناسبة للموقف: فالسمع يكون بقصد ومن دون قصد، ومثاله في كتاب الله العزيز قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾^(٩١). والاستماع يكون بقصد من أجل الاستفادة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾^(٩٢). والإصغاء: التركيز وتفاعل القلب والمشاعر، قال تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^(٩٣). والإنصات هو ترك الأشياء والسكوت والتفرغ للاستماع^(٩٤)، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٩٥).

* وقال الإمام عليه السلام في أداء الأمانة: ﴿عَلَيْكُمْ بِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، فَوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا، لَوْ أَنَّ قَاتِلَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ائْتَمَنَنِي عَلَى السَّيْفِ الَّذِي قَتَلَهُ بِهِ لَأَدَيْتُهُ إِلَيْهِ﴾^(٩٦).

من أجمل القيم الخلقية التي بُنيت عليها الشريعة الإسلامية هي الأمانة، وهي قيمة عظيمة تُصان بها حقوق الله عزَّ وجلَّ وحقوق عباده، وهي من أشهر ما اتصف به رسول الله ﷺ حتى قبل نزول الرسالة عليه، فقد كان لقبه بين قومه قبل بعثته: (الصادق الأمين). وقد ألزم الإمام زين العابدين عليه السلام المسلمين بالأمانة وحثَّ عليها وأوجبها عليهم وجوباً، ودعا إلى أدائها في كلِّ الأمور التي تتصل بالفرد والمجتمع. وعدَّ الإمام عليه السلام الأمانة عنصراً مهماً في خلق الإنسان المسلم، ومن يخن أمانته ليس من الإسلام في شيء. وليس من الجائز خيانة الأمانة سواء أكانت الأمانة تخص العدو أم غيره، مسلماً أم غير مسلم، براً أم فاجراً؛ بل حتى المشرك وعابد الأصنام وغيرهما. فالمسلمون

مكلفون أن لا يخونوا الأمانة في جميع الأحوال. ومن الدلائل على قداسة الأمانة وعظمتها قول الفقهاء: من أعلن الحرب على الإسلام والمسلمين، وأباح دماءهم وأموالهم، لا شيء إلا بغضاً بكلمة التوحيد حل ماله ودمه، ولا تحل أمانته، وهذا ما قاله الإمام زين العابدين (عليه السلام): (لَوْ أَنَّ قَاتِلَ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ اتَّيَمَّنَنِي عَلَى السَّيْفِ...). والسر في ذلك أن الأمانة حق لصاحبها بوصفه إنساناً، لا بوصفه مسلماً لا مشركاً، أو طيباً لا خبيثاً.

الأمانة لغة: مصدر مشتق من مادة (أمن)، وأمن فلان أمناً وأماناً وأمانة وإمناً وأمنة: اطمأن، ولم يخف. وأصل الأمن سكون القلب عن توقع الضر. فهو آمن، وأمن، وأمين. والأمانة: نقيض الخيانة، والمفعول: مأمون وأمين. ومؤتمن من اتئمنه^(٩٧). وإن أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف. والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان، نحو قوله تعالى: ﴿وَتُخَوِّنُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾^(٩٨) أي: ما اتئمتم عليه^(٩٩).

الأمانة اصطلاحاً: هي رعاية حقوق الله تعالى في المحافظة على حقوق العباد، فلا يطمع الإنسان في ودیعة أؤتمن عليها، ولا ينكر مالاً أو متاعاً أمنه الناس عليه، وهي ضد الخيانة. وهي كذلك كل حقٍّ لزمك أدائه وحفظه. والأمانة تطلق على كل ما عهد به إلى الإنسان من التكاليف الشرعية وغيرها كالعبادة والوديعة، ومن الأمانة: الأهل والمال^(١٠٠). وقال المجلسي (ت ١١١١ هـ): الأمانة ضد الخيانة وما يؤتمن عليه وكأنها تعم المال، والعرض، والسر وغيرها من حقوق الله تعالى وحقوق النبي ﷺ والأئمة (عليهم السلام) وسائر الخلق^(١٠١).

الأمانة في القرآن الكريم: جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية كثير من الآيات والروايات في الحث على حفظ الأمانة وأدائها لصاحبها سواء أكان

الله تعالى الإنسان عليه ليحافظ على سلامته واستقامته ثم يردّه إليه سبحانه كما أودعه. ويفاد من قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ..﴾^(١٠٨)، أنّه أمر يترتب على حمله الإيمان وعلى عدم حمله النفاق والشرك. فينقسم حاملوه باختلاف كيفية حملهم على منافق ومشرک ومؤمن؛ فالأمانة المذكورة في الآية الكريمة لا محالة مرتبطة بالدين الحق الذي يحصل التلبس به وعدم التلبس به إمّا النفاق والشرك أو الإيمان. ولهذا فسر بعض المفسرين الأمانة في الآية الكريمة بالولاية الإلهية، أي الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ ولأولي الأمر، التي عرضها الله عزّ وجلّ على عباده فانقسم الناس في حفظ هذه الأمانة وعدمها على مؤمن ومشرک ومنافق.

٤- تحقيق العدالة من مصاديق الأمانة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١٠٩). إن هذين القانونين المهمين (حفظ الأمانة، والعدالة في الحكم والحكومة) يمثلان قاعدة المجتمع الإنساني السليم، ولا يستقيم أمر مجتمع، سواء أكان مادياً أم إلهياً من دون تنفيذ وإجراء هذين الأصلين. يمكن القول إنّ الحكم بالعدل من مصاديق الأمانة؛ لأنّ الأمانة بمفهومها العامّ تشمل جميع المقامات والمناصب الاجتماعية التي تعدّ أمانات إلهية، وكذلك أمانات بشرية من قبل الناس بيد أصحاب المناصب هذه^(١١٠).

* وقال الإمام عليه السلام في باب ذم الغرور: (رُبَّ مَغْرُورٍ مَفْتُونٍ يُصْبِحُ لاهياً ضاحكاً، يأكل ويشرب، وهو لا يدري، لعلّه قد سبقت له من الله سَخَطَةً يَصِلُ بها نارَ جَهَنَّمَ)^(١١١).

حذر الإمام عليه السلام من الغرور، وعدم المبالاة في معاصي الله عزّ وجلّ، وهو لا يأمن من أن الله تعالى قد يسخط عليه، ويكتبه من أهل النار وهي الحياة

الأبدية الدائمة. فالإمام (عليه السلام) يحذّر المغرور من الوقوع في فخّ الغرور؛ لأنّ الإنسان يعتقد أحياناً أنّ له مميّزات خاصّة، كاعتقاده بأنّه يمتلك فهماً وعِلماً جَمّاً، وقدرةً بدنيّة عاليةً، وقدرةً ذهنيّة جيّدة، معلومات غزيرة، أسلوب بيان خاص، جمالاً معيّناً، صوتاً جميلاً، جاهاً ووجاهةً بين الناس وغيرها. وبمجرّد أن يرى أنّ لديه إعجاباً بنفسه - وهذا يعني أن لا يرى الإنسان عيوبه بعد رؤيته لهذه المحاسن - فاعلم أنّ هذا خطر؛ وهذا ما يُحذّر منه (عليه السلام).
المغرور أن يرى التّواقص والعيوب ونقاط الضّعف الكثيرة التي يمتلكها. وإنّ سبب إعجاب الإنسان بنفسه هو نظرتَه لنفسه على أنّه خالٍ من العيوب. إنّنا نرى الأمور الجيّدة فينا، ولكنّنا لا نرى الأمور المنقّرة والقيّحة والسّيئة؛ ولذا فإنّ نظرتنا تصبح نظرة شخص معجب بنفسه، وهذا خطأ؛ لذا، علينا أن نرى نقاط ضعفنا إلى جانب نقاط قوّتنا، وعلينا أن لا نشقّ بذلك الشّيء الموجود في داخلنا ويجعلنا معجبين بأنفسنا؛ أي علينا أن لا نصدّق أنّ في داخلنا نقطة القوّة هذه. فقد يتصوّر الإنسان أنّ عنده أموراً مميّزة، ولكن قد يكون ذلك وهماً وتخيّلاً؛ لأنّه يقوم بمقارنة نفسه مع أشخاص من مستويات أدنى، وقيّم نفسه وفقاً لذلك؛ ولكنّه لو قارن نفسه بأشخاص آخرين ذوي مميّزات سيجد نفسه أنّه أقل مرتبة منهم. لذا لا نعتمد على ما نراه في أنفسنا.

الغُرُورُ لغةً: غرر: غَرَّه يَغُرُّه غَرًّا وَغُرُورًا وَغِرَّةً؛ فهو مَغْرورٌ وغيره: خدعه وأطعمه بالباطل. والغُرُورُ: ما غَرَّكَ من إنسان وشيطان وغيرهما. والغُرور، بالضم: ما اغْتَرَّبَ به من متاع الدنيا. وكذلك الأباطيل، كأنها جمع غَرٍّ مصدر غَرَزْتُهُ غَرًّا. والغُرور: الشيطان يَغُرُّ الناس بالوعد الكاذب والتَّمْنِيَةِ. وَغَرَّرَ بنفسه وماله تَغِيرًا وَتَغِرَّةً: عَرَضَها لِلهَلَكَةِ من غير أن يَعْرِفَ، والاسم الغَرُّ، والغَرَرُ الْخَطَرُ^(١١٢). وقال الفراهيدي: الغرور من غرَّ يَغُرُّ فيغترَّ به المغرور^(١١٣).

الْغُرُورُ اصطلاحاً: هو الْكَيْرِيَاءُ والتَّعَالِي عَلَى الْآخَرِينَ تَحْتَ ضَغُوطِ الشُّعُورِ الْخَادِعَةِ بِالْأَهَمِّيَّةِ وَالْمَكَانَةِ. ويقول النراقي (ت ١٢٠٩ هـ): وهو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، وتمييل النفس إليه بخدعة من الشيطان^(١١٤). وقال أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في الغرور: كل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور؛ لأنَّ الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل؛ إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به، والغرور هو جهل، إلا أنَّ كل جهل ليس بغرور؛ بل يستدعي الغرور مغروراً فيه مخصوصاً، ومغروراً به وهو الذي يغره. فمهما كان المجهول المعتقد شيئاً يوافق الهوى، وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلاً، سمى الجهل الحاصل به غروراً. فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع، عن شبهة وخدعة من الشيطان. فمن اعتقد أنه على خير، إما في العاجل أو في الآجل، عن شبهة فاسدة، فهو مغرور. وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه. فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم، واختلفت درجاتهم، حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشدَّ من بعض، وأظهرها وأشدَّها غرور الكفار، وغرور العصاة والفساق^(١١٥). وعن الراغب الأصفهاني: الْغُرُورُ: كُلُّ مَا يَغُرُّ الْإِنْسَانَ مِنْ مَالٍ وَجَاهٍ وَشَهْوَةٍ وَشَيْطَانٍ، وَقَدْ فَسَّرَ الشَّيْطَانُ؛ إِذْ هُوَ أَخْبَثُ الْغَارِيِّنَ، وَبِالدُّنْيَا لَمَّا قِيلَ: الدُّنْيَا تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ^(١١٦).

الْغُرُورُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: وردت كلمة الغرور ومشتقاتها في القرآن الكريم سبعة وعشرين مرة بصيغها المختلفة؛ وذلك لخطرها وشدة تأثيرها على سلوك المسلم وانعكاسها على أعماله وصفاته. وتتمحور المعاني التي تضمنتها هذه الآيات الكريمة حول معاني التعالي، والانسحاق وراء أوهام وسراب الدنيا، وصولاً إلى الوقوع في مهالك الشيطان من كُفْرٍ وظلم. يقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ



جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿١١٧﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١١٨﴾. وإنَّ الغرور في القرآن الكريم، مذكور بمعنى الاستهتار الذي يقود الإنسان إلى الضلال، فيقول ربِّ العزة سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ﴿١١٩﴾.

والدنيا في القرآن الكريم هي أهمّ بواعث الغرور لدى الإنسان، والدنيا هنا بمعناها الواسع، الذي يشمل كلّ مغرياتها التي هي في النهاية زائلة، ولكنها تحدع الإنسان وتغرّه؛ فينقاد إليها، ويركن؛ مما يعرضه للخسران المبين في الدنيا والآخرة ﴿١٢٠﴾. فيقول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿١٢١﴾. ومن الآيات الأخرى التي وردت فيها كلمة الغرور: قال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿١٢٢﴾. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿١٢٣﴾. ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ﴿١٢٤﴾. ﴿وَعُرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿١٢٥﴾. وقال الشيرازي في تفسيره للآيات الثانية وثمانين والخامسة والثمانين من سورة غافر حول سبب غرور أهل العلم فضلاً عما ذكر من شتى أنواع الغرور في القرآن الكريم: في الآيات المختلفة لهذه السورة المباركة يتبين أنَّ أساس انحراف قسم كبير من الناس هو التكبر والغرور. قد يكون امتلاك المال من أسباب العلو والتكبر، أو كثرة الأفراد وامتلاك القدرات العسكرية. أو كمية محدودة من المعلومات في فرع من فروع المعرفة، يظن الإنسان أنها كبيرة وكثيرة، فتدفعه إلى العلو والاستغناء والسخرية.

إنَّ حالة عصرنا الراهن تعكس نموذج « الغرور العلمي » بشكل جلي واضح، ففي ظل التقدم السريع الذي أحرزته المجتمعات المادية في المجالات العلمية والتقنية، نراها عمدت إلى إلغاء أثر الدين من الحياة، وقد سيطر الغرور العلمي على بعض علماء الطبيعة إلى درجة أنهم تصوروا أنَّ لا يوجد في هذا العالم شيء خارج إطار علومهم ومعارفهم، وبما أنهم لم يروا الله تعالى في مختبراتهم أنكروا وجوده وجحدوا نعمته. لقد ذهب بهم الغرور إلى أكثر من ذلك عندما أصبحوا يجهرُونَ أنَّ الدين ووحى الأنبياء إنما كانا بسبب الجهل أو الخوف، أما وقد حل عصر التقدم العلمي فإنَّ الحاجة إلى مثل هذه المسائل انعدمت تماماً؛ بل وعمدوا إلى فرض تفسير معين لتطور الحياة ياشي ادعاءهم هذا... ونأمل أنَّ تزول آثار ذلك الغرور باسم العلم حتى لا يكون مدعاة للخسران الكبير^(١٢٦).

*** وقال الإمام (عليه السلام) في باب استحباب القناعة: (مَنْ قَنَعَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، فَهُوَ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ) (١٢٧).**

بحث الإمام (عليه السلام) في حكْمته على القناعة، ويبين أنها الطريق إلى السعادة والفلاح، فالقناعة: خلق عظيم من أخلاق الإسلام، وأدب من آدابه العظيمة؛ إذا تخلق به العبد اطمأن قلبه، وهدأت نفسه، ونعم بالراحة به، وسلمت من الحرام جوارحه. مع خلق من أخلاق الأنبياء، وسمة من سمات الأتقياء، وصفة من صفات أهل الفوز والفلاح. مع خلق القناعة ليس القانع ذلك الذي يشكو خالقه ورازقه إلى الخلق، ولا الذي يتطلع إلى ما ليس له، ولا الذي يغضب إذا لم يبلغ ما تمنى من رُتب الدنيا؛ لأنَّ الخير له قد يكون عكس ما تمنى. وأنَّ القناعة لا تعني بالضرورة أنَّ يكون العبد فقيراً، فالغني أيضاً في حاجة إلى قناعة، كما أنَّ الفقير في حاجة إلى قناعة؛ وقناعة الغني أنَّ يكون راضياً شاكراً، لا جاحداً ظالماً، قناعته أنَّ لا تلج أمواله إلى قلبه، حتى يصبح عبداً لها. قناعته أنَّ لا يستعلي بهاله على الفقراء،

وأن لا يوظف ماله في الاستيلاء على ممتلكات الآخرين والاعتداء على حقوقهم. وتعد القناعة من أعمال القلوب وضدها الحرص، فإذا تعلق بممتلكات الآخرين سُمي طمعاً، كما أن الاقتصاد هو من أعمال الجوارح الذي يقابله الإسراف. والقناعة في علم الأخلاق تندرج تحت فضيلة العفة؛ أحد الأجناس في الفضائل.

القناعة لغة: قنع: قَنَعَ بنفسه قَنَعاً وقَنَاعَةً: رَضِيَ. والقُنُوعُ: السؤال والتذلل للمسألة. وقَنَعَ: بالفتح يَقْنَعُ قُنُوعاً: ذل للسؤال. وقد قَنَعَ، بالكسر، يَقْنَعُ قَنَاعَةً، فهو قَنِعٌ وقُنُوعٌ ويقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعاً، بفتح النون، إذا سأل، وقَنَعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً، بكسر النون، رَضِيَ. وفي التنزيل: ﴿مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾^(١٢٨)؛ المُقْنِعُ: الذي يَرَفَعُ رأسه ينظر في ذل، والإقْنَاعُ: رفع الرأس والنظر في ذل وخُشُوع^(١٢٩).

القناعة اصطلاحاً: قال ابن فارس: قَنَعَ قَنَاعَةً: إذا رضي وسميت قناعة؛ لأنه يقبل على الشيء الذي له راضياً^(١٣٠). وعن الراغب الأصفهاني: القَنَاعَةُ: الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها. وقال بعضهم: القَانِعُ هو السائل الذي لا يلح في السؤال، ويرضى بما يأتيه عفواً^(١٣١). وجاء عن ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ): القناعة فهي إلزام النفس الصبر عن المشتبهات التي لا يقدر عليها^(١٣٢). وعن ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ): القناعة هي ضبط قوّة النفس عن الاشتغال بما يخرج عن مقدار الكفاية ومبلغ الحاجة من المعاش والأقوات وعدم ما يشاهد من ذلك عند الغير^(١٣٣). وقال المناوي (ت ١٠٣١هـ): القناعة: السكون عند عدم المألوف، أو ترك التشوف إلى المقصود، والاستغناء بالموجود^(١٣٤).

القناعة في القرآن الكريم: وردت القناعة في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾^(١٣٥). الفرق بين (القانع) و(المُعْتَرَّ) هو أن القانع يطلق على من يقنع بما يعطى وتبدو عليه علامات الرضا والارتياح ولا يعترض أو يغضب، أما المُعْتَرَّ فهو الفقير السائل الذي يطالبك بالمعونة ولا يقنع بما تعطيه؛ بل يحتج أيضاً.

وتقديم القَانِعِ على الْمُعْتَرِّ إشارة إلى ضرورة الاهتمام أكثر بالمحرومين المتصفين بالعفة وعزة النفس^(١٣٦). وقوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾. قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾. معناه رافعي رُءُوسِهِمْ واقناع الرأس رفعه^(١٣٧). وقال الماوردي (ت ٤٥٠ هـ): القناعة قد تكون على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يقنع بالبلغة من دنياه، ويصرف نفسه عن التعرُّض لما سواه. وهذا أعلى منازل القناعة.

الوجه الثاني: أن تنتهي به القناعة إلى الكفاية، ويحذف الفضول والزيادة. وهذه أوسط حال المقتنع.

الوجه الثالث: تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سنع، فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيراً، ولا يطلب ما تعذَّر وإن كان يسيراً. وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة؛ لأنها مشتركة بين رغبة ورهبة. أما الرغبة؛ فلأنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سحنت. وأما الرهبة؛ فلأنه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة إذا تعذرت^(١٣٨).

* وفي التَّسْبِيحَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام قال: ﴿سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْإِعْتِرَافَ بِالنِّعْمَةِ لَهُ مُحَمَّدًا، سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْإِعْتِرَافَ بِالْعَجْزِ عَنِ الشُّكْرِ شُكْرًا﴾^(١٣٩).

إن الاعتراف بنعم الله تعالى وألطافه هو حقيقة الحمد له، كما أن الاعتراف بالعجز عن شكره هو واقع الشكر. ومن الواضح أن الشكر على نعم الله تعالى يمثل أبسط دلالات الاعتراف بحدوث النعمة، وإلا إذا انتفى الاعتراف بالنعمة حينئذ تتساوى النعمة مع الشر أي: في نطاق تجاربنا الإنسانية إذا قدر لأحدنا أن ينكر عمل الخير من الآخرين، حينئذ يزول الفارق بين عمل الخير وعمل الشر وهذا يعني: انعدام القيم مما يتنافى مع امكانية التعايش بين الناس. وإذا



نقلنا تجربتنا البشرية إلى التعامل مع الله تعالى حينئذ فإنَّ التسليم أو الاعتراف بنعمته تعالى يتصاعد الى درجة العجز عن تحقيق ذلك، نظراً إلى أنَّ نعمه لا تحصى وحينئذ كيف نستطيع أن نعبر عن شكرنا لنعمه؟ لا نستطيع ذلك بطبيعة الحال ولذلك جاء الحديث المتقدم جواباً للقضية المذكورة. ومن البين أيضاً أنَّ العجز عن الشيء من حيث التعبير الكامل عنه إذا كان كذلك، فإنَّ العكس منه يتحقق بطبيعة الحال، فأنت إذا قلت لشخص ما أنا غير قادر على تكريمك بما تستحقه: عندئذ كان كلامك متسماً بالحقيقة كاملة ولا عجز حينئذ في التعبير عن مقاصدك وهذا ما يمكن ملاحظته في مقولة الإمام زين العابدين (عليه السلام): (سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ...) كيف ذلك؟ لتأمل واقعية الصورة وطرافتها، أما واقعيته فتتمثل في إننا عاجزون عن تحقيق الشكر لله تعالى ما دامت نعمه لا تحصى تبعاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (١٤٠). وأما طرافة العبارة فتتمثل في عنصر التضاد والتقابل فنحن حينما نعترف بأننا عاجزون عن الشكر إنما يجسد اعترافنا المتقدم حالة مضادة للعجز وهي: امكانية التعبير عن الشكر ولكن عن طريق الضد أي: عن طريق الاعتراف بالعجز عن التعبير، فكلمة نعمك لا تحصى هي: تسليم واضح وتعبير تام عن الحقيقة بعكس ما لو سطرنا عشرات الصفحات من الكتابة للتعبير عن الإحصاء العددي للشكر، لما أمكن ذلك بينما أمكن ذلك عن طريق العجز عن أداء الشكر بالاعتراف بعدم قدرتنا على الشكر (١٤١).

الإِعْتِرَافُ لُغَةً: عَرَفَ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً، وَعَرَفَانَا وَعَرَفَةً بِالْكَسْرِ فِيهِمَا وَعَرَفَانَا، بِكَسْرَ تَيْنِ مُشَدَّدَةِ الْفَاءِ: عَلِمَهُ وَاقْتَصَرَ الْجَوْهَرِيُّ عَلَى الْأَوَّلَيْنِ (١٤٢). وقال الرَّائِغُ الْأَصْفَهَانِي: الْمَعْرِفَةُ وَالْعِرْفَانُ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِتَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ لِأَثَرِهِ، فَهِيَ أَحْصُ مِنَ الْعِلْمِ، وَيُضَادُّهُ الْإِنْكَارُ، وَيُقَالُ: فَلَانٌ يَعْرِفُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا يُقَالُ: يَعْلَمُ اللَّهُ مَتَعَدِّياً إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ لَمَّا كَانَ مَعْرِفَةُ الْبَشَرِ لِلَّهِ تَعَالَى هُوَ تَدَبُّرٌ

آثاره دُونَ إِذْرَاكَ ذَاتِهِ، وَيُقَالُ: اللَّهُ يُعَلِّمُ كَذَا، وَلَا يُقَالُ: يَعْرِفُ كَذَا؛ لِمَا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي الْعِلْمِ الْقَاصِرِ الْمُتَوَصِّلِ إِلَيْهِ بِتَفَكُّرٍ، وَأَصْلُهُ مِنْ عَرَفْتُهُ، أَيُّ: أَصَبْتُ عَرَفَهُ: أَيُّ رَائِحَتِهِ، أَوْ مِنْ أَصَبْتُ عَرَفَهُ أَيُّ خَدِّهِ فَهُوَ عَارِفٌ، وَعَرِيفٌ، وَعَرُوفَةٌ يَعْرِفُ الْأُمُورَ^(١٤٣). وَالْعُرْفُ: اسْمٌ مِنَ الْإِعْتِرَافِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْإِقْرَارِ، تَقُولُ: لَهُ عَلَيَّ أَلْفُ عُرْفًا: أَيُّ اعْتِرَافًا وَهُوَ تَوْكِيدٌ^(١٤٤). وَيُقَالُ: اعْتَرَفَ الرَّجُلُ بِهِ، أَيُّ بَذَنِيهِ: أَقَرَّبَهُ. وَاعْتَرَفَ فُلَانًا: إِذَا سَأَلَهُ عَنْ خَيْرٍ لِيَعْرِفَهُ. وَأَعْرَفَ فُلَانٌ فُلَانًا، وَعَرَّفَهُ: إِذَا وَقَفَهُ عَلَى ذَنْبِهِ، ثُمَّ عَفَا عَنْهُ^(١٤٥).

الِاعْتِرَافُ اصطلاحاً: قال الفراهيدي: الِاعْتِرَافُ: الإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ، وَالذَّلُّ، وَالْمَهَانَةُ، وَالرِّضَى بِهِ^(١٤٦). وَهُوَ نَقِيضُ الْإِنْكَارِ. وَعَنْ الْجصاص (ت ٣٧٠هـ) الاعتراف الإقرار بالشيء عن معرفة؛ لأنَّ الإقرار من قر الشيء إذا ثبت، والاعتراف من المعرفة، وإنما ذكر الاعتراف بالخطيئة عند التوبة؛ لأنَّ تذكر قبح الذنب أدعى إلى إخلاص التوبة منه وأبعد من حال من يدعى إلى التوبة ممن لا يدري ما هو ولا يعرف موقعه من الضرر، فأصح ما يكون من التوبة أن تقع مع الاعتراف بالذنب، ولذلك حكى الله تعالى عن آدم عليه السلام وحواء عند توبتهما^(١٤٧). وقال الجصاص أيضاً: الاعتراف بنعم الله تعالى واجب وجاحدها كافر، وأصل الكفر إنما هو من تغطية نعم الله تعالى وكتماؤها وجحودها. وهذا يدل على أنه جائز للإنسان أن يتحدث بنعم الله عنده، لا على جهة الفخر؛ بل على جهة الاعتراف بالنعمة والشكر للمنع^(١٤٨). وقال أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في الفرق بين الإقرار والاعتراف: الإقرار: هو التكلم بالحق، اللازم على النفس، مع توطئ النفس على الانقياد والإذعان. ويشهد له قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ﴾^(١٤٩). والاعتراف: هو التكلم بذلك وإن لم يكن معه توطئ، أو أنَّ الاعتراف هو ما كان باللسان، والإقرار قد يكون به، وبغيره؛ بل



بالقرائن، كما في حق الأخرس. وينطبق على الوجهين تسمية الشهادة بالتوحيد: إقراراً، لا اعترافاً، كما لا يخفى وأهل اللغة لم يفرقوا بينهما^(١٥٠).
 الإِعْتِرَافُ في القرآن الكريم: لم ترد كلمة الإِعْتِرَاف صراحة في القرآن الكريم؛ بل وردت مشتقاتها، فكلمة: (اعترفوا) في القرآن الكريم وردت مرتين في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونِ اعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(١٥١). وقوله تعالى: ﴿فَاعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١٥٢). والاعتراف في الآيتين: الإقرار، وأصله: إظهار معرفة الذنب، وذلك ضد الجحود. ووردت كلمة: (فاعترفنا) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(١٥٣). إن الاعتراف بالذنب في الآخرة لا ينفع فقد فات الأوان. وفي قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١٥٤). الشكر هو الاعتراف بالنعمة ظاهرة كانت أو باطنة، جليلة كانت أو خفية، والإقرار بها للمنعم والإتيان بالأعمال الصالحة المطلوبة له والامتنال بأوامره ونواهيه والاجتناب عن معاصيه. وفي الاعتراف بالقصور، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾^(١٥٥). قصد الملائكة الاعتراف بالعجز عن معرفة أسماء تلك المسميات المعروضة على أبلغ وجه فنفوا عن أنفسهم أن يعلموا شيئاً غير ما يعلمهم الله تعالى، ودخل في ضمن هذا النفي العام الاعتراف بالقصور عن معرفة الأسماء المسؤول عنها^(١٥٦).

* وقال الإمام عليه السلام في باب الفطرة: (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هِيَ الْفِطْرَةُ)^(١٥٧).

إن الإيمان بالله تعالى والإقرار بوحدانيته هما الفطرة التي فطر عليها الإنسان، وإنما يخرج عنها بالتربية الضالة والبيئة المنحرفة، فهما اللذان يهلكانه ويصدانه عن الطريق القويم. والإحساس بوجود الله تعالى، موجود في كل إنسان وفي فطرته، وهذا الإحساس يجذب الإنسان نحو الله عزَّ وجلَّ. ومعنى الفطرة معرفة الله تعالى في قول الإمام عليه السلام، فهذه الفطرة معنيان: الفطرة

العقلية، والفطرة القلبية. والقصد من فطرة معرفة الله تعالى العقلية هو: أن الله سبحانه خلق عقل الإنسان بشكل يكون التوجه إلى الوجود والنظام المسيطر عليه باعثاً على إيجاد الاعتقاد بوجود الله ذاتياً وبلا حاجة إلى الاستدلال.

أما الفطرة القلبية لمعرفة الله تعالى تعني: أن الله سبحانه قد جعل معرفته في قلب الإنسان وروحه بحيث لو ارتفعت الحجب وأزيلت الحواجز، تجلت تلك المعرفة الأصلية، فيجد الإنسان نفسه في رحاب الخالق^(١٥٨). وقد ورد لفظ الفطرة في أحاديث أهل البيت^(عليه السلام)، بمعانٍ مختلفة ولكنها متقاربة؛ منها الابتداء، والخلق الأول للأشياء، وما يكون عليه الشيء في أول أمره قبل أن يتغير. غير أن المعنى المراد بلفظ (الفطرة) في لفظ الإمام^(عليه السلام) هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(١٥٩).

الفِطْرَةُ لغَةً: (فطر): قال ابن فارس: الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه. والفطرة: الخلقة^(١٦٠). وقال ابن منظور: فَطَرَ الشيءَ يَفْطُرُهُ فَطْراً فأنْفَطَرَ وفَطَرَهُ: شقّه. وَفَطَرَ الله الخلقَ يَفْطُرُهُم: خلقهم وبدأهم. والفِطْرَةُ: الابتداء والاختراع^(١٦١). وأصل الفَطْرِ: الشَّقُّ طولاً، يقال: فَطَرَ فلان كذا فَطْراً، وأفْطَرَ هو فُطُوراً، وأنْفَطَرَ أنْفِطَراً^(١٦٢).

الفِطْرَةُ اصطلاحاً: هي سُنَنُ الأنبياء والطَّبع السَّوِيُّ، والجِبْلَةُ المُستقيمةُ التي خَلَقَ النَّاسُ عليها. وقال الفراهيدي: الفِطْرَةُ: التي طُبِعَتْ عليها الخليفةُ من الدِّينِ، فَطَرَهُمَ اللهُ على معرفتهِ بِرُبُوبِيَّتِهِ^(١٦٣). وقيل: الفطرة هي دين الإسلام. وعن السَّعْدِيِّ (ت ١٣٧٦ هـ): الفِطْرَةُ هي الخِلْقَةُ التي خَلَقَ اللهُ عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها؛ على محبَّةِ الخير وإيثاره، وكراهةِ الشرِّ ودفعه، وفطَرهم حُنَفَاءَ مُستعِدِّينَ لقبولِ الخير والإخلاصِ لله، والتَّقَرُّبِ إليه، وجَعَلَ تعالى شرائعَ الفِطْرَةِ نَوَعِينَ: أحدهما: يُطَهِّرُ القَلْبَ والرُّوحَ: وهو الإيمان بالله



تعالى، وتوابعه من خوفه ورجائه، ومحبته والإنابة إليه؛ قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾. فهذه تزكّي النفس، وتطهر القلب وتنميه، وتذهب عنه الآفات الرذيلة، وتحليه بالأخلاق الجميلة، وهي كلها ترجع إلى أصول الإيثار وأعمال القلوب.

والنوع الثاني: ما يعود إلى تطهير الظاهر ونظافته، ودفع الأوساخ والأقذار عنه^(١٦٤).

الفطرة في القرآن الكريم: وردت لفظ (فطر) ومشتقاتها في القرآن الكريم عشرين مرة. وقال الراغب الأصفهاني: المعنى بقوله تعالى: (هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ)^(١٦٥).

أي: اختلال ووهي فيه، وذلك قد يكون على سبيل الفساد، وقد يكون على سبيل الصلاح قال: ﴿السَّاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾^(١٦٦)... وفطر الله الخلق، وهو إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال، فقوله: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، إشارة منه تعالى إلى ما فطر. أي: أبداع وركز في الناس من معرفته تعالى، وفطرة الله: هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيثار، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١٦٧). وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٦٨)، وقال: ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾^(١٦٩)، ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾^(١٧٠).

أي: أبداعنا وأوجدنا. يصح أن يكون الإنفطار في قوله: ﴿السَّاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾^(١٧١)، إشارة إلى قبول ما أبداعها وأفاضه علينا منه^(١٧٢). وفي قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾. فإن الحقيقة التي نستنبطها من القرآن الكريم في هذه القضية: هي أن كل مولود يولد على فطرة التوحيد، فقد دلتنا قصة أبينا آدم عليه السلام أنه كان على عقيدة التوحيد، ودل القرآن الكريم والسنة النبوية على أن هذا لم يكن خاصاً بالإنسان الأول وهو آدم عليه السلام، وإنما هو عام في كل مولود. يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

* وقال الإمام عليه السلام في عدم رمي الناس بما فيهم: (مَنْ رَمَى النَّاسَ بِمَا فِيهِمْ، رَمَوْهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ) (١٧٣).

إنَّ كلام الإمام عليه السلام في الشخص بما يكره بغير حق محرم قطعاً، سواء أكان حاضراً أم غائباً. فكما تفعل مع الناس يُفعلُ بك، وكما تصنع معهم يُصنعُ بك، وما تعمله معهم يُعملُ بك. فمن يعمل صالحاً يجازى بمثله ومن عمل سيئاً سيجازى بالعمل نفسه، فلا تخشى من أن يدور الزمان ويعاملك كما فعلت في دنيائك. فمن يتعرض لذكر الناس بسوء، وإن اتصفوا به، فإنهم يلصقون به من الصفات السيئة ما ليس فيه. ويجب أن يحرص المسلم على عدم تجاوز حقه عن طريق الاعتداء على الناس، سواء أكان في النفس، أم العرض، أم المال، فكل ما للمسلم معصوم، وهو ما حرص الإمام عليه السلام على الوصاية عليه؛ لأنَّ اتِّهام الناس في نواياهم ومقاصدهم وتحليل أفكارهم ومُراداتهم يعدُّ من أكبر آفات اللسان، فالأمر فيه لا يتوقَّف على ذلك؛ بل يمتدُّ ليصل إلى تصنيف الناس وتقسيمهم، ثمَّ وضعهم في أحزاب لا يمتُّون لها بصلة. وعلى المسلم أن يتثبت من الأخبار التي يسمعها، لا سيما إن كان قد سمعها من فاسق، فيكون قد صدَّقها وفي ذات الوقت حين ينقلها يكون كاذباً، ثمَّ يتعرض للندامة بعد ذلك. وذهب العلماء إلى أنَّ إساءة الظن بالمسلم أمرٌ محرَّم شرعاً ولا يجوز، وذلك استناداً إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (١٧٤)، وأعظم من إساءة الظن بالمسلم هو أن يبهته؛ بأنَّ يقوم برميِّه بما لم يفعل، ويتَّهمه بما ليس فيه؛ إذ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (١٧٥)، فلا يحلُّ لأحد أن يبهت أخاه المسلم مهما كانت الذريعة التي يتذرَّع بها.

الرَّمْيُ لغةً: بفتح أوله وسكون ثانيه مصدر رمى الشيء: ألقاه. ورمي: رمى يرمي رمياً فهو رام. وأرْمِيتُ الحَجَرَ من يدي أي ألقيت. ويقال: أُرْمِيَ

الفرسُ براكيه إذا ألقاه. ورَمَى فلان فلاناً بأمرٍ قبيحٍ أي قذفه. ورَمَى فلان يَرْمِي إذا ظَنَّ ظَنّاً غيرَ مُصيبٍ^(١٧٦).

الرَّمْيُ اصطلاحاً: قال الراغب الأصفهاني: الرَّمْيُ يقال في الأعيان كالسهم والحجر، نحو: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١٧٧). ويقال في المقال، كناية عن الشتم كالقذف، نحو: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾^(١٧٨). وأَرَمَى فلان على مائة، استعارة للزيادة، وخرج يَرْمَى: إذا رمى في الغرض^(١٧٩). وعن الفيومي (ت ٧٧٠هـ): و(رمى) الرجل إذا رميته بيدك، فإذا قلعت من موضعه قلعاً قلت: (أرميته) عن الفرس^(١٨٠).

الرَّمْيُ في القرآن الكريم: وردت الرمي ومشتقاتها في القرآن الكريم تسع مرات. ولفظ الرمي جاء للتعبير عن الاتهام بالخطيئة ظلماً وعدواناً فقد جاء في ثلاث آيات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١٨١). ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾^(١٨٢). ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾^(١٨٣).

وفي التعبير عن الشتم بالزنا بالفعل (يرمي) إشارة إلى أن أثر اللسان لا يقل عن أثر السنن نكايّة؛ بل هو أشد وأبقى. ولك أن تذهب إلى أن في الفعل (يرمي) استعارة تصوّر لك الحدث في صورة بصرية لا تكاد تغيب عن ناظريك. وقل مثل هذا في استعارة القذف وأكثر. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾^(١٨٤). هنا الكلام في رمى الحجارة المادّية المحسوسة. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾^(١٨٥). أي ينسبه إلى من هو بريء منه. وهذا الرمي في أمر معنوي إن أريد به مفهوم الخطأ والإثم، وإن أريد العمل المخالف فيكون محسوساً من جهة الرمي. والظاهر هو رمى البريء، والتقدير، ثم يرمي بريئاً بالإثم أو الخطأ، فعلى هذا يكون الرمي محسوساً أيضاً والرمي معنوي على التقدير. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾^(١٨٦). المراد

مطلق الظل المتكوّن الحادث من الصفات الرذيلة النفسانيّة، ولعلّها القوى
البيهيّة والسبعيّة والشهوويّة، وفيها تجتمع جميع الرذائل. فهذه الشعب
يتصاعد احتراقها وترمى بشرارات عظيمة^(١٨٧).

* وفي باب الأحاديث الإلهية في العَجَب من سعة رحمة الله تعالى، قال
الإمام (عليه السلام): (لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ
كَيْفَ هَلَكَ مَعَ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ)^(١٨٨).

يشير الإمام (عليه السلام) في هذه الحكمة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يتعجب ممن
نجا من عباد الله تعالى بأعماله؟ وإنما العجب من كيفية هلاك من هلك في
الآخرة بأسباب الهلاك مع سعة رحمته سبحانه وتعالى. وقد كان رد الإمام (عليه السلام)
في حكمته هذه بعدما قيل له يوماً إنّ الحسن البصري قال: ليس العجب
ممن هلك كيف هلك؟ وإنما العجب ممن نجا كيف نجا. فبلاغة الإمام (عليه السلام)
فيما قاله كانت ذا صبغة رحمانية فيمن يهلك ورحمة الله تعالى لا حدود لها وقد
وسعت كل شيء، ويطمع فيها حتى إبليس، والإمام (عليه السلام) أعرف بذلك وأدرى
من الحسن البصري وغيره.

العَجَب لغة: بفتح العين والجيم مصدر عجب، روعة تأخذ الإنسان.
عند استعظام الشيء. والعُجب: بضم فسكون، أعجاب مصدر عجب، الكبر
والتعالي^(١٨٩). والعَجَبُ النَّظَرُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ مألُوفٍ وَلَا مُعتَادٍ. وأُعْجِبَ بِهِ:
عَجِبَ. وَعَجَبَهُ بِالشَّيْءِ تَعْجِيبًا: نَبَّهَهُ عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْهُ. وَالتَّعَجُّبُ: أَنْ تَرَى
الشَّيْءَ يُعْجِبُكَ، تَظُنُّ أَنَّكَ لَمْ تَرَ مِثْلَهُ. وَأَمْرٌ عَجَابٌ وَعُجَابٌ وَعَجَبٌ وَعَجِيبٌ
وَعَجَبٌ عَاجِبٌ وَعُجَابٌ، على المبالغة، يؤكد به. وَأُعْجِبَهُ الأَمْرُ: سَرَّهُ.
وَالْعَجِيبُ: الأَمْرُ يُتَعَجَّبُ مِنْهُ. وَأَمْرٌ عَجِيبٌ: مُعْجِبٌ. ويقال: جمعُ عَجِيبٍ

عَجَائِب^(١٩٠). وقال الفراهيدي: بين العَجِيب والعُجَاب فَرْقٌ؛ أَمَّا العَجِيبُ، فَالعَجَبُ يَكُونُ مِثْلَهُ، وَأَمَّا العُجَاب فَالَّذِي تَجَاوَزَ حَدَّ العَجَبِ^(١٩١).

العَجَب اصطلاحاً: هو حالة تصيب الإنسان من الاستعظام والاندهاش والذهول، عند رؤيته لشيء خرج عن العادة والمألوف. وقال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ): الفرق بين العُجب والعَجَب، أَنَّ العُجب - بضم العين - عقد النفس على فضيلة لا ينبغي أن يعجب منها السبب لها، وليس كذلك العَجَب - بفتح العين والجيم - لأنه قد يكون حسناً. وقد قيل في المثل: (لا خير في من لا يتعجب من العجب وأرذل منه المتعجب من غير عجب)^(١٩٢). وعن الشيخ المصطفوي: إنَّ الأصل الواحد في المادَّة: هو الحالة الحاصلة من رؤية شيء خارجاً عن الجريان الطبيعي المتوقَّع عادةً، فهذه الحالة يطلق عليها التعجُّب. وإنَّ كانت الرؤية متعلِّقة بنفسه وصفاته وأعماله: فيطلق عليها العجب بالضمِّ، وكأنَّ العجب كالغسل اسم مصدر يدلُّ على ما يتحصَّل من المصدر، وهو الصفة النفسانيَّة... وبهذا يظهر خصوصيَّة استعمال كلِّ منها في مورد خاصٍّ بالنظر إلى تلك الخصوصيَّة والامتياز^(١٩٣).

العَجَب في القرآن الكريم: وردت كلمة (عجب) في القرآن الكريم بصيغ متعددة، بلغت سبعة وعشرين مرة. ويتساوى مع هذا العدد عدد مرات ذكر الغرور بكلِّ مشتقاته؛ إذ تكرر سبعة وعشرين مرة^(١٩٤). وقال تعالى:

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا ﴾^(١٩٥)، تنبيهاً أنهم قد عهدوا مثل ذلك قبله، وقوله: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ ﴾^(١٩٦)، ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾^(١٩٧)، ﴿ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾^(١٩٨)، أي: ليس ذلك في نهاية العَجَب؛ بل في أمورنا أعظم وأعجَب منه. ﴿ قُرْآنًا عَجَبًا ﴾^(١٩٩)، أي: لم يعهد مثله، ولم يعرف سببه. ويستعار مرَّةً للمونق فيقال: أعجَبَنِي كذا أي: راقني. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ﴾^(٢٠٠)، ﴿ وَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ ﴾^(٢٠١)، ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴿٢٠٢﴾، ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ ﴿٢٠٣﴾، وقال: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ ﴿٢٠٤﴾، أي: عَجِبْتَ من إنكارهم للبعث لشدة تحقّك معرفته، ويسخرون لجهلهم. وقيل: عَجِبْتَ من إنكارهم الوحي، وقرأ بعضهم: (بَلْ عَجِبْتَ) بضمّ التاء، وليس ذلك إضافة المتعجب إلى نفسه في الحقيقة؛ بل معناه: أنه ممّا يقال عنده: عَجِبْتُ، أو يكون عَجِبْتُ مستعاراً بمعنى أنكرت، نحو: ﴿أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ﴿٢٠٥﴾، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ﴿٢٠٦﴾. ويقال لمن يروقه نفسه: فلانٌ مُعْجَبٌ بنفسه، والعجبُ من كلّ دابة: ما ضمّر ورّكه ﴿٢٠٧﴾.

الخاتمة:

هذه بعض أقوال وحكم الإمام زين العابدين (عليه السلام) جاءت من فوح القرآن الكريم، وبوح وجدانه العظيم، واشتملت هذه الحكم على تعاليم عدّة. وخلص البحث إلى ما يأتي:

كان الإمام (عليه السلام) الذي ملأ الدنيا في مرحلته علماً كأفضل ما يكون العلم، وروحانيّة كأعمق ما تكون الروحانيّة، وأخلاقاً كأفضل ما تكون الأخلاق، وهكذا بقي الإمام (عليه السلام) في امتداد الحياة، لتتعلّم منه دائماً. وقد فتح (عليه السلام) آفاقاً من العلم لم يعرفها الناس من ذي قبل؛ فقد تعرّض لعلوم الشريعة الإسلامية من الحديث، والفقه، والتفسير، وعلم الكلام، والفلسفة. وقد أصبح (عليه السلام) في المدينة المنورة بعدما عاد إليها واستقر فيها مناراً للعلم، ومنهلاً للحكمة، وينبوعاً للعلوم والمعارف، ومرجعاً للدين، وإماماً للمؤمنين والمتقين.

خرّجت مدرسة الإمام زين العابدين (عليه السلام) كوكبةً ممن رووا عنه من العلوم ما لا يحصى، منهم العلماء، والفقهاء، والمفسّرون الذين سطعت أسماؤهم في العالم الإسلامي، وإليهم يعود الفضل في دفع عجلة الإحياء العلمي في ذلك

العصر الرهيب وما تلاه من عصور. ولا ينحصر تراث الإمام عليه السلام فيما كتب وما روي عنه فقط؛ بل يمكن أن يتسع لكل عمل تربوي صدر عنه عليه السلام وبقيت آثاره في المجتمع الإسلامي.

ترك الإمام عليه السلام للأمة الإسلامية؛ بل والإنسانية جمعاء مجموعة من الآثار العلمية والذخائر النفيسة التي تدلّ على مكانته العلمية، وغزارة معارفه وعلومه، وقد حفظت لنا كتب الحديث والتاريخ والسيرة مجموعة من تلك الآثار العلمية، ومنها الصحيفة السجادية. وقد أصبحت من الكتب المشهورة والمتداولة بين المسلمين، وحظيت باهتمام العلماء والباحثين، وقاموا بدراساتها وشرحها، والإفادة مما احتوته من معارف وعلوم.

الهوامش

- ١- الفراهيدي، كتاب العين، ٢/ ٢٢٨.
- ٢- الجوهري، الصحاح، ٣/ ١١٨١.
- ٣- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٦/ ١٢٦.
- ٤- الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، ٨٧٦.
- ٥- ابن سيده، المخصص، ٣/ ١٦٩.
- ٦- الحمد، أدب الموعظة، ٩.
- ٧- الخوئي، منهاج البراعة، ٧/ ١١٥.
- ٨- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٥/ ٥٣١.
- ٩- الزمخشري، الكشاف، ٤٣٥.
- ١٠- سورة طه، الآية ٤٣-٤٤.
- ١١- الجوهري، الصحاح، ٥/ ١٩٠١.
- ١٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٩١.
- ١٣- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٢٤٩.
- ١٤- ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ١٤٠.
- ١٥- الزبيدي، تاج العروس، ١٦/ ١٦١.
- ١٦- سورة لقمان، الآية ١٢.
- ١٧- سورة ص، الآية ٢٠.
- ١٨- ينظر: مغنية، التفسير الكاشف، ١/ ٤٢٢.
- ١٩- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦/ ٦٢.
- ٢٠- أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ٣/ ١٣٤.
- ٢١- سورة العلق، الآية ٦-٧.
- ٢٢- ينظر: السبب، بعض ما جاء عن السلف، ١.
- ٢٣- قطب الدين الراوندي، الدعوات (سلوة الحزين)، ١٦٨.
- ٢٤- الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، ٧٦.
- ٢٥- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٢٣١-٢٣٢.
- ٢٦- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٣١١؛ أقرب الموارد، ٢/ ١٢٠٢.
- ٢٧- ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٧٦٥.
- ٢٨- سورة النور، الآية ٦١.
- ٢٩- سورة التوبة، الآية ٩١.
- ٣٠- سورة البقرة، الآية ١٠.

- ٣١- سورة النور، الآية ٥٠.
- ٣٢- سورة التوبة، الآية ١٢٥.
- ٣٣- سورة المائدة، الآية ٦٤.
- ٣٤- سورة العنكبوت، الآية ٦٤.
- ٣٥- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٧٦٥.
- ٣٦- الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ٨٥ / ٢.
- ٣٧- المتقي الهندي، كنز العمال، ٣ / ٣٠٦.
- ٣٨- سورة الأنبياء، الآية ٣٥.
- ٣٩- المجلسي، بحار الأنوار، ٧٨ / ٢٠٩.
- ٤٠- القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ١ / ٢١٨.
- ٤١- المتقي الهندي، كنز العمال، ٣ / ٣٠٨.
- ٤٢- الدليمي، إرشاد القلوب، ١ / ٤٢.
- ٤٣- المجلسي، بحار الأنوار، ٩١ / ٢٤٠.
- ٤٤- سورة آل عمران، الآية ١٨٥.
- ٤٥- ينظر: الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية، ١ / ٨٣-٩٠.
- ٤٦- الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ٢ / ٨٥.
- ٤٧- الحلواني، نزهة الناظر، ٨٩.
- ٤٨- ينظر: السبحاني، عصمة الأنبياء، ١٩-٢٥.
- ٤٩- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٢ / ٤٠٣-٤٠٤.
- ٥٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤ / ٣٣١.
- ٥١- الشيخ المفيد، أوائل المقالات، ١٣٥.
- ٥٢- الشيخ المفيد، تصحيح اعتقادات الشيعة، ١٢٨.
- ٥٣- الشيخ المفيد، تفسير القرآن المجيد، ٩٤.
- ٥٤- السبحاني، عصمة الأنبياء، ٣٠.
- ٥٥- الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ٣ / ٣٢٦.
- ٥٦- السبحاني، عصمة الأنبياء، ٢٩.
- ٥٧- العلامة الحلي، الرسالة السعدية، ٧٥.
- ٥٨- الفاضل المقداد، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، ٣٠٤.
- ٥٩- سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
- ٦٠- سورة النساء، الآية ٥٩.
- ٦١- ينظر: الكوراني، الموظف الدولي لمهاجمة الشيعة، ٤٥٢.

- ٦٢- سورة البقرة، الآية ١٢٤؛ سورة التوبة، الآية ١٢؛ سورة هود، الآية ١٧؛ سورة
الإسراء، الآية ٧٠؛ سورة الأنبياء، الآية ٧٢؛ سورة القصص، الآية ٥؛ سورة الحجر، الآية
٧٩؛ سورة السجدة، الآية ٢٤؛ سورة يس، الآية ١٢؛ سورة القصص، الآية ٤١؛ سورة
الفرقان، الآية ٤٧؛ سورة الأحقاف، الآية ١٢.
- ٦٣- سورة آل عمران، الآية ١٠١؛ سورة النساء، الآية ١٤٦، ١٧٥؛ سورة المائدة، الآية
٦٧؛ سورة هود، الآية ٤٣؛ سورة يوسف، الآية ٣٢؛ سورة يونس، الآية ٢٧؛ سورة الحج،
الآية ٧٨؛ سورة الأحزاب، الآية ١٧؛ سورة غافر، الآية ٣٣؛ سورة الممتحنة، الآية ١٠.
- ٦٤- سورة البقرة، الآية ٢٣٣، ٢٥٩؛ سورة النساء، الآية ٥؛ سورة المائدة، الآية ٨٩؛
سورة المؤمنون، الآية ١٤.
- ٦٥- سورة محمد، الآية ٢٤.
- ٦٦- الحلواني، نزهة الناظر، ٩١.
- ٦٧- سورة الأحزاب، الآية ٧.
- ٦٨- سورة الزمر، الآية ١٧-١٨.
- ٦٩- الإمام زين العابدين (عليه السلام)، شرح رسالة الحقوق، ١٠٩.
- ٧٠- سورة الأنفال، الآية ٦١؛ سورة يوسف الآية ٣٤؛ سورة الشعراء، الآية ٢٢٠؛ سورة
فصلت، الآية ٣٦.
- ٧١- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٨/ ١٦٢-١٦٨.
- ٧٢- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٤٢٥.
- ٧٣- المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ٥/ ٢٠٩.
- ٧٤- سورة يوسف، الآية ٣١.
- ٧٥- سورة الجن، الآية ١.
- ٧٦- سورة المجادلة، الآية ١.
- ٧٧- الشنقيطي، أضواء البيان، ٢/ ٤١٩.
- ٧٨- سورة الإنسان، الآية ٢.
- ٧٩- سورة البقرة، الآية ٧.
- ٨٠- سورة الشعراء، الآية ٢١٢.
- ٨١- سورة الأنفال، الآية ٣١.
- ٨٢- سورة النساء، الآية ٤٦.
- ٨٣- سورة البقرة، الآية ٢٨٥.
- ٨٤- سورة الأنفال، الآية ٢١.
- ٨٥- سورة الأنفال، الآية ٢٣.



- ٨٦- سورة النساء، الآية ٤٦.
- ٨٧- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٤٢٥.
- ٨٨- سورة البقرة، الآية ١٧١.
- ٨٩- سورة البقرة، الآية ٧٥.
- ٩٠- سورة الأنعام، الآية ٣٦.
- ٩١- سورة القصص، الآية ٥٥.
- ٩٢- سورة الأحقاف، الآية ٢٩.
- ٩٣- سورة التحريم، الآية ٤.
- ٩٤- شحرور، عبدالقادر، حاسة السمع في القرآن العزيز، ١.
- ٩٥- سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.
- ٩٦- الشيخ الصدوق، الأمالي، ٣١٩.
- ٩٧- ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ٨ / ٣٨٩.
- ٩٨- سورة الأنفال، الآية ٢٧.
- ٩٩- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٩٠.
- ١٠٠- عبد المنعم، معجم المصطلحات، ١ / ٢٨٣.
- ١٠١- المجلسي، بحار الأنوار، ٦٧ / ٣٦٩.
- ١٠٢- الأمانة، موسوعة التفسير الموضوعي، ١.
- ١٠٣- الأمانة، ١.
- ١٠٤- يراجع سورة البقرة، الآية ٢٨٣؛ سورة الأحزاب، الآية ٧٢.
- ١٠٥- سورة المؤمنون، الآية ٨.
- ١٠٦- سورة الأنفال، الآية ٢٧.
- ١٠٧- سورة الأحزاب، الآية ٧٢.
- ١٠٨- سورة الأحزاب، الآية ٧٣.
- ١٠٩- سورة النساء، الآية ٥٨.
- ١١٠- ينظر: شبكة المعارف الإسلامية، الأمانة، ١.
- ١١١- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٢٨٢.
- ١١٢- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١١ / ١٤.
- ١١٣- الفراهيدي، كتاب العين، ٤ / ٣٤٦.
- ١١٤- المحقق النراقي، جامع السعادات، ١ / ٧٣.
- ١١٥- الغزالي، إحياء علوم الدين، ١١ / ٨٠.
- ١١٦- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٦٠٤.

- ١١٧- سورة الملك، الآية ٢٠.
- ١١٨- سورة فاطر، الآية ٤٠.
- ١١٩- سورة الانفطار، الآية ٦.
- ١٢٠- ينظر: غرور الإنسان ومهالك الشيطان، ٢.
- ١٢١- سورة الحديد، الآية ٢٠.
- ١٢٢- سورة لقمان، الآية ٣٣.
- ١٢٣- سورة فاطر، الآية ٥.
- ١٢٤- سورة آل عمران، الآية ١٨٥.
- ١٢٥- سورة الحديد، الآية ١٤.
- ١٢٦- ينظر: الشيرازي، الأمثل، ١٥/ ٣٤٠.
- ١٢٧- ابن الصباغ، الفصول المهمة، ٢/ ٨٦٠.
- ١٢٨- سورة إبراهيم، الآية ٤٣.
- ١٢٩- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٨/ ٢٩٧-٢٩٩.
- ١٣٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٣٣.
- ١٣١- ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٦٨٦.
- ١٣٢- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩/ ٥٤.
- ١٣٣- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٧١.
- ١٣٤- المناوي، فيض القدير، ٤/ ٤٥٦.
- ١٣٥- سورة الحج، الآية ٣٦.
- ١٣٦- ينظر: الشيرازي، الأمثل، ١٠/ ٣٥٢.
- ١٣٧- الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٦/ ٣٠٣.
- ١٣٨- الماوردي، أدب الدنيا والدين، ١٢٦-١٢٧.
- ١٣٩- الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية، ٢٥.
- ١٤٠- سورة إبراهيم، الآية ٣٤؛ سورة النحل، الآية ١٨.
- ١٤١- حديث الإمام السجاد (عليه السلام) عن الاعتراف بالعجز عن الشكر، إذاعة طهران، ١.
- ١٤٢- ينظر: الجوهري، الصحاح، ٤/ ١٤٠١.
- ١٤٣- ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٥٦١.
- ١٤٤- ينظر: الجوهري، الصحاح، ٤/ ١٤٠١.
- ١٤٥- ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ١٢/ ٣٧٤-٣٨٤.
- ١٤٦- الفراهيدي، كتاب العين، ٢/ ١٢١.
- ١٤٧- الجصاص، أحكام القرآن، ٣/ ١٨٨.

- ١٤٨- م ن، ٢/ ٢٥٥.
- ١٤٩- سورة البقرة، الآية ٨٤.
- ١٥٠- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ٦٥.
- ١٥١- سورة التوبة، الآية ١٠٢.
- ١٥٢- سورة الملك، الآية ١١.
- ١٥٣- سورة غافر، الآية ١١.
- ١٥٤- سورة إبراهيم، الآية ٧.
- ١٥٥- سورة البقرة، الآية ٣٢.
- ١٥٦- طنطاوي، التفسير الوسيط، ١/ ٩٥.
- ١٥٧- الحلواني، نزهة الناظر، ٨٩.
- ١٥٨- ينظر: الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ٣/ ٥٨.
- ١٥٩- سورة الروم، الآية ٣٠.
- ١٦٠- ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٥١٠.
- ١٦١- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٥٥-٥٦.
- ١٦٢- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٦٤٠.
- ١٦٣- الفراهيدي، كتاب العين، ٧/ ٤١٨.
- ١٦٤- ينظر: دلالة الفطرة. نقلاً عن كتاب: بهجة قلوب الأبرار، ٥١.
- ١٦٥- سورة الملك، الآية ٣.
- ١٦٦- سورة المزمل، الآية ١٨.
- ١٦٧- سورة الزخرف، الآية ٨٧.
- ١٦٨- سورة فاطر، الآية ١.
- ١٦٩- سورة الأنبياء، الآية ٥٦.
- ١٧٠- سورة طه، الآية ٧٢.
- ١٧١- سورة المزمل، الآية ١٨.
- ١٧٢- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٦٤٠.
- ١٧٣- الدليمي، أعلام الدين، ٢٩٩.
- ١٧٤- سورة الحجرات، الآية ١٢.
- ١٧٥- سورة الأحزاب، الآية ٥٨.
- ١٧٦- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٤/ ٣٣٥-٣٣٨.
- ١٧٧- سورة الأنفال، الآية ١٧.
- ١٧٨- سورة النور، الآية ٦.

١٧٩ - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٣٦٦.

١٨٠ - الفيومي، المصباح المنير، ١ / ١٤٠.

١٨١ - سورة النور، الآية ٢٣.

١٨٢ - سورة النور، الآية ٤.

١٨٣ - سورة النور، الآية ٦.

١٨٤ - سورة الفيل، الآية ٣-٤.

١٨٥ - سورة النساء، الآية ١١٢.

١٨٦ - سورة المرسلات، الآية ٣٢.

١٨٧ - ينظر: المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ٤ / ٢٣٩.

١٨٨ - الطبرسي، أعلام الوري، ١ / ٤٩٠.

١٨٩ - قلعي، معجم لغة الفقهاء، ٣٠٥.

١٩٠ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١ / ٥٨٠-٥٨٢.

١٩١ - ينظر: الفراهيدي، كتاب العين، ١ / ٢٣٥.

١٩٢ - الشيخ الطوسي، التبيان، ٤ / ٤٤٤.

١٩٣ - المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ٨ / ٣٧.

١٩٤ - نوفل، الاعجاز العددي للقرآن الكريم، ١٢٦.

١٩٥ - سورة يونس، الآية ٢.

١٩٦ - سورة ق، الآية ٢.

١٩٧ - سورة الرعد، الآية ٥.

١٩٨ - سورة الكهف، الآية ٩.

١٩٩ - سورة الجن، الآية ١.

٢٠٠ - سورة البقرة، الآية ٢٠٤.

٢٠١ - سورة التوبة، الآية ٨٥.

٢٠٢ - سورة التوبة، الآية ٢٥.

٢٠٣ - سورة الحديد، الآية ٢٠.

٢٠٤ - سورة الصافات، الآية ١٢.

٢٠٥ - سورة هود، الآية ٧٣.

٢٠٦ - سورة ص، الآية ٥.

٢٠٧ - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٥٤٧.



- * علي بن الحسين الحلبي (ت ٤٤هـ):
- * تحف العقول عن آل الرسول (تحفة العقول)، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ).
- * ابن الصباغ، علي بن محمد أحمد المالكي المكي (ت ٨٥٥هـ):
- * الفصول المهمة في معرفة الأئمة، حققه ووثق أصوله وعلّق عليه سامي الغريزي، (مطبعة سرور، قم، ١٤٢٢هـ).
- * الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ):
- * الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ).
- * الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٠٢هـ):
- * إعلام الوري بأعلام الهدى، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٧هـ).
- * الشيخ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨هـ):
- * الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخراسان، (مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ).
- * الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت ٤٦٠هـ):
- * التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ).
- * الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ):
- * إحياء علوم الدين، (دار الكتاب العربي،

- بيروت، دت).
- * ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ):
- * معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ).
- * الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ):
- * كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ).
- * الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت ٧٧٠هـ):
- * المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (مطبعة الميمنة، مصر، ١٣١٣هـ).
- * القاضي النعمان، النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ):
- * دعائم الإسلام، تحقيق آصف بن علي أصغر، (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ).
- * قطب الدين الراوندي، أبو الحسين سعيد (ت ٥٧٣هـ):
- * الدعوات (سلوة الحزين)، (مطبعة أمير، قم، ١٤٠٧هـ).
- * الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ):
- * أدب الدنيا والدين (البغية العليا في أدب الدين والدنيا)، (مطبعة العثمانية، مصر، ١٣١٨هـ).
- * المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي الهندي بن حسام الدين الهندي (ت

- ٩٧٥هـ) تصحيح وتعليق مير جلال الدين الحسيني الارموى المحدث، مطبعة مؤسسة جاب، مشهد، ١٤١٢هـ).
- * أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ):
- * حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- * أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت بعد ٣٩٥هـ):
- * معجم الفروق اللغوية، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ).
- المراجع:**
- * الحمد، محمد بن ابراهيم:
- * أدب الموعظة، (طبع ونشر مؤسسة الحرمين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ).
- * الخوئي، العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ):
- * منهج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق السيد إبراهيم الميانجي، (منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٣هـ).
- * الريشهري، محمد:
- * موسوعة الأحاديث الطبية، (دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، وقم، ١٤٢٥هـ).
- * موسوعة العقائد الإسلامية، (مطبعة دار الحديث، بيروت، ١٤٢٥هـ).
- * الزبيدي، أبو الفيض محب الدين محمد مرتضى الواسطي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ):
- * تاج العروس من شرح القاموس
- ٩٧٥هـ) كنز العمال، تحقيق بكري حياتي وصفوة السقا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ).
- * المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ):
- * بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ).
- * الشيخ المفيد، أبو محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ):
- * أوائل المقالات، (دار المفيد للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ).
- * تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق حسين دهر كاظمي، (دار المفيد للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ).
- * تفسير القرآن المجيد، تحقيق السيد محمد علي ايازي، (مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي، قم، ١٤٢٤هـ).
- * المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين القاهري (ت ١٠٣١هـ):
- * فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ٣، تحقيق أحمد عبد السلام، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ).
- * ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ):
- * لسان العرب، (نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ).
- * ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ):
- * شرح مائة كلمة لأمر المؤمنين (عليه السلام)،

- * (المسمى تاج العروس من جواهر
القاموس)، تحقيق علي شيري، (دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت، ١٤١٤هـ).
- * السبحاني، المحقق الشيخ جعفر:
عصمة الأنبياء في القرآن الكريم،
(مطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٠هـ).
- * الشنقيطي، محمد الأمين (ت ١٢٩٣هـ):
أضواء البيان في تفسير القرآن، (دار
الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ).
- * الشيرازي، ناصر مكارم:
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (طبع
الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٤هـ).
- * طنطاوي، سيد محمد:
التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (مكتبة
أهل البيت).
- * عبد المنعم، محمود عبد الرحمن:
معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية،
(دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير،
القاهرة، دت).
- * قلعجي، محمد:
معجم لغة الفقهاء، (دار النفائس للطبع
والنشر، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- * الكوراني، الشيخ علي:
الموظف الدولي لمهاجمة الشيعة، (دار
الهدى، قم، ١٤٢٨هـ).
- * المحقق النراقي، أحمد بن محمد مهدي
النراقي (ت ١٢٤٥هـ):
جامع السعادات، تحقيق وتعليق السيد
محمد كلانتر، تقديم الشيخ محمد رضا
المظفر، (الطبعة الرابعة، مطبعة النعمان،
النجف الأشرف).
- * المصطفوي، الشيخ حسن:
التحقيق في كلمات القرآن الكريم،
(مؤسسة الطباعة والنشر وزارة
الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران،
١٤١٧هـ).
- * مغنية، محمد جواد (ت ١٤٠٠هـ):
التفسير الكاشف، (دار العلم للملايين،
بيروت، ١٤٠١هـ).
- * نوفل، عبد الرزاق:
الاعجاز العددي للقرآن الكريم، (دار
الكتاب العربي، بيروت، دت).
- النت:
* الأمانة، <https://www.hindawi.org>
الأمانة، موسوعة التفسير الموضوعي.
<https://modoe.com>
* الأمانة، شبكة المعارف الإسلامية،
<https://www.almaaref.org>
* حديث الإمام السجاد عليه السلام عن الاعتراف
بالعجز عن الشكر، إذاعة طهران،
نور وبلاغة: الحلقة ٢٣٩. <https://arabicradio.net>
* دلالة الفطرة. <https://dorar.net>
* السبت، خالد بن عثمان، بعض ما جاء
عن السلف في كتاب عيادة المريض.
<https://khaledalsabt.com>
* شحورر، عبد القادر، حاسة السمع في
القرآن العزيز. <http://saaid.org/Minute.251.htm>
* غرور الإنسان ومهالك الشيطان،
<https://basaer-online.com>

المحتويات

مؤتمر الإمام الحسن عليه السلام

- الأبعاد التربوية لمنهاج الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في بناء الفرد والأمة
أ.م.د. أحمد علي عبود الخفاجي ٦
- القرآن الكريم في فكر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام أسباب النزول أنموذجاً
الشيخ الدكتور ليث عبد الحسين العتابي ٢٤
- الاستراتيجية الحجاجية في خطب الإمام الحسن عليه السلام، أدوات التعليل
اللغوي اختياراً
م.م. كرار إبراهيم عيسى الجياشي ٤٤
- القرآنية في كلام الإمام الحسن عليه السلام
أ. د. سرحان جفات سلمان ٦٠

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام

- إشكالية المعرفة في فهم شخصية الإمام الحسين عليه السلام
أ.د. عماد حسين عبيد المرشدي ٨٤
- المسكوكة القرآنية المركبة مقارنة تداولية مدمجة في الخطاب الحسيني
محطة الصفاح أنموذجاً
د. حامد معن عامر ١٠٢
- تشكل الهوية الحسينية وأثرها في التماسك المجتمعي
أ.د. عبد الباقي الخرزجي ١٢٢
- الأثار التربوية للمظلومية على الفرد والمجتمع ((مظلومية الإمام
الحسين عليه السلام أنموذجاً))
أ.د. نذير يحيى الحسيني ١٤٢
- فلسفة التغيير والإصلاح في فكر الإمام الحسين عليه السلام
أ. د. طلال خليفة سلمان ١٩٢

المحتويات

مؤتمر الإمام السجاد (عليه السلام) الدولي الثاني

- أثر الدعاء السادس والعشرين من الصحيفة السجادية في سلوك المؤمن
سجاد باقري ٢٢٢
- استراتيجيات الإمام السجاد (عليه السلام) لإعادة الأمة إلى ركب التطور الإسلامي
الشيخ حسين محسن علي التميمي ٢٥٦
- التربية العقدية في سلوك آل المحمدي (الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام)
(إنموذجاً)
أ.د. تيسير أحمد عبل آل عايد ٢٨٤
- الجودة والإتقان في منهج القرآن الكريم جودة الحياة في تراث أهل
البيت (عليه السلام) الإمام علي بن الحسين السَّجَّاد أنموذجاً
عقيل عبد الحر النصاروي ٣١٢
- التقابل الدلالي في أقوال الإمام السجاد (عليه السلام) وأثره الفكري والتربوي
أ.د. هادي نهر ٣٥٢
- القواعد الأخلاقية المستوحاة من مواقف الإمام زين العابدين (عليه السلام) الاجتماعية
ومناجاته في الصحيفة السجادية
الشيخ نبيل سرحان كاظم الحسناوي ٣٧٨
- القيم الأخلاقية والفكرية في قصائد مديح الإمام السَّجَّاد (عليه السلام)
أ.م.د. إحسان محمد التميمي ٤٠٨
- م.م. رحاب حسين العريفوي ٤٠٨
- المواعظ القرآنية في حكم الإمام زين العابدين (عليه السلام)
أ.م.د. محمد خضير عباس الجيلوي ٤٣٦
- أ.م.د. خالد يونس النعماني ٤٣٦

